



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم البواقي

كلية الآداب واللغات

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه الطور الثالث

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: علوم اللغة وتحليل الخطاب

من طرف:

غلاب نوال

عنوان الأطروحة:

الأبعاد التداولية في الخطاب السردي الجزائري رواية هاء وأسفار عشتار لعز

الدين جلاوي أنموذجا

أطروحة مناقشة بتاريخ أمام لجنة المناقشة المشكلة من :

الرقم	اللقب و الإسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	سامي الوافي	أستاذ	أم البواقي	رئيسا
02	نسيمة نابي	أستاذ	أم البواقي	مشرفا ومقررا
03	خديجة كلاتمة	أستاذ محاضر " أ "	أم البواقي	عضوا ممتحنا
04	النذير ضبعي	أستاذ محاضر " أ "	أم البواقي	عضوا ممتحنا
05	كمال رايس	أستاذ محاضر " أ "	تبسة	عضوا ممتحنا
06	هناء شبايكي	أستاذ محاضر " أ "	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا ممتحنا



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم البواقي

كلية الآداب واللغات

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه الطور الثالث

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: علوم اللغة وتحليل الخطاب

من طرف:

غلاب نوال

عنوان الأطروحة:

الأبعاد التداولية في الخطاب السردي الجزائري رواية هاء وأسفار عشتار لعز

الدين جلاوجي أنموذجا

أطروحة مناقشة بتاريخ أمام لجنة المناقشة المشكلة من :

الرقم	اللقب و الاسم	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	سامي الوافي	أستاذ	أم البواقي	رئيسا
02	نسيمة نابي	أستاذ	أم البواقي	مشرفا ومقررا
03	خديجة كلاتمة	أستاذ محاضر " أ "	أم البواقي	عضوا ممتحنا
04	النذير ضبعي	أستاذ محاضر " أ "	أم البواقي	عضوا ممتحنا
05	كمال رايس	أستاذ محاضر " أ "	تبسة	عضوا ممتحنا
06	هناء شبايكي	أستاذ محاضر " أ "	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا ممتحنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان:

شكرا لمشرفتي الأستاذة الدكتورة نسيمه نابي التي كانت سندي وملهمتي ومنبع آمالي.

شكرا لفلذة كبدي صغیرتي وحب حياتي (میرال).

شكرا للأساتذة الذین ساعدوني لأصوب بحثي وأذكر منهم: أ. د سامي الوافي، د . هشام بلخير، د .

هارون لعبیدی، د . محمد فارح، د . روفيا بوغرنوط، أ . د السعيد الفاهم، أ . غلاب عبد الحمید، د . حمزة بريك،

د . دلولة خلدون، د سعيد قوراري، وكل من ساعدني من أساتذتي ولو بحرف واحد.

شكرا لأمي التي علمتني كيف أكابر، وأبي الذي علمني كيف أجاهد.





مقدمة:

تكاد تجمع الدراسات الحديثة على وجود مناهج نقدية لسانية، تُواكب تطور العصر، وتهتم بالظروف والسياقات الخارجية التي أنشأت النص، فلم تعد النظرة للنصوص المكتوبة بمعزل عن حياة الكاتب أو قصده أو السياق الذي كتبت فيه، ولا بمعزل عن القارئ الذي اهتمت مختلف النظريات به وحددت مواصفاته، والذي تغير دوره ليكون منتجا للخطاب لا مستهلكا له، كما تغيرت طبيعة النص أيضا، حيث بات أكثر غموضا من ذي قبل، ولم يعد جافا كما كان، مما جعل الدارسين يبحثون عن تأويل للرموز اللغوية المختلفة، وعن المعنى الذي يرمي إليه المؤلف، فتعددت الدلالات واختلقت القراءات، وأصبح النص الواحد ينتج آلاف النصوص.

يتطلب استنتاج النص وجود آليات وقواعد وأسس تساهم في استخراج مكوناته، علما بأنه هو الذي يفرض المنهج المناسب لدراسته وليس العكس، ومن بين هذه المقاربات التي تهتم بالنص ومنتجه وقارئه التداولية، التي تدرس النصوص اللغوية وغير اللغوية، تنبئ التداولية على عدة قضايا مهمة، كما تنبئ كل قضية من قضاياها على عدة آليات، ومن بينها: الإشارات، أفعال الكلام، الحجاج، الاستلزام الحوارية.

تعتبر الإشارات محورا مهما من محاور التداولية، وعنصرا فعالا في تشكيل النصوص، رغم أنها لا تملك قيمة في حد ذاتها إلا بربطها بالنسق الذي وجدت فيه، إلا أنه لا يكاد يوجد نص يخلو منها، لها آليات يعتمد الدارس عليها في تحليل النصوص تداوليا، تتمثل في الإشارات الشخصية وهي الضمائر المعروفة، والإشارات الزمانية والمكانية مثل ظروف الزمان وظروف المكان وأسماء الإشارة... الخ.

تحمل أفعال الكلام التي جاء بها (أوستن) وطورها تلميذه (سيرل) قوة إنجازية، فاللغة المكتوبة أو الكلام المنطوق هو عبارة عن أفعال إنجازية ورائها قصد المُخاطب، والغرض منها هو التأثير في القارئ أو المستمع وإقناعه بالقيام بأمر معين أو إقناعه بفعل إنجازي معين، ومن

هنا يمكن تحليل النصوص وفقا لآليات أفعال الكلام، التي لخصها (جون سيرل) في خمسة أقسام هي: الإخباريات، الإلزاميات، الوعديات، التعبريات، الإعلانات، كما يمكن تطبيق هذه الآليات على النصوص السردية كالرواية، والنصوص الشعرية وغيرها، قد تكون هذه العناصر ظاهرة ومباشرة في النص، وقد تكون مضمرة تُفهم من سياق الخطاب.

ظهر الحجاج كمفهوم عند السفسطائيين، وكقضية من قضايا التداولية عند النقاد واللسانيين والفلاسفة، من بينهم أصحاب التداولية المدمجة أمثال (ديكر) و (أسكومبر)، للحجاج عدة آليات تتمثل في الروابط والعوامل الحجاجية وأدوات الوصل والفصل وغيرها، والغرض من توظيفها هو استمالة القارئ أو المستمع والتأثير فيه وإقناعه بوجهة نظر الكاتب أو المخاطب، بينما تكمن وظيفة الاستلزام الحوارية في احترام المتخاطبين لمبادئ التعاون التي جاء بها الفيلسوف (بول غرايس)، وتتمثل في أربع قواعد هي: قاعدة الكم، قاعدة النوع، قاعدة العلاقة، قاعدة الكيف.

ومن هنا جاء بحثنا الموسوم بـ: الأبعاد التداولية في الخطاب السردية الجزائري رواية هاء وأسفار عشتار لعز الدين جلاوي أنموذجاً، مما يعني أن المقاربة التي اعتمدنا عليها في دراسة هذه الرواية هي المقاربة التداولية، ولقد قمنا باختيار هذا الموضوع لعدة أسباب من بينها: الأسباب الذاتية:

الرغبة في تطبيق المقاربة التداولية على نص سردي، والميل إلى دراسة النصوص المضمرة كرواية (هاء وأسفار عشتار) التي تجمع بين الواقع والأسطورة ومختلف الصور البيانية، تعتبر المقاربة التداولية من بين المقاربات الحيوية والحركية التي تشعر دارس الخطاب بمتعة القراءة والتحليل.

الأسباب الموضوعية:

موضوع الدراسة مرتبط بمشروع مسابقة الدكتوراه.

تعتمد الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف من بينها:

- تسليط الضوء على موضوع يطبق كثيرا على النصوص الشعرية، بينما لا يطبق كثيرا على النصوص السردية.

- الوقوف على كيفية اشتغال آليات التداولية داخل العملية التواصلية، ومدى نجاحها في استتطاق النص الروائي، والمساهمة في إبراز نجاحتها في دراسة النص الخرافي خاصة وأن (أوستن) و(سيرل) دعا إلى عدم تطبيق نظريتهما على النص الخرافي.

وسنحاول من خلال هذا البحث الوقوف على: كيفية استتطاق نص (هاء وأسفار عشتار)

لـ (عز الدين جلاوي) وفق المقاربة التداولية، وهذا ما يستدعي منا طرح عدة أسئلة أهمها:

ما مدى إمكانية تطبيق آليات التداولية على النص السردى ؟ وإلى أي مدى يمكن أن تساهم هذه الآليات في نجاح العملية التواصلية بين النص والقارئ ؟ وإلى أي مدى يمكن التحكم في هذه الآليات والتمييز بينها ؟.

كما اعتمد هذا البحث على مجموعة من الدراسات العلمية السابقة أهمها:

- كتاب التحليل التداولي للخطاب، للدكتور محمد فارح أستاذ بجامعة أم البواقي، حيث عمد في الجانب النظري إلى الحديث عن مفهوم التداولية وروافدها وقضاياها وعن مفهوم الخطاب، أما في الجانب التطبيقي فقد بحث في آليات الأفعال الكلامية وآليات الحجاج وتجلياتها في الخطاب.

- أطروحة دكتوراه موسومة بـ: الخطاب الحجاجي في " مقامات المفاخرات والمناظرات " - مقاربة تداولية -، لطالب الدكتوراه محمد فارح - الآنف ذكره -، حيث تحدث في الجانب النظري عن مفهوم الخطاب وعن التداولية من حيث المفهوم والخلفيات الفلسفية، كما تطرق إلى الحديث عن الحجاج من حيث المفهوم والمفاهيم المجاورة، وبنية الخطاب، والروابط والسلام الحجاجية، أما في الجانب التطبيقي فقد تحدث عن الروابط والعوامل الحجاجية في مقامات المفاخرات

والمناظرات، إذ اختار في دراسته الروابط الحجاجية المتمثلة في: (لكن)، (بل)، (حتى)، (لاسيما)، (لأن)، (لام التعليل) و (لكي)، والعوامل الحجاجية المتمثلة في: (لا ... إلا) و (ما ... إلا) و (إنما) .

ولقد تشابه الفصل الموسوم بـ: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار " إلى حد كبير مع هذه الدراسة مع اختلاف في بعض الأدوات المختارة.

- كتاب التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، للدكتور محمد بن عبد الله المشهوري، وهي دراسة تتكون من 608 ستة مائة وثمانية صفحة، حيث تشابه الفصل الموسوم بـ: أفعال الكلام في رواية " هاء وأسفار عشتار " معه من حيث التقسيمات التي جاء بها (أوستن) و (سيرل) لأفعال الكلام، واختلف معه من حيث طبيعة الدراسة ككل.

- مقال موسوم بـ: الأصول والمرجعيات الفلسفية والسيمائية واللسانية للتداولية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، للدكتور فريد زغلامي أستاذ بجامعة أم البواقي، تشابه الجانب النظري الموسوم بـ: تحليل الخطاب والتداولية النشأة والمفهوم مع هذا المقال في بعض المرجعيات الفكرية والفلسفة للتداولية.

من أهم المراجع المعتمدة في هذه الدراسة:

- أ . مولز وآخرون: في التداولية المعاصرة والتواصل، تر محمد نظيف، د . ط، 2014، أفريقيا الشرق، المغرب.

- إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب، تر محمد تنفو و ليلي أحمياني، ط1، 2018، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

- أن روبرول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، 2003، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

104- باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى)، تر أحمد الودرني، ط1، 2009، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث:

- طبيعة الرواية التي تمزج بين الواقع والأسطورة، وغياب الحوار المباشر بين الشخصيات.

- تكاد الرواية أن تصبح فلسفية، إضافة إلى غموض الشخصية الراوي وكفره بكل شيء، وهذا ما يؤثر على دارس الخطاب، فيشعره بالضيق؛ لأنه أمام شخص ملحد، وأمام أفكار سامة تجعله يثور ضدها بحكم عقيدته ودينه الإسلامي.

- تشعب الموضوع وكثرة الآليات المعتمدة في الدراسة.

- عدم وجود بعض الأدوات الحجاجية في هذه الرواية، مثل أدوات الشرط التي كان حضورها محتشما، واعتماد الراوي على استرجاع ذكرياته، مما يفقد الأحداث صفة المباشرة.

وحتى يصل البحث إلى حل الإشكالات المطروحة، والأهداف المنشودة عمدنا إلى وضع

الخطة التالية:

الفصل الأول: والموسوم بـ: تحليل الخطاب والتداولية: النشأة والمفهوم:

لقد قمنا في هذا الفصل بالحديث عن مفهوم النص والخطاب من حيث اللغة والاصطلاح، والفرق بين النص والخطاب، ووضع الخطاب، وتحليل الخطاب، والخطاب السردى، كما تطرقنا إلى المرجعيات الفكرية والفلسفية للتداولية، وظهور التداولية في العالم العربي، ومفهوم التداولية لغة واصطلاحاً، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وفي الأخير تطرقنا إلى التحليل التداولي.

الفصل الثاني: والموسوم بـ: الإشارات في رواية " هاء وأسفار عشتار ":

تناولنا في هذا الفصل: الإشارة والإحالة من حيث المفهوم لغة واصطلاحاً، وأقسام الإشارات، ثم تطرقنا إلى الحديث عن الآليات الإشارية المتمثلة في: الإشارات الشخصية

والإشارات الزمانية والإشارات المكانية، حيث تحدثنا في الجانب النظري عن هذه الآليات، أما في الجانب التطبيقي فلقد استخرجنا نماذج من الرواية وقمنا باستنطاقها بواسطة هذه الآليات.

الفصل الثالث: والموسوم ب: أفعال الكلام في رواية " هاء وأسفار عشتار ":

لقد تحدثنا في هذا الفصل عن نظرية أفعال الكلام عند (أوستن) وتلميذه (سيرل)، وتصنيف كل منهما لهذه الأفعال، كما قمنا باختيار تصنيفات (سيرل) من أجل استثمارها في دراسة الرواية التي استخرجنا منها العديد من النماذج، وقمنا باستنطاقها وفق هذه التصنيفات المتمثلة في:

أ - الإخباريات.

ب - التوجيهيات.

ج - الوعديات.

د - التعبيرات.

هـ - الإعلانيات.

الفصل الرابع: والموسوم ب: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار ".

تناولنا في هذا الفصل: مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً، وإرهاصاته ومراتب الحُجج، ثم اخترنا الحديث عن التداولية المدمجة، التي جاء بها (ديكر) و (أسكومبر)، اللذين تحدثنا عن الروابط والعوامل الحجاجية وفرقا بينهما من حيث الوظيفة، وهما أساس هذه الدراسة الحجاجية، كما تطرقنا إلى الحديث عن مفهوم القسم الحجاجي، والسلام الحجاجية والروابط والعوامل الحجاجية، إضافة إلى ذلك قمنا باستخراج نماذج مختارة من رواية (هاء وأسفار عشتار) وخصصناها بالدراسة، تتمثل الروابط الحجاجية المختارة في الأدوات الآتية: لكن، بل، حتى، لأن،

أما العوامل الحجاجية فتتمثل في: أدوات القصر بالنفي والاستثناء وهي: لا ... إلا، ما ... إلا وليس ... إلا، لم ... إلا.

الفصل الخامس: والموسوم بـ: الإستلزام الحواري في رواية " هاء وأسفار عشتار ":

تحدثنا في هذا الفصل عن الاستلزام الحواري من حيث المفهوم والنشأة، كما تطرقنا إلى الحديث عن مبدأ التعاون الذي جاء به (بول غرايس) وعن قواعده الأربع، حيث قمنا باختيار عدة نماذج من رواية (هاء وأسفار عشتار) وخصصناها بالتحليل وفق هذه القواعد، وبما أننا أردنا التفصيل أكثر قمنا باستخراج نماذج أخرى خاصة بالاستفهام والاستعارة والكناية وبحثنا من خلالها عن الاستلزام الحواري.

لقد توصلنا في آخر البحث إلى أهم النتائج المستخلصة من خلال تتبع آليات المقاربة التداولية، المتمثلة في: الإشارات وتصنيفات أفعال الكلام عند (سيرل) وآليات الحجاج والاستلزام الحواري.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بجزيل الشكر للجنة الموقرة كل باسمه ومقامه، على تكبدهم عناء قراءة هذا البحث وتصويب أخطائي، كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة الأستاذة الدكتورة نسيمه نابي على ما قدمته لي من نصائح وإرشادات وتوصيات، وعلى مرافقتي طيلة بحثي هذا، فجزاها الله عني خير الجزاء.

الفصل الأول

الفصل الأول: الخطاب والتداولية النشأة والمفهوم:

1 - مفهوم النص والخطاب:

أ- لغة:

ب - اصطلاحا:

ب- أ- النص والخطاب عند الغرب:

ب - ب النص والخطاب عند العرب:

1 - 1 - الفرق بين النص والخطاب:

1 - 2 - وضعية الخطاب:

1 - 3 - تحليل الخطاب:

1 - 4 - الخطاب السردى:

2- التداولية النشأة والمفهوم:

2 - 1- المرجعيات الفكرية والفلسفة للتداولية:

أ - السيميائية:

ب - الفلسفة التحليلية:

1- لودفيك فتغنشتاين:

2- جون أوستن:

3- جون سيرل:

4- بول غرايز:

ج - اللسانيات والتوليدية التحويلية:

د - النحو الوظيفي:

هـ - لسانيات النص وتحليل الخطاب:

2 - 2 - ظهور التداولية في العالم العربي:

2 - 3 - مفهوم التداولية:

أ - لغة:

ب - إصطلاحا:

2 - 4 - علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

أ - علاقة التداولية باللسانيات:

ب - علاقة التداولية بالسيميائية:

ج - علاقة التداولية بالدلالة:

د - علاقة التداولية بعلم التركيب:

هـ - علاقة التداولية بالبلاغة:

و - علاقة التداولية بالأسلوبية:

س - علاقة التداولية بالتأويل:

2 - 5 - التحليل التداولي:

الفصل الأول: الخطاب والتداولية النشأة والمفهوم:

1 - مفهوم النص والخطاب:

أ- لغة:

إن النص أو الخطاب من بين المصطلحات التي اختلفت الفلاسفة والنقاد واللسانيون والباحثين في تعريفها، فهناك من يرى بأن النص هو ذاته الخطاب ولا فرق بينهما، وهناك من يرى وجود فرق بين النص والخطاب، وعلى الرغم من أن بعض الدارسين لا يفرقون بين النص والخطاب من حيث المفهوم الاصطلاحي، إلا أنهم يفرقون بينهما من حيث المفهوم اللغوي؛ كون كل منهما له شكل معين في الكتابة، ومن حيث الترجمة إلى اللغة العربية، وعليه >> يشير الأصل اللاتيني لكلمة (text)، (texte) المشتقين من (textus) إلى النسيج (tissue) المشتقة بدورها من (texere) بمعنى نسيج.

يحيل الأصل اللاتيني على النسيج وتحيل دلالة هذه المادة على شدة التنظيم وبراعة الصنع >>¹.

جاءت كلمة (النص) في اللغة اللاتينية بمعنى النسيج؛ ليكون مفهومه اللغوي هو >> نسيج من الكلمات تتربط فيما بينها. هذه الخيوط تجمع عناصره المتنوعة والمتباعدة في كل واحد هو ما نصطلح عليه بالنص >>². ربما يكون مفهومه موحيا لـ >> القصد والجهد، وربما يوحي أيضا بالاستواء والكمال >>³، أما في اللغة العربية فلقد جاء في (لسان العرب) لـ " ابن منظور": >> النَّصُّ: رفعك الشيء. نصَّ الحديث ينصُّه نصًّا؛ أي رَفَعَهُ. وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصِّ، والنَّصُّ والنَّصِيصُ: الحث والسير الشديد، لهذا قيل: نصصت الشيء رفعته، ومنه منصة العروس.

¹ ليندة قياس: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا، ط1، 2009، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 18.

² الأزهر الزناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ط1، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص12.

³ المرجع السابق: ص 18.

وأصل النص أقصى الشيء وغايته، والنص التعيينُ على شيء ما، والنص التوقيفُ، ونصُّ الأمر شدته، ونصُّ كل شيء: منتهاه، وأنَّصَّ الشيء وأنَّصَبَ إذا استقام واستوى <<1.

النص في اللغة اللاتينية هو النسيج والجهد والقصد وهناك احتمال أن يحمل معنى الكمال والاستواء، بينما يدل الأصل في اللغة العربية على الرفع والوصول للغاية والنهاية والاستواء والكمال، أما فيما يخص مصطلح الخطاب فـ >> له معنيان وهما: الكلام الموجه في مناسبة رسمية والرسالة.

وقد ورد في (معجم المصطلحات العربية) بمعنى الرسالة (lettre) التي تحولت إلى جنس أدبي في الكتابات الغربية.

ويكاد يقترب المعنى اللغوي في معاجم العربية مما ورد في المعجم الغربي لكلمة (discourse) التي اصطلح عليها في الترجمة العربية بـ (الخطاب)، والتي تعنى: محاضرة، حديث، مقالة.

ويعني هذا أن الخطاب (discourse) هو الكلام والحديث الموجه من شخص إلى شخص آخر من أجل الإفهام والفهم <<2.

يتحدث (باربارا كاسان) (Barbara cassin) عن أصل لفظ الخطاب، ومعناه اللغوي حيث يقول: >> لم يكن لفظ " الخطاب " متصلا في الأصل باللغة اتصالا مباشرا؛ إذ اللفظ (discours) الفرنسي مشتق من الأصل اللاتيني (discurre)؛ بمعنى الجري هنا وهناك. ولما بدأ لفظ (ديسكورسيس) (discursus) - عند نهاية الحقبة اللاتينية - يأخذ معنى (الخطاب)، فقد كان معناه في البداية طريقا محفوا بالشكوك للمناقشة والمحادثة قبل أن يُحيل اللفظ على

¹ ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، ط1، 1981، دار المعارف، القاهرة، ص441 - 442.

² محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، 2005، دار النشر للجامعات، مصر، ص 35 - 36.

تشكيل مكتوب أو منطوق للفكر <<¹، كما جاء في (لسان العرب) على أنه: >> الخَطْبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والحال والشأن، والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، الكلام المنثور المسجع ونحوه، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة <<².

إن لفظ (الخطاب) بهذا المعنى سواء في أصل اللغة اللاتينية والأجنبية أو أصل اللغة العربية، يقصد به الكلام الذي ينشأ من خلاله حوار أو محادثة بين مرسل ومرسل إليه، يكون مكتوبا أو شفويا بغرض الفهم والإفهام أو هو رسالة يرسلها شخص ما إلى شخص آخر بلغة مفهومة؛ أي يعد الخطاب وسيلة تواصلية. وبما أن المفهوم اللغوي لكل من النص والخطاب بات واضحا، علينا الولوج إلى المفهوم الاصطلاحي لكل منهما عند الغرب والعرب.

ب- اصطلاحا:

تمهيد:

يتحدث (عبد الرحمن عبد السلام محمود) في كتابه الموسوم بـ: (النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا مقاربة في فلسفة المصطلح عن إشكالية استقبال العرب لمصطلح النص)، والذي تبني وقَبِل إشارة (إبراهيم صدقة) إلى جوهرها حيث يقول: >> وبه نقبل إشارة إبراهيم صدقة إلى جوهر الإشكالية بقوله: أصبح مصطلح (النص) من المصطلحات النقدية الحديثة التي تمثل مشكلة كبيرة في كتابات النقاد والباحثين، وفي طروحاتهم المختلفة. تمثلت هذه المشكلة في البحث عن حدود النص وأصنافه، وفي نوعية وحداته وطريقة تشكيلها.

¹ صابر محمود الحباشة: الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، ط1، 2011، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص 102.
² دبريس محمد أمين: جدلية النص / الخطاب من منظور علم اللغة النصي: دراسة ابيستيمية في المفهوم والنوع، مجلة لغة - كلام، جامعة غليزان - الجزائر، مج 08، ع 01، 2022، الصفحات 244 - 253، ص 248.

ويرجع هذا الاضطراب المصطلحي عند (إبراهيم صدقة) إلى علة الجدة وحدثة الوفادة المصطلحية النصية؛ إذ تحدث عن (محمد جاسم جبارة)، الذي أشار إلى اضطراب تصور النص عند (محمد الأخضر) و(عبد الملك مرتاض) و(نهلة الأحمد) التي تؤكد أن المتلقي العربي لا يملك القدرة على الربط بين المفهوم المعجمي العربي وما تبثه الحقول المعرفية الغربية من مفاهيم جديدة <<¹.

إن (عبد الرحمن عبد السلام محمود) وهو يتحدث عن رأي (إبراهيم صدقة) حول السبب الذي أحدث صعوبة في القبض على مفهوم محدد للنص، تطرق من خلاله إلى أسماء أخرى وجدت أيضا صعوبة في ذلك، من بينهم (محمد جاسم جبارة)، و(عبد الملك مرتاض)، وغيرهم من النقاد الذين واجهوا مشكلة في تحديد مفهوم النص، كونه وافدا جديدا على الحضارة العربية؛ لأن أصل المصطلح غربي؛ حيث أتى من بيئة مغايرة للبيئة العربية، إضافة إلى الترجمة؛ إذ أن ترجمة أي مصطلح من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، سيجعل هناك ضبابية في صوغ المفهوم، ولن يكون هناك مفهوما موحدًا، ولنأخذ قولاً لـ (عبد الملك مرتاض) في هذا الخصوص؛ إذ يقول: >> لقد بحثنا عن لفظ النص في التراث العربي النقدي ولكننا لم نجد له أي أثر يدل عليه، إلا ما ذكر (الجاحظ) في مقدمة كتابه الموسوم بـ (الحيوان) من أمر الكتابة بمفهوم التقييد والتدوين والتسجيل والتخليد، لا بالمفهوم الحديث للنص.

إن (عبد الملك مرتاض) مثله مثل العديد من المثقفين العرب الذين واجهوا معضلة المصطلح الذي ظهر وانتشر في مجالات معرفية عديدة، ولم يجدوا له صلة مقنعة بالمفهوم المعجمي العربي القديم <<².

¹ عبد الرحمن عبد السلام محمود: النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا مقارنة في فلسفة المصطلح، ط1، 2015، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د . ب، ص 56.

² ينظر محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، د . ط، 2008، الدار العربية للعلوم ناشرون، د . ب، ص 18.

يواصل (عبد الرحمن عبد السلام محمود) حديثه عن الموضوع فيقول: >> ويتجلى شأن الوفاة والحادثة أكثر سفورا وأدق تفصيلا في وعي (محمد الأخضر) الذي توصل إلى نتيجة حاسمة مفادها:

إن مفهوم النص هو مفهوم حديث في الفكر المعاصر، وهو وليد الفكر الغربي وليس الفكر العربي، فهو كغيره من مفاهيم كثيرة في شتى العلوم الحديثة، التي وفدت علينا من الحضارة الغربية. وهذا ما يجعل البحث عن أصول هذا المصطلح في التراث الفكري العربي، وربط ذلك بما يدل عليه في وقتنا الحاضر، ضربا من التحمُّل الذي لا ترجى منه فائدة >>¹.

إن الخوض في غمار النص وحدوده وربطه بالتراث العربي هو خطأ فادح؛ إذ يقر (عبد الرحمن عبد السلام محمود)؛ بأن مصطلح النص وافد من الغرب، وأصله غربي وليس عربيا، ولهذا لا يمكن تبنيه بصفته مصطلحا عربيا، ولا يمكن بناء المفهوم على حساب ربطه بالتراث العربي؛ لأن ذلك ضرب من العبث الذي لا فائدة منه.

إن هناك من الدارسين من يفرق بين النص والخطاب من حيث المفهوم، وهناك من يجعل النص مرادفا للخطاب؛ والعكس صحيح، حيث >> تختلف وجهات النظر في تعريف النص من اللسانياتي إلى اللغوي إلى الناقد، إلى الفيلسوف، إلى المفسر، إلى المؤرخ، إلى اللاهوتي.

ويعود هذا التنوع في التعريفات إلى سببين: يتمثل السبب الأول في عدم استقرار المفهوم، أما السبب الثاني فيتمثل في اختلاف طرقه الإجرائية، وقد لاحظ (كورتاس) (J.Courtes) و (غريماس) (Greimas) في (القاموس السيميائي) هذا التنوع في التعريفات، الذي قد يعني الشعرية بالمفهوم الجاكبسوني كما يمكن أن يكون مرادفا للخطاب >>²، وانطلاقا من هنا سيتم ذكر بعض التعريفات التي وضعها الدارسون للنص والخطاب على حد سواء.

¹ عبد الرحمن عبد السلام محمود: النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا مقارنة في فلسفة المصطلح السياسات، ص 56 – 57.

² حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، 2007، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص 35.

ب- أ- النص أو الخطاب عند الغرب:

يتحدث (زتسيسلاف) (Zdzislaw) و (اوورزنيك) (Wawrzyniak) في كتابيهما الموسوم ب: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، والذي قام بترجمته سعيد حسن بحيري، عن مفهوم النص من وجهة نظر (بهيلمسليف) (hjelmslev)؛ حيث قال بأنه لم يضع تعريفاً معيناً للنص؛ إذ >> كتب سنة 1943 أن الأشياء / التي تهم نظرية اللغة هي النصوص، ولكن بالنسبة له لا يوجد تعريف محدد للنص. ولهذا فهو يساوي النص بكل المنطوقات الحقيقية والمحملة للغة الدنماركية. وهكذا ففي التوضيح النصوص ليست وحدات لغوية، وليست نصوصاً مفردة، بل مجموعها الحقيقي والمحتمل، أي أنها نوع من الكلام أو الأداء <<¹.

إن وجهة نظر (هيلمسليف) حول النص لم تكن واضحة، ولكن ما استخلصه كل من (زتسيسلاف) و (اوورزنيال) هو أن النص - بالنسبة له - نوع من الكلام أو الأداء؛ أي تلفظ وفعل إنجازي، في حين يعرف (هاريس) (zelling harris) الخطاب >> انطلاقاً من تعريف (بلومفيلد) (Bloomfield) للجملة عبر تأكيده على وجود الخطاب رهيناً بنظام متتالية من الجمل تقدم بنية للملفوظ، بينما يعرف (بنفنست) (Benveniste) الخطاب من منظور مختلف أبلغ الأثر في الدراسات الأدبية التي تقوم على دعائم لسانية، حيث يرى أن الجملة تخضع لمجموعة من الحدود، إذ هي أصغر وحدة في الخطاب. ومع الجملة نترك مجال اللسانيات كنظام للعلامات، على اعتبار أن الجملة تتضمن علامات وليس علامة واحدة، وندخل إلى مجال آخر حيث اللسان أداة للتواصل نعبر عنه بواسطة الخطاب <<².

يعرف (هاريس) الخطاب بأنه كل ما يتجاوز إطار الجملة إلى مجموعة من الجمل تربط بينها علاقة اتساق وانسجام، في حين يرى (بنفنست) أن الجملة تعد خطاباً، تحكمها مجموعة

¹ زتسيسلاف واورزنيك: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر سعيد حسن بحيري، ط1، 2003، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 53.

² سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير)، ط3، 1997، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 18.

من الأسس والقواعد، تتكون الجملة من مجموعة من العلامات تستخدم للتواصل، يعبر بها كل مرسل أو متكلم أو باث عن أغراضه.

يضع (هاليداي) (M.A.K. halliday) و (رقية حسن) تعريفا للنص من خلال العلاقة التي تربط بين الجمل؛ أي في تماسكها وانسجامها؛ حيث ترتبط الجملة بما قبلها وما بعدها، فمن وجهة نظرهما: >> تشكل كل متتالية من الجمل نصا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة <<¹؛ أما (روجر فاو لير) (Roger Fowler) ف >> يقول إن كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد لقارئ ضمني محدد الهوية. وتقول (جوليا كريستيفا) (Julia Kristeva) : النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والأيدولوجيا والسياسة <<².

لم يفرق (روجر فاو لير) بين النص والخطاب، ومع ذلك حدد النص بأنه نص مكتوب؛ إذ يعد النص جنسا أدبيا، دون تحديد نوعه، يكتبه مؤلف ضمني، ويوجه إلى قارئ محدد، أي قارئ حذق، أما (جوليا كريستيفا) فتري بأن النص هو كل خطاب أو نص يحمل رسالة هادفة وله أبعاد سياسية وإيدولوجية وعلمية.

>> قدم اللساني (فان ديك) (Van Dijk) نظرية في النص الأدبي، متجاوزا الحد السكوني الذي تقف عليه عنده السرديات والشعريات في مقاربة حركية للنص، محددا إياه بأنه كل ما تجاوز الجملة، وقد اعتبره إنتاجا لعملية إنتاجية، وأساسا لأفعال وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل، وهذه العملية التواصلية الأدبية تقع في عدة سياقات؛ منها: السوسيو ثقافية والمعرفية والتداولية والتاريخية <<³.

¹ محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 18.

² محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، د . ط، 2014، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ص 8.

³ وردة بويران: محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، 2018، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، عمان، ص 125.

إن النص عند (فان ديك) هو كل ما تجاوز الجملة؛ أي هو نتيجة تركيب عدة جمل متسقة ومنسجمة فيما بينها، يحكمها السياق والظروف التي أنشأتها، ولكي يكون النص نصا يجب أن يحقق عملية تواصلية أدبية تتطلب وجود مرسل ومرسل إليه، تنتج عن هذه العملية التواصلية أفعالا كلامية تحدث تفاعلا بينهما، وأثرا في نفس المتلقي؛ حيث أنه و>> بتطور علم لغة النص الموجه على أساس نظرية التواصل مستندا إلى البراجماتية التي تحاول أن تصف وتشرح شروط الفهم اللغوي الاجتماعي بين شركاء التواصل في جماعة تواصلية معينة، وترتكز في ذلك من ناحية نظرية اللغة بوجه خاص على نظرية الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الانجلو ساكسونية (ج. ل. أوستن) (J.L. Austen)، و(ج. ر. سيرل) (J.R. Searle). وفي إطار منظور براجماتي (خاص بنظرية الفعل الكلامي لم يعد يظهر النص على أنه تتابع جملي مترابط نحويا، بل على أنه فعل لغوي (معقد)، يحاول المتكلم أو الكاتب به أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ <<¹.

النص هو الوسيلة التي من خلالها يتواصل المتكلم أو الكاتب مع المستمع أو القارئ، فينشئ بينهما علاقة تواصلية، فهو عبارة عن فعل لغوي إنجازي، وليس فقط جملا مترابطة ومترابطة نحويا؛ فهو يحمل وظيفة فعلية.

ب - ب النص والخطاب عند العرب:

لقد تطرق العديد من المفكرين والنقاد والفلاسفة العرب القدماء إلى مصطلح النص والخطاب؛ حيث >> يرى (ابن فارس) (ت 395 هـ) أن الخطاب: كل كلام بينك وبين شخص آخر، ويعرف الشريف الجرجاني (ت 816 هـ) النص بأنه ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام؛ لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتم بغمي، كان نصا في بيان محبته، كما يعرف الخطاب على أنه قياس مركب من مقدمات ذات مقبولة تصدر من المرسل المعتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور

¹ كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ط2، 2010، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 31 - 32.

معاشهم ومعادهم، كما يفعله الوعاظ والخطباء ولضمان الانسجام على النص أن يكون منضدا <<1.

إن النص حسب القدماء هو كل كلام له معنى، موجه إلى متلقي بغرض معين، ذو فائدة، متسق ومنسجم في تركيب واحد، أما عند المحدثين فـ >> يرى (محمد مفتاح) أن النص عبارة عن وحدات لغوية منضدة ومتسقة؛ لأن التضيد يضمن انسجام العلاقة بين أجزاء النص، مثل أدوات العطف وغيرها من أدوات الربط <<2؛ أي أن النص هو مجموعة من الجمل تربط بينها علاقة اتساق وانسجام، وبالتالي لم يخرج (محمد مفتاح) في تعريفه للنص عما قال به (الشريف الجرجاني)، في حين أن (عبد الفتاح كيليطو) يرى أن >> النص يثير كثيرا من الجدل؛ لأنه لا يمكن القبض على مفهوم دقيق ومحدد ومضبوط له، ولهذا حتى نتمكن من تعريفه علينا استحضار مقابله؛ أي استحضار مفهوم اللانص. وعليه، فالنص - حسب كيليطو - هو الذي يتميز بالنظام والانفتاح، ويحمل مدلولاً ثقافياً، ويكون قابلاً للتدوين والتعليم والتفسير والتأويل، وقابلاً للاستشهاد به عندما ينسب إلى مؤلف حجة، معترف بقيمته الأدبية والفكرية، ومكانته العلمية والثقافية <<3.

إن تعريف النص يستدعي إلى الذهن نقيضه وهو اللانص، وهذا التصور الذي وضعه (كيليطو) يفرض البحث عن الفرق بينهما، حيث يرى بأن النص لا يكون نصاً إلا داخل ثقافة معينة، فالثقافة هي التي تحدد ما إذا كان الكلام أو ما هو مدون نصاً أو اللانص، مما يعني أن ما تعتبره ثقافة ما نصاً، تعتبره ثقافة أخرى اللانص.

¹ مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ط1، 2015، منشورات ضفاف، بيروت، ص 34.

² المرجع نفسه: ص 34.

³ جميل حمداوي: لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، ط1، 2019، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور - تطوان، ص 16.

يقول (أحمد عفيفي) في كتابه الموسوم بـ : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي بأنه: >> يجب أن يكون المفهوم الأساسي لأي نص بعده وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئاً ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفاً في حد ذاته، إنما هو طريق للخطاب، أو كما يقول (جيفري ليتش) (Geoffrey Leech) و (مايكل شورت) (Michael Short) إنه عبارة عن: التوصيل اللغوي - سواء أكان مكتوباً أو منطوقاً - باعتباره رسالة فحسب تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة أو المرئية وذلك يوحى - كما يقول (الدكتور محمد عناني) - بأن الحديث عن النص معناه التركيز على اللغة، ومن هنا تأتي أهمية دراسة النص لتطوير الاتصال اللغوي بين البشر وتقويته وتحسينه. فالمبرر الأكبر للدراسات اللغوية هو تحسين الاتصال <<¹.

إن النص حسب وجهة نظر (أحمد عفيفي)؛ هو وسيلة لنقل الأفكار بين المتخاطبين، وأداة تواصل بين المرسل والمرسل إليه، في حين أن (محمد بازي) في كتابه الموسوم بـ: صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، يقول بأن: >> الخطاب معنى قاصد / مقصود في لباس المقام، أو في حلية الظرف التخاطبي، أو لنقل في لحاف السياق، تميزه ملامح أسلوبية وبنائية. وبوسعنا القول - كذلك - منطلقين دائماً من تصورنا التأويلي أن الخطاب هو مجموع المعاني النصية المفهومة والمؤولة، المعبر عنها بوسائل أسلوبية وبلاغية سمحت بتحقيقه إنجازاً وتلقياً. الخطاب تبعاً لهذا، لا يتوقف عند حدود البنية النصية التي تحمله، وإنما يمتد إلى صانع الخطاب وشروط التكون، ثم التحقق النصي، وأخيراً بلاغة التأويل <<².

يتكون الخطاب من معنيين: معنى صريح، ومعنى ضمني يتشكل من خلال التخاطب، الذي يستدعي وجود مخاطب يقصد ومُخاطَب يفهم، تتحكم في الخطاب ظروف نشأته والسياق

¹ أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، 2001، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 20 - 21.

² محمد بازي: صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ط1، 2015، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص

المحيط به؛ إذ أن المُخاطَب عندما يعبر يقوم بفعل إنجازي، بينما المُخاطَب عندما يستمع للخطاب يكون متفاعلا.

1 - 1 - الفرق بين النص والخطاب:

يفرق (دي بوجراند) (De Beaugrandc) بين النص والخطاب حيث >> يضع خطا فاصلا بينهما؛ إذ يرى أن الصفة المميزة للنص هي استعماله في التواصل، وأن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة؛ أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق <<¹.

يتحدث (دي بوجراند) عن فرق جوهري بين النص والخطاب - من وجهة نظره -، يتمثل في أن الخطاب أشمل من النص، في حين >> يهَبُّ (كلاوس برينكر) (Brinker Klau) النص معنى تواصليا، يُقيم به المتكلم والمخاطب علاقة تواصلية، يقترب أو يكاد يتساوى به النص مع مفهوم الخطاب، فيعرف النص بأنه وحدة لغوية تواصلية.

ويلاحظ أن الكتابية تمثل من وجهة نظر بعض المشتغلين بالحقل اللساني خاصية أساسية للنص <<²؛ فعلى الرغم من تفريقه بين النص والخطاب، إلا أنه يقول بوجود علاقة بينهما، تجعل النص شبيها بالخطاب، والعكس صحيح، ويمكن ذلك في اعتبارهما وحدة لغوية تواصلية.

لم يوضح (كلاوس برينكر) ما إذا كان يتبنى الرأي القائل بوجود فروق بين النص والخطاب، أو الرأي القائل بأن النص والخطاب شيء واحد، إلا أنه حينما قال بأن الكتابية هي وجهة نظر بعض المشتغلين بالحقل اللساني، والذين يعدونها ميزة نصية، جعل المتلقي لخطابه يدرك بأنه لا ينتمي لكلا الرأيين، وبأنه يملك رأيا خاص به، وهو أن النص والخطاب مكملان لبعضهما البعض، ووجهان لعملة واحدة.

¹ مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، ط1، 2015، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ص 26.

² المرجع نفسه: ص 26 - 27.

يعرف (بول ريكور) (Paul Ricoeur) النص فيقول: النص هو >> كل خلاطاب مقيد بالكتابة. أي أن النص امتداد من الكلام المدون ولا يُسمى نصا لغويا حتى تُثبته الكتابة، وعلى هذا الفهم يكون التثبيت بالكتابة مؤسسًا للنص، وهكذا جاء تحديد (جوليان براون) (J. Brown) و (جورج يول) (J. Yule) للنص بأنه (تسجيل لغوي لفعل التبليغ) <<¹، وعلى الرغم من أن (بول ريكور)، و (جوليان براون)، و (جورج يول)، لم يصرحوا مباشرة في تعريفهم للنص بوجود فرق بين النص والخطاب، إلا أننا نجد أن هناك فرقا واضحا بينهما - حسب تعريفهم - يتمثل في أن النص يكون مكتوبا، بينما الخطاب يكون منطوقا أو شفويا.

يفرق (عبد الواسع الحميري) في كتابه الموسوم ب: ما الخطاب وكيف نحلّه، بين النص والخطاب؛ إذ يقول أن الخطاب هو: >> عبارة عما نعبر عنه بلغة الفعل أو القول، وبصورة مباشرة أو غير مباشرة أو هو بتعبير آخر: نظام العقل الذي نعقل من خلاله الأشياء، ونتصرف إزاءها بمقتضاه، إنه نظام الوعي الواعي بنفسه، وبما هو وعي به، وبما هو وعي فيه، وله أو لأجله.

أما النص فهو عبارة عما يُنصُّصُ نظام الخطاب، أو هو عبارة عما نفعَل أو نقول، إنه ناتج الفعل الإنجازي للفعل أو القول، ما يعني أنه بمثابة إنجاز لذلك البرنامج التواصلية أو لنظام الفعل أو القول <<².

إن الخطاب حسب وجهة نظره؛ هو تلك الصورة الذهنية التي يُعبر عنها بالكلمات أو الأفعال، ويكون الخطاب مباشرا أو غير مباشر، بينما النص هو ما يرفع نظام الخطاب، أو هو تجسيد للصورة الذهنية المُعبر عنها بالفعل والقول؛ أي أنه ذلك الأثر الذي ينتج عن الفعل الإنجازي للقول أو الفعل؛ مما يعني أن الفرق بين الخطاب والنص يتمثل في: أن الخطاب يساوي النص والسياق، بينما النص يساوي الخطاب ناقص السياق.

¹ مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين: ص 26 - 27.
² عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلّه، ط1، 2009، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص

>> لقد اعترف (ميخائيل استوبس) (Michael Stubbs) بما يعترى النص والخطاب من خلط وغموض، ولكنه يصرح - في الوقت ذاته - بأن الفرق بينهما فرق ضئيل لا يجعله يأمل في تأسيس فارق نظري مهم بينهما، ولكنه يعود - في محاولته التفريق بينهما - إلى تقديم بعض الملحوظات المفيدة:

فنحن نتكلم غالبا عن النص المكتوب في مقابل الخطاب المنطوق.

وغالبا ما يعني (الخطاب) الخطاب التفاعلي، على حين يكون النص مونولوجا جهرة أم غير ذلك¹؛ ويعني بمونولوجا جهرة؛ حديث النفس جهرة؛ أي التعبير عن حديث النفس بالكلمات، بمعنى أدق يفترض الخطاب وجود سامع، بينما يتوجه النص إلى متلقٍ غائب.

يقول (فرانسوا راستي) (Francois Rastier) في كتابه الموسوم بـ: فنون النص وعلومه والذي ترجمه (إدريس الخطاب) : >> لنأخذ مؤقتا كلمة نص في إطار معناها الموسع والتي تُعرف بأنها درجة³⁶ (palier) من الوصف اللساني، ولكن يجب تحديد مفهوم النص وتطويره، نلاحظ في البداية أن بعض التقاليد الفيولوجية والهيرمنيوطيقية قد ورّثت تصورا تقديسيا للنص، أي أن النص بالنسبة لهذه الحقول المعرفية هو أولا وقبل كل شيء المادة المكتوبة، وهو الحرف المثبت، ويُعد مرجعا للفيلولوجيا وله سلطة في إطار الهيرمنيوطيقا التشريعية، كما أنه يتمتع بسلطة عقائدية بالنظر إلى الهيرمنيوطيقا الدينية. وباختصار، فإن للنص وظيفة مؤسسية في المجتمعات التي تعتمد على القانون المكتوب وفي الديانات التي تركز على الكتب المقدسة².

يتحدث (فرانسوا راستي) عن النص فيربطه بالتخصص والاتجاه، حيث يعرف النص وفقا لوظيفته داخل المجتمع أو المنظومة الثقافية، ويشترط في النص أن يكون مكتوبا، خاصة وأن النص المكتوب هو نص مقدس بالنسبة لمختلف الحقول المعرفية كالهيرمنيوطيقا التشريعية والدينية، والفيلولوجيا .. الخ. ليكون الفرق بين النص والخطاب كالاتي:

¹ محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 8.

² فرانسوا راستي: فنون النص وعلومه، تر إدريس الخطاب، ط1، 2010، دار تويقال للنشر والتوزيع، المغرب، ص 32.

- يرتبط النص بالقداسة بينما يرتبط الخطاب بالحياة اليومية العادية.

- يكون النص مكتوبا ويربط الإنسان بالعالم الروحاني وما وراء الطبيعة، بينما يكون الخطاب شفهيًا، ويستخدم في العملية التواصلية القائمة على التفاعل، الذي يحدث بين الأطراف المشاركة في عملية التواصل. وإن لم يصرح بذلك فهو يستخلص من سياق الكلام.

بعد أن قمنا باستخراج أهم الفروق التي وضعها الدارسون والنقاد والفلاسفة (العرب والغرب) بين النص والخطاب، والتي كانت فروقا جوهرية، ننتقل الآن إلى الحديث عن وضعية الخطاب.

1 - 2 - وضعية الخطاب:

إن التطرق إلى مصطلح الخطاب أو النص من حيث المفهوم، يحتم على الباحث التطرق إلى وضعيته من حيث البيئة والظروف التي ساهمت في نشأته؛ حيث >> نسمي وضعية الخطاب مجموع الظروف التي يجري فيها فعل التلفظ سواء أكان هذا الفعل التلفظي مكتوبا أو شفهيًا. يجب أن يفهم من هذا المحيط الاجتماعي والفيزيائي في الوقت ذاته؛ حيث يأخذ هذا الفعل مكانه، فالصورة التي هي عند المتخاطبين، هويتهم، الفكرة التي يكونها الشخص عن الآخر (بما في ذلك التشخيص الذي يمتلكه كل واحد عما يعتقد عن الآخر)، والأحداث التي سبقت فعل التلفظ (بالتحديد العلاقات كانت من قبل عند المتكلمين، وخاصة تبادل الكلام حيث يدخل التلفظ في إطار البحث) <<1.

إن وضعية الخطاب سواء أكان هذا الخطاب مكتوبا أو شفهيًا، تتمثل في الظروف التي أنتجته، والتي تتعلق بالسياق الخارجي الذي يحيط بالمتخاطبين، ولا تكون هذه الظروف اجتماعية فقط بل ترتبط أيضا بما يعرفه المستمع عن المتكلم؛ أي ما يسمى بالافتراض المسبق، وبالعلاقة التي تربط بين المتكلم والمستمع، والأحداث التي سبقت عملية التلفظ، وهناك الكثير من الدارسين (النقاد، الفلاسفة، اللسانيين، المفكرين ...) الذين ربطوا الخطاب بالسياق الخارجي المحيط به،

¹ تزفيتان تودوروف: مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، ط1، 2005، منشورات الاختلاف، د. ب، ص 53.

ف >> في الوقت الذي كان أعظم اهتمام لعلم اللغة بالجملة المفردة أو الجمل المفردة نشر (زينلج هاريس) (Zelling Harris) بحثًا بعنوان تحليل الخطاب Discourse Analysis 1952. واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي، وقد لقي هذا البحث اهتماما كبيرا حتى اليوم... ثم دراسة (دل هيمز) (Dell Hymes 1960)، الذي ركز على الحدث الكلامي في مواقفه الاجتماعية. ثم جاء فلاسفة اللغة مثل (Austen 1962)، (Searle 1969)، (Grice 1975) ... (هالدي) (M.A.K. Halliday 1973) الذي قدم أعظم عمل في تحليل الخطاب البريطاني وغير مفاهيم كثيرة في المدرسة اللغوية ثم ... (Sinclair) و (Coulthard 1975) ... ثم ظهرت أسماء كثيرة في العلم مثل (Goffman 1976)، (1979)، (Sacks and Jefferson 1974) و (Van Dijk 1972)¹.

لقد قام هذا الأخير - (فان ديك) (Van Dijk) -؛ >> ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، لكن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من شأنها أو التشكيك في صحتها، بل إن الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر تداولية ودلالية إلى التحليل والوصف اللغويين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة؛ حيث أنه لم يعد كافيا لاستيعاب العناصر السابقة، ولم يعد ينظر إلى هذه العناصر بعدها وحدة أساسية للوصف النحوي، بل اعتبر النص بأكمله - على الرغم من الاختلاف الشديد حول مفهومه - وحدة أساسية لا تستوجب تحولا كليا في المعايير - كما يظن ذلك لأول وهلة، بل يرى أن هذا الإطار الموسع يدفع إلى تغير كفي في إطار حرص (فان ديك) على تكوينه، وقد اصطلح عليه ((نحو الخطاب أو نحو النص أو آجرومية النص))².

الأمر ذاته بالنسبة لـ " ميخائيل باختين (Michael .B)، حيث يقول في كتابه الموسوم بـ: الخطاب الروائي: >> إن الخطاب يعيش خارج ذاته، داخل تثبيت حي لموضوعه، وإذا ابتعدنا

¹ صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، جزء 1، ط1، 2000، دار قباء، القاهرة، ص 23.

² سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، 1997، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ص 218.

كلية عن ذلك التثبيت، فلن يبقى لنا فوق الأذرع سوى جثة الخطاب العارية التي لن تعلمنا شيئاً عن وضعه الاجتماعي ولا عن مصائره.

إن دراسة الخطاب في حد ذاته، بدون معرفة نحو أي شيء يتطلع خارجه، هي في مثل عبثية دراسة عذاب أخلاقي بعيداً عن الواقع الذي يوجد مثبتاً عليه والذي يحدده <<1.

يفقد الخطاب معناه بعزله عن السياق الذي أوجده، والموقف الذي قيل فيه، فهو خارج ظروف نشأته لا فائدة منه ولا يمثل الواقع؛ إذ أن الخطاب يرتبط بالواقع الاجتماعي للمتكلم سواء أكان هذا المتكلم حقيقياً أو افتراضياً، ويستدعي هذا الأمر ما يسمى بالحوارية، كما يجب أن يراعي المتكلم المتلقي أو المستمع ومدى قدرته على فك شفرات الخطاب وتأويله، وبمعنى أدق >> فإن النص أو الخطاب لا يأتي من فراغ فله سياقاته الثقافية والاجتماعية والنفسية الداخلة في تكوينه، وعلاقته بالواقع هي علاقة تمثل وامتصاص وانتخاب عبر اللغة، وكما يقول (جمال عبد الملك) فإن فعالية الإنتاج الأدبي تستند إلى تمثل الواقع والقدرة على اختيار عنصر الثبات في صورة الواقع الجياش المضطرب <<2.

إن وضعية الخطاب تحيل مباشرة إلى تحليل الخطاب، ويجب الولوج إليه على عجلة دون الخوض في أعماقه؛ لأنه بحر واسع، ومن الصعب الإحاطة بكل جوانبه.

1 - 3 - تحليل الخطاب: Analyse de discours

إن >> هناك توجه كامل في فرنسا - كما يقول (الزواوي بغورة) - يسمى تحليل الخطاب، ويظهر في أشكال متنوعة يمكن تصنيفها إلى أربع منظومات كبرى هي: المنظومة السردية، والمنظومة المنطوقية، والمنظومة الخطابية، والمنظومة الحجاجية. وقد تعلق أولى أعمال البنيويين الفرنسيين أمثال: (جان لاكان) (Jacques Lacan)، و (رولان بارت) (

¹ ميخائيل باخنتين: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، ط1، 1987، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص 54 - 55.

² هاشم ميرغني: بنية الخطاب السردية في القصة القصيرة، ط1، 2008، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ص

(Barthes Roland)، و (كلود ليفي شتراوس) (Claude Lévi- Strauss)، و (ميشيل فوكو) (Michel Foucault) - بهذه الأشكال من تحليل الخطاب <<1.

إن >> لتحليل الخطاب تحديدات متنوعة، ويوجد تحديد واسع جدا: " هو تحليل استعمال اللغة " (;1 1983 Brown et yule، ويوجد تعريف آخر له ويتمثل في: " دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية " (Chap. 2, 1985: t. IV, Van Dijk) في البلدان الأنجلو ساكسونية خاصة، العديد من الناس ينظرون إن قليلا أو كثيرا إلى تحليل الخطاب وتحليل الحديث وكأنهما شيء واحد، نظرا لكونهم يعدون الخطاب نشاطا تفاعليا أساسا <<2.

يقصد بذلك أن تحليل الخطاب هو دراسة اللغة في الاستعمال، ويكون التحليل أي بوجود طرفين هما: المرسل والمرسل إليه في نفس الزمان والمكان، وهناك من لا يفرقون بين تحليل الخطاب وتحليل الحديث باعتبارهما شيئا واحدا، لأنهم يعتبرون الخطاب نشاطا تفاعليا، إلا أن هذا لا يمنع إمكانية تحليل الخطاب المكتوب؛ لأن هذه النظرة لتحليل الخطاب، والتي تجعله مقتصرا على تحليل اللغة المنطوقة فقط، هي نظرة مبنية على التفريق بين النص والخطاب، ولهذا ظهرت تيارات فكرية ومناهج نقدية ولسانية اهتمت بتحليل النصوص المنطوقة والمكتوبة والمرئية، ف >> رغم أن تحليل الخطاب قابل للتطبيق في مجالات البحث، فهو غير قابل للاستعمال مع كل أنواع الأطر النظرية، وحتما لا يمكن اعتماده طريقة في التحليل مقطوعة عن أسسها النظرية والمنهجية، فكل منهج أو مقارنة تقدمه من مناهج تحليل الخطاب ليس مجرد طريقة في تحليل البيانات، ولكنه كل نظري ومنهجي، أي حزمة كاملة. وتتضمن الحزمة أولا فرضيات فلسفية (إبستمولوجية

¹ ينظر إلى محمد شومان: تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج تطبيقية، ط1، 2007، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص 23 - 24.

² دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، ط1، 2008، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص 10.

أنطولوجية) ترتبط بدور اللغة في البناء الاجتماعي للعالم، وتتضمن ثانياً قواعد إرشادية منهجية، وثالثاً تقنيات محددة للتحليل ترتبط بكيفية مقارنة مجال البحث، ورابعاً نماذج نظرية <<¹.

إن تحليل أي خطاب يكون وفق منهج معين وأسس نظرية وخلفيات فلسفية ومعرفية معينة، فلا يكون تحليل الخطاب دون قواعد إرشادية؛ لأن النص هو الذي يفرض المنهج المناسب لدراسته وليس العكس، فعلى المحلل أن يكون على دراية بأسس كل منهج وقواعده، وما إذا كان النص الذي بين يديه مناسب لدراسته، أو أنه يتطلب وجود نص آخر يتوافق ومبادئ وآليات المنهج الذي سيحلل وفقه.

قد يكون الخطاب اللغوي الذي يستطيع الدارس استنتاجه رواية أو شعراً أو كتاباً أو مقالا أو رسالة ... الخ، وبما أن النص الذي بين أيدينا (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوجي) هو خطاب سردي، فهذا يعني أننا سنسلط الضوء على الخطاب السردي وبالتحديد الرواية دون تسليط الضوء على الأجناس الأدبية الأخرى، فماذا نعني بالخطاب السردي أو الروائي؟ وما الفرق بين النص والخطاب والسرد؟.

1 - 4 - الخطاب السردي:

قبل التطرق إلى الحديث عن الخطاب السردي وجب التفريق بين النص والخطاب والسرد، حيث تشترك >> هذه المصطلحات الثلاثة في عامل التعبير أو المستوى اللغوي في الرواية، وينشأ التداخل بين مفاهيمها من جراء الحدود التعبيرية التي تختلف النظريات حولها، فـ (تدوروف) (Todorov) مثلاً لا يضع حدوداً قاطعة بين مفهومي الخطاب والسرد؛ لأنه يرى أن العمل الأدبي يحتوي أمرين، هما: السرد والحكاية، ويرى أن الحكاية تختص بالأحداث المتحركة في الزمان، أما السرد - حسب - فيشمل طرق تشكيل الحكاية، وطرق عرضها؛ أي أن مفهوم السرد - حسب - يجمع بين السرد والحكي حسب الرؤية السابقة التي تقسم العمل الأدبي إلى حكي

¹ ماريان بورغنسن، لويز فيليبس: تحليل الخطاب: النظرية والمنهج، تر شوقي بوغاني، ط1، 2019، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ص 18.

وسرد وحكاية، ويلف كل مقومات التقديم الروائي في إهابه، وكذلك كل عناصر النص، من وصف، وحوار ورسائل ... الخ <<¹.

لا يفرق (تودوروف) بين السرد والخطاب، كون الرواية تحوي على الحكى والسرد، يتحكم في الحكى الزمان والمكان، بينما يتم السرد وفقا لأسس وآليات تضبط الحكى، وبناء على ذلك لا يوجد فرق بين السرد والخطاب، ولهذا يعد السرد من حيث المفهوم هو السرد مضافا إلى الحكاية. وعلى سبيل المثال يعرف (لوفيف) (Lovive) الخطاب بأنه: << قول يستحضر إلى الذهن عالما مأخوذا على محمل حقيقي في بعديه المعنوي والمادي، ويحدث في مكان وزمان محددين، ويقدم في أغلب الأحيان معكوسا من خلال منظور شخصية أو عدة شخصيات، أضف على ذلك منظور الراوي اختلافا عن الشعر >>².

الخطاب حسب (لوفيف) هو سرد أحداث يفترض أنها جرت بالفعل يحددها الزمان والمكان، سواء أكانت هذه الأحداث مادية أو معنوية، تجسد الشخصيات المختلفة في الرواية، إضافة إلى منظور الراوي، وإن كانت غير واقعية فإنها تفرض وجودها لتكون واقعا.

يمكن القول أن الخطاب الروائي <> - بصفة عامة - تشكيل لغوي سردي دال أو بنية لغوية دالة، يشكل عالما خاصا وموحدا، تتعدد وتتنوع وتختلف في داخله الأساليب والأشخاص والأحداث واللغات والأمكنة والعلاقات والأزمنة، دون أن يقضي هذا التعدد والتنوع والاختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته الدالة، بل هو يؤسسها <<³.

إن الخطاب الروائي عبارة عن تشكيل تختلف تقنياته من رواية إلى أخرى، غير محدد بكتاب معين أو بشخصيات معينة أو بزمان ومكان معينين، كما أن الخطاب الروائي له

¹ عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجا)، ط1، 2006، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 104.

² المرجع نفسه: ص 104.

³ محمود أمين العالم وآخرون: الرواية العربية بين الواقع والأيدولوجية، ط1، 1986، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية - اللاذقية، ص 11.

خصوصيته التي تجعله مختلفا عن الأجناس الأدبية الأخرى؛ إذ يعد أفقا إبداعيا مفتوحا، له رواده ومنتذقيه وإن اختلف تعريفه.

يتحدث (سعيد يقطين) في كتابه الموسوم بـ: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير)، عن >> موضوع تحليل الخطاب الروائي كما يدل عليه عنوانه ليس الرواية ولكن الخطاب. وليس الخطاب غير الوسيلة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، قد تكون المادة الحكائية هي واحدة، لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولته نظمها وكتابتها، فمثلا لو منحنا لبعض الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكى، وحددنا لهم سلفا أحداثها المركزية وشخصياتها وزمانها وفضاءها لوجدناهم يقدمون لنا خطابات متنوعة بتنوع مواقفهم واتجاهاتهم، وإن كانوا يعالجون نفس القصة. هذا ما يجعلنا نعتبر الخطاب موضوع التحليل. ويدفعنا إلى البحث في كيفية عمل عناصره ومكوناته <<¹.

يفسر (سعيد يقطين) كدارس للخطاب عملية تحليل الخطاب وليس تحليل الرواية، بحكم أن الحكاية الروائية تكون واحدة بينما الخطاب يتعدد، فكل روائي يكتب الحكاية بصيغة معينة تختلف عن الآخر، وإن كانت نفسها، فالخطاب متغير بينما الحكاية تظل على حالها.

>> حققت نظريات السرد منذ الشكلايين الروس إلى الآن تطورا مذهلا، تنتوع المقاربات والاتجاهات، ولكل منها جذورها المعرفية ومراميها وخلفياتها، ما هو الموقف الذي يجب اتخاذه منها ونحن نحاول استلهاها أو الاستفادة منها ؟.

نتبع في تحليلنا هذا اتجاها واحدا <<²، وللإجابة عن هذه التساؤلات يقول (روجر ب . هينكل) (Roger B. Henkle) في كتابه الموسوم بـ: قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، الذي قام بترجمته (صلاح رزق) : >> يوجد - فيما أعرف - مجموعة من القراء يرفضون التحليل النقدي للرواية رفضا قاطعا؛ والسبب وراء ذلك هو أنهم ينفرون - ابتداء - من أن يحاول أحد المعلمين أو

¹ سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير)، ص 7.

² المرجع نفسه: ص 7.

النقاد بسط جميع أنماط الشكل الفني والمعاني الضمنية التي يزعم وجودها في ذلك الكتاب الذي يبدو قريب الدلالة سهل التأتي <<1.

يتحدث (روجر ب . هينكل) عن بعض القراء الذين يرون بأن الخطاب الروائي ليس بحاجة إلى وجود مناهج نقدية لقراءته، وليس بحاجة إلى البحث عن القصد أو المعنى الذي يريد الروائي إيصاله إلى المتلقي من خلال روايته؛ لأن الراوي - حسبهم - يكتب بأسلوب سهل، ولا يوجد معنى ضمني أو خفي وراء كتابته، فالرواية فنٌ جميل وبسيط واضح ولا غموض فيه، يفهم مباشرة دون تأويل وتفسير، وتتمثل حجتهم على ذلك في >> محاولة الدارس إثبات أن المغزى الجوهرى الدقيق يكمن في أن علاقة الحب بين البطلة والبطل تتأسس على توظيف قصة حواء وآدم، أو أن الشخصيات تقدم رؤية مجسدة لما يسمى مشكلة الحياة أو معضلة الوجود أو أن الكاتب يخفي في قلبه كراهية دفينة لأمه، .. تلك المحاولة سوف تجعل مثل ذلك القارئ يرغب لو أنه يستطيع أن يصرخ بأعلى صوته محتجا: ألا تقرأ الأشياء الماثلة بالفعل في الرواية، لا يمكن أن تقنعني بأي شكل من الأشكال، أن المؤلف قد قصد إلى ذلك كله! .. ومثل هذا القارئ يتشكك في أن السبب الحقيقي للنقد الأكاديمي شيء يتجاوز الرغبة في إبراز قدرة الناقد العقلية إلى الكشف عن مقومات فاعلية الفن <<2.

إن هذه النظرة المتعلقة بقراءة النص الروائي تجعل الباحث يكتب بما هو ظاهر، دون البحث عن المعاني الضمنية، فحسبه لا يمكن للراوي أن يقصد كل ما يُعتبر معنى خفيا، فاعتقاد الناقد بأن وراء النص قصد صاحبه، هو نوع من استعراضه لمهاراته العقلية، ويُعتبر ذلك انشغالا عن جوهر النص المتمثل في: مقومات فاعلية النص.

يوصل (روجر ب . هينكل) قوله: >> وثمة اعتراض آخر على القراءة النقدية يفرض علينا مواجهته بلا تراجع .. ذلك أن بعض الباحثين يتخوفون من أن دراسة الرواية سوف تبدد

¹ روجر ب . هينكل: قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، تر صلاح رزق، ط2، د . ت، آفاق الترجيب، القاهرة، ص 53.

² المرجع نفسه: ص 53 - 54.

متعته وتفقد تجربة القراءة ذاتها، وهم يؤكدون على أنهم اتجهوا إلى الرواية من أجل المتعة لا من أجل الاستثارة العقلية، ولهذا يستفسرون - مستكبرين - عما يوجب عليهم أن يبددوا متعة الكتاب لهاثا وراء المقومات الأدبية والإشارات والإيحاءات وأنماط التصوير¹.

إن اعتراض بعض الدارسين على دراسة الرواية وتحليلها، يعود إلى رغبتهم في الاستمتاع بأسلوب الراوي، وبما تحمله الرواية من أحداث، بعيدا عن التأويل واستثارة العقل والبحث عن قصد الراوي؛ لأن البحث عن الإيحاءات والإشارات التي يضعها الكاتب في أعماله الأدبية أو الروائية ما هي إلا قضاء على متعة القراءة، ولهذا وجب الاكتفاء بفهمها كما تبدو ظاهريا، بعيدا عن التفسير والتأويل، ولكن ما يمكن قوله؛ هو أن (روجر ب. هينكل)، يعبر عن وجهة نظر بعض الدارسين، وليس وجهة نظره هو.

إن هناك رأي مخالف للرأي الأول؛ إذ يرى كثير من الدارسين والنقاد والمفكرين أن النص الروائي يحمل قصد صاحبه أو تتحكم في تأويله وتفسيره ظروف نشأته، فأصبح للرواية دارسون يبحثون عن المعاني الخفية التي وراءها قصد الراوي، متجاوزين المعنى الظاهري، حتى أنهم تجاوزوا الشعر والسرد إلى صور التعامل الشفهي والكتابي الجديدة؛ أي أن الرواية وكل ما يمكن رؤيته أو سماعه بات قابلا للتحليل، ونقصد بذلك العلامات اللغوية وغير اللغوية، وكذلك الخطاب الشفهي والمكتوب؛ إذ يقول (نعمان عبد الحميد بوقرة) في كتابه الموسوم ب: الخطاب والنظرية والإجراء >> كانت مرحلة الثمانيات مرحلة نضج منهجي لعلم تحليل الخطاب بشتى اهتماماته التي تجاوزت السرد والشعر إلى الحجاج والخطابة السياسية والمحادثة والمسرح والإشهار وغيرهم من صور التعامل الكتابي والشفوي الجديدة.

كما تشكل في هذا الحيز المعرفي خطابا جديدا يؤرخ لخطاب ما بعد الحداثة هو خطاب التداوليات الذي استهدف معرفيا علم الاجتماع والبلاغة والمنطق واللسانيات وعلم النفس والأدب،

¹ روجر ب. هينكل: قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، تر صلاح رزق، 53 - 54.

وحقول معرفية أخرى تشترك جميعها في دراسة مكنون القول، ومجريات التلفظ بوصفه فعلا لغويا متأسلا في السياق الاجتماعي الذي يؤطر حركة الأفراد >>¹.

سهل ظهور التداولية على دارس الخطاب الروائي بصفة خاصة، والخطاب بصفة عامة، الفهم والتفسير والتأويل، لما تحمله التداولية من خصائص ومميزات، فلم يعد القارئ يعاني من سوء الفهم بحكم عزل الرواية عن السياق والظروف الخارجية التي أوجدتها، وبت الإشكال المطروح متعلقا بمدى قدرته على استنتاج النص، من خلال فك شفراته والمتمثلة في: الإيحاءات والإشارات، فعلى القارئ أو المتلقي أن ينمي قدراته على التفسير والتحليل والتأويل، في مقابل ذلك على الروائي أو الكاتب أن يأخذ بعين الاعتبار قبل كتابة الرواية عدة عناصر من بينها:

>> الأخذ بعين الاعتبار أن المخاطب طبقات، وبالتالي يجب أن يكون الخطاب طبقات أيضا، يقول الجاحظ: وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، والمتكلم البليغ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق.

الأخذ بعين الاعتبار أن التصنيف الطبقي لا يعني أن الخاصة وحدها هي التي يوجه إليها الخطاب، بل الهدف من هذا التصنيف أن يأخذ المتكلم بعين الاعتبار الطبقة التي يتوجه إليها بالخطاب، ويكون قادرا على أن يضع لكل طبقة الخطاب الذي يطابقها ويناسبها، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما >>².

ينطبق الكلام نفسه على الخطاب الشفهي والخطاب الكتابي وعلى المتلقي الذي سيكون مكلفا بإعطاء تفسير وتأويل للنص، يقول (منذر عياشي) في كتابه الموسوم بـ: الأسلوبية وتحليل الخطاب: >> أما على المستوى الدلالي فلم يكن الفيلسوف (ه . ب . غرايس) (Grice) عام 1975 أول من لاحظ أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها السامع أو المتحدث دون علاقة

¹ نعمان عبد الحميد بوقرة: الخطاب والنظرية والإجراء، د . ط، 2018، دار جامعة الملك سعود للنشر، د . ب، ص 32 - 33.

² حسن المودن: بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ط1، 2014، كنوز المعرفة، الأردن - عمان، ص

واضحة أو معلنة، فمثلا عندما يقول شخص لشخص آخر: ألا تزورني؟ فلا يفهم السامع من الجملة أنها سؤال، على الرغم من أن ذلك هو شكلها النحوي، وإنما يفهم أنها دعوة للزيارة، وقد اتجه البحث فيما يعرف بتحليل الخطاب إلى استنباط الأسس التي تحكم مثل هذه التوقعات الدلالية أو الاستدلالات¹.

يفند هذا القول الرأي السابق، والذي يقول بأن الروائي أو الكاتب لا يقصد شيئا من وراء روايته، وأن الغرض من وجودها هو المتعة؛ أي متعة القراء وتلذذهم بأسلوب الكاتب، بينما يرى هذا القول أن هناك معاني خفية على القارئ الحذق استخلاصها وفهمها، وهذا ما أدى إلى استنباط القواعد التي تحكم التأويل والتفسير والمعنى الخفي في تحليل الخطاب الروائي، وغيره من الخطابات الأخرى، وبما أن دراساتنا للنص الروائي الذي بين أيدينا (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوي)، ستكون وفق المقاربة التداولية، فهذا سيجعلنا نبحث عن التداولية من حيث المفهوم والنشأة وعلاقتها بالحقول الأخرى، وأهم القضايا التداولية، التي بوسعنا استخدامها كآليات لاستنتاج النص ومعرفة قصد الراوي، إضافة إلى قواعد مبدأ التعاون التي تحدث عنها (غرايس) (Grice) وغيره من الدارسين والفلاسفة والمفكرين، الذين جعلوا الخطاب مرتبطا بظروف نشأته وبنفسية صاحبه، وبالسياقات الخارجية والداخلية التي تساهم في فهمه وتحليله.

2- التداولية النشأة والمفهوم:

2 - 1 - المرجعيات الفكرية والفلسفة للتداولية:

ينبني كل علم أو نظرية أو مقارنة أو منهج على أنقاض غيره أو يأتي مؤيدا له وحاملا لأفكاره، وإن صح التعبير تساهم العديد من القضايا السابقة في بلورته ونشأته، والتداولية مثلها مثل المقاربات السابقة لها روافد بُنيت عليها وساهمت في ظهورها، ومن هذا المنطلق يمكن معرفة كيف نشأت التداولية، >> وما هي البوادر الأولية لتكوين محاورها، فهي توافقت تقريبا مع نشأة العلوم

¹ هاشم ميرغني: بنية الخطاب السرد في القصة القصيرة، ص 29.

المعرفية، مثل اللسانيات، وعلم النفس، وفلسفة العقل وغيرها <<¹، ومن هذه الروافد نذكر على سبيل المثال:

أ - السيميائية:

إن << التداولية / الذرائعية باعتبارها جزءا من السيميوطيقا لها جذور في نظرية القرون الوسطى للعلامات، فلسفة (كانط) (Kant) وسيميوطيقا (لوك) (Locke) >>²؛ حيث << أخذ (تشارلز ساندرس بيرس) (Charles Peirce) مصطلح السيميائية عن الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) (John Loke)، ويعتبر (بيرس) السيميائية أفضل العلوم لاستخدامها للعلامات، مؤكدا أن العلامة والفكر غير منفصلين، فلا توجد علامة في حد ذاتها، ولكن كل شيء يمكن أن يتحول إلى علامة، بل إن الفكر في ذاته يعد علامة يمكن أن يفسرها الآخر >>³.

وهذه أولى بوادر ظهور << التداولية في أعمال (بيرس) السيميائية والفلسفية >>⁴؛ إذ << يدرس اللغة من خلال ربطها بحالة التواصل، مرتكزا في ذلك على ظروف الاستعمال، وانطلاقا من إنجازه ستفهم اللغة في إطار التواصلية، ويصبح المعنى وظيفة استعمال، فقد استفاد الدرس التداولي من أفكار وجهود (بيرس) لاسيما حينما ميز بين التعبير باعتباره نمطا وبين ما يقابله عند الاستعمال، فأقامت أفكاره أرضية خصبة لنشأة التداولية، من خلال دراسته للعلامة واهتمامه بالاستعمال >>⁵، في حين << تنسب البراجماتية اللغوية بمعناها الحديث إلى الفيلسوف

¹ خميس فزاع عمير: نظريات المنهج التداولي عند علماء جامعة أوكسفورد تحليل وصفي تطبيقي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانية والاجتماع، ع 5، 2016، الصفحات 1 - 16، ص 3.

² دراسات وبحوث مختارة تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، تر حافظ إسماعيل علوي وآخرون، ط1، 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص 12 - 13.

³ فريد زغلامي: الأصول والمرجعيات الفلسفية والسيميائية واللسانية للتداولية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 13، ع 01، مارس 2024، الصفحات 146 - 159، ص 153.

⁴ محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د . ط، 2012، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 27 - 28.

⁵ محمد فارح: التحليل التداولي للخطاب، ط1، 2023، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، ص 18.

(تشارلز موريس) (Charles Morris) الذي اهتم بعلم الرموز اللغوية (Signs) من ثلاثة جوانب كما يقول (لفسون) (Levinson 1989):

- الجانب النحوي (Syntax) ويُعنى بالعلاقة التي تجمع الرموز اللغوية بعضها ببعض.

- الجانب الدلالي (Semantics) ويُعنى بالعلاقة التي تجمع الرموز اللغوية بالأشياء التي تدل عليها.

3- الجانب البراجماتيكي (Pragmatics) ويُعنى بالعلاقة التي تجمع الرموز اللغوية بالمتلقي، وبالظواهر الحياتية والنفسية والاجتماعية المرافقة لتوظيف هذه الرموز واستعمالها <1>.

يرمي (شارلز موريس) إلى القول بأن: >> استعمال اللغة عموما يطرح شيئين مهمين: الاتصال المضمّر مع الآخر في مقام تواصلٍ محدد، ومرجعية الاستعمال ذاته.

وإذا كان الاستعمال يطرح مبدئياً الاتصال المضمّر مع الآخر، فإن الاستعمال التداولي الحوارى يطرح اتصالاً ظاهرياً مع الآخر في مقام وسياق تواصلين محددين، لذا فخاصية الاستعمال التداولي الحوارى هي الخاصية التداولية الأولى للتفاعل التوصلى المتعلق بالمتخاطبين ومع الاستعمال التداولي الحوارى تطرح التضمينات الحوارية التي تطابق كل ما يرتبط بنسق الإيحاء أو التلميح.

ومع مرجعية الاستعمال أصبح الاستعمال هو مرجع العلامات ومعه المستعملون هم المحددون لهاته المرجعية خلافاً للتركيب أو الدلالة اللذين يقصيان الاستعمال من مرجعيتهما <2>.

الواضح أن (شارلز موريس) متأثر كثيراً بفكر (بيرس)، من حيث استخدام اللغة وربطها بالاستعمال وعملية التواصل.

¹ شاهر الحسن: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ط1، 2001، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ص 157.

² محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التوصلى دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، د . ط، 2010، أفريقيا الشرق، المغرب، ص 38 - 39.

ب - الفلسفة التحليلية:

يعود ظهور التداولية إلى عدة عوامل من بينها: >> الفلسفة التحليلية بزعامة (جوتلوب فريجة) (Gottlob Frege)، وقد نشأ في كنف الفلسفة التحليلية (السيمياء المنطقية) التي تبنتها حلقة فينا، التي عالجت الوضع المنطقي في اللسان، وتعود أصولها إلى جهود (تشارلز بيرس) (Charles Peirce)، وقد تأثر بعض الفلاسفة منهم (ولودفيغ فتغنشتاين) (Ludwig Wittgenstein) و(برتراندرسل) (Bertrand Russell) و(جون أوستن) (John. Austen) و(جون سيرل) (John. Searle) و(هوسرل) وغيرهم بفلسفة (فريجه) التحليلية.

استطاع هؤلاء الفلاسفة فهم الإنسان كذات وفهم عالمه؛ حيث يعتمد هذا الفهم بالدرجة الأولى على اللغة، فهي التي تعبر عنه <<¹؛ حيث >> ظل اهتمام الفلسفة التحليلية باللغة غير مفصول لمدة طويلة عن اهتمامها بالمنطق. فكل من الفلسفة التحليلية والمنطق الرياضي مترابطان، وفيما بعد انتقل مركز اهتمام التحليليين إلى اللغات الطبيعية؛ لأن التحليل القديم، كان يتأسس في دراسته للغة على النموذج المنطقي الذي يقدمه كتاب " مبادئ الرياضيات لـ (راسل) و(وايت هيد) (White Head) and (Russel)، وهو نموذج يبين أن اللغات، اصطناعية كانت أم طبيعية، ليست سوى تمظهر وتجسد للغة مثال قوامها الشفافية والوضوح، ومن خلال ذلك سيتم:

أ- التخلي عن النظرة السلبية للغة العادية.

ب- الاهتمام بالمنطق الخصوصي للغة العادية.

ج- إبراز البعد التداولي للغة العادية <<².

يمكن القول مما سبق أن الاهتمام باللغة - في البداية - كان مرتبطاً بالعلم، الذي يتطلب وجود لغة واضحة وصريحة، في حين أصبح الاهتمام فقط - فيما بعد - باللغة العادية، وتم

¹ محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 30 - 31.

² العياشي أدرابي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، 2011، دار الأمان، الرباط، ص 74 - 75.

ربطها بالواقع، ولم تعد النظرة إلى اللغة بنفس الطريقة السابقة، بل تجاوزتها إلى إبراز بعدها التداولي والمعنى في الاستعمال، حيث يرى هذا التيار أن >> وظيفة اللغة تتمثل في قول ما هو موجود، بحيث أن المهم بالنسبة إليه هو منظومة القضايا التي تسمح للغة بأن تلعب دور الوسيط باتجاه الواقع.

ومسألة المرجعية مسألة عاجلة وحيوية في نظر الفلسفة التحليلية <<¹، فاللغة وسيلة تواصلية، تتطلب وجود عدة عناصر حتى تتمكن من القيام بوظيفتها المتمثلة في: التبليغ والتعبير عن الواقع.

1 - لودفيك فتغنشتاين: Wittgenstein L.

ينظر الفيلسوف (لودفيك فتغنشتاين) إلى اللغة نظرة تداولية، حيث تنطلق هذه النظرة >> من إعادة النظر في قضية المعنى بما يتوافق مع أغراض الكلام وحياة الدلالة، حيث أنه، وكما يقول (فتغنشتاين)، إذا قال أحدهم مثلا إن القضية إن هذا [موجود] هنا مشيرا (إلى شيء ما)، لها بالنسبة له معنى، كنت أستطيع أن أسأله في أي الظروف المخصوصة يمكن حقا استخدامها، إذ في هذه الظروف يكون للقضية معنى، ومنه يكون المكون التداولي للقضية شرطا في قيام المعنى الناشئ نحويا ودلاليا، وليس المعنى هنا حصول الدلالة فقط، بل هو كذلك توظيف هذه الدلالة ضمن سياق تداولي ينكشف فيه الغرض من استعمالها <<².

يعني هذا أن هناك قصد من وراء توظيف اللغة، وأن أي كلام مرتبط بالسياق الذي يحيط به، ومن خلاله يفهم المعنى، حيث يفترض >> وجود توقعات بين المتحاورين، وأصول خطابية تحكم استنتاجاتهم وسلوكهم <<³، يدل ذلك أيضا على قدرة المخاطب على التواصل أو ما يسمى بالكفاءة التواصلية، حيث >> يملك المتكلم البديهة التي تسمح له عند الكلام من استعمال اللغة

¹ نبيهة قارة: مدخل إلى فلسفة اللغة، الثلاثية الثانية، د . ط، 2009، الوسيط للنشر، تونس - صفاقس، ص 88.

² عمار ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط1، 2009، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص 69.

³ محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ط1، 2004، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ص 102.

وشرحها بشكل يتوافق وعملية التفاعل في ضوء السياق الاجتماعي، وبعبارة أدق أنها أي الكفاءة تعني أن الفرد يعرف جيدا متى يتكلم؟ ومتى يصمت؟ وعن ماذا يتكلم؟ ومع من ينبغي له أن يتكلم؟ وأين؟ ومتى؟ وبأي كيفية كان أسلوبه الجديد؟، وبهذا الوصف القائم على القدرة الحوارية في التواصل فإنها تعزز قيمة إيصال المعرفة إلى المتلقي ومن ثم الحصول على المعنى من خلال تلك الملابس المحيطة بالاستعمال والقصد¹.

2 - جون أوستن: J.austen

(جون أوستن) هو: >> فيلسوف جامعة (أوكسفورد) الذي ألقى محاضرات (وليام جايمس) (William James)، وغايته من ذلك هو تخصيص فلسفي جديد على أساس المحاضرات التي ألقاها >>²؛ فقد >> أدخل (أوستن) في سلسلة محاضراته المخصصة للفلسفة، مفهوما سيصبح محوريا في التداولية، وهو مفهوم (العمل اللغوي)، معتمدا في ذلك على الفكرة القائلة بأن اللغة في التواصل ليس لها أساسا وظيفة وصفية، بل لها وظيفة عملية، حيث أننا عندما نستعمل اللغة فإننا لا نصف ما حولنا بل نحقق أعمالا هي الأعمال اللغوية. فكان وجود ظواهر لغوية خاصة بالدلالة على العمل اللغوي أحد برامج البحث الأولى التي اعتمدها اللسانيون لتأسيس التداولية >>³.

لقد أشار (لاينز) (Lines) في كتابه علم الدلالة اللساني >> إلى أن مصطلح الأعمال اللغوية مهم؛ لأنه يدل بالدرجة الأولى على حدث الكلام في حد ذاته (أي إنتاج كلام حقيقي) في حين أن استخدامه في سياق نظرية الأعمال اللغوية هو استخدام أكثر تجريدا. وقد وضع (أوستن) تمييزا بين الأقوال الخبرية والأقوال الإنشائية، فالأقوال الخبرية هي أخبار تتمثل وظيفتها في وصف المسارات والظواهر أو حالة الأشياء في العالم، ويمكن أن تكون هذه الأقوال (أو القضايا

¹ هادي السعيد: فصول في التحليل التداولي قراءات تطبيقية، ط1، 2022، دار الصادق الثقافية، العراق، ص 17.

² خميس فزاع عمير: نظريات المنهج التداولي عند علماء جامعة أوكسفورد تحليل وصفي تطبيقي، ص 3.

³ جاك موشر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين، د . ط، 2010، دار سيناترا، تونس، ص 21 - 22.

التي تعبر عنها (صادقة أو كاذبة، أما الأقوال الإنشائية فليس لديها قيمة الحقيقة، حيث نستخدمها لنصنع شيئاً ما، لا لن نقول إن شيئاً ما صادق أو كاذب، فجملاً من مثل أسمى هذه سفينة (الحرية) أو (أنصحك بالابتعاد عن السهر) هي أقوال لإنجاز نوع معين من العمل لا يمكن أن يُنجز بطريقة أخرى، كما قال بذلك (جون أوستن) <<¹.

ينظر (أوستن) إلى اللغة >> على أنها شكل من ذلك النشاط الإنساني، مركزاً في الوقت نفسه على ما ينجز من (أفعال) بناء على التحول اللفظي، وهذا هو الموضوع الأساسي في كتابه: (كيف تتجز الأشياء بالكلمات) (How To do Things with worlds).

ركز (أوستن) في هذا الكتاب على التفريق بين نطق الجملة على وفق معنى معين بكيفية واحدة، تمثل (الإشارة والمغزى) ويمثلها المعنى التعبيري للفعل. وبين نطق الجملة بقوة معينة يطلق عليها (القوة الغرضية).

إن تداوليات التواصل لا تهتم باللغة وحدها، باعتبارها معطى محدد، يتمثل بالرموز والكلمات وتشكلاتها على وفق دلالات تعبيرية تؤدي إلى معانٍ متعددة، بل تعمل التداوليات التواصلية، بلغة التعابير اللاقولية والإشارة الجسدية، بحيث يصبح السلوك الإنساني العملي فعلاً تواصلياً، بما يفتح ذلك على دلالات، تدخل في سياق تواصلية، يهدف إلى إنشاء علاقة بين المخاطب والمخاطب <<²، وسيتم التفصيل في ذلك فيما بعد في الجانب التطبيقي.

3 - جون سيرل: J.Searle

¹ صابر الحباشة: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1، 2010، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ص 199 - 200.

² علي عبد الحسن الحمداني وعبود حسن المها: التواصلية في أداء الممثل المسرحي، ط1، 2014، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ص 65.

إن (جون سيرل) من بين الفلاسفة الذين كان لهم الفضل في بلورة وتطوير التداولية، وهو من أتباع - أستاذه - (جون أوستن)، حيث قام بإعادة النظر في نظرية أفعال الكلام التي جاء بها (أوستن) وقام بتطوير >> بعدين من أبعادها الرئيسية هي: المقاصد والمواضع.

ويمكن القول أن الأعمال اللغوية التي أنجزت بواسطة الجمل هي أداة متفوق عليها، حتى تعبر عن مقاصد وتحققها. وكان هذا المظهر حاضرا عند (أوستن)، ولكن سيشهد أوج تطوره مع (سيرل).

يولي (سيرل) عناية بالغة بالإعمال المتضمنة في القول؛ إذ شك في وجود أعمال تأثير بالقول ولم يحفل بحق بالأعمال القولية. تتمثل مساهمته الرئيسية في التمييز داخل الجملة بين ما يرتبط بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه واسم القوة المتضمنة في القول، وما يرتبط بمضمون العمل وهو ما يسميه واسم المحتوى القضوي <<¹.

اهتم (سيرل) حسب هذا المفهوم بالأفعال الإنجازية، ومنح قيمة لقصد المخاطب، وفهم المتلقي وتفاعله، وقد طور (سيرل) في أفعال الكلام التي جاء بها (أوستن)، وسنبين ذلك لاحقا في الفصل التطبيقي.

4 - بول غرايس: P.Grice

نظر (بول غرايس) إلى الفعل اللغوي بطريقة مختلفة عن نظرة كل من (أوستن) وتلميذه (سيرل) اللذين اهتمتا بالأفعال المباشرة وغير المباشرة، في حين أنه ركز فقط على الأفعال اللغوية غير المباشرة، حيث >> يولي كل اهتمامه في الدراسات التي أنجزها إلى أصول الحوار، وبالتالي فبدل أن يتكلم عن معاني الكلمات والجمل، يبحث في الشروط المناسبة لاستعمال العبارات، لاعتقاده أن تنوع الفعل اللغوي المباشر لا يمثل حلا لمعضلة المعنى.

¹ أن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، 2003، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ص 33.

ومنه سعى إلى بسط القواعد أو المبادئ العامة للحوار، وذلك بتحديد الأسس العامة التي يتعين الانضباط لها أثناء التماور <<1.

لقد وضع (بول غرايس) قواعد عامة في الحوار يجب إتباعها، وسنتطرق لها فيما بعد في الجانب التطبيقي؛ إذ سنعمد عليها في استنتاج نص (هاء وأسفار عشثار) لـ (عز الدين جلاوي).

تشكلت التداولية بناء على اهتمام الفلاسفة باللغة والأعمال اللغوية سواء أكانت هذه اللغة منطوقة أو مكتوبة مباشرة أو غير مباشرة، وكل فيلسوف اهتم بجانب معين على حساب الجانب الآخر، أو مكملًا لما جاء به الفيلسوف أو المفكر الذي سبقه.

ج - اللسانيات والتوليدية التحويلية:

أدت >> محاضرات (دي سوسير) (F.De Saussure) في اللسانيات العامة إلى تطور الدراسات الصوتية والمعجمية والنحوية، وهذا التطور أفضى إلى تعميق المعرفة بمجموعة من القضايا اللسانية التي تخص اللغة من مستوياتها المختلفة، إلا أن الباحثين اللسانيين انتبهوا إلى أن حل مجموعة من القضايا غير متوقف على دراسة اللغة بعدها نسقا فقط، وإنما هناك حاجة ماسة للاهتمام بقضايا أخرى لها علاقة باستخدام النسق أو النظام. اقترح (فودر وكاتز) (Fodor and Katz) (1963) و(كاتز وبوسطال) (Katz and Postal) (1964) في هذا الجانب - تحت ما يعرف بالدلالة التأويلية - نموذجا لسانيا توليديا يمنح للدلالة دورا نسقيا في تحليل اللغة. والتصميم على وظيفة الدلالة في تحليل التراكيب اللغوية اعترافا صريحا بعجز الأنحاء ذات المنزع التركيبي عن توليد الجمل، و فقط الجمل النحوية ذات المقبولية المثالية. وبالتالي الحاجة إلى إضافة مستويات أخرى للتحليل، كالمستوى الدلالي والمستوى التداولي <<2.

¹ العياشي أدرابي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 95.

² جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص 22 - 23.

يبين هذا الاتجاه عجز اللسانيات التي جاء بها (دي سوسير)، وخاصة البنيوية التي تدرس اللغة لذاتها ولأجل ذاتها، بعيدا عن السياقات الخارجية، وبالتالي تدرس النص دراسة مغلقة، وكذلك عجز التوليدية التحويلية التي أتى بها (نعوم تشومسكي) (Noam Chomsky) والذي >> اقترح مقارنة توليدية للمسائل اللغوية، وقطعت مقارنته العلاقة بالبنيوية (الأمريكية أو الأوروبية) في اللسانيات، ورشحت مقارنة رياضية للغة (تمكن من تصور معالجة آلية تفضي إثر ذلك إلى نظرية نفسانية ومعرفية) <<¹، >> ومن المعروف أن التداولية أيضا ظهرت كرد فعل على البنيويين الذين يدرسون الخطاب كنسق مغلق بعيدا عن السياقات الخارجية وعن ملاساته <<².

يمكن القول من خلال ما سبق ذكره أنه: >> يوجد نوع من الإجماع بين الدارسين فيما يرتبط بماهية النماذج التي كان لها تأثير حاسم في تطور اللسانيات: البنيوية، والنحو التوليدي، لكن نوع الخطاب الذي تدرسه التداولية بعيد جدا عن هذه المستويات الماثلة المزعومة، ويعود ذلك إلى أن الخطاب الشفوي غير مترابط، وغير كامل، وغير صحيح نحويا، وفي نزاع دائم مع la langue بتعبير (سوسير) ذاته. وبالتالي فعلينا الاستعانة بنموذج آخر يأخذ بعين الاعتبار هذه المظاهر ويمنح تصورا عن اللغة انطلاقا من منظور تواصلية وخطابي، وليس نحوي فحسب <<³؛ بمعنى أن المنظور السابق للغة بعدها نسقا مغلقا أو بعدها توليدا للجمل أصبح قاصرا مع تطور المناهج والدراسات، وبات هناك حاجة إلى الدلالة التأويلية، >> فالناظر في برامج النحو التوليدي التحويلية المختلفة، يلاحظ أن الآمال التي عُلقَت على النحو التوليدي التحويلي في إيجاد آلة قادرة على توليد عدد غير متناه من الجمل اعتمادا على عدد متناه من الأسس كان عاليا. وبالفعل، أحدث (تشومسكي) ثورة في دراسة التركيب، ومارس تأثيرا ثوريا في مجالين آخرين هما علم

¹ أن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ص 52.

² لامية حمزة: وقع المنجز اللساني التداولي في الخطاب الأدبي، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 -، ع 7، 2020، عدد الصفحات 119 - 129، ص 121.

³ فرانثيسكو يوس زاموس: مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملازمة والتأويل، تر يحيى حمداوي، ط1، 2014، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ص 19 - 25.

النفس والفلسفة، إلا أن الملكة التي يحتاجها متحدث اللغة ليست تركيبية نحوية فقط، بل إنها ملكة موسوعية مركبة، تتشكل من مختلف المعارف الثقافية واللغوية ... <<¹.

لقد >> أتت البراغماتية بعد مراحل من الدراسات الصورية، أو البنائية للمعنى، التي عرف بها التوليديون بالتحديد، ولعل (روبين لاکوف) (Robin Lakof) من أوائل التوليديين الذين شككوا في إمكان دراسة المعنى معزولا عن السياق، وتحمل شهادة أحد التوليديين المعروفين بإغراقهم في التجريد على فشل النهج الصوري البنائي في دراسة المعنى قيمة خاصة في البرهنة على أهمية السياق، والاستخدام في تقديم تفسير سليم لعملية التخاطب <<²، وبالتالي أصبح هناك توجه وظيفي تواصل.

د - النحو الوظيفي:

لقد >> تطورت التداولية ضمن مجموعة من المقاربات اللغوية، من بينها تحليل النص، وتحليل الحوار، وتحليل الخطاب / الكلام، بوصفها امتدادا طبيعيا لأطروحات النحو الوظيفي التي طورها (هاليداي) (1985)، ومنها أن المعنى لا يكمن فيما يقول النحاة، ولا يكمن فيما يقول المعاجم، نظرا لأهمية كليهما، ولا في العمليات المعرفية المجردة من سياقاتها، لكن يكمن فيما يقصد من مستعمل اللغة وما يرغب، وفيما يفهم من يتلقاها - قراءة أو استماعا - وفيما ينتج من دلالات من خلال ظروف السياق، وقد بات السياق مفهوما مركزيا في كل الاتجاهات الوظيفية، بما في ذلك التداولية، وكان لتصور (دل هايمز) (Dell Hymes) عن عناصر السياق أصدائه الواسعة التي تظل تتردد حتى اليوم <<³.

يمكن القول أن >> الاهتمام بالاتجاه الوظيفي التواصل بات كبيرا جدا وذلك منذ نهايات القرن العشرين، وبدأت تتضح معالمه على خريطة البحث الإنساني المعاصر، والدليل على ذلك

¹ جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 23.

² محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص 102 - 103.

³ بهاء الدين محمد مزيد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية، ط1، 2010، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 20.

ظهر عشرات الكتب وآلاف المقالات التي تصدر في أماكن مختلفة وبأكثر من لغة في محاولة إبراز معالم هذا الاتجاه وتحديد مجالاته التطبيقية العملية، واستجلاء خصوصياته، وقد انبعثت من هذا الاتجاه الحديث تيارات كثيرة منها التيار التداولي <<1>.

هـ - لسانيات النص وتحليل الخطاب:

>> لقد كان للبعد الاتصالي التحويري أثره الرئيس في توجيه الدراسة اللسانية بخاصة في الخمسينات من القرن العشرين إلى دراسة بنية الخطاب تحت جناح البنيوية، وما نتج عنها لاحقاً من مناهج ركزت في معظمها على الجانب الشكلي الذي يتحكم أصلاً في المكونات الدلالية والتداولية، ونشأ عن هذه الحركة النصية ميلاد علم النص وتحليل الخطاب الأدبي.

ثم انفتح هذا العلم الجديد في ألمانيا وفرنسا على أنواع الخطابات والنصوص المختلفة على يد (رولان بارت) و (تودوروف) و (دليسلر) (Delessler) و (ايكو) (Eco) و (روبيرت) (Robert) و (جوليا كرستيفا) و (دي بوجراند) و (بنفنست) و (فرانسواز) (Francois) و (أرمينكو) (Arminku) وغيرهم <<2>، ووفقاً لذلك ظهرت المقاربات النصية والمتمثلة في:

>> 1 - المقاربة اللغوية النحوية: وتتمثل في البحث عن القرائن اللفظية لاتساق النصوص. وتمثلها أبحاث: (زيليج هاريس) و (فاينريش) (Weinrich).

2 - المقاربة الدلالية: قدم الدارسون بعد ذلك نماذج دلالية تجمع بين النحو والمعنى في دراسة النص، كأبحاث (فان ديك) حول البنية الكبرى و (غريماس) (Greimas) حول التشاكل.

3 - المقاربة التداولية: لقد لاحظ علماء اللغة فيما بعد أن تشكل النص في مظهره الطبيعي لا يركن إلى مجرد القرائن اللفظية والعلاقات الدلالية، بل إن شكله مرتبط بعناصر المقام أو الموقف، وتسمى هذه الظاهرة بالاتساق التداولي، ومن أهم نماذج الوصف التداولي للنص دراسة (فولفغانغ

¹ عبد الله ببيرم: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، ط1، 2013 - 2014، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ص 11.

² نعمان عبد الحميد بوقرة: الخطاب والنظرية والإجراء، ص 32.

دريمملر (Wolfgang Dremmler) و (روبير دي بوغراند) لمعايير أو عناصر النصية، ومن بينها: القصديّة، والمقبولية الموقفية، وغيرها <<¹.

يقصد بهذا أن >> لسانيات النص تهض بمهمة وصف هذا التداخل وإبراز مقوماته، وأهميته المادية من حيث هو صورة معبّرة عن غرض الخطاب في التداول اللساني البشري، ولن يكون ذلك إلا بالتفريق بين مستويين من الدراسة هما: المستوى المقطعي والمستوى التداولي، ويؤدي الوصف اللساني للبنية المقطعية إلى إمكان التفريق بين البنية المقطعية الكبرى التي تتكون من ارتباط مجموعة من البنى المقطعية الصغرى ذات الطبيعة التكوينية ذاتها هي: المقطع السردي والتفسيري والأمري، والبرهاني والوصفي والحواري، ويعتمد التحليل التداولي على المكونات الأساسية في بناء النصوص، هي: المكون البرهاني والمكون الدلالي والمكون المرجعي والمكون التفظي.

حيث ستكون وظيفة لسانيات النص وصف الأداء التواصلي بعده فعلا تبليغيا موجها في إطار نظرية الفعل الكلامي التي عرضها كل من (أوستن) (Austen) (سيرل) (Searle) <<²، وبذلك تكون لسانيات النص مرجعا فكريا ساهم في تطوير التداولية التي تأثرت به، كون لسانيات النص تحمل مهمة إبراز الجانب التداولي للغة من خلال الأداء التواصلي، المتمثل في الأفعال الإنجازية، وتكمن استفادة التداولية من لسانيات النص في اعتمادها على مقومات الخطاب؛ أي العناصر النصانية.

2 - 2 - ظهور التداولية في العالم العربي:

تعود التداولية من حيث النشأة إلى مرجعيات فلسفية وفكرية غربية كالفلسفة التحليلية واللسانيات والسيميوطيقا وغيرها، إلا أن هناك من ينسب - بداية - نشأتها إلى العرب؛ إذ يعودتنا إلى التراث العربي نجد >> إشارة واضحة إلى ما يعرف بأفعال الكلام وذلك ضمن نظرية الخبر

¹ فريد زغلامي: الأصول والمرجعيات الفلسفية والسيميائية واللسانية للتداولية، ص 155.

² نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ط1، 2009، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ص 26 - 27.

والإنشاء. ومن النحاة والبلاغيين الذين تعرضوا إليها (السكاكي) و (الخطيب القزويني) و (سيبويه) و (محمد الجرجاني) و (عبد القاهر الجرجاني) و (الشريف الجرجاني) و (سعد الدين التفتازاني)، و (رضي الدين الإستراباذي)، وكذلك بعض الفلاسفة والمناطقة الذين بحثوا في الاعتبارات المنطقية المتصلة بالمركبات التامة، وتفريق الخبرة منها عن غير الخبرة، من أمثال: (نجم الدين الكاتب القزويني) و (أبي نصر الفارابي) و (قطب الدين الرازي) و (أبي علي بن سينا) و (القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي) وغيرهم <<¹، مما يعني أن أفعال الكلام ظهرت عند العرب قبل ظهورها عند الغرب على يد (أوستن)، الذي قام تلميذه (سيرل) بتطويرها - أفعال الكلام - كما سبق وأشارنا إلى ذلك، وللتفصيل أكثر نعود إلى الحقبة التي تسمى بالقرون الوسطى حيث ظهر فيها >> بعدا تداوليا أو براغماتيا مشتركا يربط ربطا طريفا وقويا بين مختلف الاختصاصات التي تتناول اللغة في نطاق الحضارة العربية الإسلامية في الحقبة التاريخية التي تسمى بالقرون الوسطى (ق8م/ ق18م)، ونحن نقصد بذلك العلوم التي تختص بدراسة اللغة مثل البلاغة والنحو أو تلك التي تعتبرها من مقدماتها مثل الفقه وعلم الكلام. وتمثل مقولة الإنشاء المتأخرة تاريخيا (ق13م) وهي النظير العربي لما يسميه (أوستن) (Austen) صيغة إنجازية¹ أو عملا متضمنا في القول أكثر المفاهيم التي ترمي للإعجاب والدهشة <<².

إن من بين المفكرين والنقاد الذين تحدثوا في هذا الموضوع وأبدوا رأيهم في أسبقية العرب في معرفة أفعال الكلام وغيرها من عناصر التداولية هما: (صحراوي) و (محمد سويبي)، حيث يؤكد (صحراوي) >> أن ظاهرة الأفعال الكلامية قد بحثت في التراث العربي من قبل طوائف متنوعة، غير أن البحث فيها لم يكن مقصودا دائما لنفسه، ولكن في أغلب الأحيان يقصد به غيره فاتخذت الظاهرة - من ثمة - أداة لا غاية، وجعلت مسلكا لفهم علوم أخرى، وهي علوم غير لغوية في الغالب <<³، بينما >> يقول (محمد سويرتي) : " إن المفكرين، والفلاسفة المسلمين،

¹ مجيد الماشطة وأمجد الركابي: مسرد التداولية، ط1، 2018، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ص 22.

² عز الدين مجدوب: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، ج 01، ط1، 2012، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، ص 500.

³ المرجع السابق: ص 22.

والبلاغيين والنحاة مارسوا المنهج التداولي قبل أن ينتشر بصفته علما وفلسفة، اتجاها ورؤية أوروبيا أمريكيا، فقد استخدم المنهج التداولي بوعي في تحليل العلاقات المختلفة والظواهر <<1>.

يمكننا القول أيضا أن << المتأمل في تراثنا العربي بين كتب أصول الفقه واللغة والبلاغة والنحو يجده قد اتخذ اتجاهين بارزين هما: اتجاه يهتم بالنظام اللغوي الذي يشمل أنظمة صوتية وأنظمة صرفية وأنظمة نحوية وأنظمة دلالية، واتجاه آخر يهتم بالمقام أو السياق وما يرتبط به من قرائن غير لغوية كالدرجة الاجتماعية للمخاطب والمخاطب، وعلاقتها ببعضها البعض، والحاجة الذهنية والنفسية والحركات الجسمية لكل منهما وسكوته، والبيئة المكانية للحدث التواصلية ومجموع المتحاورين فيه، كما أنهم لم يكتفوا بالمقام الاجتماعي فحسب بل ضموا إليه المقام الشرعي والثقافي. ويمكن إظهار من خلف كل ذلك العديد من القواعد التداولية التي تساعد في إقامة نظرية تداولية عربية المنشأ >>2>.

يدل هذا على أن العرب لهم السبق في معرفة التداولية، وأن بذور نشأتها ظهرت مع العلماء المسلمين والمفكرين العرب، الذين أشاروا إليها في دراساتهم المختلفة، ورغم أنهم لم يذكروها كاسم ولم يؤسسوا لها صراحة، إلا أن بذورها موجودة في التراث العربي، ولا يمكن إنكار ذلك مع أن هناك من يرفض هذه الفكرة ويفندها.

2 - 3 - مفهوم التداولية:

أ - لغة:

إن التداولية متجذرة في مختلف المعاجم والكتب العربية من حيث المفهوم اللغوي، إذ يقول (ابن فارس) في معجم مقاييس اللغة: << (دَوْل) الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدلّ على تحوّل شيء، من مكان إلى مكان، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء.

¹ نجاح مدلل: أصول المنهج التداولي في التراث العربي من خلال أركان العملية التواصلية المخاطب - المخاطب - الخطاب، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي -، ع 09، 2016، الصفحات 59 - 68، ص 59.

² المرجع نفسه: ص 59 - 60.

فأما الأول فقال أهل اللغة: ائْدَالَ القَوْمُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان.

ومن هذا الباب تَدَاوَلَ القَوْمُ الشيءَ بَيْنَهُمْ: إذا صار بعضهم إلى بعض، والدَّوَلَةُ والدُّوَلَةُ لغتان. ويقال بل الدُّوَلَةُ في المال والدَّوَلَةُ في الحرب، وإنما سُمِّيَا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمرٌ يتداولونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا.

وأما الأصل الآخر فالدَّوِيلُ من النَّبْتِ: ما يَبْسُ لِعَامِهِ. قال أبو زيد: دَالَ الثَّوْبُ يَدُولُ، إذا بَلِيَ. وقد جعل (وُدُهُ) يَدُولُ، أي يبلى. ومن هذا الباب ائْدَالَ بَطْنُهُ، أي استرخى <<1.

لم تخرج المعاجم العربية الأخرى ومختلف الكتب العربية عما قال به (ابن فارس)، ومن بين هذه المعاجم والكتب: لسان العرب، وأسرار البلاغة، والفروق في اللغة، وتجديد المنهج في تقويم التراث، حيث يقول (ابن منظور) في معجم لسان العرب: >> دول: الدَّوَلَةُ والدُّوَلَةُ: العُقْبَةُ في المال والحرب سواءً، وقيل الدَّوَلَةُ، بالضم، في المال، والدَّوَلَةُ، بالفتح، في الحرب؛ وقيل هما سواءً فيهما، يُضمان ويُفتحان، وقيل بالضم في الآخرة، والفتح في الدنيا، وقيل: هما لغتان فيهما، والجمع دُولٌ ودِوَلٌ <<2.

يقول (الزمخشري) في معجم أساس البلاغة: >> دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه.

اسْتَدَلَّ الأَيَّامَ فالدهر دُولٌ والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. والدهر دُولٌ وَعُقْبٌ وَثُوبٌ. وتداولوا الشيء بينهم. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما. وتقول دواليك أي دالت لك الدولة كرة بعد كرة <<3.

¹ أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج 02، 1979، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 314 - 315.

² ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخران، ط1، 1981، دار المعارف، القاهرة، ص 1455.

³ ابن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، ج 01، ط1، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 303.

يقول (العسكري) في إبرازه للفرق بين مصطلح (الملك) ومصطلح (الدولة) : >> الدولة انتقال حال سارة من قوم إلى قوم، والدولة ما ينال من المال بالدولة فيتداوله القوم بينهم هذا مرة وهذا مرة، وقال بعضهم الدولة فعل المنتهيين والدولة الشيء الذي ينتهب، وجمع الدولة دول، ومن قال دول فهي لغة <<¹.

يقول (طه عبد الرحمن) في كتابه الموسوم بـ: تجديد المنهج في تقويم التراث: >> من المعروف أن الفعل: تداول في قولنا: تداول الناس كذا بينهم، يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم، ومن المعروف أيضا أن مفهوم الدوران ومفهوم النقل، مستخدمان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستخدمان في نطاق التجربة المحسوسة، فيكون التداول جامعا بين جانبيين اثنين هما: التفاعل والتواصل؛ فمقتضى التداول؛ إذن، أن يكون الفعل موصولا بالقول <<².

يشترك هؤلاء الفلاسفة والمفكرون واللغويون في أن التداولية تعود إلى الجذع اللغوي الثلاثي (دَوَل)، والذي يعني الانتقال والتحول والتبادل، وهذا يفرض وجود طرفين مرسل ومرسل إليه يشتركان في عملية التخاطب والتواصل، التي تؤدي إلى حدوث ما سبق ذكره.

أما عند الغرب فإن >> التداولية (Pragmatique) مصطلح ارتبط بحقل علمي حديث، ولكن له استخداماته في الإغريقية (Pragmaticos) في اللاتينية (Pragmaticus) بمعنى عملي. وقد اقترن توظيفه في العصر الحديث في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية (البراغماتية)، ويرتبط بهذا المصطلح في اللغة الفرنسية معنيان أساسيان ملائم للحقيقة ومحسوس، أما في اللغة الإنجليزية فإن كلمة (Pragmatic) تدل غالبا على ما له علاقة بالوقائع الحقيقية والأعمال، وكل هذه المفاهيم لها علاقة بما يقتضيه هذا الحقل <<³.

¹ أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، تح لجنة إحياء التراث العربي، ط4، 1980، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 182.

² طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، د . ت، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 244.

³ عبد الحليم بن عيسى: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مجلة دراسات أدبية، جامعة وهران - الجزائر، دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، ع 01، 2008، الصفحات 9 - 21، ص 9.

ويمكن >> تعريف هذا المصطلح لغويا كما جاء عند (وليم جيمس) (William James) ، الذي يشير إلى أنه لفظ قديم وهو اسم مشتق من نفس الكلمة اليونانية (براغما) (pragma) ومعناه العملائي تؤخذ منها كلمتا عملي ومزاولة <<¹، ويعرف مصطلح (البراغماتية) في القاموس الفرنسي (لاروس) على أنه: >> فرع من اللسانيات، يدرس العلاقة بين اللسان والاستعمال، وعلاقة المتكلم بالحالة التواصلية <<².

ترتبط التداولية بالواقع والمنفعة والعمل، والاستمرارية، وتعني دراسة اللغة في الاستعمال، تستلزم حصول عملية تخاطبية تتحكم فيها السياقات الخارجية والظروف المحيطة بها.

ب - اصطلاحا:

يوجد العديد من الأسئلة التي شغلت بال الكثير من الباحثين والمفكرين والفلاسفة والنقاد نظرا لطبيعتها، ويمكن لدارس الخطاب طرحها، تتعلق هذه الأسئلة بالتداولية من حيث الحدود والصفة والماهية والطبيعة وارتباطها بالحقول الأخرى، مثل الحقول الفلسفية واللسانية والنفسية وغيرها، ومن بين هذه الأسئلة ما يلي:

- هل >> التداولية اتجاه أم نظرية أم فلسفة أم كل هذا في الوقت عينه؟.

- أهي اتجاه فلسفي أم لساني ؟ أم هما معا ؟.

- أهي تداولية بصيغة المفرد أم تداولية بصيغة الجمع ؟.

- ما هي حدودها ؟ وما فرضياتها ؟ <<³، وللإجابة عن هذه الأسئلة وجب البحث في مختلف التعريفات التي وضعها الدارسون للتداولية، ومحاولة استنتاجها والوصول من خلالها إلى إجابة مقنعة ووافية، ويتم ذلك أيضا عن طريق طرح عدة أسئلة تتمثل فيما يلي:

¹ هيللا شهيد: الوعي الجمالي بين فلسفتي العلم والبرجماتية، ط1، 2017، دار الرافدين، لبنان - بيروت، ص 25.

² محمد فارح: التحليل التداولي للخطاب: ص 14.

³ جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 23 - 24.

>> على أي معيار نحدد هذا المفهوم؟، هل نحدده بناء على معيار البنية اللغوية؟، هل نحدده على معيار الاستعمال اللغوي وحده؟، هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها؟ <<1.

يمكن القول أن >> حقل اللسانيات يضع عبئاً خاصاً على محاولات تعريف التداولية؛ لأن التعريف لا يجب أن يجمع إليه كل شيء عن التداولية فحسب، إنما يجب أن يمنح كل شيء يرتبط بالدلالية أيضاً، وإن تطور اللسانيات في هذا القرن قد تحقق بالانتقال من مجال اللغة إلى مجال آخر: من علم الصوت إلى علم التركيب أو النحو، ومن علم التركيب إلى الدلالية، ومن الدلالية إلى التداولية، إن هذا التقدم يبين بأن هذه المستويات اللسانية صارمة، وأنها يجب أن تعرف بوضوح وأستتبع الانتقال إلى التداولية الجهود الجديرة بالاعتبار في تمييزها من الدلالية. وفي الحالات المتطرفة، عُرِفَت التداولية على أنها ما تركته خلفها الدلالية وما تخلت عن تفسيره، كالتعريف الذي جاء به (كازدار) (Gazdar) والقائل بأن التداولية هي معنى الملفوظات فيما وراء الحقيقة <<2.

يجب أن تُعرف التداولية وفقاً لمراحل تطورها بداية من الصوت والتركيب؛ أي الجانب الشكلي وصولاً إلى الدلالة، وإلى الشكل النهائي والذي تسمى وفقه بالتداولية، لكن هناك من يعرفها على أنها شبيهة بسلة المهملات تدرس كل ما تخلت عن دراسته الدلالية، وربما يرمي أصحاب هذا القول ومنهم (كازدار) إلى القول بأنها تبحث في المضمرات وتفك شفراتها.

استخدم (شارل ساندرز بيرس) مصطلح البرجماتية >> في أواخر القرن التاسع عشر في مقال له بعنوان (كيف نجعل أفكارنا واضحة) وأراد به مذهب فلسفي يقرر أن مقياس الحقيقة هو العمل المنتج، والعقل لا يبلغ غايته بالتأمل وإنما ينقاد بالتكافل بين الحياة والوعي <<3.

¹ حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ط2، 2014، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص 31.

² جون - ك آدمز، التداولية والسرد، تر خالد سهر، ط1، 2009، مجلة الأقاليم، بغداد، ص 8.

³ هيللا شهيد: الوعي الجمالي بين فلسفتي العلم والبرجماتية، ص 25.

لقد عرف (بيرس) التداولية من خلال ربطها بالفلسفة التي تجعل الحقيقة مقترنة بالمنفعة، والعقل مقترن بما يمكن تحقيقه وتجسيده من خلال ربط الأفكار الذهنية بالواقع، وللتفصيل أكثر في الأمر نذهب إلى >> مفهوم الذرائعية (البرغماتية) والتي جاء بها كل من (وليام جيمس) (وجون دوي) (J. Dewey) من خلال أعمالهما بعده مذهباً يقرر أن الدليل على الحقيقة هو فاعليتها ونجاح الفعل في التحصيل على نتيجة مفيدة. والذرائعية في المعرفة هي القول بأن حقيقة القاعدة العلمية أو القانون العلمي لا تكون إلا عند تطبيق هذا القانون أو هذه القاعدة في ظروف عملية. فالمقياس الوحيد للحقيقة هو إذن نجاحها وفعاليتها، والفكرة الصحيحة هي الفكرة التي تكون أكثر نجاحاً وفاعلية وفائدة <<¹، وبهذا يشترك كل من (بيرس) و (وليام جيمس) و (جون ديوي) في تعريف البرغماتية، والتي تربط الحقيقة والفكرة والقانون الفيزيائي أو الكيميائي والنظرية السياسية والفلسفية والديانة بمدى قدرتهم على تقديم المنفعة وإثبات صحتهم.

إضافة إلى ذلك فقد >> وصفت البرجماتية (بالأدائية) (instrumentalism) وهي مذهب (ابستيمولوجي) يقرر أن العلم يتقدم بالفعل وبقيمة مشاهداتنا التي تطبق القانون أو القاعدة في ظروف عملية للحصول على نتيجة عملية تمنح لنا رؤية جديدة للعالم، وقد حمل لواء هذا المفهوم (جون ديوي) وقرر أن العلم بالأشياء لا تحدده طبيعة هذه الأشياء وعلاقاتها وإنما تحدده طبيعة الأداة التجريبية المستخدمة في معالجة الظواهر وأول الأدوات التي تجعلنا نعاين العالم بطريقة وحيدة هي الأدوات الإنسانية أي العقل والحواس. فلو كانت هياكل عقولنا وحواسنا مختلفة عما هي عليه لكشف لنا العالم في تركيبية أخرى غريبة عن التي تظهر لنا عادة <<².

عرفت التداولية أيضاً >> بأنها اتجاه في الدراسات اللسانية تهتم بأثر التفاعل التحاوري في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات الخطابية واللغوية المرتبطة باللفظ

¹ جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، ط5، 2016، تونس، ص 187.

² هيللا شهيد: الوعي الجمالي بين فلسفتي العلم والبرجماتية، ص 25 - 27.

وبخاصة المضامين، والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق <<¹؛ أي أنها تُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، تتطلب العملية التخاطبية وجود طرفين هما: المرسل والمرسل إليه، بينهما لغة مشتركة تساعد في فهم المتلقي للرسالة التي يحملها الباث، ومعرفة قصده من وراء الخطاب، وذلك عن طريق ربطه بالسياق والظروف المحيطة به.

يقول كل من (جاك موشلر) (Jacques Moeschler) و (آن ريبول) (Anne Rebol) في كتابهما القاموس الموسوعي للتداولية، تعرف التداولية >> بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام الذي تهتم به تحديدا اللسانيات. وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة فلأن هذا الاستعمال ليس محايدا، من حيث تأثيراته، في عملية التواصل ولا في النظام اللغوي في حد ذاته، فمن نافل القول، فعلا، أن نشير إلى أن بعض الكلمات " المشيرات الدالة على الأشخاص أو المكان أو الزمان من قبيل (أنا، وهنا، والآن) " لا يمكن تأويلها إلا في سياق قولها، وأقل شيء أن نذكر بأننا، عند التبادل اللغوي، نبلغ من المعاني أكثر مما تدل عليه الكلمات، وليس من الساذج أن نقول أخيرا إن استخدام الأشكال اللغوية ينتج عنه بالمقابل إدراج للاستخدام في النظام ذاته. فمعنى القول يقوم على تفسير لظروف الاستعمال؛ أي لأداء ذلك القول <<².

يرمي (جاك موشلر) و (آن ريبول) إلى القول بأن التداولية تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، مع اختيار المتخاطبين للكلمات المناسبة في الوقت المناسب بحسب الموقف والمقام، ويتطلب ذلك احترام النسق أو ما يسمى بالنظام اللغوي، والذي جاء به (دي سوسير) ويعني الوسائل التعبيرية التي تقوم وظيفتها على جعل العملية التواصلية مكتملة، ولا يتم ذلك إلا بالفهم المتبادل بين المرسل والمرسل إليه، وربط هذا النسق بالسياق الذي قيل فيه أثناء عملية التواصل.

¹ زهير بوخيار: ملامح التداولية في النحو العربي عند سيبيويه وابن جني، قراءة تحليلية في المفاهيم، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، مج 12، ع 02، 2020، الصفحات 939 – 959، ص 941.

² جاك موشلر – آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين، ص 21.

يوجد تعريف أيضا لـ (شارل وليام موريس) (Charles William Morris)، والذي عرف التداولية بأنها: >> ذلك الفرع من السيميوطيقا الذي يعالج، في الأصل، استعمالات العلامات وآثارها في السلوك الذي تتمظهر فيه تلك العلامات.

يبين هذا التعريف أن التحليل التداولي للغة لا يركز على العلامات في ذاتها، ولا يتعامل معها بشكل مستقل، بل يركز على الذين يستخدمونها، وعلى النتائج التي يحدثها هؤلاء المستخدمون في إطار التفاعل التواصلي للحياة الواقعية، كما أن السعي إلى ربط التحليل التداولي باللغة الأدبية هو بمثابة تحد، بل قد يرقى إلى درجة المفارقة <<¹.

إن هناك مفاهيم أخرى للتداولية من بينها ربطها بالتلفظ والفعل اللغوي، كونهما يشتركان في مصطلح التداولية كمفهوم للممارسة:

أ - " التلفظ والتداولية:

>> يتدخل التلفظ بعده إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في الاستخدام في مصطلح التداولية كمفهوم للممارسة والتفاعل الآخر، فالتداولية تتطلق من فكرة جريان الكلام على الألسن، أي من التلفظ ذاته كعملية خاصة بالفرد، والتي تتجلى في ممارسة اللغة إلى هدف إيصال الرسالة أو الخطاب إلى المخاطب، والتأثير فيه ضمن عنصر التفاعلية <<².

ب - " التداولية والفعل اللغوي:

>> التداولية بهذا المعنى هي مجال دراسة الجملة كوحدة لغوية، في مرحلة انقذافها إلى الواقع ودخولها عالما ممكنا فتقترن به اقترانا قيما، ذلك أن خاصية القصدية في اللغة لا تساهم في بناء الدلالة فقط، بل على الدفع بهذه الدلالة إلى بناء فعل هو فعل الكلام <<³.

¹ إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب، تر محمد تنفو ويليلى أحمياني، ط1، 2018، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 19.

² حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط2، د. د. ت، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة - تيزي وزو، ص 129.

³ عمار ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط1، 2009، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص 68.

لقد انتقلت التداولية >> إلى البيئة العربية عن طريق أعمال الترجمة، وكان للفيلسوف المغربي (طه عبد الرحمان) الفضل الكبير والأثر البارز في إدخال هذا العلم إلى الثقافة العربية، وكان ذلك سنة (1970)، وقد فضل مصطلح (التداولية) مقابلا للمصطلح الأجنبي (براغماتيقا) وقد أوضح سبب تبنيه باعتبار دلالاته <<¹؛ حيث يقول: >> إن التداولية مظهر كل تفاعل بين صانعي التراث عامتهم وخاصتهم <<².

إن >> الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية بهدف الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المتنوعة؛ لأنها تفصح بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وقواعد التخاطب وغيرهم، فنحن نرى أن التداولية تعتبر حلقة وصل هامة بين حقول معرفية مختلفة، ومن بينها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، واللسانيات وعلوم اللغة <<³، تطرقنا - فيما سبق ذكره - إلى الحديث عن الخفيات الفلسفية والفكرية للتداولية، وأشرنا إلى مساهمة بعض الحقول المعرفية في تشكيلها وبلورتها، أما الآن سنبحث عن العلاقة التي تجمع بين التداولية وهذه الحقول المعرفية دون الوقوع في التكرار والخلط.

2 - 4 - علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

أ - علاقة التداولية باللسانيات:

>> إن أقرب حقل معرفي إلى التداولية حسب وجهة نظرنا هو اللسانيات. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه من حقنا البحث في علاقة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات <<⁴؛ حيث >>

¹ محمد فارح: التحليل التداولي للخطاب، ص 15.

² أحمد فال السباعي: أزمة الأصالة في الخطاب التداولي العربي طه عبد الرحمن أنموذجاً، د . ط، 2022، أفريقيا الشرق، المغرب، ص 14.

³ حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 31 - 32.

⁴ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، 2005، دار الطليعة، بيروت، ص 15.

حدث منذ عشرين عاما، استخدام لفظ تداولية، شيئا فشيئا، في الأدبيات اللسانية إلى درجة لم يعد معها من المناسب ألا نتحدث عن التداولية بعدها فرعا من اللسانيات. إلا أن العلاقات بين التداولية واللسانيات ليست بسيطة <<¹، فقد مرت اللسانيات بثلاث مراحل، المرحلة الأولى هي مرحلة (دي سوسير) الذي اهتم باللغة، والمرحلة الثانية هي مرحلة (بلومفيلد) (Bloomfield) الذي اتبع نهج (دي سوسير) بيد أنه اهتم بالكلام، لتأتي المرحلة الثالثة وهي المرحلة الوظيفية ف >> بالنسبة للجيل الذي جاء عقب (بلومفيلد) (Bloomfield) كانت اللسانيات تعني علم وظائف الأصوات و (الفونطيقا) والوحدات الصغرى الفارقة ولو كان بمقدورنا لقنا، كانت تعني الدراسة الصرفية الإعرابية إلا أن التركيب النحوي كان يعتبر على درجة كبيرة من التجريد حتى أنه عد بالفعل وراء كل أفق للاكتشاف <<²، وعلم وظائف الأصوات هو العلم الذي يدرس الأصوات داخل النظام اللغوي، ويرصد الأصوات التي لها نفس الشكل لكنها تختلف من حيث المعنى، إلا أن >> كل هذا اختلف مؤخرا سنة 1950، بعد أن اكتشف (تشومسكي) مركزية التركيب النحوي، بيد أنه ظل مثل البنيويين ينظر إلى الدلالة على العموم وكأنها مشوشة بالنسبة إلى النظر والتأمل الجاد. وإلى أوائل سنة 1960 (وكانت خطوات اللسانيات قد تسارعت في هذا الوقت) بدأ (كاتز) (Katz) ومعاونوه (كاتز) و (فودر) (Fodor) 1963 و (كاتز) و (بوستال) (Postal) 1964 يكتشفون كيف يمكنهم أن يدمجوا علم الدلالة في النظرية اللسانية الصورية ولم يحصل هذا إلا بعد أن قادت عقلية إشعار ((إما كاليفورنيا أو الهزيمة)) إلى ضم التداولية واستعمارها <<³.

أدت المراحل التي مرت بها اللسانيات إلى حدوث علاقة بينها وبين التداولية حيث أنه >> لم يلبث (ليكوف) (Lakoff) مع آخرين أن جعلوا يحتجون بأن التركيب النحوي لا يمكن فصله عن دراسة تداول اللغة واستعمالها، ومن هنا فصاعدا رُسمت التداولية على الخريطة اللسانية. وكان استعمالها آخر مرحلة فقط من مراحل موجات التوسع للسانيات انطلاقا من فرع لمعرفة

¹ جاك موشر - آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين، ص 21.

² جيوفري لينش: مبادئ التداولية، تر عبد القادر قنيني، د . ط، 2013، أفريقيا الشرق، ص 9.

³ المرجع نفسه: ص 9 - 10.

ضيقة تتعامل مع المعلومات والمعطيات المادية للكلام إلى معرفة شاملة تستغرق من الكلام الصورة والدلالة والسياق <<1.

لقد سبق وأشرنا إلى العلاقة بين اللسانيات والتداولية من خلال حديثنا عن نشأة التداولية، فالعلاقة بينهما تفرض وجود تكرار لبعض العناصر، وحدث ذلك كون التداولية فرع من فروع اللسانيات، مما جعل الحديث عن علاقتهما يصب في نفس النقاط.

ب - علاقة التداولية بالسيمياء:

تتمثل العلاقة بين التداولية والسيمياء في كون كل من >> الحقلين يهتمان بالدلالة، لكن الفرق بينهما يمكن أن يرسم من خلال استخدامين لفعل To mean يفيد معنى من نحو.

(1) ماذا تعني س ؟.

(2) ماذا كنت تقصد بـ (س) ؟.

وعلى ما جرى به العرف، فإن السيمانطيقا تتعامل مع الدلالة كعلاقة ثنائية كالحال في (1)، في حين تعالج التداولية مسألة الدلالة كعلاقة ثلاثية من نحو مثال (2). حيث تتحدد الدلالة في التداولية بالنظر إلى المَخَاطَب أو المَخَاطَبَ للغة بينما تعرف الدلالة في السيمانطيقا على نحو خالص كخاصية للعبارات في لغة معينة بغض النظر عن الموقف الخاص والمتكلمين أو المستمعين. وهذا تمييز أولي مبتدئ، نقحه بعض الفلاسفة لأغراض مخصوصة ومن بينهم (Morris) (موريس 1932، 1946) و(كارناب) (Carnap 1942) <<2.

يُقصد من هذا الكلام أن العلاقة بين التداولية والسيمياء تتشكل من خلال اهتمام كل منهما بالمعنى أو الدلالة، في حين أنهما يختلفان في كون السيمياء تهتم بعلاقة الرموز اللغوية؛ أي الدال بالأشياء التي تدل عليها؛ أي المدلول، بعيدا عن المتكلم أو المستمع والموقف، بينما تولي التداولية

¹ جيوفري لينش: مبادئ التداولية، تر عبد القادر قنيني: ص 9 - 10.

² المرجع نفسه: ص 15.

أهمية بالغة للمتكلم والمستمع، اللذين تتحدد الدلالة من خلالهما، حيث أن المتكلم وهو يتلفظ بعبارات معينة يجعل بينها وبين المتلقي علاقة تتشكل من الموقف والسياق، واللذين يساهمان في إمكانية فهم المستمع لقصد المتكلم.

ج - علاقة التداولية بالدلالة:

>> إن ما يمنحه علم الدلالة من معانٍ للمحلل اللغوي، لا يشكل أساساً تاماً فيما تحيل عليه التراكيب من دلالات ومقاصد؛ لأن دلالة المعنى العام للعلامات اللغوية المكونة لذلك التركيب لا تشكل غاية المخاطب في سياق معين، وهنا تأتي وظيفة التحليل التداولي في استخراج المعنى، وتحديد بناء على مجموعة من الأحداث السياقية التي رافقت تلفظ المخاطب بما يرغب <<1.

يفهم من خلال هذا القول أن علم الدلالة لا يدرس المعنى الحقيقي للعلامات اللغوية المكونة للتركيب، مما يجعل المعنى حرفياً غير مرتبط بالموقف أو السياق الخارجي الذي يحيط بتلفظ هذه العلامات اللغوية، في حين أن التداولية تدرس العلامات اللغوية المشكلة للتركيب وهي مرتبطة بالسياق الخارجي والموقف الذي قيلت فيه، مما يجعل المعنى متجاوزاً للسطحية؛ ومقترباً بقصد المرسل.

>> ووفقاً لذلك يمكن تقسيم المعنى إلى قسمين: معنى دلالي يعتمد على دلالة مفردات التركيب الخاصة، وما تمنحه للعبارة من معانٍ متعلقة فيما بينها بضوابط تركيبية من غير ملاحظة للعلاقات التركيبية غير اللغوية المصاحبة للحدث اللغوي، ومعنى تداولي يتجاوز حدود التركيب ودلالاته السطحية فيقترب التركيب بمجموعة العناصر المكونة للحدث الكلامي التي يمكن بطريقها توليد معانٍ مقامية عدة تداولية وظيفية <<2.

¹ أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، 2015، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ص 29.

² المرجع نفسه: ص 30.

يمكن القول أيضا أن >> قيمة الحقيقة لجملة ما لا تنحصر في البناء الدلالي لها، وإنما تتعلق هذه القيمة باقتران الجملة بواقعها، حيث تنتقل الحقيقة من طابعها الدلالي المرتبط بقيمتي الصدق والكذب إلى طابعها التداولي المرتبط بقيم الفعالية والاستعمال والتأثير، حيث أن المجال المتميز بالنسبة إلى التداولية هو مجال اللفيظ، أما الجملة التي هي النتيجة المجردة لقواعد اللسان وتعاملية الدلالة التي يحتويها اللسان، فيتم وصفها بواسطة مكونات لسانية بحتة مستقلة عن وضع الخطاب، وتشكل المعطى الأولي الذي تعمل عليه المركبة التداولية >>¹.

يمنح السياق الجملة قيمتها الحقيقية ويجعل لها أثرا في نفس المتلقي، فلا تنحصر حقيقة الجملة في كونها صادقة أو كاذبة، بل تتجاوز ذلك، فيتم دراستها في الاستعمال، فالدلالة تدرس الجملة كنسق مغلق، مما يجعلها تحمل معنى واحدا واضحا وصريحا، بينما التداولية تدرس الجملة في السياق والظروف المحيطة بها مما يكسبها قيمة ويعطيها تأثيرا وفاعلية.

د - علاقة التداولية بعلم التركيب:

إن علم التراكييب هو علم يربط بين الجمل، وبقيم بينها علاقة ونظاما، >> ويشير (دايك) إلى مسألة تبدو لنا مهمة، ترتبط بالصلة القائمة بين النحو والتداولية، حيث يقول: إن صناعة القواعد والأسس التداولية من علم النحو تعني أن مثل هذا النحو يجب أن يفسر ليس فقط القدرة على تركيب العبارات الصحيحة، بل القدرة على استعمال مثل هذه العبارات في بعض المواقف التواصلية استعمالا مطابقا وتسمى القدرة الأخيرة بالكفاءة التواصلية >>².

يقصد بذلك أن دور النحو >> لا يهمل في مجال التحليل التداولي، فالعلاقات القواعدية التي تسيطر على خطاب ما، والتي تتحكم في عملية البناء اللغوي، من خلال ترابط عناصره التركيبية، ليست إلا خطوة أولى في عملية الفهم والتفسير التداولي، المرتكز بالأساس على مجموعة من العناصر التي تقتضي بالمحلل اللغوي أن يتجاوز حدود المادة اللغوية، إلى ما يحيط بها من

¹ عمار ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص 68.

² صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في (شروح التلخيص) للخطيب القزويني، ط1، 2011، صفحات للدراسات والنشر، سورية - دمشق، ص 47 - 48.

قرائن خارجية وملابسات عامة، ومن المعلوم أيضا أن المعنى النحوي له أهمية كبيرة في عملية التحليل التداولي، فالبعد التداولي حاضر بمجرد ما ندخل لمفهوم القاعدة النحوية، التي تعد نقطة البداية للفهم التداولي، بوصف التداولية هدفا متطورا لدلالة التركيب <<¹؛ إذن فإن العلاقة بين النحو والتداولية هي علاقة تكاملية واتصالية، فالتداولية لا يمكن لها أن تتخلى عن النحو لما له من دور هام في الربط بين العناصر النصية.

هـ - علاقة التداولية بالبلاغة:

>> يقول الباحث الألماني (لوسبرج) (Laus Berg) إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال اللغوية والتصورية، يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المخاطب في موقف محدد <<². كما أن هناك من يعرفها >> بأنها فن القول بشكل عام أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، مما يجعلها مجرد أداة نفعية (ذرائعية). ويرى (ليتش) (Leech) أن البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المخاطب والمخاطب بحيث يحلان إشكالية علاقتهما باستعمال أدوات معينة للتأثير. غير أن دراسي التداولية يرون ضرورة تضيق مجال البلاغة بعدها أداة ذرائعية، فالتداولية إذن قاسم مشترك بين أبنية الاتصال البلاغية والنحوية والدلالية <<³.

إن كل من الباحث الألماني (لوسبرج) والباحث (ليتش) يرميان إلى القول بأن البلاغة هي علم قائم بذاته يحده نظام، ويمكن لهذا النظام أن يحقق عملية تواصلية كاملة بين المرسل والمرسل إليه، حيث أن المتكلم يستطيع إيصال رسالته وقصده إلى المستمع والتأثير فيه، فلا يحدث ما يسمى بسوء الفهم بينهما، مما يعني أن التداولية تشترك مع البلاغة في خاصية دراسة اللغة في الاستعمال، لكن هناك من يرى أن البلاغة هي مجرد أداة ذرائعية، حتى لا يحدث لبس فيكون لكل شيء منفعة وكل شيء بلاغة.

¹ أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 25 - 26.

² صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، إشراف أحمد مشاري العدوان، عالم المعرفة، والفنون والآداب، الكويت، ع 164، يناير 1978، الصفحات 5 - 317، ص 89.

³ نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، ط1، 2012، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 76.

و - علاقة التداولية بالأسلوبية:

>> يقيم (مولينييه) (Georges Molinié) علاقة تواصل متينة بين الأسلوبية والبراغماتية تجعل الأولى موجهة - فيما بدا لنا - للثانية، وليس العكس كما هو منتظر.

ينطلق صاحب كتاب الأسلوبية من أن (البراغماتية) تدرس نظرية الأعمال اللغوية كما ظهرت مع (أوستن) (Austen) و (سيرل) (Searle)، فهي تنظر إلى الأقوال بما هي مسرح تظهر عليه ثلاثة مستويات من العمل اللغوي: العمل اللغوي، العمل المتضمن في اللغة أو (اللاقولي)، عمل أثر القول <<¹.

يرمي (مولينييه) إلى القول بأن الأسلوبية في طريقها لتصبح تداولية وليس العكس، ولكن لو نظرنا إلى المبادئ التي تحكم كل منهما لرأينا أن الأولى تحمل بذور الثانية، وتشارك معها في أمور كثيرة رغم أنها تختلف عنها في نظرتها للمعنى، ولهذا وصل (مولينييه) إلى أن العلاقة بينهما علاقة تواصل بمعنى تجاذب، كما يرمي إلى القول بأن التداولية تدرس الأقوال اللغوية وغير اللغوية والبنية السطحية والعميقة، ومدى تأثيرها في الملتقي من خلال ما جاء به كل من (سيرل) و (أوستن)، كما يعود صاحب كتاب الأسلوبية >> إلى (برونونير) (Brondonir) الذي يرى أن كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته ولمجرد كونه إنتاجا كلاما، في حين أن القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليا بواسطة التكلم وحده <<².

يأتي الفعل الكلامي بمعنى الفعل الإنجازي، الذي تكون له وظيفة تواصلية أثناء الاستعمال أو التلفظ، بينما القيمة التأثيرية تكون وفق الموقف والملابسات والظروف المحيطة بالتكلم. فبمجرد التلفظ بالكلام يكون هناك إنتاج وتأدية للكلام؛ أي فعل كلامي.

>> ويرى الباحث الفرنسي (برونونير) أن قيمة العمل الفني هي شيء إضافي، فهي لا توجد في أي مكون من مكوناته وهي - مع ذلك - تنتمي إلى طبيعة لغوية - وهذا هو واقعها

¹ صابر محمود الحباشة: الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، ص 40.

² المرجع نفسه: ص 40.

المادي - وتنتمي في الوقت ذاته إلى طبيعة الحدث غير اللغوي بقدر ما يصبح الفعل اللغوي نفسه حدثاً في العالم، تماماً مثل السيمفونية أو المنحوتة أو اللوحة الفنية، في عالم الأشكال الجمالية، ومثل المحرك أو الطاولة في العالم الاقتصادي - الاجتماعي. هذه القيمة علامة الرهان البراغماتي للفن الكلامي، وهي غايته ونتيجة له <<¹.

يرمي (مولينييه) إلى القول بأن العمل الفني يحقق وجوده من خلال الأسلوب الذي كتب به أو من خلال مكوناته، ويحيط بهذا العمل الفني السياق والظروف التي أوجدته، مما يجعل الفعل اللغوي عبارة عن إنتاج له تأثيره في المتلقي، ولا تكون له قيمة إلا إذا كتب بأسلوب راقٍ ونال إعجاب القراء، مثله مثل الرسومات التشكيلية والمنحوتات، في عالم الأشكال الجمالية، والأثاث في العالم الاجتماعي - الاقتصادي، والتداولية تجعل من هذا العمل الكتابي أو الأدبي فن، وتكمن قيمة هذا الفن في قدرة الكاتب على الإبداع واستخراج مكتسباته القبلية، من أجل أن يكتب بلغة شاعرية، مما يجعل هذا العمل الفني تأثيري وفعل إنجازي له وظيفة شعرية.

س - علاقة التداولية بالتأويل:

>> نلاحظ اليوم رغبة في إعادة التفكير في القضايا الأساسية في التاريخ الفكري، وإعادة دراسة المفاهيم والاستراتيجيات التأويلية، ليس نتيجة أي شعور بالحصر، بل على العكس، استجابة لمنهجيات جديدة ظهرت في النقد الأدبي، والفلسفة، واللسانيات، والتي تقدم طرقاً جديدة في فهم مهام الهرمينوطيقا التاريخية <<².

يقصد بذلك أن استراتيجيات التأويل تتطور عبر الأزمنة، ويؤدي ذلك إلى رغبة الباحثين والمفكرين في إعادة النظر في بعض القضايا الهرمينوطيقا ومحاولة فهمها بطرق جديدة، ويعود ذلك لمدى أهميتها وحضورها في المناهج الحديثة؛ حيث >> لا يزال عظماء العلم الأقدم في هذا

¹ صابر محمود الحباشة: الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب: ص 40 - 41.

² هايدن وايت: محتوى الشكل الخطاب السردى والتمثيل التاريخي، تر نايف الياسين، مر فتحى المسكينى، ط1، 2017، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة - مملكة البحرين، ص 395.

المجال، (ديلتاي) (Dilthey) و(ماركس) (Marx) (فرويد) (Freud)، و(نيتشه) (Nietzsche) و(هيغل) (Hegel) موجودين في وعي الجيل الحاضر من مؤرخي الفكر، لكنهم موجودون كأجداد أو كظلال للأسلاف يقرون بعمل أحفادهم أكثر مما هم موجودون للإرشاد في مهام بحثية معينة. ويبدو أن النماذج الجديدة المتمثلة في (بارت) و(غادامير) (Gadamer)، و(بنيامين) (Benjamin)، و(فوكو) (Foucault)، و(دريدا) (Derrida)، و(ريكور) (Ricoeur)، و(هابرماس) (Habermas)، وربما (ج. ل. أوستن) قد انتقلوا إلى مركز المشهد، يسمح هؤلاء بطرق جديدة في النظر إلى النصوص، وبكتابة نصوص جديدة داخل الخطابات، وهو مصطلح جديد على مؤرخي الفكر، وربط النصوص والخطابات على حد سواء بسياقاتها <1>.

يجب على المفكرين الجدد مواكبة العصر والنظر إلى النصوص بنظرة جديدة، وأن تكون لهم معرفة مسبقة بما جاء به السابقون وما حققوه في الساحة النقدية والعلمية والفلسفية وغيرها، ومن بين هذه المقاربات الجديدة للنصوص نجد التداولية، التي لها علاقة وطيدة بالتأويل، وهو عنصر مهم من عناصرها، يساهم في معرفة المعاني الخفية والمضمرة، ومن خلال التأويل يفهم المخاطب قصد المخاطب، والتأويل في معناه هو >> ممارسة لا تخلو منها أي ثقافة، ولا ينفلت من أسرها أي تفكير، فالمفاهيم المفاتيح المشكلة للإدراك والمعرفة تجد تحققها الفعلي في العنصر اللغوي، بوصفه الوسط الكلي الذي تحصل فيه عملية الإدراك والفهم، والتأويل هو نمط اشتغال تلك العملية <<2>، مما يعني أن فهم اللغة وإدراكها يكون من خلال التأويل.

يمكن القول أيضا أن الوظيفة الأساسية للتداولية ليست >> سوى وصف تأويل الأقوال تأويلا تاما، والتأويل التداولي هو عملية انتخابية، يقوم المؤول بمقتضاها باختيار معنى من المعاني المرشحة التي يتحملها الملفوظ، ويكون اختيار هذا المعنى أو ذاك بحسب درجة قدرته

¹ هايدن وايت: محتوى الشكل الخطاب السردى والتمثيل التاريخي، تر نايف الياسين، ص 395.

² مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، ص 133.

على جعل الملفوظ أكثر ملاءمة لسياقه المقامي والمقالي، فهي عملية ذات طابع استدلالي، قوامها عنصرا السياق والقول، حيث تسعى إلى أن تبني من الملفوظ تمثيلا تداوليا منسجما، من خلال الموازنة بين المعطيات السياقية والمعلومات المستخرجة من الملفوظ <<¹.

يقوم التأويل على أسس وقواعد ويستلزم وجود قارئ حذق، فلا تكون قراءة النص قراءة عشوائية وعبثية، بل يجب أن تكون قراءة رصينة تحكمها الظروف والسياق المحيط بالنص، ومما يجعل القراءة قراءة مقبولة هو تحليل القول وربطه بالسياق، فالبنية اللغوية تتسجم مع السياق الخارجي حتى يتمكن المتلقي من معرفة قصد صاحب النص، وهذا ما تسعى إليه التداولية من خلال علاقتها بالتأويل.

2 - 5 - التحليل التداولي:

يمكن القول <> أن التداولية وحدها تبيح إشراك الناس في عملية التحليل، تمتاز عملية دراسة اللغة بواسطتها بأنها تمكننا من التحدث عن المعاني التي يقصدها البشر، وعن أهدافهم وافترضااتهم، وما يرغبون فيه، وأنواع الأفعال التي يؤديونها أثناء تكلمهم مثلا تقديم طلب، أما العائق الكبير فيمكن في الصعوبة البالغة التي تتضح عند تحليل جميع هذه المفاهيم الإنسانية البحتة ذاتها بطريقة متسقة وموضوعية <<².

فرض هذا الطرح وجود فلاسفة ومفكرين يسعون إلى تسليط الضوء على هذه القضية، ومن بينهم (ليتش) الذي يرى <> أن في المنهج التداولي حلا لبعض هذه المعضلات، من وجهة نظر كل من المخاطب والمخاطب، فالمخاطب يبحث عن أفضل وسيلة لينتج خطابا يؤثر به في المخاطب، كما أن المخاطب يبحث عن أفضل طريقة للوصول إلى مقاصد المخاطب كما يريدتها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ، وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية كما هو

¹ مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين: ص 133 - 134.

² جورج بول: التداولية، تر قصي العتابي، ط1، 2010، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص 20 - 21.

الحال في النحو، بل عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفقا لعناصر السياق <<¹، مما يعني أن التداوليون يهتمون >> بدراسة منتج الخطاب أو فاعله (المخاطب) وعلاقته بالمخاطب، وهم بذلك يقتربون من الخطاب من خلال سياقه الخارجي. ويراعى في تحليل الخطاب دراسة السياق الذي ورد فيه مقطع من الخطاب، وينقسم السياق إلى سياق داخلي وسياق خارجي <<².

إضافة إلى ذلك ف >> إن التحليل التداولي يتدخل عبر آلياته المتنوعة (جهازه المفاهيمي) كمبدأ الإفادة مثلا، فينظر في كل لحظة من لحظات تكوين الشكل القضوي: إلغاء الكلمات المبهمة إسناد المراجع إزالة الغموض، وبالتالي يأخذ التحليل التداولي على عاتقه إعادة النظر في تأويل الملفوظ، معتبرا أن أفضل شكل قضوي للملفوظ، هو ذاك الذي يقود إلى تأويل للملفوظ يكون منسجما مع مبدأ الإفادة. غير أن آليات التحليل التداولي، ليس بإمكانها - في جميع الحالات - أن تضمن التأويل الصالح دائما؛ حيث نلاحظ مع ذلك، أن آلية إسناد المراجع مثلها كمثل آلية إزالة الغموض، ليست مضمونة <<³.

يمكن القول أيضا >> تتبني التداولية على العديد من القضايا اللغوية وغير اللغوية، المؤسسة للحدث اللغوي، تسعى إلى فهمه والتعمق في معانيه وكذا التوغل في مقاصده المختلفة بحسب سياقاته، كل ذلك يتم من خلال ما تمنحه من آليات مقارنتها لاستقراء النصوص الشعرية والنثرية على حد سواء <<⁴، حيث يمكننا دراسة الرواية أو القصة بواسطة المقاربة التداولية كون >> القصة والتداولية تكمل إحداها الأخرى: تعنى التداولية بمبادئ استعمال اللغة، التي فيها يعد المخاطب والمخاطب العنصرين الرئيسيين اللذين يحددان التأويل اللساني. أما القصة فهي شكل من

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، 2004، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، ص 24.

² محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ص 102.

³ صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقرظيني، ط1، 2009، الدار المتوسطة للنشر، ص 28 - 29.

⁴ غلاب نوال، نسيم نابي: أفعال الكلام في رواية " عرق على ورق " لعمر عباس: دراسة تداولية في ضوء نظرية سيرل، مجلة فصل الخطاب، تيارت، مج 13، ع 01، مارس 2023، الصفحات 43 - 66، ص 43.

أشكال استعمال اللغة، تمثل الحاجة إلى البحث عن العلاقة بين اللغة ومستخدميها من أجل استخلاص تأويل <<1.

بعد أن قمنا بالبحث عن الخطاب والنص والفروق بينهما، وتحدثنا عن وضعية الخطاب وتحليل الخطاب، وعن التداولية من حيث المفهوم لغة واصطلاحاً، وخلفياتها الفكرية والفلسفية التي ساهمت في نشأتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وتطرقنا إلى الحديث عن التحليل التداولي، وجب علينا الآن التطرق إلى آليات المقاربة التداولية، التي سنعتمد عليها في استقراء نص (هاء وأسفار عشتار) للروائي الجزائري (عز الدين جلاوجي)؛ إذ تتمثل هذه الآليات في:

- الإشارات.
- الأفعال الكلامية.
- الحجاج.
- الاستلزام الحوارية.

سنحاول التعرف على هذه الآليات أو القضايا وأهم أعلامها والأسس التي تقوم عليها، وسيتم ذلك من خلال استخراج بعض النماذج وشرحها بحسب عملها ووظيفتها في (الرواية).

¹ جون - ك آدمز، التداولية والسرد، ص 8.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الإشارات في رواية " هاء وأسفار عشتار " .

1- الإشارات من حيث المفهوم:

أ - أ - الإشارة لغة:

أ - ب - الإحالة لغة

ب - اصطلاحاً:

2- أقسام الإشارات:

3 - الإشارات الشخصية:

4 - الإشارات المكانية:

5 - الإشارات الزمانية:

الفصل الثاني: الإشارات في رواية " هاء وأسفار عشتار ":

1- الإشارات من حيث المفهوم:

تمهيد:

وجب بداية الإشارة إلى الوظائف الأساسية للغة، حيث يتحدث (بوبر) (Popper) عنها قائلاً: تتمثل هذه الوظائف في: >> الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي) الوظيفة التعبيرية (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية) الوظيفة الحجاجية (لتقييم الحجج وتبريرها) الوظيفة الإشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المرتبطة بحالاته الداخلية إلى الآخرين) <<¹، والوظيفة التي تهتمنا في هذا الفصل التطبيقي هي (الوظيفة الإشارية).

إن الإشارات >> من القضايا التي شغلت بال كل من اهتم بالنشاط الفكري عند الإنسان من المناطق وعلماء النفس والفلاسفة، وشغلت بال كذلك كل من اهتم بالنشاط اللغوي عنده من علماء اللسان والبلاغيين والنحاة، بمختلف فروعهم وغيرهم، قضية الإحالة والإشارة في الكلام <<²؛ فلقد >> درس المناطق واللسانيون هذه الناحية، ونظروا فيها من حيث اتصالها بالسياق، لكنهم لم يتجاوزوا فيها مستوى الجملة، بل إنهم درسوها خارج كل سياق، وإن اعترفوا بوظيفة السياق في إدراك المعنى وضبطه حتى يتمكنوا من السيطرة على موضوع درسه ³<<.

جاءت المقاربة التداولية (Pragmatique) التي عرفت أوجها في العقود الأخيرة وجمعت >> بين المنطق واللسانيات في دراسة الكلام واتصاله بالسياق أو المقام ونظام المحاور الذي يحكمه، وكذلك دلالة العناصر الإحالية في اللغة <<⁴، والإحالة >> هي ظاهرة تقع في أساس كل

¹ لبنى بوخناف: تداولية الإشارات في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني " رواية نزيه الحجر نموذجاً "، مجلة حوليات، جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 27، ديسمبر 2019، الصفحات 75 - 93، ص 77 - 78.

² الأزهر الزناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، ط1، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 115.

³ المرجع نفسه: ص 115.

⁴ المرجع نفسه: ص 115.

منظومة فكرية. فاللغة نفسها نظام إحالي، حيث يشير على ما هو غير اللغة، وهي نفسها تحوي نوعين من العناصر: إحالية وإشارية؛ وهما وجهان لا بد من النظر فيهما عند دراسة الدلالة اللغوية، إذ هما أساسها <<¹، حيث أن >> اللغة العربية وغيرها من اللغات تعتمد في خطابها على عدد من المنظومات، والمعينات، والقواعد، ومنها: الإشارات، فالإشارات تعتبر عنصراً من عناصر التداولية <<²، وعليه وجب البحث في هذا الموضوع المتمثل في الإشارة أو الإحالة أو ما يسمى بالإشارات واستنتاج نص (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوي) وفق آلياتها المختلفة.

أ - أ - الإشارة لغة:

يقول (ابن منظور) في مادة (شور) : >> وَأَشَارَ إِلَيْهِ وَشَوَّرَ: أَوْمَأَ، يَكُونُ ذَلِكَ بِالْعَيْنِ وَالْحَاجِبِ وَالْكَفِّ؛ أَنْشَدَ ثَعْلَبُ:

نَسْرُ الْهَوَىٰ إِلَّا إِشَارَةً حَاجِبٍ هُنَاكَ، وَإِلَّا أَنْ تُشِيرَ الْأَصَابِعُ

وَشَوَّرَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَيْ أَشَارَ؛ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ كَذَا؛ أَمْرَهُ بِهِ، وَأَشَارَ الرَّجُلُ يُشِيرُ إِشَارَةً إِذَا أَوْمَأَ بِيَدَيْهِ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ. وَأَشَارَ يُشِيرُ إِذَا مَا وَجَّهَ الرَّأْيَ <<³.

لم يخرج (إبراهيم مصطفى) وآخرون في المعجم الوسيط عما جاء به (ابن منظور)؛ إذ يقولون: >> أَشَارَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ أَوْ نَحْوَهَا، أَوْمَأَ إِلَيْهِ مَعْبَرًا عَنْ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى، كَالدَّعْوَةِ إِلَى الْخُرُوجِ أَوْ الدَّخُولِ، شَوَّرَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ وَنَحْوَهَا، أَشَارَ، وَبِالنَّارِ: رَفَعَهَا، اشْتَوَّرَ الْقَوْمُ: شَاوَرُوا بَعْضُهُمْ

¹ الأزهري الزناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، ص 115.

² سارة عبد الملك الشريف: فاعلية الإشارات المكانية في التشبيهات النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ج 01، ع 05، 2022، ص 347.

³ ابن منظور: لسان العرب، مج 04، 1405 محرم، نشر أدب الحوزة، إيران، ص 436 - 437.

بعضاً، تشاوروا: اشتوروا، واستشار فلان: لبس شارة: لباساً حسناً، وأمرُهُ: تبين واستنار، وفلاناً في كذا أو في الأمر: شاوره، الإشارة: تعيين الشيء باليد ونحوها <<¹.

>> أما تحليل الخطاب ولسانيات النص فقد حصرت تعريف المشيرات المقامية من خلال معجمها في المصطلحات الأساسية أن: الإشارة هي ما يدل على أي شيء يتعين من جهة بموضوع، ويشير من جهة أخرى بفكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل، وهي أي شيء أو حدث يشير إلى شيء، أو حدث <<².

إن الغرض الحقيقي من توظيف الإشارة هو تحقيق التواصل بين أطراف الحوار، ولهذا جاءت الإشارة بمعنى الإماء والتلويح والتعيين والمشاورة والأمر، فلا تكاد تخلو عملية تواصلية من الإشارة.

أ - ب - الإحالة لغة:

>> يأتي الجذر اللغوي [ح ول] للدلالة على معنى التنقل والتغير والتحول، فالإحالة مصدر للفعل الثلاثي المزيد [أحال] <<³، حيث يعرفها (أحمد مختار عمر) في معجم اللغة العربية المعاصرة فيقول: >> أحالَ يُحيل، أُحِل، إحالةً، فهو مُحيل، والمفعول مُحال.

أحال الشيء كذا / أحال الشيء إلى كذا: غيره من حال إلى حال، الأدب بكشفه عن القيم الكامنة يحيلها إلى قوة إيجابية.

أحال الأمر إلى فلان: أناطه به.

أحاله إلى مرجع / أحاله إلى مصدر: أشار عليه بالرجوع إليه.

¹ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ط 4، 2005، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص 499.

² حميدات الجمعي: الإشارات المقامية الشخصية وأبعادها التداولية في الخطاب النبوي، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، بركة، مج 06، ع 01، 2023، ص 1687.

³ عبد السلام بقاق، طاطة بن قرماز: أثر الإحالة الضميرية في اتساق قصيدة رثاء فاتك للمتنبى، جسور المعرفة، مج 10، ع 01، 2024، الصفحات 271 - 285، ص 272.

أحال الشخص على كذا / أحال الشيء على كذا: رفعه إليه؛ جعله مقصورا عليه <<¹.

يعرفها (محمد مرتضي الحسيني الزبيدي) >> بقوله: أحال الشيء تحول من حال إلى حال، أو أحال الرجل تحول من شيء إلى شيء، وفي القاموس المحيط حال الشيء وأحال: بمعنى تحول <<².

لم يخرج (الزبيدي) في تعريفه للإحالة عن المعنى الذي جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، واما جاء في قاموس المحيط، بمعنى التحول والانتقال والتغير.

ب - اصطلاحا:

إن >> الإشارات: هي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، أو يمكن تعريفها بأنها: تلك الأشكال الإحالية التي تقترب بسياق المخاطب مع التمييز الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المخاطب مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه <<³، ويمكن القول عن السياق بأنه >> يقتضي في جانب آخر، وحسب بعض الدارسين، عناصر متنوعة تُحمل في ذاتية المخاطب وما يحمله من مقاصد المتكلم (حين نتكلم نقصد شيئا)، معتقدات (لكل متكلم معتقدات)، اهتمامات المتكلم (أهدافه)؛ أي ما يتمثل في الرغبات، الاهتمامات، المعتقدات، والمقاصد وغيرها إلى جانب العنصر الموضوعي بما فيه من ظروف مكانية وزمانية دون إهمال العنصر الذواتي المتجسد في المعرفة المشتركة بين المتحاورين <<⁴.

¹ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، ط1، 2008، عالم الكتب، القاهرة، ص 586.

² هانو سومية: الإحالة وأثرها في دلالة النص الروائي " غربة الياسمين " للروائية خولة حمدي، مجلة المدونة، مج 08، ع 03، 2021، الصفحات 3193 - 3210، ص 3195.

³ حنان بنت علي عسيري: تداولية الإشارات عند ابن زيدون قصيدة " أثرت هزير الشرى إذ رىض " أنموذجا، مجلة كلية دار العلوم، ع 141، يوليو 2022، الصفحات 227 - 258، ص 229.

⁴ حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، ص 15.

إن الدكتور (طه عبد الرحمن) من بين النقاد والفلاسفة والمفكرين الذين يقولون بذلك، حيث يقول في هذا الصدد: >> هناك معرفة نسميها تراثية أو ثقافية أو اجتماعية وغيرها وهي معرفة مشتركة بين المتحاورين وقد تكتسب أثناء التماور <<¹.

إن الإشارات بهذا المفهوم هي >> أكثر الوحدات اللغوية التي تتطلب معلومات عن السياق ليتيسر فهمها، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسية من خلال دلالة كل نوع معين من الإشارات، وهي تعبر عن (الأنا، الآن هنا)، إذ أنه إذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب منا ذلك - أقل شيء - معرفة هوية المخاطب والمخاطب والإطار المكاني والزمني للحدث اللغوي <<²؛ أي يُقصد بالإشارات >> كل ما يشير إلى ذات، أو زمن أو موقع، وتتربط مع مفهوم المشير؛ إذ يُفهم عادة من: إشارية تعيين مكان، وهوية الأشخاص، والعمليات، والأنشطة، والأشياء، والأحداث، بالنسبة للسياق الزمني والمكاني، الذي أنشأه، وأبقاه عمل التلفظ، فيظهر هنا تنوع المشيرات <<³.

يقصد بهذا أن الإشارات تنقسم إلى عدة أقسام، قسم يشير إلى ذات، وقسم يشير إلى مكان، وقسم يشير إلى زمان، وكل قسم له أدواته الخاصة التي تميزه عن غيره من الأقسام، ف>> الإشارة بأصنافها المتنوعة: تضم بعدا مكانيا أو زمانيا، بنسب متفاوتة، وتتحكم فيها عناصر ذات دور مشترك في عملية التماور، كوضع المتكلم، ومقصديته، والمتلقي، وتأويله الذهني، وما يحيط بذلك من ظروف وسياقات خارجية، مما يحدد اتجاه التأشير، ومضمونه <<⁴، إضافة إلى أن >> الخطاب يتجسد باللغة في مستوياتها كافة والكلمات جزء من نظام اللغة فتحيل كل كلمة

¹ حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 15.

² ريمة يحي، جودي مرداسي: الإشارات الشخصية ومقاصدها التداولية في شعر عبد الله البردوني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 10، ع 04، 2021، الصفحات 47 - 59، ص 50.

³ سارة عبد الملك الشريف: فاعلية الإشارات المكانية في التشبيهات النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ع 05، ج 01، 2022، ص 347 - 348.

⁴ المرجع نفسه: ص 347 - 348.

إلى مدلول معين، إلا أن بعضاً منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت فلا يتضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين <<1.

يعرف (جاك موشر) (Jacques Moeschler) و (آن ريبول) (Anne Reboul) و (بيتر أرنست) (Peter Ernst) الإشارات على أنها: >> عناصر متنوعة تشمل ضمائر المتكلم والمخاطب (أنا / نحن، وأنتَ / أنتِ، أنتم / أنتن) والوحدات الدالة على الزمن (الآن وأمس وغدا وغيرها) والوحدات الدالة على المكان (هنا / هناك) والأزمنة الفعلية، وتتشرك هذه الوحدات في أن معناها لا يتحدد إلا عند الاستخدام انطلاقاً من نقطة ارتكاز يجسدها إلقاء القول، ويبدو أن هذا التعريف فيه تحديد لتلك العناصر اللغوية المسماة بالإشارات. أما (بيتر أرنست) (Peter Ernst) فيعرفها بأنها: ظاهرة لا تتشكل في عملية الاتصال إلا بتضمن الموقف الاتصالي: فالمخاطب يشكل إحالة إشارية مستعينا بجوانب موقفية، وبمراعاة شركائه في الحديث <<2.

هذا فيما يخص الإشارات أما الإحالة فيتحدث (لاينز) عن طبيعتها فيقول: >> إن المخاطب هو الذي يشير (باستخدامه لتعبير مناسب)؛ أي أنه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة. هذا المفهوم الأخير للإحالة هو بالذات المفهوم الذي يجب على محلل الخطاب الاعتماد عليه. ويجد هذا المفهوم للإحالة تأييداً في قول (ستروسن) (Strosin) بأن الإحالة ليست شيئاً يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستخدامه تعبيراً معيناً، وكذلك في نظر (سيرل) (Searle) إنه إن كنا نعني أن المتحاورين يحيلون، فإن

¹ إيفهام عبد الحافظ القباطي: الإشارات في صورة مريم دراسة تداولية، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ع 08، ديسمبر 2020، الصفحات 200 - 228، ص 203.

² رحاب فيصل عبد الوهاب المنّاع، محمد عبد كاظم الخفاجي: الإشارات في رسائل الأدباء ومرجعياتها بين قصد المرسل وتأويل المتلقي، مجلة آداب البصرة، ع 89، 2018، الصفحات 2 - 43، ص 3.

التعبيرات لا تحيل أكثر من أن هؤلاء المتحاورين يصدرن وعودا وأوامر. ولهذا ففي تحليل الخطاب ينظر للإحالة على كونها عملا يقوم به الكاتب / المتكلم <<¹.

إذا قام شخص ما بالحديث عن شيء ما أو التعبير عن شيء ما أو الإشارة إلى شيء ما، فإن هذه العملية تسمى بالإحالة، فأبي أوامر أو وعود أو تصرف يصدر من شخص معين سواء أكان هذا الشخص متكلمًا أو كاتبًا يسمى إحالة.

يجدر بنا الإشارة إلى تعريف الباحثين (هاليداي) (Halliday) و(رقية حسن) للإحالة؛ حيث استخدمنا << مصطلح الإحالة استخدامًا خاصًا. وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، حيث لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الدارسين: أسماء الإشارة والضمائر وأدوات المقارنة. تعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثمة لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيود دلالية وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين عناصر بين العنصر المشير والعنصر المشار إليه <<².

اهتم رواد (لسانيات النص) إضافة إلى رواد (التداولية) بالإحالة << واعتبروا أن النص يتكون من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من التماسك والانسجام بين تلك العناصر وتسهم الروابط الزمانية والروابط الإحالية والروابط التركيبية في تحقيقها <<³؛ إذ تتضافر الإحالة مع بقية العناصر الأخرى لكي تحقق تماسك النص وانسجامه.

يمكن القول أيضا << أن الاهتمام بقضايا الخطاب يستلزم العناية بقضايا الإحالة، إذ أن إحالة العبارة اللسانية لا تتعين إلا في الخطاب، وقضايا الإحالة تستدعي استدعاء ضروريا

¹ ج. بول: تحليل الخطاب، تر محمد لطفي الزليطني، د . ط، 1997، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، ص 36.

² محمد خطابي: لسانيات النص مدخل انسجام الخطاب، ص 16 - 17.

³ إفهام عبد الحافظ القباطي: الإشارات في صورة مريم دراسة تداولية، ص 203.

السيمائية (Semiotique) وما تجلى فيها من خصائص العلامة اللغوية وسماتها، وقد برز ذلك في اعتماد التداولية، في وضع مبادئها وأسسها، على ثنائيات مميزة للعلامات اللغوية هي: النمط والنسخة الشفافية وانعدام الشفافية <<1.

يقصد بهذا أن الإحالة تتشكل من العديد من القضايا، وهي عنصر مهم في الخطاب، تحيل على علامات لغوية داخل النص وعلى علامات غير لغوية خارج النص، تستدعي حضور المقام أو السياق تارة وتماسك النص وانسجامه تارة أخرى، لتكون هناك إحالة نصية تتمثل في العلامات اللغوية وإحالة خارجية تتمثل في العلامات غير اللغوية.

>> تصنف الإشارات ضمن تداولية الدرجة الأولى وتتمثل مهمتها في دراسة الرموز الإشارية أي التعبيرات المبهمة ضمن ظروف استخدامها؛ أي سياق تلفظها وقد كان (بيرس) (Peirce) صاحب تعبير الإشارة والعلامة الإشارية، فالإشارات إذن تأخذ بعين الاعتبار ظروف السياق وملاساته قصد تقريب المعنى وتوضيحه، ومنه تحقيق الفهم، إزالة الغموض، وهنا تتضح قيمتها الوظيفية كونها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تُستعمل فيه <<2.

مثال توضيحي على ذلك >> أن تجد إعلانا غير مؤرخ يقول البيع بالمزاد العلني يوم الخميس فلا تعرف عندئذ أي يوم من أيام الخميس يكون، وهل انقضى وقته أو لم يزل، ولكي يكون معناه مفهوما فلا بد من معرفة ما يحيل إليه بتحديد زمانه بالقياس إلى زمان المخاطب. ومثل هذه العناصر تسمى العناصر الإشارية deictics أو الإشارات اختصارا، ويفضل فلاسفة اللغة أن يستعملوا للدلالة عليها المصطلح indexical expressions أو indexicals اختصارا، وكان (بيرس) (Peirce) أول واضع له <<3.

¹ نرجس باديس: المشارات المقامية في اللغة العربية، د . ط، 2009، مركز النشر الجامعي، منوبة - تونس، ص 25.

² لبنى بوخناف: تداولية الإشارات في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني " رواية نزيف الحجر أنموذجا "، ص 77 - 78.

³ محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د . ط، 2002، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ص 15 - 16.

يمكن القول أيضا: >> ترتبط الإشارات بقضية الدلالة والإحالة المرجعية على السياق ومقامات التواصل بحيث لا يمكن عزل هذه الإشارات عنه بإنتاجها أو تفسيرها، إذ يعتمد تفسيرها وبيان مدلولاتها على السياق الذي قيلت فيه <<¹، حيث أن >> السياق (contexte) كأحد أهم المرتكزات التي تُستند عليها التداولية أداة إجرائية تلعب دورا هاما في كشف مقاصد المتلفظ بالخطاب، وإبراز نواياه الظاهرة والخفية من أجل إفادة المخاطب معنى يتوخاه من خطابه <<².

إن السياق مثل الإشارات له تعريف عام وتعريف خاص؛ حيث >> يميز (باخ) (Bach) بين تعريفين أساسيين لمفهوم السياق يجب التعامل معهما في معالجة الخطاب الطبيعي:
أ- السياق من حيث هو مجموعة من المقاييس حيث أن قيمها تحدد أو لا تحدد القيمة الدلالية للعبارات مع متغيرات الإحالات.

ب- مجموع الخصائص الاعتقادية المتبادلة والتميزة وكذا مجموع الافتراضات المشتركة بين المتشاركين في مرحلة التخاطب <<³.

يتحكم السياق والمقام في مفهوم الإشارات، التي لا تكون لها قيمة في حد ذاتها إلا بربطها بالنسق والسياقات الخارجية، فقيمتها لا تكمن إلا بربطها بالموقف الذي وضعت فيه، وتتمثل هذه السياقات الخارجية في المعتقدات والثقافة التي يحملها كل من المرسل والمرسل إليه، والافتراض المسبق الذي يجعل المتلقي يفهم الإشارات مباشرة دون وقوع سوء الفهم.

2- أقسام الإشارات:

إن ربط الإشارات بالسياق يجعلها حسب (بيرري) (Pirri) تتميز وتنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي كالآتي:

¹ مشري أمل، مزور دليلة: البعد التداولي للإشارات الشخصية في مقامات الحريري - الضمائر أنموذجا -، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، مج 09، ع 04، 2020، الصفحات 119 - 137، ص 121.

² المرجع نفسه: ص 121.

³ حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 442 - 443.

>> هناك الإشارات التي تتعلق إشارتها بالسياق المصغر.

هناك الإشارات التي تتعلق إشارتها بالسياق الواسع.

هناك الإشارات التي تشير بشكل آلي وتتعلق في جانب منها بمقاصد المتكلم <<¹.

وفق هذا التقسيم يتم فهم الإشارات حسب الموقف، ففي بعض الأحيان تفهم الإشارات مباشرة من خلال موقف بسيط، وفي بعض الأحيان لا تفهم إلا بربطها بنطاق واسع وبقضايا عديدة خارجية، وفي أحيان أخرى تشير مباشرة إلى مقاصد المتكلم.

3- الإشارات الشخصية:

>> تعتمد الإشارات الشخصية مبدأ المشاركة بين المخاطب والمخاطب في عملية التفهيم، فهي مفتقرة أو عاجزة على تحديد إحالتها الحاصلة في الاستخدام، لذلك عددها (ميلنر) (Milner) فاقدة للاستقلالية الإحالية. وقد أضاف فلاسفة اللغة بعدا آخر غير مرجعية الضمير هو (الصدق)، بحيث لا تكون الجملة كاذبة، ونبه إلى ذلك (بيرس) في قوله: إن الإشارات يجب أن تكون محددة المرجع بتحقيق العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه <<².

يقصد بهذا أن الإشارات الشخصية لا تملك قيمة في ذاتها إلا بوضعها في السياق الذي قيلت فيه، وتظهر قيمتها من خلال مشاركة الباحث والمتلقي في حوار يحده زمان ومكان معينين، يشترط في عملية التخاطب أن تكون الجملة الحاملة للإشارات الشخصية صادقة لا زيف فيها، وأن يكون للإشارة الشخصية مرجع واضح يربطها بما تدل عليه.

تتمثل الإشارات الشخصية في الضمائر؛ حيث >> يؤسس (بنفنيست) لعلاقة وثيقة بين الضمائر وسياقات الكلام، مؤكدا أنها لا تنتمي إلى طبقة واحدة متجانسة. فضمير المتكلم والمخاطب لا يحيلان إلى واقعة ما، أو وضعيات موضوعية، وإنما إلى ملفوظ ذاتي ومتفرد.

¹ حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 443.

² زكي فليح حسن، ندى محمد حسين: الإشارات الشخصية في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (280 هـ): دراسة تحليلية، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مج 02، ع 14، 2022، الصفحات 202 - 217، ص 206.

ومعناه أن ضمير المتكلم واحد، لكنه حركي بإمكان أي متكلم أن يستخدمه ويطبعه بسماته الخاصة، وأن يشير من خلاله إلى خطابه الخاص. كذلك الحال مع ضمير المخاطب الذي لا يشير إلى فرد بعينه، وإنما تتحدد دلالاته من خلال السياق الكلامي <<1>، وفي الحديث عن هذا الأمر يمكن القول أن الضمائر >> تتفرع حسب الحضور في المقام أو الغياب، حسب الشخص المشار إليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم إلى فرعين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو المخاطب، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المستقبل. وكل مجموعة تقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة <<2>.

تستلزم أقسام الضمائر المعروفة وفقا لنظام اللغة أن >> يخاطب المؤنث بضمير المؤنث والمذكر بضمير المذكر، والجمع بضمير الجمع وهكذا، ولكن رغم ذلك ففي التداوليات قد يختلف الأمر؛ لأن رعاية النظام شيء ورعاية التداوليات شيء آخر، من ذلك مثلا مخاطبة الغائب بضمير المخاطب، ويكون ذلك باستحضار الغائبي بالتجريد الذهني لمخاطبته في أمر يهم المخاطب <<3>، ومن ذلك ما لاحظته (بنفنيست)؛ إذ لاحظ >> أن ضمير الغائب اذ ذو طبيعة موضوعية؛ لأنه لا يشير إلى واقعة كلامية معينة، كما أن المرجعيات في هذا النوع من الضمائر لا دلالة لها؛ لأنها لا ترتبط بسياق كلامي محدد. لذلك يدرج (بنفنيست) ضمير الغائب ضمن ما يطلق عليه اللاشخص (non- personne)، ويستدل على ذلك من خلال استخدامه عائداً مثال pierre est malade, il la fièvre (بيير مريض، إنه محموم) وفي بعض الأحيان للإحالة على وقائع خارجية مثال il p leut (تمطر) <<4>.

¹ جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 79.

² زكي فليح حسن، ندى محمد حسين: الإشارات الشخصية في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (280 هـ): دراسة تحليلية، ص 206 - 207.

³ تمام حسان: اجتهادات لغوية، ط1، 2007، عالم الكتب، القاهرة، ص 226.

⁴ جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 79.

إن >> الضمائر كلها لا تخلو من غموض وإبهام سواء أكانت للمتكلم، أو للمخاطب، أم للغائب، فلا بد لها من شيء يفسر غموضها، وبزيل إبهامها، فأما المخاطب والمتكلم فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة، وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد؛ فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضح المراد منه <<¹.

لقد وظف الروائي (عز الدين جلاوي) الكثير من الإشارات الشخصية في رواية (هاء وأسفار عشتار)، تُفهم هذه الإشارات من خلال ربطها بالسياق، حيث تختلف دلالاتها من ضمير إلى آخر ومن موقف إلى آخر، تشترك جميعها في صفة الحضور والغياب، فلم تكن هذه الضمائر مباشرة لافتقار الرواية وجود الحوار المباشر بين المَخاطَب والمُخاطَب، ومع ذلك يمكن إسقاط صفة المباشرة عليها، كون الراوي في هذه الرواية يوجه خطابه إلى متلقي صالح لكل زمان ومكان، وربما يكون هذا المتلقي حاضرا معه بالفعل لحظة التلفظ، ولكنه يكتفي بالاستماع دون الأخذ والعطاء.

إن الشخصية المتمثلة في (طفلة الراوي المدللة) في مواضع أخرى، ترسل رسائل عديدة إلى الراوي وهو في السجن، فيكون ضمير الإشارة مباشرا رغم بعد المسافة بينهما، كونه مسجونا ولا يمكنه الرد عليها في ذات اللحظة، كما رُبطت الضمائر بحكايات أسطورية اعتبرها الراوي قصصا حقيقية عاشها، ويسرد أحداثها على متلقي الخطاب، ومن خلال ما تم طرحه يقول الراوي:

>> وأنى أكون لو لم تكن ؟.

وأنى تكون لو لم أكن ؟.

لسنا إلا روحا خفاقة سكنت جسدين، ينبضان بذات الإيقاع، فإذا أنا هي وهي أنا.

يا أنا ..

¹ عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ط3، د ت، دار المعارف، مصر، ص 225.

يا طفلي المدللة ..

يا ملهمتي ..

يا حبيبيتي .. <1.

تجتمع عدة ضمائر في هذا الخطاب السردية، تكون تارة مضمرة وتارة أخرى مصرح بها، تتمثل في ضمير المتكلم (أنا) وضمير المخاطب (أنت) وضمير الغائب (هي)، حيث جاء ضميرا (الأنا) و (الهي) مضمران في قول الراوي: " وأنى أكون لو لم تكن ؟ وأنى تكون لو لم أكن ؟ "، والغرض من توظيفهما هو إكمال النقص الذي سيعتري حياتهما عندما يختلفان في الدرب.

لقد بدأ الراوي بالحديث عن النقص الذي سيصيبه عندما تكون طفلة المدللة بعيدة عنه، ثم تحدث بعد ذلك عنها وعن النقص الذي سيصيبها عندما يبتعد عنها، ويدل ذلك على مدى تمسكه بها وعدم قدرته على العيش دونها، بينما جاء الضميران مصرح بهما في قوله: " لسنا إلا روحا خفاقة سكنت جسدين، ينبضان بذات الإيقاع، فإذا أنا هي وهي أنا "، للدلالة على الكمال والقوة، فهما يعتبران شخصا واحدا لتوافقهما في كل شيء، فهو يسكن إليها وهي تسكن إليه.

إن عملية التواصل في هذا القول الخطابية، كانت في بداية القول انفصالية من خلال تصور الراوي لحياته دون طفلة المدللة والعكس صحيح، واتصالية من خلال اعتباره بأنه وإياها شخص واحد ذو روح واحدة، فهو هي وهي هو، أما في قوله: " يا أنا .. يا طفلي المدللة .. يا ملهمتي .. يا حبيبيتي .. "، جاء ضمير (الأنا) مصرح به يتمثل في شخص (طفلة الراوي المدللة)، فحرف النداء (الياء) لا يرمي الراوي من خلاله إلى مناداة نفسه، بل يرمي إلى مناداة طفلة المدللة التي يعتبرها نصفه الآخر، ومكملة له، ثم ناداها بعد ذلك بالاسم الذي اختاره لها، وهو يا طفلي المدللة، ثم يا ملهمتي ويا حبيبيتي.

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، السداسي الأول، 2022، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 7 - 8.

جاء ضمير المتكلم (الأنا) وضمير المخاطب (أنت) مضمران، بغرض التعبير عن مدى قرب طفلة الراوي المدللة منه، فهي حبيبته وسر إلهامه، حيث يصفها بأنها عاشقة له، فالمنادى هو الذي يملك القدرة على جعل العلاقة بينه وبين الراوي اتصالية، وهو الذي يملك القدرة على جعلها انفصالية؛ لأن الراوي في هذا القول الخطابي في محل ضعف لا محل قوة، يعبر عن ذلك من خلال التصريح بعدم قدرته على تصور حياته دون طفلته المدللة، وينقل هذا الضعف إليها أيضا.

يقول أيضا:

>> جمد والدي في مكانه وهو يتفقد أصابعه وجيوبه محاولا تهدئتها دون جدوى، وقام من مكانه مرعوبا وهي تسل خاتم الزواج من بنصر يسراها وترمي به فوق الطاولة بحركة هستيرية عجيبة وتتصرف إلى غرفتها، دون أن تكف عن صراخها بالويل والثبور <<¹.

يعود ضمير (هو) الذي أتى مباشرة على والد الراوي، بينما يعود ضمير (هي) والذي جاء مباشرة أيضا على والدته، حيث مثل ضمير (هو) مركز الضعف، بينما مثل ضمير (هي) مركز القوة، فوالد الراوي يشعر بالخوف والرعب الشديدين بعد أن حاول تهدئة زوجته دون جدوى، والتي قامت بدورها بنزع خاتم زواجهما من بنصر يسراها ورميه فوق الطاولة، فردة فعله جعلت التواصل بينهما اتصاليا، في حين جعلت ردة فعلها التواصل انفصاليا، وذلك نتيجة صراخها بأعلى صوتها مهددة لزوجها بالويل والثبور؛ لأنه في نظرها مذنبا وقام بتضييع خاتم زواجهما.

إن ضميرا الغائب (هو) و (هي) إشارتان شخصيتان تعبران عن حكاية جرت بالفعل يسرد أحداثها الراوي، الذي يحكي قصة والديه مع اختفاء خاتم زواجهما - يخص والده -، يحمل هذان الضميران نقاط قوة ونقاط ضعف، حيث يمثل ضمير (هو) الزوج الصالح الذي يحاول

¹ المصدر نفسه: ص 16.

المحافظة على علاقته بزوجته، بينما يمثل ضمير (الهي) الزوجة المسيطرة التي لا تحترم زوجها، وجاء هذان الضميران مباشران لمدى قرب والدا الراوي منه.

يقول الراوي:

>> وأنى له أن يفعل أو حتى أن يفكر في ذلك؟ وهي تعد عليه حتى أنفاسه، ولأن نفسها أيضا لم تحدثها سوء بشأني، فقد كانت تستبعد مطلقا أن أكون وراء اختفاء الخاتمين، لذا مار في نفسها أن الاختفاء في تلك الظروف لن يكون إلا بسبب غيبيات فوق إدراك الإنسان، كأن تكون سحرا أو جنا، وهو ما دفع بها إلى الاستتجاد بأصحاب القدرات الخارقة <<¹.

ظهرت عدة ضمائر في هذا الخطاب السردى، ضميرا الغائب والمتمثلان في (هو) و(الهي) وضمير المتكلم المتمثل في (الأنا)، يواصل الراوي سرد الأحداث التي جرت بين والديه، حيث كان حاضرا يراقب ما يحدث بينهما، ولقد جاء ضمير الغائب (هو) مضمرا في قول الراوي: " وأنى له أن يفعل أو حتى أن يفكر في ذلك؟"، فالراوي يدافع عن والده الذي يراه جبانا أمام والدته، فيحمل ضمير (هو) معاني الانكسار والخوف والانقياد، ولهذا جاء مضمرا، بينما جاء ضمير (الهي) مباشرا ومصرحا به، يقول الراوي متحدثا عن والدته: " وهي تعد عليه حتى أنفاسه"، وهذا الضمير المباشر يدل على تلك الزوجة التي تسيطر على زوجها وتضيق عليه الخناق إلى درجة أنها تعد عليه حتى أنفاسه، وفي الوقت ذاته هي لا تشك في الراوي الذي يقول: ولأن نفسها أيضا لم تحدثها سوء بشأني، فقد كانت تستبعد مطلقا أن أكون وراء اختفاء الخاتمين.

جاء ضمير المتكلم (الأنا) مضمرا، فعلى الرغم من أن الراوي هو السبب وراء اختفاء الخاتمين إلا أن والدته تثق فيه كثيرا، ولم تشك ولو لبرهة بأنه السبب وراء اختفائهما.

إن التواصل بين والدة الراوي ووالده انفصالي، بينما التواصل بين والدة الراوي والراوي اتصالي، وسبب هذا الانفصال هو أن والدة الراوي لا تثق في زوجها، كما أن الزوجة في الطرف

¹ المصدر نفسه: ص 18.

الأقوى بينما الزوج في الطرف الأضعف، في حين يعود سبب الاتصال بين الراوي ووالدته إلى ثقتها العمياء فيه.

يقول أيضا:

>> أي سر أراد القمر أن يبوح به إلي ؟ كم يلزمنا من عمر لنتهجي أسرار الحياة، كم نحن تعساء حين تكبل الغفلة عقولنا ! وكم نحن أتعس حين يغيبنا الموت ليزيدنا غفلة ! <<¹.

استخدم الراوي ضمير المتكلم (أنا) في هذا الخطاب السردى، الذي جاء مضمرا في بداية القول، ثم استخدم ضمير المتكلم المتمثل في ضمير الجمع (نحن) بعد ذلك، ليحكي - في البداية - عن نفسه وعلاقته بالقمر؛ إذ يرى أن القمر يريد أن يرسل إليه رسالة، ولكنه امتنع عن ذلك، ف (الأنا) في هذا القول هي (الأنا) المتأملة التي تبحث عن الشعرية فيما حولها، فجعلت من القمر كائنا حيا، يملك القدرة على البوح مثله مثل الإنسان، ومع ذلك فهو يرفض التعبير بالكلمات ويكتفي بالتلميح وإدخال الريب والشك في نفس الراوي.

يدل هذا على تمسك الراوي بالطبيعة وانجذابه إليها، فالعلاقة بين الراوي والقمر هي علاقة اتصالية، أما فيما يخص ضمير الجمع (نحن) فلقد جاء - في البداية - مضمرا في قول الراوي: " كم يلزمنا من عمر لنتهجي أسرار الحياة "، ثم جاء بعد ذلك مباشرة ومصرحا به في قوله: " كم نحن تعساء حين تكبل الغفلة عقولنا ! وكم نحن أتعس حين يغيبنا الموت ليزيدنا غفلة ! "، ثم يعود هذا الضمير ليكون مضمرا في قوله: " وكم نحن أتعس حين يغيبنا الموت ليزيدنا غفلة ! ".

يعود الإضمار في بداية القول إلى جهل الراوي، الذي يتحدث بالجمع عن العمر اللازم حتى نستطيع أن نعرف أسرار الحياة، ولكنه يدرك بأننا تعساء جدا؛ لأن الجهل والغفلة يسيطران علينا، يصدر الراوي في هذا الموضع حكما مجحفا في حق نفسه وفي حق البشرية جمعاء، ثم يقول بأن الموت سيأخذنا ونحن لا ندرك شيئا عن هذه الحياة، ولن ندرك عنها شيئا بعد الممات،

¹ المصدر نفسه: ص 54.

حيث أن العلاقة بين الراوي وبيننا وبين الحياة هي علاقة انفصالية لا تواصل فيها؛ لأن الراوي أصدر حكما بأننا نجهل أسرار الحياة، وسنموت ونحن جاهلون لها.

يقول في حديثه عن والديه اللذين لقيتا حتفهما:

>> غير أن نذر الشؤم سريعا ما تحققت، لقد توفي والداي في حادث مرور مريع ذات صباح مضرب جليدي متجمد، حين تدرجت بهما السيارة وهما يسرعان للحاق بالعمل في الوقت المضبوط <<¹.

عمد الراوي في هذا الخطاب السردى إلى الحديث عن والديه اللذين لقيتا حتفهما في حادث مرور، وهما في طريقهما إلى العمل، بغية الوصول إليه في الوقت المحدد، حيث استخدم الراوي ضمير (الأنا) مضمرا حتى ينسب والديه إليه، ففي قوله توفي والديّ جاء ضمير الأنا مضمرا غير مصرح به، فعلاقة الابن بوالديه هي علاقة كبيرة، فالراوي وهو يتحدث عنهما يشعر بالحزن والألم على فراقهما، لتكون علاقة الراوي بوالديه علاقة اتصالية، بينما جاء ضمير الغائب (هما) الذي يعود على الوالدين مباشرة في قول الراوي: " حين تدرجت بهما السيارة وهما يسرعان للحاق بالعمل في الوقت المضبوط "، ففي هذا القول الخطابى جاء ضمير الغائب (هما) مرتبطا بتدرج السيارة، التي تسببت في القضاء على حياتهما، وبالعمل الذي يسرعان للوصول إليه في الوقت المناسب.

إن العلاقة التواصلية بين والديّ الراوي والحياة هي علاقة انفصالية، حيث توفيا في حادث مرور، بينما علاقتهما بالعمل هي علاقة تواصلية؛ لأنهما رغم الضباب الكثيف والجليد ظلا مسرعين متجاهلين سوء الطقس للوصول إليه في الوقت المحدد، حيث كانا عاملين مواظبين محبين لعملهما ويقدسانه، وربما يكون هذا هو السبب الرئيس وراء موتهما، فلقد كانا مندفعين ولم يعيرا اهتماما للجليد والضباب الذي كان يغطي الطريق.

¹ المصدر نفسه: ص 57.

يقول الراوي:

>> تظاهرت بعدم الانتباه إليهم، ظلوا هم أيضا يركنون سيارتهم في لا مبالاة، ربما كانت معهم كاميرا سيأخذون بها صوراً لي وأنا أركض لألحق بطاكسي، وربما سيرصدون تنقلي عبر فيديو، لا أدري ولا يهمني، ولن أحشو بهم دماغي، هم في الأصل مساكين، يعيشون في سجون، ويحمون السجن <<¹.

لقد جاء ضمير (أنا) في بداية السرد مضمرًا في قوله: " تظاهرت بعدم الانتباه إليهم"، ويقصد أفراد الشرطة الذين يلاحقونه، بعد خروجه من السجن لعله يمارس نفس عاداته القديمة، بنشر أفكاره التي تدعو إلى الخروج عن القواعد والقوانين التي تحكم المجتمع، وكذلك جاء ضمير الغائب (هُم) مضمرًا في هذا القول، لتكون العلاقة بين الراوي وأفراد الشرطة علاقة انفصالية، كونه تظاهر بعدم الانتباه إليهم، فهم لا يشكلون مصدر قلق بالنسبة له.

ظهر الضميران (ضمير الغائب (هُم) وضمير المتكلم " أنا ") مباشرين في قوله: " ظلوا هم أيضا يركنون سيارتهم في لا مبالاة، ربما لأنهم يعمدون إلى عدم لفت انتباهه، وتصنع عدم الاهتمام"، فـ (هُم) هنا تدل على الاعتراف بعدم خوفه منهم، ويواصل قوله: " ربما كانت معهم كاميرا سيأخذون بها صوراً لي وأنا أركض لألحق بطاكسي، وربما سيرصدون تنقلي عبر فيديو، لا أدري ولا يهمني، ولن أحشو بهم دماغي، هم في الأصل مساكين، يعيشون في سجون، ويحمون السجن".

يرجع الراوي عدم مبالاتهم إلى اعتمادهم على التقاط الصور والفيديوهات له، وهو يعبر الشارع أو يلحق بطاكسي، ويدعي بأنه لا يهمله ذلك، ويعتبرهم مساكين همهم الوحيد هو إتباع القوانين والحرص على الدفاع عن الوطن، فهم بالنسبة له في سجن ويحمون السجن، حيث يرى أن الوطن والدين والدولة والضوابط والقوانين هي سجون، وهم يقومون بحمايتها، فيعبر ضمير (

¹ المصدر نفسه: ص 99.

الأنا) هنا عن التمرد والحرية والشجاعة، بينما يعبر ضمير (الهُم) عن الخداع والمكر والقيود، لتكون العلاقة بين رجال الشرطة والراوي هي علاقة اتصالية كونهم يقومون بالحقاق به ومراقبته.

تقول طفلة الراوي المدللة:

>> حبيبي، وما دمعتي تنهار فجأة وقد أعياها التحدي، وأنى لها أن لا تبوح وأنت تجلدها بصقيع نسيانك وتعاليك، وأنى للحصون والسجون تمنع روحك من أن تخترقها، وأنت الذي تحديت حصون الكون وسجونه، مالك أيها الحبيب لا تشرق على قلبي وقد انتظرتك على عتبات أحلامي أياما وليالي طوالا، وكم كانت المحطات باردة باهتة من دونك، فأشرق عليّ قبل أن يكفني الصقيع، ويسرق مني بسمة الحياة، قبل ... <<¹.

استخدمت طفلة الراوي المدللة في خطابها ضميرين هما: ضمير المتكلم (الأنا) غير المباشر والمضمر وضمير (الأنت) المباشر، لتعبر عن اشتياقها ووجعها، حيث استهلّت رسالتها بحبيبي، فهي تنسب الراوي إلى نفسها وتعتبره جزء منها، كون الحب يعطي لصاحبه القدرة على التملك ليصبح الراوي من خصوصياتها وملك لها، وبما أن الدموع تنزل من مقلتيها فهي تستخدمها للحديث عن إحساسها وتعبها وانهارها، وهو يعذبها بنسيانها وتعاليتها، فضمير (الأنا) الذي يعود على طفلة الراوي المدللة وضمير (الهَي) الذي يعود على دموعها كلاهما يعبران عن الحالة النفسية التي تمر بها، لتكون العلاقة بين الطفلة المدللة والراوي تواصلية؛ لأنها لا تستطيع الصبر على غيابه وتلومه لأنه لم يستطع الخروج من أسوار السجن والذهاب إليها.

تعتقد طفلة الراوي المدللة بأن الراوي لا يحبها، فلو كان يحبها حقا لما ترك هذه الحواجز تحول دون رؤيتها، خاصة وأنها تعودت على تمردة على كل الحواجز والعراقيل التي تقف أمامه، ولقد جاء ضمير (الأنت) في أغلب الأحيان مباشرة وواضحا، حيث عمدت طفلة الراوي المدللة إلى استخدامه كضمير، وأحيانا تذكر الراوي فنقول: " حبيبي " " أيها الحبيب "، إلا أن هذا المُخاطب متعال ونسي وجودها، وعلى الرغم من أنه عنيد ومتحرر إلا أنه لم يفعل شيئا من

¹ المصدر نفسه: ص 109.

أجلها، فالعلاقة بين الراوي وطفله المدللة هي علاقة انفصالية كونه يشعرها بالوحدة وعدم الاهتمام.

يقول قلقامش موجها خطابه إلى عشتار:

>> ما أنتِ إلا موقد سرعان ما تخدم ناره في البرد

أنتِ باب لا ينفع في صدِّ ريح عاصفة

أنتِ قصرٌ يتحطم في داخله الأبطال

أنتِ بئر تبتلع غطاءها

أنتِ حفنةٌ قيرٍ تلوّث حاملها <<¹.

إن هذه المقولة هي مقولة مشهورة خاصة بقلقامش موجهة إلى الإلهة عشتار، ولقد جاء ضمير المخاطب (أنتِ) مباشرا ومكررا، يرمي من خلاله قلقامش إلى إبراز صفات عشتار السيئة، حيث يخبرها بأنها ضعيفة غير دافئة وماكرة وشريرة وملوثة، كل هذه الصفات السلبية يحملها ضمير المخاطب (أنتِ)؛ إذ شبهها قلقامش بالموقد الذي تنتهي مهمته في فصل الشتاء؛ بمعنى أنه لا مبادئ لها ولا يمكن الوثوق بها، كما شبهها بالباب الضعيف الذي لا يحمي صاحبه من الريح، فيمكن للريح كسره بسهولة؛ بمعنى أنها ضعيفة لا قوة لها، كما يقول بأنها قصر من الخارج جميل، ولكنه من الداخل دمار يقضي على كل شخص نبيل يدخل إليه، وهي بئر وحفنة قير تبتلع كل من قدم لها يد المساعدة، وتلوّث كل من اقترب منها.

جعلت هذه الصفات السلبية العلاقة بين قلقامش والإلهة عشتار علاقة انفصالية؛ لأنه يحتقرها ولا يثق بها، بل ويشمئز من رؤيتها رغم أنها جميلة وتدعي الدفاء والحنان والستر، فيحيل ضمير (الأنتِ) على كل ما هو سيئ، وغير مقبول ومنقّر، وعلى الرغم من أن الراوي يتحدث

¹ المصدر نفسه: ص 140.

عن شخصيتين أسطورييتين وخرافيتين إلا أنه يذهب بالمتلقي إلى عالم متخيل، يرمي من خلاله إلى الحكم على بنات حواء بأنهن مثل عشتار جميلات من الخارج وسيئات من الداخل.

جاءت الإشارات الشخصية في هذه الرواية - رواية هاء وأسفار عشتار - مضمرة في أغلب الأحيان، كما جاءت معظم الضمائر للغائب، ربما يعود السبب وراء ذلك إلى سرد الراوي لأحداث يفترض بأنها جرت معه بالفعل أمام متلقي مجهول قد يكون قارئاً أو مستمعا، حاضرا معه أو غائبا، بعيدا عن الحوار المباشر الذي يفرض حضور ضمائر المتكلم والمخاطب بكثرة، إلا أن الضمير الوحيد الذي ظهر كثيرا من بين ضمائر المتكلم هو ضمير (الأنا)؛ لأن الراوي يتحدث عن حياته، ونجد بين الفينة والأخرى حوارا داخليا بين الراوي ونفسه، لأن الحوار لم يكن موجودا إلا في حالة واحدة وهي: الحوار أحادي الطرف.

ننتقل الآن إلى الحديث عن الإشارات المكانية، التي زخرت بها رواية (هاء وأسفار عشتار)، وسيكون ذلك باختيار عدة نماذج، ودراستها وتبيين مدى ظهورها في الرواية، وما هي أكثر الإشارات المكانية استخداما.

4- الإشارات المكانية:

إن الإشارات المكانية هي تلك الإشارات >> التي تحيل على أماكن يُعتمد في استخدامها وتفسيرها على معرفة المخاطب وقت التلفظ أو على مكان آخر معروف للمخاطب، ويستلزم لتحديده معرفة العنصر الإشاري من جملة الجهة أو القرب ثم الوقوف على ما تحيل إليه بالقياس إلى مراكز الإشارة للمكان، أي السياق المادي الذي قيلت فيه <<¹.

تتمثل الإشارات المكانية في: >> أسماء الإشارة، التي يشار من خلالها إلى مكان المتكلم وأكثرها شيوعا (هي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة

¹ حمادي مصطفى: تداولية الإشارات في الخطاب القرآني مقارنة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، ع 26، سبتمبر 2016، الصفحات 63 - 73، ص 67.

المكانية، ومن المتكلم، وكذلك هنا وهناك، وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل أمام وخلف وفوق وتحت وغيرهم).

إن للمخاطب علاقة قوية بالمكان عند ولادة الخطاب، لذا كان لزاماً أن تسهم الإشارات المكانية مساهمة فعالة في تحديد موقع الخطاب، وبما أن المخاطب هو المعني بالخطاب لذا يجب أن يكون على معرفة تامة باتجاه المخاطب وموقعه <<1.

إن الإشارات المكانية حاضرة بكثرة في رواية (هاء وأسفار عشتار)، حيث ترتبط بالأماكن المذكورة (البيت، السجن، الحديقة، الطبيعة ... الخ)، فمن خلال السياق الذي ذكرت فيه يفهم المتلقي الخطاب، ويفهم قصد المتكلم من وراء توظيفها.

النموذج الأول:

>> وفجأة اندفع حولي خمسة سجانين راحوا يتكاثرون حتى ملأوا الساحة، راح بعضهم يمطط بدني فتستطيل أطرافي بشكل عجيب، حتى تبلغ سور السجن من جهتيه، كنت أتأمل بدني وقد ملكتني الدهشة، هل يمكن للبدن أن يكون لنا إلى هذه الدرجة فيمطط إلى هذا الحد، وقفز سجانون آخرون فربطوا قدمي وكذا يدي إلى جذوع الأشجار، فصرت أشبه بأرجوحة صيفية رخوة، وعجل العشرات من السجانين يمتطونها، بينما راح الآخرون يدفعونها إلى الأمام وإلى الخلف، حتى تتجاوز سور السجن السامق، وكنت أستطيع أن أرى الشوارع بيسر، كانت فارغة تماماً من المارة إلا عيوننا متلصصة تظل تظهر وتختفي من أماكن مختلفة، خيل إلي أنها عيون غريمي وهي تترصدني في كل مكان <<2.

يرتبط السجن كمكان بالتلفظ، حيث يملك بعداً تداولياً ووراءه قصد، فلم يكن السجن هو ذلك المكان الذي حبس فيه الراوي فقط، بل يمثل بالنسبة له أكثر من مجرد مكان يسلب الحرية، كما

¹ حمادي خلف مسعود: تداولية الإشارات في شعر النابغة الذبياني، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ع 38، 2020، الصفحات 24 - 38، ص 29.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 14.

يَعْتَبَر الكون في حد ذاته سجن، فالدين والعادات والتقاليد والبلد والوطن والأمة وتلك الضوابط والقوانين التي تحكم المجتمع كلها سجون، فالسجن بالنسبة له يتجاوز ضيق المكان والفضاء المغلق، ليكون عقيدة تؤدي إلى العبودية.

ذكر الراوي في هذا النموذج عدة أماكن (الساحة، سور السجن، السجن، الشوارع، أماكن مختلفة، في كل مكان)، كما ذكر اسمي الإشارة المتمثلين في: (هذه، هذا)، في قوله: " هل يمكن للبدن أن يكون لنا إلى هذه الدرجة فيمطّط إلى هذا الحد "، والمرتبطان بالمكانين (السجن وسور السجن)، يحيل اسما الإشارة على الحدود التي يمكن أن يصل إليها جسد الراوي، وهذه الحدود هي مساحة السجن، والتي تكون من جهة سور السجن إلى جهته الأخرى، إذن فإن الراوي استخدم إشارتي المكان (هذا وهذه) لكي يدل على مساحة السجن.

يدل توظيف الراوي لظرفي المكان (الأمام، الخلف) على أن ساحة السجن التي خصصت لفسحة المساجين باتت ضيقة، حيث رأى الراوي في منامه أنها تعج بالسجانين الذين نسخوا إلى عدة نسخ، ويعتبر هذا تصورا عقليا، فساحة السجن بالنسبة له هي سجن أيضا وفضاء ضيق، فكل الأماكن في السجن متشابهة، رغم أنه تمكن من الوصول إلى سور السجن بفضل جسمه الذي بات يشبه الأرجوحة ويتضح ذلك في قوله: " فصرت أشبه بأرجوحة صيفية رخوة، وعجل العشرات من السجانين يمتطونها، بينما راح الآخرون يدفعونها إلى الأمام وإلى الخلف، حتى تتجاوز سور السجن السامق ".

يشير ظرفي المكان (الأمام والخلف) إلى المكان الذي يمكن للراوي أن يصل إليه وهو الشارع من خلال تمطيط السجانين لجسمه طولا وعرضا، إلا أن الشارع كان فارغا من المارة فرغم أنه واسع وفسيح إلا أنه موحش، تظهر فيه عدة عيون متلصقة من أماكن مختلفة، وترجمها بأنها عيون غريمه التي تنرصده في كل مكان.

رغم اختلاف الأماكن بين الضيق والانتساع إلا أنها تمثل نفس الإحساس بالضيق والخوف، ففي السجن يوجد السجانون الذين يكبحون حرّيته، وخارج أسوار السجن يوجد الشارع

حيث غريمه والوحشة، فكل الأماكن في هذا المثال التي تشير إليها الإشارات المكانية (هذه، هذا، الأمام، الخلف) هي رضوخ للعبودية وانقياد وانكسار وذبول وخوف واضطراب، فالراوي يعيش حالة نفسية صعبة، فهو يرى بأن أسوار السجن تمنعه من الخروج إلى الشارع، ويرى بأن الشارع هو أيضا فراغ قاتل؛ لأنه لا أحد سينتظره عند خروجه من السجن سوى الحاقدين والذين يتمنون له السوء، وكأنه يقول بأن حب طفلته المدللة له وحده لا يكفي؛ لأنه لا يوجد خارج السجن سوى أعدائه.

النموذج الثاني:

>> ولمعت في نفسي فكرة شيطانية، بخفة جمعت الخاتمين معا وتسللت إلى الحديقة، وفي زاوية منها عجلت أحفر حفرة بعمق ذراعي، ثم أودعتها الخاتمين معا، وضعت فوقهما حجرة مرمر صغيرة، ثم أهلت التراب مبالغا في رصّه، وتنفست بعمق، كأني أزحت عن كاهلي حملا ثقيلًا، لقد حررتهما الآن من قيد ظل يلازمهما زمنا.

انعطفت إلى الجانب الخلفي من الحديقة فغسلت يديّ جيدا، وتسللت إلى غرفتي دون أن يفتن أحد إلى فعلتي <<¹.

ذُكرت الحديقة كمكان لتجعل المتلقي يبحث عن الشيء الذي سيرتبط بها، فبمجرد قول الراوي: " ولمعت في نفسي فكرة شيطانية، بخفة جمعت الخاتمين معا وتسللت إلى الحديقة " هناك دليل على نيته في فعل أمر أو شيء معين، وبالتالي فإن الحديقة في هذا النموذج لم تكن مكانا عاديا، فهي المكان الذي سيشهد على فعلة الراوي المشينة، وسيشهد على سرقة الخاتمين اللذين قام بإخفائهما في زاوية منها، حيث قام بحفر حفرة ووضعها فيها، فتعتبر الزاوية مكان كما تعتبر الحفرة مكان أيضا، وكأن الراوي انطلق من العام إلى الخاص من الحديقة كمكان واسع إلى الزاوية كجزء بسيط من هذه الحديقة إلى الحفرة التي تعد جزءا بسيطا من هذه الزاوية، ليأتي مكان آخر وهو فوق الخاتمين ليكون أصغر مكان في هذه الحفرة.

¹ المصدر نفسه: ص 18.

جاءت الإشارة المكانية (فوق) في قول الراوي: " وضعت فوقهما حجرة مرمر صغيرة، ثم أهلت التراب مبالغا في رصّه " ليشير من خلالها إلى المكان الذي سيخفي فيه سره المتمثل في سرقة الخاتمين، إن كل هذه الأماكن المذكورة آنفا (الحديقة، الزاوية، الحفرة) لم يكن ذكرها عبثا، بل تضافرت لتكون المكان العام الذي مارس فيه الراوي جريمته في حق والديه، وكلها أماكن مرتبطة بالإشارة المكانية (فوقهما)؛ لأن حجر المرمر الصغير الذي وضع فوق الخاتمين هو الوسيلة التي غلق بواسطتها الحفرة التي أخفى فيها الخاتمين، وذكرت هذه الإشارة المكانية لطمس الجريمة التي قام بها الراوي.

الملاحظ في هذا النموذج أن الأماكن تعددت، وأنها عناصر مساعدة للراوي لا عناصر معارضة له، فاختار الحديقة لتكون المكان المناسب لإخفاء الخاتمين، واختار زاوية معينة وحفر بها حفرة ووضع فوق الخاتمين حجر مرمر صغير، وتسلسل إلى غرفته خلصة عن والديه حتى لا يشكأن بأنه وراء اختفاء الخاتمين، ولا يوجد أي عنصر معارض للراوي بين هذه الأماكن، فكلها أماكن مساعدة ومساندة، فتتبع هذه الأماكن تداوليا أفضى إلى وجود إشارة مكانية، كانت هي المشير إلى الموقع الحقيقي للخاتمين وهو تحت حجرة المرمر، لتكون الإشارة المكانية الظاهرة هي: فوق الخاتمين والإشارة المكانية المخفية هي: تحت حجرة المرمر، وهي النتيجة التي سيتوصل إليها قارئ الخطاب أو المتلقي للخطاب، ولأن والديه لا يشكأن فيه فلن يخطر ببالهما أن الخاتمين مخفيان في الحديقة.

النموذج الثالث:

>> فركت عيني جيدا وقمت، لعلي توهمت، أتى للقط أن يكون كذلك؟ وأنى له أن يفعل ذلك؟ لم يكن الأمر غير مصادفات وأوهام، ولكنه أيضا قد يكون غير ذلك مطلقا، فالحياة تكظم أسرارها لا

تفقه عقولنا الصغيرة منها إلا بنسبة حبة رمل في صحراء عملاقة، يقينا مازلنا نحبو على درب المعرفة لم نخط فيه إلا خطوات ومازلت أمامنا ملايين الخطوات <<¹.

ذكر الراوي المكان وهو صحراء كبيرة، ليثبه معرفتنا لأسرار الحياة بحبة الرمل، فذكره للصحراء بالتحديد له بعد تداولي؛ إذ كان بإمكانه أن يذكر مكانا آخر أو أن يقول بقدر إبرة في كومة قش، وأختار الصحراء بحكم طبيعتها القاسية، حيث تمتاز بالحرارة الشديدة وندرة المياه ووجود السراب الذي يوهم الشخص فور إحساسه بالعطش الشديد بأنه ماء، فيهيم في الصحراء باحثا عنه، إضافة إلى أن لون حبة الرمل ذهبي مما يعني أنه لون براق وجذاب.

تخفي الصحراء تحت رمالها الذهبية العقارب والثعابين، كما أنها كالمناهة يصعب السير فيها دون مرشد أو معرفة للطريق الصحيح، ولهذا فإن عابرها يموت عطشا أو هائما فيها بحثا عن طريق للخروج منها.

يرتبط هذا المكان (صحراء عملاقة) بظرف المكان (أمامنا) في قول الراوي: " يقينا مازلنا نحبو على درب المعرفة لم نخط فيه إلا خطوات ومازلت أمامنا ملايين الخطوات "، فكلمة (أمامنا) هي الإشارة إلى المكان الذي يمكن للمتلقي أن يعرف مميزاته، فالمكان الذي ذكر قبل ظرف المكان (صحراء عملاقة) لديه نفس مميزات ملايين الخطوات، والمقصود بالخطوات هي مكان وضع الرجل أثناء السير في الطريق، فكل خطوة هي مكان.

يرمي الراوي إلى القول بأننا مازلنا لا نعرف شيئا عن المعرفة؛ لأننا لازلنا في البداية، وكل ما تعلمناه في هذه الحياة هو شبيه بالصحراء العملاقة مجرد أوهام وسراب، يبين التشبيه القائم بين معرفة الإنسان لأسرار الحياة وحبة الرمل في صحراء كبيرة، أن هناك أمور كثيرة نجهلها من بينها اعتقاد الراوي أن القط الذي وجده أمامه يشبه جده مصباح، من خلال تصرفاته وملامح وجهه، فقد كان رافضا - في البداية - لما يسمى بتناسخ الأرواح، ولكنه سرعان ما غير رأيه بقوله بأن كل شيء وارد في هذه الحياة، فهناك أمور غيبية نجهلها، وربما يكون تناسخ الأرواح هو

¹ المصدر نفسه: ص 23.

حقيقة وليس وهما، فجاء المكان وهو الصحراء الكبيرة كعنصر مساعد للراوي، حتى يستطيع إيصال فكرته إلى المتلقي، فالمكان هنا ليس مكانا عاديا بعده منطقة، بل له دلالة في الاستعمال ووراءه قصد.

إن ربط هذا المكان بالإشارة المكانية (أمانا) يجعلها تحيل على البعد وليس القرب، فرغم أن الإشارة المكانية (أمانا) تدل على القرب إلا أن المكان الذي ذكر قبلها - صحراء عملاقة - بعيد كل البعد عن مكان تلفظ الراوي، وبالتالي بما أنه تحدث عن الصحراء العملاقة فظرف المكان (أمانا) تغيرت دلالاته بحسب السياق الذي ذكر فيه، حيث بات يدل على مكان بعيد، ربما لن نتمكن من الوصول إليه، والغرض منه هو تبين أن المعرفة نسبية وليست مطلقة؛ لأنه وإن اعتقدنا بأننا بتنا عارفين فإننا سنكتشف بأننا لا نعلم شيئا عن الحياة، مثل ظرف المكان (أمانا) الذي يدل على القرب كما سبق وأشارنا، فالدلالة هنا غير ثابتة وتتغير وفق السياق، وكذلك هي المعرفة.

النموذج الرابع:

>> وأسرعت أجز طفلي المدللة إلى الحقل الواسع، حيث الخضروات المتنوعة، وحيث زريبة الدواجن التي كانت مفاجأة كبرى لها. وغرقنا داخلها نحاول أن نرتب لكل صنف مساحة خاصة به. ننظفها ونضع لها معالمها الصارمة، غير أن كل محاولتنا باءت بالفشل <<¹.

إن المكان مقدس لدى الراوي ويحسن استخدامه في الحكى، فالراوي في هذا النموذج في حالة استرجاع لذكرياته مع طفله المدللة، التي تسلل رفقتها خارج المدرسة، من أجل الذهاب إلى الحقل الواسع، استخدم الراوي ظرف المكان (حيث) ليربط بين ما قبله وما بعده، فربط بين الحقل الواسع وزريبة الدواجن، حيث بات للمكانين بعدا تداوليا. ولقد عمد الراوي إلى توظيفهما لأنهما عنصرين أساسيين في الحكى، فالحقل الواسع هو المكان الذي ستجد فيه طفله الراوي المدللة سعادتها من خلال استمتاعها برؤية الخضروات المتنوعة، أما الزريبة فهي مكان عيش الدواجن،

¹ المصدر نفسه: ص 31.

وتقع في هذا الحقل الواسع أين ستستمتع بترتيب كل صنف من الدواجن في مكانه الخاص به، أراد الراوي أخذ الطفلة المدللة إلى هذين المكانين من أجل الترفيه عنها، وهذا ما حدث بالفعل، حيث شعرت بالفرح والسعادة واعتبرت ذلك مفاجأة كبيرة بالنسبة لها.

إن تكرار ظرف المكان (حيث) في هذا النموذج، كان بغرض التأكيد على أن المكان الأول (الحقل الواسع) يحوي المكان الثاني وهو (زريبة الدواجن)، فالغرض من هذه الإشارات المكانية هو التأثير في القارئ، وجذب انتباهه إلى القصد من وراء توظيفها، كما يدل ظرف المكان (حيث) على سعادة الراوي وهو يحاول مفاجأة طفلة المدللة، بأخذها إلى الحقل الواسع وزريبة الدواجن، وربما يعود السبب وراء ذلك إلى عدم اعتيادها على مثل هذه الأماكن، والدليل على ذلك أنها لم تستطع ترتيب كل صنف من الدواجن في مكانه المناسب، ولهذا فهي تعتبرها تجربة فريدة من نوعها، وهذان المكانان هما عنصرين مساعدتين للراوي حتى يخرج طفلة المدللة من روتين المدرسة إلى جمال الطبيعة.

النموذج الخامس:

>> لم أكن أرى شيئاً، لكنني كنت أحس أنني مثبت بين شخصين ضخمين، كما كنت أحس بدوران السيارة عبر منحرجات مختلفة، وبسرعة السيارة التي تزداد أحيانا إلى حد كبير مما يعني أننا الآن خارج المدينة، ربما سأقاد إلى مركز معزول في مزرعة أو في سفح جبل أو في خلاء أو حتى في مدينة أخرى لا أعرف بالضبط، كل ما أعرفه أن السيارة قد توقفت بعد ما يقرب من نصف ساعة، تم سحبي بعنف حتى فقدت توازني وسقطت، كانت الأرضية إسمنتية باردة، تحاملت وقمت بصعوبة، تم دفعي بقوة أصعد درجات ملتوية، أحسست أن نورا بدأ يضيء المكان، كأننا خرجنا من قبو مظلم <<¹.

يسرد الراوي أحداثا جرت معه بالفعل إلى متلقٍ قد يكون حاضرا أو غائبا، ولقد وظف المكان بكثرة في هذا النموذج، الذي تعددت فيه الأماكن، ولم يكن توظيفها جزافا، بل كان لها بعدا

¹ المصدر نفسه: ص 64.

تداوليا يحمل قصد الراوي الذي وصف الأحداث بدقة على الرغم من أنه كان مغلق العينين، لا يستطيع رؤية شيء.

جاء ظرفا المكان (بين) و (عبر) لكي يكونا السبب في ذكر كل هذه الأماكن، فظرف المكان (بين) يحيل على وجود الراوي وسط مكانين أو شيئين أو شخصين أو اتجاهين، والواضح هنا أن مكان الراوي كان وسط شخصين، وقد اكتشف ذلك بناء على استخدامه لبصيرته، وظف الراوي أيضا ظرف المكان (عبر) ليعبر عن المكان الذي كانت تمر عليه السيارة، فمن خلال الدوران أدرك بأنها تسير في طريق منعرج، ويتضح ذلك في قوله: " أحس بدوران السيارة عبر منعرجات مختلفة "، فظرف المكان (عبر) يربط بين مكانين وهما: السيارة التي يركبها والمنعرجات المختلفة التي تسير فيها هذه السيارة.

استخدم الراوي من خلال ذكره لهذين المكانين البصيرة لاكتشاف الأماكن الأخرى، وكل هذه الأماكن المذكورة في هذا النموذج، هي تحصيل حاصل للإشارات المكانية المتمثلة في ظرفي المكان (بين) و (عبر)، كان مكان تواجد الراوي في البداية بين شخصين ليكون بعد ذلك وسط المنعرجات المختلفة، لتكون الأماكن الأخرى بناء على التخمين والبصيرة.

إن هذه الأماكن وإن كانت في بعض الأحيان أماكن وهمية إلا أنها ساهمت في الكشف عن أحاسيسه، والكشف عن الضيق الذي كان يحس به وهو في السيارة، التي تعد مكانا أيضا، وهذه الأماكن هي: (بين شخصين ضخمين، منعرجات مختلفة، خارج المدينة، مركز معزول في مزرعة، سفح جبل، خلاء، مدينة أخرى، السيارة، الأرضية، درجات ملتوية، المكان، قبو مظلم).

جعله المكان الأول؛ أي جلوسه بين شخصين ضخمين يحس بضيق المكان بينهما، وهذا الإحساس صادق؛ لأنه لو كان الشخصين نحيفان لكان المكان أكثر اتساعا، فيمكن القول أن تخمينه صائب، وكذلك الأمر بالنسبة لدوران السيارة في منعرجات مختلفة؛ لأن هذه المنعرجات المختلفة هي مكان يتمثل في الطريق الملتوي، فكون الراوي يحس بدوران السيارة فهذا يعني بأنه صائب في تخمينه وأن الطريق ملتوي فعلا، وكذلك هو الحال في تخمينه بأنه خارج المدينة فكون

السيارة تسير بسرعة فتخمينه صادق، إضافة إلى أنه يمكن معرفة المكان عندما يكون خارج المدينة وذلك باختفاء ضجيج المارة، بينما الأماكن المتمثلة في: (المركز المعزول في مزرعة، خلاء، مدينة أخرى) هي أماكن مبنية على الظن، فيمكن أن تكون إحداها صحيحة والأخرى خاطئة.

إن الفرق بين الأماكن الأولى يكمن في أنها مبنية على أدلة وبراهين؛ لأنها تؤدي إلى نتيجة حتمية وهو المكان ذاته، بينما الراوي غير متأكد من صحة تخمينه حول الأماكن الأخيرة؛ لأنه لا يدرك حقيقة المكان، فهي مجرد احتمالات مبنية على مكتسباته القبلية، في حين اتضح الأمر عندما تم سحبه بقوة ورميه على الأرض الإسمنتية الباردة، وهنا عرف المكان بأنه أرض إسمنتية لقساوته وخشونته، كما شعر بالنور يضيء المكان رغم أنه لا يزال مكانا مجهولا بالنسبة له.

إن جميع هذه الأماكن على اختلافها سواء أكانت معروفة للراوي أو مجهولة، أتت كعناصر معارضة له، فجميعها تعني كبح حريته والسبب وراء ضيق صدره، وستكون فيما بعد مساهمة في سجنه، فللأماكن في هذا النموذج بعدا تداوليا يفهم من سياق الخطاب وربطه بالإشارات المكانية (بين ، عبر).

النموذج السادس:

>> تذكرت اللحظة أصدقائي الذين حملتهم معي من السجن، عجلت إلى قسبة عنكوب ففككت أسره، حدق في لحظات ثم حث خطاه تجاه الزاوية، هل ذاك تعبير عن استيائه أم سعيا منه لبناء بيته الجديد؟ حملت القسبة الثانية وعدت إلى الحديقة وفي لحظات منحت لآلاف النملات حريتها فعجلت تتجمع تحت شجرة الياسمين حيث قبر مصباح¹.

¹ المصدر نفسه: ص 94.

يحكي الراوي في هذا النموذج عن أحداث معينة ربطها بأماكن معينة، إذ ربط المكان الأول وهو السجن بأصدقائه الذين حملهم معه فور صدور قرار خروجه منه، ويقصد بذلك مملكة النمل وصديقه عنكوب، ليكون المكان الثاني هو القصة التي جعلها مسكنا لعنكوب والنملات؛ إذ تمكن بواسطة قصبتيين من إخراجهم خفية من السجن، ليكون ظرف المكان (تجاه) واسم الإشارة (ذاك) من الإشارات المكانية، التي على القارئ محاولة ربطها بما جاء قبلها وما جاء بعدها، عندما يعنى المتلقي نظره في قول الراوي: " حرق في لحظات ثم حث خطاه تجاه الزاوية، هل ذاك تعبير عن استيائه أم سعيا منه لبناء بيته الجديد ؟ " سيصل إلى نتيجة واحدة وهي أن عنكوب يريد تأسيس بيت جديد؛ لأن ظرف المكان (تجاه) يعود على (خطاه) واسم الإشارة (ذاك) يعود أيضا على خطاه التي كانت خطوات سريعة، فتدل تلك السرعة على أنه يرغب في بناء بيت جديد؛ لأنه لو كان مستاء حقا لمشى بخطوات متناقلة.

إن توظيف الراوي لظرفي المكان (تحت) و (حيث) في قوله: " حملت القصة الثانية وعدت إلى الحديقة وفي لحظات منحت لآلاف النملات حريتها فجعلت تتجمع تحت شجرة الياسمين حيث قبر مصباح "، يجعلان من النملات مرتبطات بعدة أماكن، حيث كان المكان الذي قبلهما - ظرفا المكان - (القصة الثانية) مسكنا مؤقتا لها، وما بعدهما (شجرة الياسمين) و (قبر مصباح) المسكن الثابت لها، حيث ستستقر هناك أسفل شجرة الياسمين وقرب قبر القط مصباح.

إن هذه الأماكن (السجن، القصة، الزاوية، بيته الجديد، القصة الثانية، الحديقة، شجرة الياسمين، قبر مصباح) كلها عناصر مساعدة للراوي ولعنكوب وللنملات، فعلى الرغم من أن السجن كبح حرية الراوي، وكان عنصرا معارضا له إلا أنه أضى عنصرا مساندا كونه سمح له بالتعرف على أصدقائه، وهم عنكوب والنملات، وكذلك جاءت القصبتيان مساعدتان له وللنملات وعنكوب، حيث استطاع من خلالهما إخراجهم من السجن، واستطاع أن يظل قريبهم ليعتني بهم، أما الزاوية فهي عنصر مساعد لعنكوب حتى يصنع بيته الجديد، والبيت الجديد هو عنصر مساعد

له حتى يستقر، أما الحديقة وشجرة الياسمين وقبر مصباح فهم عناصر مساعدة للنملات حتى تبني مملكتها الخاصة.

يمكن القول أن جميع هذه الأماكن ارتبطت بالإشارات المكانية التي لعبت دورا مهما في سرد هذه الأحداث، وربط كل من عنكوب والنملات بمكانهم المؤقت والدائم، كما أن الراوي عمد إلى توظيفها ليعبر عن سعادته وهو قرب نملاته وعنكوبه، ولهذا فهو يصف من خلال الإشارات المكانية كل الأماكن بالتفصيل.

النموذج السابع:

>> ما كنت أتوقع وأنا أدخل بوابة الجامعة أن ألحظ من بعيد هذا الحشد الكبير من الشبان في انتظاري، حتما هم علموا بموعد إطلاق سراحي حتى قبل أن أغادر السجن، ولكن تجمعهم ها هنا لم يكن إلا بوحى من طفلي المدللة، وكان مدخل القاعة يعج بعشرات اللافتات الداعية إلى الحرية <<1.

لقد رُبط المكان في هذا النموذج باسم الإشارة (هذا) وظرف المكان (هنا)، اللذين لهما دلالة في الاستعمال، إضافة إلى أنهما من الإشارات المكانية؛ إذ يرتبطان بالمكان الذي قبلهما (بوابة الجامعة) والمكان الذي بعدهما وهو (السجن)، رغم أن بوابة الجامعة والسجن مكانين مختلفين من حيث الوظيفة والدلالة؛ حيث يشير الراوي إلى أن الجامعة هي المكان الذي يجتمع فيه الطلبة للبحث عن الحرية، حرية الفكر والاكتشاف والبحث وإمعان الذهن والتأمل والنتقف، بينما السجن هو المكان الذي تُكبح فيه الحريات، فالسجن هو نوع من أنواع العبودية؛ لأن الشخص المسجون لا يملك حرية التصرف أو البحث، كل ما يستطيع فعله هو تلقي الأوامر وتنفيذها، وإن خالفها تعرض إلى العقوبة، وعليه أن يتحمل وزر أفعاله، بينما الجامعة تفتح آفاقا كبيرة للطالب أو الأستاذ حتى يكتشف ويتعلم، وإن كانت بدورها لها قوانين تضبطها، فالحرية تبقى نسبية.

¹ المصدر نفسه: ص 99.

إن الراوي هذه المرة لا يسرد أحداثا جرت معه بالفعل، بل يتوهم بأن هناك حشد كبير في انتظاره أمام بوابة الجامعة بناء على طلب طفلة المدللة، ولقد ذكر في هذا النموذج عدة أماكن تتمثل في: (الجامعة، السجن، مدخل القاعة)، وجاءت هذه الأماكن مساعدة للراوي، فخروجه من السجن سمح له بأن يذهب إلى الجامعة، وأن يرى أمام مدخل القاعة حشد من المشجعين الذين كانوا ينتظرونه، فكل الأماكن مرتبطة تداوليا بالإشارات المكانية (هذا) و (هنا)، وكانت جميعها مساعدة له بما في ذلك السجن؛ إذ أن السجن بالرغم من كونه عنصرا معارضا له إلا أنه بات عنصرا مساندا له؛ لأنه أثبت للراوي مكانته لدى أتباعه الذين استقبلوه بالهتاف واللافتات، وإن كان هذا الأمر وهمي من صنع خياله ولا أحد يتذكره أو يتقصى أخباره.

النموذج الثامن:

>> لكن قلقامش قام وسار فلحقت به، كمريد مخلص يبحث عن الخلاص، وأدرك هو هذا فاقترح عليّ اقتراحا عجيبا، وهو يشير إلى مكان بعيد، دعاني أن أحفر بحرا وأجري إليه سواقي من ينبوع بكرة، تتدفق من أعماق الأرض حيث ثلوج القمم الذهبية في السماء، حتى إذا امتلأ البحر وأشرفت الشمس تبخرت المياه، وتنزلت أمطار غزيرة غسلت الأرض والإنسان فأعادته إلى بكارته، ونقته مما لحق به من بؤس علومه وفلسفاته وأديانه <<¹.

يعود الراوي بالمتلقي للخطاب إلى عالم الأساطير حيث التقى بقلقامش، هذا الأخير الذي قام وسار ليلحق به الراوي طلبا للخلاص، ولأن قلقامش يدرك رغبة الراوي الجامعة في العودة إلى آدميته، ظهر اسم الإشارة (هذا) في قوله: " وأدرك هو هذا فاقترح عليّ اقتراحا عجيبا، وهو يشير إلى مكان بعيد "، فاسم الإشارة أحال المتلقي على ذلك المكان البعيد الذي لن يصل إليه الراوي بسهولة، ولأنه يدرك أنه لن يستطيع وحده الوصول إلى المكان المرتبط باسم الإشارة (هذا) قرر اللحاق بقلقامش.

¹ المصدر نفسه: ص 145.

إن في هذا الخطاب السردى عدة اقتراحات أشار إليها قلقامش وهي: دعوته لأن يحفر بحرا ويجري إليه سواقي من ينابيع بكرة، تتدفق من أعماق الأرض، وربط هذا المكان بالإشارة المكانية (حيث) والتي تعد ظرف مكان، إذ يقول: " تتدفق من أعماق الأرض حيث تلوج القمم الذهبية في السماء "، فترتبط الإشارة المكانية بالمكان الذي ذكر قبلها (الأرض) والمكان الذي ذكر بعدها (القمم الذهبية في السماء) أين تتواجد بها الثلوج التي تتساقط من السماء، والتي تدوب فتملأ البحر الذي حفره الراوي بيديه، فيؤدي امتلاء البحر إلى سقوط الأمطار بفعل التبخر، وهذه الاقتراحات بالنسبة للراوي مستحيلة؛ لأنه لا يملك القدرة على تنفيذها، فكيف لإنسان مسخ ذئبا أن يقوم بكل هذا ؟.

يأتي المكان البعيد الذي أشار إليه قلقامش والأرض التي ذكرت مرتين، المرة الأولى بكونها يخرج من أعماقها الماء، بينما المرة الثانية تُغسل بالأمطار الغزيرة التي سقطت نتيجة تبخر تلك المياه النابعة منها، وكذلك القمم التي تكسوها الثلوج والذاهبة في السماء كعناصر معارضة للراوي؛ لأن قلقامش جعلها تعجيزا له حتى لا يعود إلى آدميته، ومع ذلك فقد ساهمت الإشارات المكانية (هذا) و (حيث) في إيصال قلقامش رسالته إلى الراوي، وإيصال الراوي رسالته إلى المتلقي للخطاب، وبالتالي يفهم المتلقي أيضا القصد من ذلك وهو الرضوخ للعبودية التي يمارسها القوي على الضعيف.

تنوعت الإشارات المكانية في هذه الرواية بين أسماء الإشارة وظروف المكان، وارتبطت بأماكن محددة تُستخرج من النسق ولها علاقة بالسياق الخارجي للتلفظ، حيث جعل الروائي عز الدين جلاوجي الأماكن تتضافر مع الإشارات المكانية، لتشكل خطابا يحمل رسالة موجهة للمتلقي وعلى المتلقي فك شفراتها.

تكون الدلالة في أغلب الأحيان مضمرة وتحتاج إلى تفسير وتأويل، وبما أننا استخرجنا الإشارات الشخصية والإشارات المكانية من الرواية، وحددنا بعض الأمثلة التي تخدم دراستنا،

فعلينا أيضا استخراج الإشارات الزمانية، والتي لها علاقة وثيقة بالإشارات المكانية واستنتاج النص الذي بين أيدينا من خلالها.

5- الإشارات الزمانية:

>> يعد الزمن ضربا من ضروب الحياة المادية، الذي ينمُّ بواسطته تحديد عمر الأشياء، ومعرفة وقوعها ودلالاتها التي وجدت لأجلها، ولهذا الأمر لا نستطيع تجاهله، فهو معني في تسجيل كل الأحداث التي تطرأ على الإنسان وغير الإنسان.

يدخل الزمن في جميع مفاصل الحياة البشرية، وبما أن الأدب نتاج بشري، فهو الآخر يدخل في كل موضوعاته ليساعده في كشف معاني الخطاب، إذ إن الجهل به يؤدي إلى التباس المعنى على القارئ¹.

يتطلب الخطاب الأدبي أو السردى بهذا المفهوم وجود الزمن الذي كتبت فيه الأحداث، حتى يتم تحديد دلالاته؛ لأن القارئ للخطاب لن يتمكن من تحديدها في حين كان زمن الأحداث مغيب، والجهل بزمن الكتابة يجعل القارئ يدخل في سوء الفهم؛ لأن توظيف الزمن في الإنتاج الأدبي بصفة عامة ضروري وحتمي، حتى يتمكن الكاتب أو الروائي من إيصال قصده للقارئ، وكذلك ينطبق الأمر على الخطاب الشفهي، ولمعرفة زمن التلفظ في الخطاب سواء أكان شفويا أو مكتوبا، وجب على الكاتب أو الروائي أو المتكلم أن يوظف قرائن لغوية تدل عليه تسمى بالإشارات الزمانية، وعلى القارئ أو المستمع ربطها بالسياق الذي وردت فيه.

>> تعتبر الإشارات الزمانية من الإشارات التي تدل على زمن يحدده المقام الذي ترد فيه؛ لأن زمن التكلم يعتبر مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فقولنا مثلا: نلتقي الساعة العاشرة، يعد زمنا غير محدد، والذي يحدد ذلك هو زمن التكلم وسياقه، فيعرف المقصود بالساعة العاشرة صباحا، أو مساء من هذا اليوم، أو اليوم الذي يليه، ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية

¹ حمادي خلف سعود الركابي: تداولية الإشارات في شعر أبيد ربيعة العامري، مجلة الدراسات المستدامة .. السنة الثالثة، مج 03، ع 04، 2021، الصفحات 754 - 779، ص 765.

الزمانية وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً، لا بدّ من أن يُدرك المخاطب لحظة التلفظ، حتى يتمكن من اتخاذها مرجعاً يحيل عليه، فيتمكن من تأويل الخطاب اللغوي استناداً على معرفتها <<1.

إن رواية (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوي) غنية بالإشارات الزمانية التي تتحكم في سير الأحداث، ومن بين هذه الإشارات الزمانية: الإشارات الزمانية المباشرة والواضحة مثل خمس سنوات، ستين شهراً، والإشارات الزمانية المضمرة مثل جنح الظلام، جل ذلك اليوم، وللتوضيح أكثر وجب دراسة بعض النماذج، والبحث عن الإشارات الزمانية المباشرة والمضمرة؛ أي غير المحددة بالتفصيل، وعلى القارئ الحدق الوصول إلى الزمن الحقيقي للحكي من خلال ربطها بالسياق والموقف.

النموذج الأول:

>> كنت متعباً جداً يلف اليأس قلبي كأنه سلك معدني شائك، فأحس برجفة دامية في كل جسدي، قضيت في هذا المكان أكثر من خمس سنوات، أقصد ستين شهراً وثلاثة عشر يوماً وخمس ساعات وبضع دقائق، تجاوزت الآن الستة والعشرين شتاء، كأنها القرن، فلماذا يريدونني أن أغادر هذا المكان وقد ألفتته <<2.

تُربط الإشارة الزمانية الحوار بالتلفظ وهذا الحوار هو حوار أحادي بين الراوي المتكلم والمخاطب المجهول، الذي يمكن أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان، وفي هذا النموذج توجد مدة محددة معلومة لدى الراوي تتمثل في مدة مكوثه في السجن الذي تعود عليه، وهي أكثر من خمس سنوات فلم تكن المدة محددة تماماً، ولكنه استأنف السرد بقوله بأنها ستون شهراً وثلاثة عشر يوماً وخمس ساعات وبضع دقائق.

¹ نهلة حسين طه: تداولية الإشارات في قصة موسى (عليه السلام)، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، ع 01، 2020، الصفحات 45 - 56، ص 51.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار ص 12.

يدل تحديد الزمن في الخطاب التلظي على مدى قسوته على الراوي، ومدى انتظار الراوي لاستيفاء مدة حكمه، فعلى الرغم من تَعُوده على المكان إلا أنه كان ينتظر ذلك اليوم الموعود الذي سيخرج فيه من عبودية السجن وتلقيه للأوامر، وهو الشخص الذي قضى حياته يدعو إلى التمرد على كل شيء، فمن غير المنطقي أن يرغب في المكوث أكثر في السجن، ليأتي زمن الآن في قوله: " تجاوزت الآن الستة والعشرين شتاء "، فزمن الآن هو زمن لحظة التلظ والتمربطها بفصل الشتاء؛ لأن الشتاء بارد لا دفء فيه، فالراوي يعبر عن الظروف القاسية التي مر بها وهو في السجن، فكان بمقدوره أن يقول الستة والعشرون صيفا أو خريفا أو ربيعا.

لقد عبر الراوي عن المدة الزمنية التي قضاها في السجن بزمن آخر وهو القرن، حيث أن القرن يعادل المئة سنة، وهي مدة كبيرة جدا يصبح فيها الرضيع شيخا على بساط الموت، فالقرن كزمن لا يمثل زمن السرد ولا زمن التلظ بل يمثل زمن مكوثه في السجن والتي تعادل في نظره المئة سنة.

النموذج الثاني:

>> وألبستها الخبيات المتكررة قناعا من حزن قاهر، أخرجها منه والدي حين اقترح عليها أن يشتريا خاتمين جديدين، ليجددا عهد الحب بينهما في حفل يقيماه بمناسبة ذكرى زواجهما التي ستهل بعد أيام، وأسرعت والدتي تعطي الموافقة على ذلك وقد أشرق وجهها بشرا، كأنما وجدت أخيرا مخرجا من نفق وضعت نفسها فيه <<¹.

يتحدث الراوي عن أحداث جرت بالفعل مع والديه، وكان حاضرا لهذه الأحداث، فيصف حالة والدته التي كان الحزن باديا على وجهها إثر تلك الخبيات المتكررة التي واجهتها في حياتها، والتي تجاوزتها عندما اشترى والده لهما خاتمين، لتكون الإشارة الزمنية مضمرة في قوله: (ليجددا عهد الحب بينهما، وذكرى زواجهما)، فالزمن في (ليجددا عهد الحب) متكرر وقابل للإعادة، كونهما تعاهدا في زمن مجهول للمتلقي ومعلوم لهما، فالواضح بأنهما اتفقا على زمن أو تاريخ

¹ المصدر نفسه: ص 19.

معين ليكون شاهدا على حبهما، واختارا ذكرى زواجهما، وهو التاريخ الذي تزوجا فيه، وهنا أصبح تاريخ عهد حبهما هو نفسه تاريخ زواجهما.

إن الراوي وهو يوظف هذا الزمن المضمّر في سرد الأحداث، لم يعط التاريخ المحدد لكلا المناسبتين: يوم تحابا ويوم زواجهما، ومع ذلك فلقد أشار إلى تاريخ حفل ذكرى زواجهما والذي سيكون بعد أيام، لم يصرح الراوي عن اليوم في حد ذاته، ولكنه أفاد بأنه في نفس الشهر الذي يرتبط بزمن سرده للأحداث.

ربما عمد الراوي للإضمار لا التصريح لأنه لا يشعر بما اقتترفه من ذنب، ذنب إخفائه للخاتمين والتسبب بكل تلك المشاكل التي حدثت بين والديه، وبالتالي هو لا يحفظ التواريخ؛ لأنه يعتقد بأنها قيود وعبودية تجعل من الأشخاص أتباعا لها، فلقد تعلم من جده مصباح أن هذه العلاقات هي علاقات مزيفة وأن الخاتمين لا يحملان تلك الأهمية التي يعتقدون بها.

النموذج الثالث:

>> قبل المغرب بلحظات تناولت لقيمات من عشائي، وتسلمت سريعا إلى بيت جدي مصباح، وكانت والدتي قد أوصته بي خيرا، وجدته كأنما يعد نفسه للخروج أيضا، دعاني على شيء من فاكهة وهي طعامه المفضل، وزاد عليها خصيصا لي بعض المرطبات والحلويات، ثم خرج بي من البيت بل ومن المدينة لنلج الغابة تحت جنح الظلام¹.

استهل الراوي الخطاب السردى بإشارة زمانية تتمثل في قبل المغرب أي بدقائق معدودة، حيث تناول عشاءه واتجه إلى بيت جده مصباح الذي بدوره أخذه إلى الغابة التي توجد خارج المدينة، ليكون زمن ذلك تحت جنح الظلام؛ أي قدر من الليل.

إن الزمانين (قبل المغرب) و (جنح الظلام) نسيبان وغير دقيقين، فلا نعلم (قبل) أتحسب بالثواني أو بالدقائق ولا نعلم أي ساعة من الليل ذهبنا معا إلى الغابة.

¹ المصدر نفسه: ص 20.

إن هذين الإشاريتين الزمانيتين (قبل المغرب بلحظات، جنح الظلام) يشتركان في كونهما متعلقتين بالخروج، فلقد تناول الراوي العشاء قبل المغرب بلحظات وخرج متجها نحو بيت جده مصباح، الذي أخذه بدوره في وقت متأخر من الليل خارج المدينة وبالتحديد إلى الغابة، حيث يشعران في هذين الزمانين بالراحة النفسية والاستجمام، فعندما يحل المغرب يشعر الراوي بحاجة ماسة إلى زيارة جده مصباح، كما يشعر الجد مصباح مع حلول الليل وبزوغ الظلام بحاجة ماسة إلى الخروج من المدينة والرغبة في تأمل الطبيعة والسماء والنجوم والجبال.. الخ.

النموذج الرابع:

>> قضيت جل ذلك اليوم في بيت جدي مصباح، أعدت ترتيب كل شيء كما كان يحلو له أن يفعل، قلمت بعض أغصان الأشجار، ورتبت أحواضها، وحقنت جذورها ماء، كنست الأرضية مما تراكم فيها، ثم أعدت تسويتها، لتتبرج تربتها عن دفء كان يعشقه جدي مصباح، كان يحب أن يستلقي ليلا على التراب في قلب الفناء ليمارس هواية تأمل السماء والنجوم والكواكب والنسائم وحتى الظلام، بل وحتى الصمت، وينصت طويلا لعزف الطبيعة وصمتها، أي حركة فيها من حي أو جماد هو لغة، وأي سكون هو لغة، يجب أن يفك شفرتها، كان يؤمن يقينا أن البشر لا يسيخون سمعا إلا لثرتهم، لذا يعيشون دوما الضلال والتيه، وكان الأجدر أن يخرسوا، كان الأجدر أن يصمتوا طويلا، فلا يكون كلامهم إلا بمقدار <<¹.

تتمثل الإشارات الزمانية في هذا النموذج في: (جل ذلك اليوم، ليلا، ينصت طويلا، يصمتوا طويلا)، تعود الإشارة الزمانية الأولى على ما قبلها وهو اليوم الذي زار فيه الراوي قبر جده مصباح ويتضح ذلك في قوله: >> يليق بي اليوم أن أزور جدي مصباح <<²، فالراوي هنا في حالة استرجاع لذكرياته مع جده مصباح، بيد أن زمن التلفظ في قوله: (يليق بي اليوم) آني؛ لأن زيارته تمت في نفس اليوم الذي قرر فيه ذلك، في حين أن زمن التلفظ في قوله: " جل ذلك

¹ المصدر نفسه: ص 23.

² المصدر نفسه: ص 23.

اليوم " غير آني؛ باعتباره زمتا ولى وانتهى مع أن الراوي في الحالتين يعيد استرجاع أحداث جرت في الماضي متعلقة بجدته مصباح أمام متلقي الخطاب، إلا أن سياق الخطاب هو الذي يفرض تقسيم الزمن بين الماضي والحاضر.

يعود الراوي بزمن الحكى إلى ذلك اليوم الذي زار فيه قبر جده مصباح، ثم ذهب إلى بيته وقضى جل اليوم في ترتيبه وترتيب حديقته، حيث لا يعلم المتلقي عدد الساعات التي قضاها الراوي في بيت جده مصباح، هل هي أربع وعشرون ساعة والتي تمثل اليوم كاملا، أم هي الفترة التي تكون بين الصباح والليل؟، فالوقت هنا لم يحدد بالساعات بل حدد بالنهار والليل، ولم يبين ما إذا كان من وضح النهار إلى ساعة متأخرة من الليل أو من بداية نهار اليوم الأول إلى بداية نهار اليوم الموالي، يبقى الوقت الذي قضاها الراوي في بيت جده مصباح مضمرا.

بعدها سرد الراوي على المخاطب ما قام به طيلة اليوم شرع في الحديث عن ما يحبه الجد، حيث كان يستلقي ليلا على التراب ليتأمل في كل ما يحيط به، ليكون زمن التأمل وفقا لذلك هو الليل؛ لأنه الزمن المحدد للاستلقاء على التراب؛ بمعنى أن الجد مصباح يمارس هذه العادة ليلا وليس في وقت آخر، كما كان ينصت إلى الطبيعة طويلا، فطويلا هي الفترة الزمانية التي يستغرقها في الإصغاء إليها، وهو زمن غير محدد مع أن بداية الليل تكون بعد المغرب إلى الساعة الثانية عشر صباحا؛ أي قبل الفجر.

ظهرت نفس الإشارة الزمانية في حديث الجد مصباح عن البشر، حيث قال: " كان الأجدر أن يصمتوا طويلا"، لتكون (طويلا) مرتبطة بالصمت؛ إذ لم يحدد الوقت ما إذا كان بالدقائق أو الساعات أو الأشهر أو السنوات، فهذه الإشارة الزمانية تمثل طول الصمت بيد أن المتلقي لا يعلم مدى هذا الطول، والغرض منها هو إبراز مدى حب الجد مصباح للصمت والتأمل والإصغاء للطبيعة، ولهذا يريد أن تكون البشرية مثله لا يتحدثون إلا بمقدار.

النموذج الخامس:

>> واستطاعت الأشجار التي بدأت تتور أن تشغلها بعض الوقت، كانت جل الأفنان يانعة نضرة، وكان على بعضها نور مشرق المنظر، فواح العطر وقد داعبه نحل وفراش، وبين الأشجار استوت، شجرة أزهار صغيرة تمد فننا طريا بزهرة حمراء، وعجلت أقطفها وأهديها طفلي المدللة، والتي بقدر ما فرحت بها بقدر ما دق قلبي خوفا، يقينا رأيت والدتي الزهر هذا الصباح، وهي التي تتفقد كل شيء قبل أن تغادر، ويقينا سنتهمني بإزهاق روحها وسيكون عقابي مؤلما <<¹.

تمكن الراوي من إقناع فتاته المدللة التي تثور ضد تمرده بالتسلل خارج المدرس وأخذها إلى بيته، ولأنها ندمت على فعلتها جاءت الإشارة الزمانية (بعض الوقت) كتخضير لها؛ لأن الغرض من توظيف هذه المدة الزمانية القليلة هو انشغال طفلة الراوي المدللة بالأشجار التي بدأت تزهر وتتور، فالشجرة هي عنصر مساعد للراوي؛ لأن إعجاب طفلة الراوي المدللة بها جعلها تنسى قلقها ولو كان هذا النسيان لفترة زمانية قصيرة.

راح الراوي يصف لطفته المدللة الأفنان الموجودة في حديقة بيته، والتي كانت يافعة وعيقة ومن بينها شجرة الأزهار التي عجل يقطف منها زهرة حمراء ليهدئها إليها.

يحمل الفعل الماضي (عجلت) إشارة زمانية مضمرة تتمثل في الإسراع، ويمكن أن يتم قطف هذه الزهرة الحمراء في مدة زمانية قصيرة جدا، والمتمثلة في بعض الثواني أو الدقائق، والغرض من ذلك هو زرع الفرحة في قلب طفلة المدللة، وهذا ما حدث بالفعل إلا أن الإشارة الزمانية (هذا الصباح) جاءت عنصرا معارضا للراوي؛ لأنها تمثل الزمن الذي تتفقد فيه والدته الحديقة، والواضح أنها رأيت الزهرة قبل خروجها منها، ولهذا لن تتوانى في معاقبته على قطفها.

تحمل الإشارات الزمانية المتمثلة في: (بعض الوقت، عجلت، هذا الصباح) دلالات سلبية تارة ودلالات إيجابية تارة أخرى، تتعلق الدلالة السلبية بقلق طفلة الراوي المدللة من حادثة هروبها من المدرسة، في حين تقابلها الدلالة الإيجابية المتمثلة في: أن انشغالها بالأشجار لبعض الوقت جعلها تنسى هذا القلق.

¹ المصدر نفسه: ص 30.

شعور الراوي بالخوف من والدته بسبب قطفه للزهرة الحمراء هو دلالة سلبية، ويقابل ذلك استعجاله في قطفها حتى تشعر طفلة المدللة بالسعادة وهي دلالة إيجابية، وعلى الرغم من أن الراوي يعلم بأن والدته قد لاحظت بروز هذه الزهرة الحمراء في الصباح إلا أنه قرر تحمل العقوبة من أجل سعادة طفلة المدللة، فهناك جانب مشرق من هذه الإشارات الزمانية رغم وجود بعض المخاوف والقلق.

النموذج السادس:

>> عادت بي الذكرى إلى أيامنا الأولى في الجامعة <<¹.

جاءت الإشارة الزمانية في هذا النموذج من أجل استرجاع الراوي لذكرياته مع طفلة المدللة، حيث عاد بذكرياته إلى أيامها الأولى في الجامعة، فالإشارة الزمانية (أيامنا الأولى) تعود عليهما معا، يرمي الراوي من خلال توظيفه لهذه الإشارة الزمانية الرجوع إلى تلك الفترة التي انتقل فيها رفقة طفلة المدللة من مرحلة الثانوي إلى مرحلة الجامعة، ويقصد بـ (أيامنا الأولى) الأسبوع الأول من دخولهما للجامعة، حيث يحمل الأسبوع الأول أو الأيام الأولى حكاية معينة يسرد أحداثها الراوي على مخاطب حاضر في المكان والزمان أو غائب يصلح لكل زمان ومكان، فهذه الإشارة الزمانية تدل على ذلك وتحمل قصد صاحبها.

النموذج السابع:

>> ورن جرس السيارة فعجلت أرتب نفسي، مجيء طفلي المدللة اللحظة مهم جدا، روي المختقة بحاجة إلى من تثرت إليه لتزيل بعضا من الاختناق، وعاد جرس السيارة يرتفع من جديد، وعجلت أفتح الباب، كانت ابتسامتها العريضة فجرا أشرق على نفسي القلقة، نشطت تضع ما حملت من حلويات ومشروبات وحتى من قهوة ساخنة، وهي تفعل ذلك غالبا حين تزورني خاصة

¹ المصدر نفسه: ص 33.

في الأوقات التي أكون في حالة قلق واضطراب، لأنني أصاب بحالة اكتئاب أهمل فيها نفسي تماما <<¹.

ظهرت الإشارات الزمانية مضمرة وصريحة في هذا النموذج، تفهم من سياق الخطاب؛ إذ تتمثل الإشارات المضمرة في الإشاريتين الزمانيتين: (فعجت، وعجت)، بينما تتمثل الإشارات الزمانية المصرح بها في: (اللحظة، الأوقات، حين).

ترتبط الإشارة الزمانية الأولى (عجت) بزمن السرعة، ولأن الراوي لا يرغب في التأخر عن طفلة المدللة، راح يرتدي ثيابه ويرتب نفسه بسرعة كبيرة، فهو يسابق الزمن من أجل رؤيتها، بينما تحمل الإشارة الزمانية الثانية (وعجت) نفس دلالة الإشارة الزمانية الأولى بيد أن سرعته هذه المرة ارتبطت بفتح باب السيارة حتى لا يتأخر عنها أكثر.

إن المدة الزمانية التي استغرقها الراوي في ترتيب نفسه غير معروفة بالضبط، ولكن الواضح أنه عمل ما بوسعه حتى لا يتأخر عنها، والغرض من توظيف الراوي لهذين الإشاريتين هو إبراز مدى اشتياقه ولهفته لرؤية طفلة المدللة.

استخدم الراوي الإشارات الزمانية المتمثلة في: (حين، الأوقات، اللحظة) لتحديد المدة الزمانية أو الفترة التي تزوره فيها طفلة المدللة وهي حاملة معها الطعام والمشروبات والقهوة، ولا تكون هذه الزيارة إلا في أوقات معينة أو في الفترة التي يكون فيها منطويا على نفسه، ويعاني من مشاكل نفسية، والفترة التي يصاب فيها بحالة من القلق والاضطراب.

يعود السبب وراء إحضار طفلة الراوي المدللة لهذه الحاجيات في هذه الفترة بالذات إلى إهمال الراوي لنفسه، ومعرفتها المسبقة بذلك، ومدى قربها منه، وعلمها بحاجته إلى أن تكون بجانبه ترعاه.

النموذج الثامن:

¹ المصدر نفسه: ص 48 - 49.

>> أغمضت عيني كنت أرغب في أن أأخذ كل ما رأيت إلى الأبد، ثم فتحتها فجأة لأرى الفاجعة، لكن المشهد ظل كما هو دون أن يتغير <<¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن طفلة المدللة التي ذهب إليها وهي في مكتبها فوجدها دون مساحيق تجميل، حيث سحرته بجمالها، ولهذا جاءت الإشارة الزمانية (إلى الأبد) كتعبير مجازي عن رغبته في إغماض عينيه مدى الحياة، حتى تظل صورتها في ذهنه ومخيلته فلا ينساها أبداً.

يرمي الراوي من خلال هذه الإشارة الزمانية إلى التعبير عن مدى حبه وإعجابه بطفلته المدللة، ولكن سرعان ما فتح عينيه على فاجعة رفضها للحديث معه، ومع ذلك فقد ظلت صورتها كما هي لم تتغير.

استخدم الراوي هذه الإشارة الزمانية (إلى الأبد) بصفته زماً طويلاً، وربطه بعمره الذي سيقضيه في هذه الحياة؛ بمعنى أن صورتها ستظل راسخة في ذهنه حتى تأخذه المنية، ربما يكون صادقاً في قوله وربما يكون كاذباً؛ لأن المتلقي لا يعلم مدى حبه لطفلته المدللة، ولكن بما أنه فتح عينيه فهذا يعني أنه لا يستطيع أن يبقيهما مغلقين، وأن رغبته وتمنيه في الحفاظ على صورتها الجميلة في مخيلته، نابعة من حبه الشديد لها رغم أننا نجد في ما بعد رافضاً لحبها؛ لأنه يعتقد بأن الحب عبودية، وهذا ما يناهض مبادئه التي تدعو إلى التمرد والثورة على كل القيود ومنها الحب والارتباط والتعلق.

النموذج التاسع:

>> لكن صوتاً صرخ في يدعوني إلى العودة حيث كنت وبالطريقة التي كنت بها، ترددت لحظات ثم نفذت وقد عوى القطيع، أدركت أن القيام فجراً لا يكون إلا بإذن أمير المجموعة، وكان قويا

¹ المصدر نفسه: ص 101.

جبارا صامتا في عينيه لمعان وصرامة، كثير الحركة، يحمي القطيع من كل مكان إن هو أحس بخطر ما <<¹.

يحكي الراوي للمتلقي عن واقعه بعد أن صار ذئبا، واستخدم في سرده لهذه الأحداث إشاريتين زمانيتين هما: (لحظات، فجرا)؛ إذ جاءت الإشارة الزمانية الأولى (لحظات) ليعبر بها عن ذلك الإحساس الذي أصابه لبعض الثواني أو الدقائق؛ أي لبرهة، والذي ارتبط برغبته في العودة إلى آدميته، ولكن سرعان ما خرج فور عواء القطيع من هذا الشعور، بينما جاءت الإشارة الزمانية الثانية (فجرا) مرتبطة بالنهوض من النوم، والذي لا يكون إلا بإذن أمير المجموعة، الذي يتحكم في كل شيء حتى في لحظة النهوض، فالراوي وهو يذكر هذه الإشارة الزمانية في لحظة إدراك؛ لأنه كان يجهل رغبته في النهوض في هذا الوقت بالذات؛ أي فجرا.

يمكن القول أنه من خلال هذين الإشاريتين الزمانيتين يبيّن الراوي للمتلقي بأنه ضعيف لا يعرف ماذا يفعل، فهو في صراع داخلي، ورغم تمرده - عندما كان إنسانا - على القوانين والضوابط التي تحكم المجتمع، وتمرده على الدين والدولة والأمة، ودعوته إلى الحرية والخروج من قيود العبودية إلا أنه - عندما أصبح ذئبا - بات خائفا من زعيم القطيع ولا يستطيع النهوض فجرا كما تعود، فهو خاضع لسلطة القائد، ويعتبره قويا وحامي للقطيع ولا يمكن أن يخرج عن سيطرته.

يؤدي هذا إلى طرح المتلقي للعديد من الأسئلة من بينها: كيف للراوي الذي يرفض الأوامر والقوانين وهو إنسان أن يرضخ للقوانين والأوامر وهو ذئب؟، فهو إذن متناقض مع نفسه ومع الآخرين، تائه لا يعرف حقيقة ما يريد، اختار أن يعيش كذئب طلبا للحرية والتمتع بالطبيعة، ونسي بأنه لا توجد حرية مطلقة، وأن الحيوانات مثلها مثل الإنسان تخضع للقوانين والأوامر؛ لأنها سنة الحياة والكون.

¹ المصدر نفسه: ص 127.

زخرت رواية (هاء وأسفار عشتار) بالإشارات الزمانية التي كانت حاضرة بقوة في هذه الرواية، ولقد اخترنا بعض النماذج التي تراوحت بين الإشارات الزمانية المضمرة والإشارات الزمانية الصريحة، ولمعرفة قصد الراوي قمنا بربطها بالنسق والسياق الخارجي وظروف نشأتها.

لقد وظف الروائي (عز الدين جلاوي) الإشارات بأنواعها الثلاثة في هذه الرواية والمتمثلة في: الإشارات الشخصية، الإشارات المكانية، الإشارات الزمانية، وكان وجودها حاملا رسالة للمتلقي الذي عليه فك شفراتها، ومعرفة الغرض من توظيفها، حيث ظهرت إشارات مساعدة للشخصية وإشارات معارضة لها، وإشارات تحمل دلالة سلبية، وإشارات تحمل دلالة إيجابية، إضافة إلى الإشارات الدالة على الحضور والغياب.

ننتقل الآن للحديث عن قضية أخرى من قضايا التداولية وهي: أفعال الكلام عند (أوستن) و (سيرل)، وسنحاول استنتاج النص الذي بين أيدينا (هاء وأسفار عشتار) وفق تصنيف أفعال الكلام عند (سيرل) والمتمثلة في: الإخباريات، الإلزاميات، الوعديات، التعبيرات، الإعلانات.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : أفعال الكلام في رواية " هاء وأسفار عشتار "

1 - نظرية أفعال الكلام:

- الفعل الكلامي:

2 - تصنيف أوستن لأفعال الكلام:

3 - أفعال الكلام عند جون سيرل:

4 - تصنيف سيرل لأفعال الكلام:

أ - الإخباريات أو التقريريات:

ب - التوجيهيات:

ج - الوعديات أو الإلزاميات:

د - التعبيريات أو البوحيات أو التصريحيات:

هـ - الإعلانيات:

الفصل الثالث: أفعال الكلام في " رواية هاء وأسفار عشتار ":

1 - نظرية أفعال الكلام: Theory of Speech Acts

>> تنسب نظرية أفعال الكلام إلى الفيلسوف (جون أوستن) (J. Austin)؛ حيث تم جمع محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955، في كتاب سمي كيف تفعل الأشياء بالكلمات، ثم قام تلميذه (جون سيرل) (John Searle)، إضافة إلى مجموعة من البراغماتيين بتطويرها في فترة السبعينيات، والثمانينيات. هذه النظرية التي تقوم على النظر إلى اللغة في كونها أداء أعمال مختلفة في الوقت نفسه، وما القول إلا واحد منها <<¹.

قبل الحديث عن نظرية أفعال الكلام عند (أوستن)، والذي طورها فيما بعد تلميذه (سيرل) على الباحث أولاً أن يطرح على نفسه سؤالاً جوهرياً وهو: ماذا نقصد بالفعل الكلامي الذي ظهر مع التداولية، وفيه تتمثل مزاياه؟.

- الفعل الكلامي: Speech Act

>> إن الفعل الكلامي له أهمية بالغة في كثير من الأعمال التداولية؛ إذ يعد نواتها المركزية، ومحتواه: أن كل ملفوظ يقوم على نسق شكلي، دلالي، إنجازي، تأثيري، إضافة إلى ذلك، يعتبر نشاطاً مادياً نحوياً يسعى من خلال الأفعال القولية إلى تحقيق أغراض إنجازية مثل: الأمر والطلب والوعد والوعيد... الخ، وتحقيق غايات تأثيرية تتعلق بردود فعل المخاطب أو المتلقي مثل: القبول والرفض، ومن ثمة فهو فعل يسعى إلى أن يكون ذا تأثير في المتلقي، مؤسساً أو اجتماعياً، ومن ثمة إنجاز شيء ما ((<<².

¹ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ص 34.

² عبد الله بيرم: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، ص 109.

يعتبر الفعل الكلامي من أهم العناصر التي تقوم عليها التداولية؛ إذ يمنح للملفوظ أو القول الصادر عن الباث أو المتكلم أو المخاطب صفة الإنجاز والتأثير، فكل قول أو تلفظ هو فعل إنجازي، له أثر على المتلقي الذي بإمكانه رفضه أو قبوله، وهذا يعني أن الخطاب مهما كان نوعه وراءه غرض أو غاية أو قصد صاحبه، وللتوضيح أكثر >> يلاحظ أوستن أن هناك ثلاث خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- إنه فعل دال.

- إنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).

- إنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

وينبني كل فعل كلامي على مفهوم (القصدية)، وتنبني (مسلمة القصدية) على قواعد تداولية درسها فلاسفة التحليل، ثم قام بالتوسع فيها وتعميقها وتفريعها التداوليون حتى أصبحت شبكة أو مجموعة من المفاهيم المتماسكة والمترابطة. فقد أصبحت قيمة تداولية نصية / حوارية، ويعتبر مراعاة مفهومها العام وشبكاتها المفاهيمية من أهم المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية >>¹.

إن العبارات الإنجازية حسب (أوستن) هي العبارات >> التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن التلفظ بها مع تحقق مدلولها. إضافة إلى أن لها شروطا بينها الدارسون، ولا تتحقق إنجازيتها إلا بها، وتتمثل فيما يلي:

- أن يكون الفعل فيها منتما إلى مجموعة الأفعال الإنجازية: (حذر، سأل، قال، وعد، أوعد...).

- أن يكون الفاعل هو ذاته المتكلم؛ أي أن العبارات الإنجازية تمثل الفردية ممن يقولها.

¹ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 44.

أن يكون زمن دلالتها المضارع <<1.

تؤكد هذه الشروط التي وضعها الدارسون للعبارات الإنجازية، أن يكون الفعل حاملا في طبيته تحقيق إنجاز، وبذل جهد، وتحقيق غاية، ولا يحكمه معيار الصدق والكذب، وأن يكون المتلفظ بالعبارة الإنجازية هو نفسه الذي يقوم بهذا الفعل، أن يكون زمن دلالتها المضارع وليس الماضي.

إضافة إلى ذلك >> قسم (أوستن) المنطوقات اللغوية إلى قسمين:

القسم الأول: الأدائيات Performance وهي: منطوقات تؤدي أفعالا كالتحذير والأمر والوعد ... الخ.

وتتقسم المنطوقات الأدائية بدورها إلى قسمين: منطوقات أدائية أولية (أو ضمنية)، وهي التي تخلو من الأفعال الأدائية في اللغة. ومنطوقات أدائية ثانوية (أو صريحة) وهي التي تشمل على فعل أدائي في صيغة المضارع المبني للمعلوم المسند إلى المفرد المتكلم.

القسم الثاني: التبليغات Statments وهي: منطوقات تعرض أقوالا كالتقرير والإعلان والإثبات ... الخ <<2.

إن المتكلم عندما يتلفظ بكلام معين، فإنه سيؤدي فعلا معينا يكون هذا الفعل ضمنيا أو صريحا في صيغة المضارع، أو سيقوم بالتبليغ عن أمر معين.

>> إن النقطة الجوهرية التي انطلق منها (أوستن) في تأسيسه لنظرية أفعال الكلام هي تفنيد الرأي القائل بوجود أقوال صحيحة من حيث التركيب؛ أي نحويا، ولكنها لا تحمل معاني منطقية؛ إذ يعتقد الفلاسفة منذ القدم بأن دور الإثبات ما هو إلا وصف لحال الأشياء، وأن إثبات

¹ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، 2009، بيت الحكمة، الجزائر، ص 95.

² ينظر إلى محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 219 - 220.

شيء معين لا يمكن له أن يخرج عن إطار الخطأ والصواب. ويصرح انطلاقاً من ذلك أنه إذا كانت كل الأقوال التي (لا تحتوي على معنى) هي التي لا تخضع لمعيار الصواب والخطأ، فما بال تلك الدالة على الاستفهام والأمر والنهي ... أين يمكن تصنيفها ؟.

يمكن القول وفقاً لذلك بأن هناك مجموعة من الأقوال ظاهراً إثباتاً، بإمكانها أن تخضع لمعيار الصواب والخطأ، ولكن مضمونها يعكس غير ذلك، ومثال ذلك هو تلك الأقوال التي تستخدم في المناسبات الاجتماعية والدينية أو في تقويم السلوك <<¹.

يتحدث الفلاسفة في هذا المقام عن القصد، ويرمون إلى القول أنه ليس كل ملفوظ وراءه قصد صاحبه، فقد يكون ظاهر العبارة كاذباً وباطناً صادقاً، ومثال ذلك هو الأقوال التي تكون في المناسبات الدينية والاجتماعية، والتي يكون الغرض منها هو جذب انتباه المتلقي وخداعه، وفي الحقيقة أن ظاهر هذه الأقوال عكس باطنها؛ لأن غرضها هو تحقيق مصالح للمتكلم فقط، وهذا الرأي يدل على أنه يوجد احتمالين للأقوال:

الاحتمال الأول: قول صحيح نحويًا ولكنه لا يحمل دلالة منطقية، فقد يكون صاحب القول كاذباً أو صادقاً، أي يحمل القول وجهين.

الاحتمال الثاني: فقط الأقوال التي لا معنى لها هي التي لا تحتل معيار الصدق أو الكذب، وفي هذه الحالة يتساءل أوستن عن الأقوال الدالة على الاستفهام والأمر والنهي أين يمكن تصنيفها ؟.

إن هذا التساؤل الذي طرحه أوستن هو تساءل بناءً ومن خلاله يرى >> أن هناك عدد كبير من العبارات اللغوية لا تستخدم فقط للتعبير عن الواقع، حيث انحرف تحليل هذه العبارات منذ البداية بسبب تأثير النمط التمثيلي والوهم والوصف.

¹ ينظر إلى عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط2، تاريخ الإيداع 2013، دار الأمل، تيزي وزو، ص 145 - 146.

بمجرد النطق بهذه العبارات تتحقق أفعالاً إنجازية سواء أكانت مباشرة أو غير مباشرة <<¹.
يرمي أوستن إلى القول بأن أي تلفظ أو أي عبارة ننطق بها تحقق فعلاً إنجازياً سواء أكانت تعبر عن الفعل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومنه تنقسم الأفعال الإنجازية بدورها إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة.

الأفعال الإنجازية المباشرة:

>> وهي الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول.

الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

وهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر <<².

المقاصد والفروض المسبقة:

>> يرتبط الفعل الإنجازي بوصفه فعلاً جزئياً لفعل كلامي معقد ارتباطاً وثيقاً بمقاصد المتكلم. ووسيلة المتكلمون لتحقيق مقاصدهم المختلفة هي اللغة، وفي هذا السياق يمكن القول أنه لا يمكن أن تتعين المقاصد وأن تحلل بشكل مباشر مثل الأفعال القولية وأفعال التحقق إلى حد ما. وفي اللغة المعروفة يميز أيضاً بشكل حدسي بين القول والقصد، حيث يرتبط ((المَعْنِي)) بالدرجة الأولى بالجانب الإنجازي للفعل الكلامي المتمم، ويجب أن يربط هذا الإنجاز بالقصد المتعلق بالفعل الكلامي في سياق التواصل الاجتماعي، الذي يتضمن فيه كل فعل كلامي العلاقات الداخلية والخارجية أيضاً بين المتحاورين (المتكلم، المخاطر) التي يمكن أن تُوحّد في

¹ عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 145 - 146.

² محمد بن عبد الله المشهوري: التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ط1، 2019، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص 257.

بعض تكوينات علائقية. وتتبع ضمن ما تتبع التكوينات العلائقية الداخلية المعرفة السابقة المعنية والفروض المسبقة المتعلقة بالشركاء <<1.

يرتبط الفعل الإنجازي بعده جزء من الفعل الكلامي بمقاصد المتكلم، فالمتكلم من خلال استخدامه للغة يعبر عن حاجته أو رغبته في تحقيق شيء معين، ولكي يتم ذلك وجب تحديد العلاقة الداخلية التي تتحكم في إبراز الفعل الإنجازي والمتمثلة في المكتسبات القبلية التي يحملها كل من المرسل والمرسل إليه، والتي تساعد في فهم المتلقي لقصد المتكلم مباشرة دون لبس، نظرا لوجود ما يسمى بالافتراض المسبق، والذي يفرض معرفة المتلقي لأمر مسبق عن المتكلم تسمح له بمعرفة قصده، إضافة إلى السياق الخارجي الذي يحيط بهما أثناء الحوار أو التلطف، ولاشتراك كل منهما في خصائص معينة، تؤدي إلى التأثير والتأثر ووجود تفاعل تواصلية بينهما، تساهم في فهم الخطاب.

يتحدث (فان دايك) في كتابه الموسوم ب: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، والذي قام بترجمته (سعيد حسن بحيري) عن الأفعال الكلامية من وجهة نظره، والتي >> تعتبر في الواقع وفق وصف مفهوم الحدث أحداثا. فنحن نعمل شيئا، ننتج تحديدا سلسلة من الأصوات أو الحروف التي لها بوصفها منطوقات لغة معينة شكل عرفي يمكن معرفته، ونجز هذا العمل بقصد مساوق أيضا، لأننا في العادة لا نتحدث ضد إرادتنا، ويمكن أن نتحكم أيضا في لغتنا <<2.

يطرح (فان دايك) أفكار (جون أوستن) حول الفعل الكلامي، ويرى أن المتكلم لا يتكلم خارج إرادته، بل ينفوه بكلمات متفق عليها بشكل عرفي، وهذه الكلمات هي عبارة عن أفعال

¹ ينظر إلى زتسيسلاف واورزنيك: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر سعيد حسن بحري، ط1، 2003، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 21 - 22.

² تون أ، فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر سعيد حسن بحيري، ط1، 2001، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ص 130.

إنجازية وراها قصد، ويواصل قوله قائلًا: >> والحق أننا لسنا على وعي بكل هذه الأحداث عند النطق، غير أنها ضرورية يمكن التحكم فيها، ولأن الأمر يتعلق هنا بأحداث مركبة، فإننا لذلك نقف أيضا على خطة غير واعية على نحو ما لإنجاز هذا الحدث الذي يطلق عليه فعل الكلام.

ونحصل أيضا على حدث ذي نظام أعلى، نقيمه من خلال إنجاز الحدث الكلامي، وهو حدث دلالي أو حدث معنوي: نعبر بمفوظنا اللغوي عن دلالة معينة، ويمكن من خلاله أن ننجز أخيرا حدثا إحيائيا: نحيل إلى موضع معين، ننسب إليه خاصية معينة، ونقيم بهذه الطريقة ربطا بين المنظومة وعدد من الوقائع، وفي العادة تكون تلك الأحداث الدلالية مدركة: ندرك ما نقول، ونتحكم فيه من خلال صيغة المنطوق <<1.

يتحدث (فان دايك) أيضا في كتابه الموسوم بـ: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، الذي قام بترجمته (عبد القادر قنيني) عن أفعال الكلام التي تعد غرضا رئيسيا في التداولية، حيث يقول: >> قبل أن يتم الفعل الإنجازي يجب معرفة ما نقصده بالفعل أو التصرف. إذ كل تمييز في بنيته يمنح في ذات الوقت قاعدة للتأويل السيمانطيقي الخاص بفعل الخطاب الذي توصف فيه الأفعال الإنجازية كالحكاية والقصص مثلا.

إن ما تم إنجازه من دراسات في المنطق والفلسفة حول تحليل أفعال الكلام هو أمر مهم في النظريات اللسانية، وتكمن أهميته في أننا عندما نتحدث أو نتكلم فإننا ننجز شيئا ما، فلا يكون الأمر مجرد كلام <<2.

إن أفعال الكلام مهمة في الدراسات المختلفة رغم أن هناك من يرى أنه لا أهمية لها وأنها تعد فضلا في النظريات اللسانية، باعتبار أن التلفظ يحقق فعلا إنجازيا، ويواصل (فان دايك) حديثه قائلًا: >> ينبغي القول أيضا أن استعمال اللغة لا يعني إنجاز فعل معين فقط، وإنما هو

¹ تون أ، فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص 130 - 131.

² فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قنيني، د . ط، 2013، أفريقيا الشرق، المغرب، ص 289.

نتاج وجود تفاعل اجتماعي؛ لأن اللغة أنساق متواضع ومتفق عليها، وهذه الأنساق تحمل مقولات وقواعد وأسس تتطور وتنمو بفضل التفاعل الحاصل داخل المجتمع الواحد، وهذه النظرية الوظيفية للغة كنظام أو نسق وكاننتاج تاريخي يؤكد أن اللغة في تفاعلها هي نتاج للدور الذي ينوط به المجتمع، إنما هي صحيح ضروري للنظرة (السيكولوجية) للغة واستعمالها، إذ أن ما نملكه من قدرة وكفاءة في التكلم، ما هي إلا موضوع جوهرى لفلسفة العقل <<¹.

يرمي (فان ديك) إلى القول بأن استعمال اللغة يؤدي إلى حدوث أفعال كلامية مهمة، وظهرت اللغة كنسق بناء على التواضع الاجتماعي؛ إذ يساهم في تطورها مدى قدرة أفراد المجتمع الواحد على التفاعل فيما بينهم، ففقدرة الباحث وكفاءته في التكلم ما هي إلا موضوع جوهرى لفلسفة العقل.

2 - تصنيف أوستن لأفعال الكلام:

اقترح (أوستن) خمسة أقسام لأفعال الكلام تتمثل في:

>> الحكميات: تتمثل في الحكم، نحو التحليل، الإدانة، التبرئة، إصدار أمر، التوقع، الفهم، التصنيف، التشخيص، الإحصاء، التقويم، الوصف ...

التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال مثل التسمية، العزل، التوصية، الاتهام، الطرد، التوسل، الاستقالة، الغلق أو الفتح ... والواضح أن هذا القسم فسيح جداً، ويتأسس التمييز بين الأعمال المندرجة فيه وبين الأعمال المندرجة ضمن الصنف الأول على كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ أحكام، ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات <<².

الوعديات: >> وهي أفعال يعبر بها عن تعهد المتكلم بفعل شيء معين أو إلزام نفسه به، مثل: أضمن، أعد، أقبل، أتعهد ...

¹ فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قنيني، ص 289 - 290.

² فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ط1، 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ص

السلوكيات: وهي التي يعبر بها عن رد فعل لسلوك الآخرين ومواقفهم ومصائرهم، مثل الشكر، الاعتذار، التعاطف ...

العروضيات: وهي الأفعال التي تستخدم لبيان الرأي وذكر الحجة أو لتوضيح وجهة النظر، مثل الإنكار، الإثبات، والمطابقة <<¹.

3 - أفعال الكلام عند جون سيرل:

لقد تم الحديث عن نظرية الأعمال اللغوية لدى (سيرل) عندما تطرقنا إلى الحديث عن خلفية من الخلفيات الفلسفية والفكرية التي أدت إلى ظهور التداولية، وهي الفلسفة التحليلية، التي تأثر بها كل من (جون أوستن) و (جون سيرل)، وحتى لا يكون هناك اجترار وتكرار للمعلومات، فرض علينا الانتقال مباشرة إلى الحديث عن أهم ما قدمه وطوره (سيرل) في نظرية أفعال الكلام لدى (أوستن).

لقد قام سيرل >> بإعادة النظر في تقسيم أستاذه (أوستن) للأفعال الكلامية وتعديله؛ إذ جعله أربعة أقسام، أبقى على القسم الإنجازي والتأثيري، وقسم القسم الأول وهو الفعل اللفظي إلى قسمين:

1- الفعل النطقي: وهو الذي يشمل الجوانب الصوتية والمعجمية والنحوية.

2- الفعل القضوي: ويشمل المتحدث عنه، والمتحدث به <<².

لم يكتف (جون سيرل) بتعديل أقسام أفعال الكلام الثلاثة التي جاء بها (جون أوستن)، وإضافة قسم رابع بل و >> طور تصور أستاذه (أوستن) لشروط الملاءمة وجعلها أربعة شروط تتمثل فيما يلي:

1- شرط المحتوى: فعل المخاطب ما هو مطلوب منه في المستقبل.

¹ محمد فارح: التحليل التداولي للخطاب، ص 30.

² المرجع نفسه: ص 31.

2- الشرط التمهيدي: يتوقف على قدرة المخاطب على إنجاز ما طلب منه.

3- شرط الإخلاص: أن يكون المخاطب قاصدا بكلامه تحقيق هذا الفعل.

4- الشرط الأساس: محاولة المخاطب التأثير في المخاطب لينجز الفعل <<¹.

يخص هذا الطرح ما قام بتطويره (سيرل) في نظرية أفعال الكلام لدى (أوستن)، أما فيما يخص تصنيفه لهذه الأفعال الكلامية فسيتم التطرق إليها بالتفصيل في الجانب التطبيقي، حيث تم اعتماد تقسيم (سيرل) للأفعال الكلامية في استنطاق نص (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوي) .

4 - تصنيف سيرل لأفعال الكلام:

>> يُفَرَّق (سيرل) إجمالاً بين خمس مجموعات كبرى، وهي: الإخباريات أو التقريريات، والتوجيهيات أو الأمريات، والالتزاميات أو الوعديات، والتعبيرات أو الإيقاعات، والإعلانات، وينبغي ابتداءً، ممثلة من خلال أفعال مناسبة، أن تورد أهم نماذج الفعل الكلامي، التي تعد حسب (سيرل) من المجموعات المفردة، وفي / خطوة ثانية ينبغي أن تُناقش المعايير التي أوردها (سيرل) لبناء الأقسام، وعلى هذا الأساس سوف تصنف الأقسام مضمونياً <<².

إن رواية (هاء وأسفار عشتار) من بين الروايات التي يصعب القبض فيها على التقسيمات التي أقامها (سيرل) لأفعال الكلام، كون الروائي (عز الدين جلاوي) عمد إلى كتابتها بأسلوب غير مباشر ومضمر، وعلى قارئ الخطاب أن يستخرجها بنفسه، عن طريق استخلاصها واستنتاجها حيث يُميز >> في نظرية الأفعال اللغوية بين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة، فالأولى هي القوة المدركة مقالياً والتي يدل عليها بصيغة الفعل، أما الثانية فهي تلك القوة الإنجازية المدركة مقامياً والتي تستلزمها الجملة في سياقات معينة، ولا قرائن

¹ محمد فارح: التحليل التداولي للخطاب، ص 31.

² جوتس هنده لانج: مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر سعيد حسن البحيري، ط1، 2012، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص

بنبوية تدل عليها في الجملة <<¹، بيد أنها تظهر مباشرة وصريحة في بعض الأحيان، وعلى الرغم من أن الرواية تمزج بين الواقع والخيال إلا أن الشخصية البطل والمتمثل في الراوي اتخذ من الأسطورة عالمه الحقيقي، مما جعل دراسة أفعال الكلام الإنجازية في هذه الرواية بناء على اعتبار الأحداث أحداثا واقعية بعيدا عن الخرافة، كون (سيرل) و (أوستن) يرفضان دراسة الخرافة، واعتبار الشخصيات شخصيات حقيقية، فالقارئ سينظر إلى هذه الرواية من منظور الراوي لا من منظوره هو، كونه لا يستطيع فصل الراوي عن واقعه وإن أراد ذلك؛ لأن الراوي يسرد أحداثا واقعية على أساس أنها جرت معه بالفعل.

أ - الإخباريات: التقريريات:

إن >> الغرض الإنجازي من الإخباريات هو نقل المرسل واقعة معينة إلى المرسل إليه عن طريق التعبير عن القضية وما يرتبط بهذه الواقعة، والأفعال الإنجازية في هذا الصنف تحتل الصدق والكذب، كما أن اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ويتمثل شرط الإخلاص في التقريريات في النقل الأمين للواقعة، والتعبير عنها بصدق، ولا يحقق شرط الإخلاص إلا بهما، ولا تتجز الأفعال تامة وينجاح إلا بتحقق الإخلاص، وإلا أصبحت أخبارا لا معنى لها <<².

يتحدث (جورج يول) عن الإخباريات فيقول: >> أنها الأفعال التي تبين ما يؤمن المتكلم بأنه الحالة أم لا، وتمثل جمل الحقيقة والجزم والاستنتاجات والأوصاف، ووظيفتها جعل الكلمات تلائم العالم <<³.

¹ بوقطان مصطفى، بوخالفة إبراهيم: المضمرة في الخطاب بين التداولية والنقد الثقافي، مجلة دراسات معاصرة، المجلد 05، ع 02، 2021، تيسيمسبيلت - الجزائر، الصفحات 280 - 290، ص 285.

² ينظر إلى حنان بوكرمة، نسيمه علوي: أغراض الأفعال الكلامية في شعر عبد الحميد بن باديس - دراسة تداولية -، مجلة لغة - كلام، مج 07، ع 03، 2021، الصفحات 38 - 51، ص 42.

³ عصام واصل: الأفعال الكلامية في ديوان " أبجدية الروح "، مجلة طلائع اللغة وبدائع الأدب، مج 01، ع 01، 2020، الصفحات 74 - 98، ص 81 - 82.

تتنوع الإخباريات أو التقريريات في رواية (هاء وأسفار عشتار) بين الأخبار الصادقة والأخبار الكاذبة، والتي كانت على لسان الراوي العليم أكثر من الشخصيات ذاتها والشاهد على كل الأحداث، ولقد اخترنا عدة نماذج وخصصناها بالدراسة، وقمنا بإبراز الجانب التقريري فيها، ولم يكن اختيار هذه النماذج عشوائياً، بل كان بناء على طبيعة النص المدروس الذي جمع بين الإضمار والتصريح، وبين الحقيقة والأسطورة.

النموذج الأول:

>> خللت لحيتي الشعثاء بأصابعي محاولاً أن استفز جلد خدي بأطراف أظفاري المدببة لكن دون جدوى أيضاً، لا بأس سأغرق في نوم قد يكون عميقاً حتى يتعالى شخيري لكنني سريعاً ما أستيقظ، وقد أعاد النوم بعد أن يهدأ قلبي من رجفة اعتاد عليها <<¹.

بعد تلقي الراوي خبر الإفراج عنه، داهمه النعاس فراح يخلل لحيته الملبدة والمُعبرة بأصابعه لعل هذا النعاس يتركه، ولكن دون جدوى، ويعود سبب ذلك إلى تعلقه بهذا المكان الذي مكث فيه طويلاً، ولكنه قرر في الأخير الاستسلام للنوم ليأتي فعل الكلام (سأغرق) بقوته الإنجازية ليعبر عن رضوخه إلى سلطة النوم، فيختار أن ينام عميقاً ولكن سرعان ما يستيقظ.

يعود سبب اضطراب نومه إلى خوفه من الحياة خارج السجن؛ لأنه لا يعرف ماذا ينتظره ومن سيكون بانتظاره بعد أن فقد والديه وجدته مصباح، فهو يخبر المتلقي بأنه يملك رجفة في قلبه تعود عليها، وهذه الرجفة هي إحساس عاطفي يصيب القلب فيحزن أو يصيبه فيسعد، وما دام يفكر في المجهول فهو لا يريد مغادرة هذا السجن.

جاء الفعلان الكلاميان (سأغرق، أعاد) مرتبطين بالنوم، ليكون الغرض من الفعل الكلامي الأول (سأغرق) إخبار الراوي المتلقي بأنه سيدخل في نوم عميق يشبه السبات، أما الغرض من الفعل الكلامي الثاني (أعاد) هو إخبار الراوي المتلقي للخطاب بأنه سيعود للنوم

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 13.

بعد الاستيقاظ، ولكن بشرط عندما تهدأ روحه المضطربة والقلقة، يعبر الراوي بصدق عن حالته النفسية السيئة، نتيجة سماعه لخبر خروجه من السجن، ولا يمكن التشكيك في شعوره؛ لأنه يحكي عن هذا الحدث وهو حزين ويفكر في مستقبل لا يعرف عنه شيئاً.

النموذج الثاني:

>> ولمعت في نفسي فكرة شيطانية، بخفة جمعت الخاتمين معا وتسللت إلى الحديقة، وفي زاوية منها عجلت أحفر حفرة بعمق ذراعي، ثم أودعتها الخاتمين، وضعت فوقهما حجرة مرمر صغيرة، ثم أهلت التراب مبالغاً في رصّه، وتنفست بعمق، كأني أزحت عن كاهلي حملاً ثقيلاً، لقد حررتهما الآن من قيد ظل يلازمهما زمناً، انعطفت إلى الجانب الخلفي من الحديقة فغسلت يديّ جيداً، وتسللت إلى غرفتي دون أن يفتن أحد إلى فعلتي، التي ستحرر والديّ من هذين القيدتين المقيتين <<1.

كان الراوي متمرداً منذ نعومة أظفاره إلى درجة أنه سرق خاتماً والديه ودفنهما في حفرة، معتقداً أنه بذلك سيحررهما من قيد ظل يجمع بينهما ويلازمهما، جاءت الأفعال الماضية المتمثلة في؛ (تسللت، وضعت، أهلت، تنفست، أزحت، حررتهما، انعطفت، تسللت) كأفعال تعبر عن الحدث؛ حيث جاء الفعل الماضي (تسللت) للدلالة على فعل الشيء خفية، حيث تسلل الراوي خفية إلى الحديقة حاملاً الخاتمين في يده، ليأتي الفعل (وضعت) للدلالة على إخفاء المكان الذي أودعه الخاتمين، كما جاء أيضاً الفعل (أهلت) بغرض الإخفاء.

ورد الفعلان (تنفست) و (أزحت) للدلالة على الراحة النفسية التي شعر بها الراوي، فكأنه أزاح هما على صدره طالما أرقه، وجاء الفعل الماضي (حررتهما) للدلالة على النتيجة التي أراد الراوي أن يصل إليها، وهي تحرير والديه من سلطة الخاتمين، كما ظهر الفعل الماضي (تسللت) مرة أخرى في هذا الإخبار، ليبين بأن الراوي أعاد الكرة ودخل خلصة إلى غرفته دون

¹ المصدر نفسه: ص 18.

أن يفطن والديه لعلته، وهذا يعني أنه اعتمد على نفس الطريقة لطمس جريمته؛ إذ خرج من غرفته خلسة وعاد إليها خلسة.

تمثلت الأفعال الإنجازية في هذا النموذج الإخباري في الفعلين الإنجازيين (أحفر، ستحرر)؛ إذ يملك الفعل (أحفر) قوة إنجازية تتمثل في صنع حفرة عميقة لإخفاء الخاتمين، بينما يملك الفعل الإنجازي (ستحرر) قوة إنجازية تتمثل في تخليص الحفرة والديه من قيد وعبودية الخاتمين، لقد عبر الراوي في هذا النموذج عن شعوره بالسعادة المطلقة عندما تمكن من التخلص من أكبر عائق بالنسبة له، وهو الخاتمين اللذين جمعا بين والديه، وكأنه يعتقد أن اختفاؤهما سيكون سببا في تحرير والديه من العلاقة التي تجمعهما.

إن الراوي صادق في مشاعره وصادق في سرده؛ لأنه صرح عن قيامه بأفعال وصفها بأنها أفكار شيطانية، فهو معترف بينه وبين نفسه وبينه وبين المتلقي بأن فعلته مشينة، وأنه غير نادم على ذلك، ويشعر بسعادة تامة رغم قناعته بأنه اقترف ذنبا.

النموذج الثالث:

>> وكم كنت عنيدا وأنا أصدمها برفضي، وكم صدمتها حين صارحتها أنني سأذهب بعيدا فيما أومن به <<¹.

قرر الراوي أن لا يعود إلى الجامعة ثانية بعدما طرده الأستاذ من القسم، ورغم محاولة طفله المدللة إقناعه بالرجوع إليها إلا أنه صدمها برفضه، وكانت الصدمة أشد وقعا عليها عندما صرح بأنه سيذهب بعيدا فيما يؤمن به، ليكون الفعل الكلامي الإنجازي (سأذهب) حاملا لقوة إنجازية تمثلت في تطلعه لمستقبل مشرق، تكون فيه أفكاره التحررية مبلورة ومنتشرة ولها حيز كبير في المجتمع، وتكون دعوته - حينها - قد أخذت صداها وأصبح لديه مؤيدين وتابعين كثير.

¹ المصدر نفسه: ص 40.

إن الراوي صادق في طرحه؛ لأنه صرح بأنه لن يحيد عن عناده وأهدافه مهما حدث، والدليل على ذلك هو دخوله إلى السجن فيما بعد في سبيل الوصول إلى مبتغاه، وسبب خوف طفلة الراوي المدللة وإحساسها بالصدمة هو معرفتها القبلية لنهاية هذه الأفكار الوخيمة.

النموذج الرابع:

>> حين كدنا نصل إلى الجامعة حيث سيقام اللقاء الاحتفالي بمناسبة صدور كتابي راحت طفلتي المدللة تشرح لي تفاصيل ما تم الإعداد له، وتفاصيل حفل التوقيع، الذي سيبدأ بكلمة لي أقدم فيها موجزا عن فكرة الكتاب، ثم يفسح المجال لنقاش عام سيكون حامي الوطيس بين مؤمنين بالفكرة ورافضين لها، وبقينا سيحدث الاصطدام الذي قد يخرج عن السيطرة <<¹.

بمناسبة صدور كتاب الراوي تعين إقامة حفل في الجامعة، لتكون طفلة الراوي المدللة هي القائمة على أشغاله، وتأتي أفعال الكلام (سيقام، سيبدأ، يفسح، سيكون، سيحدث) حاملة لقوة إنجازية، فالفعل الكلامي (سيقام) مرتبط باللقاء الاحتفالي الذي سيجتمع بين الراوي وجمهوره، وهذا اللقاء سيكون فيه التوقيع بالبيع على كتابه، ولهذا جاء الفعل الكلامي (سيبدأ) مرتبطاً بزمن الحفل؛ لكي يلقي الراوي كلمته ويقدم موجزا عن فكرة هذا الكتاب.

جاء الفعلان الكلاميان (يفسح) و (سيكون) كخطوة ثانية، فبعد إلقاء الراوي موجزا عن فكرة الكتاب تأتي القوة الإنجازية لهذين الفعلين وهي فتح المجال للجمهور من أجل المناقشة وإبداء الرأي، مما سيؤدي ذلك إلى ظهور اتجاهين؛ اتجاه مؤيد للفكرة واتجاه معارض لها.

يسرد الراوي أحداثاً جرت معه بالفعل، وهو صادق في كلامه وأفكاره ومشاعره؛ لأنه يعبر عن فكرته وعن ردة فعل الجمهور عن هذه الفكرة، وجاء الفعل الكلامي (سيكون) كنتيجة لهذا الرد، حيث يرى الراوي أنه سينجر عن انقسام الجمهور إلى مؤيدين ومعارضين تصادم بين

¹ المصدر نفسه: ص 44 - 45.

الاتجاهين، وسيخرج كل منهما عن السيطرة، لتكون القوة الانجازية لهذا الفعل هي العنف والإساءة للراوي وأتباعه، فالراوي على يقين بأن الأمور لن تكون لصالحه وهذا ما حدث بالفعل.

النموذج الخامس:

>> تم مصادرة نسخ الكتاب كلها، واعتبر ما قمت به تعديا على الحرم الجامعي، وعلى قيم الدولة والأمة والإنسانية، وأخبرني الضابط في نهاية اللقاء أنه سيرفع المحضر إلى الجهات المختصة ولعلها تحوله إلى القضاء، في حين حول محضر طفلي المدللة إلى الإدارة التي ستقترح حتما مثلها أمام المجلس التأديبي <<¹.

يسرد الراوي ما حدث بعد حفل التوقيع من مصادرة نسخ كتابه الموسوم بـ: (الإنسان الحر)، واتهامه بالتعدي على الحرم الجامعي، وعلى قيم الدولة والأمة والإنسانية؛ حيث جاء الفعل (أخبرني) كفعل إخباري يحمل في طياته أحداثا وقعت أو ربما ستقع، أما الفعل الإنجازي (سيرفع) فوظيفته تبين العقوبة التي سيتعرض إليها الراوي وهي إرسال محضر - عما قريب - إلى الجهات المختصة وربما سيحول إلى القضاء، ويأتي الفعل الإنجازي (ستقترح) مرتبط بطفلة الراوي المدللة التي حوّل محضرها إلى الإدارة، ويحمل هذا الفعل قوة إنجازية تتمثل في تحديد مصيرها، والذي غالبا ما سيكون مثلها أمام المجلس التأديبي، وكل من هذين الفعلين الكلاميين (سيرفع) و (ستقترح) جاءا للدلالة على حدث قريب ومصيري، فيه حكما مضادا ومؤلما لكل من الراوي وطفلته المدللة، ولكنه يختلف في شدة الوقع؛ لأن الفعل الأول (سيرفع) فيه تخويف وترهيب للراوي أما الفعل (ستقترح) فيه توبيخ وإنذار لطفلته المدللة.

النموذج السادس:

¹ المصدر نفسه: ص 47 - 48.

>> لقد كان هو الشاهد الوحيد على اختطافي، تتبعتني وأنا أُسحب إلى الخارج، واعتلى الجدار وأنا أحشر في السيارة، تخيلت نظراته، يقينا ستكون نظرات وداع لأنني قد لا أعود، ما يفعل المسكين بعدي وقد تعود علي، حتما سيلزم البيت ينتظر عودتي <<¹.

يحكي الراوي للمتلقي أو المستمع عن اليوم الذي تم فيه اختطافه من قبل مجموعة من الأشخاص، ويُخبره بأن الشاهد الوحيد على اختطافه هو القط مصباح، الذي تتبعه وهو يسحب إلى الخارج، حتى أنه اعتلى الجدار ليرى كيف يحشر في السيارة، حيث جاء الفعل الكلامي (تخيلت) متعلقا بالراوي، لما يحمله هذا الفعل من قوة إنجازية تتمثل في الصورة الذهنية التي رسمها الراوي في ذهنه عن القط مصباح وهو ينظر إليه، وترجم هذه النظرات عن طريق الفعل الكلامي (ستكون)، والذي جاء كنتيجة لهذا التصور بأنها نظرات وداع؛ لأن الراوي لن يعود إلى الأبد.

يتساءل الراوي بينه وبين نفسه وهو يترجم هذه النظرات، ومتأكد من صدق النتيجة التي توصل إليها عن مصير القط مصباح بعد غيابه، هذا القط الذي تعود عليه وعلى وجوده، ليأتي الفعل الكلامي (سيلزم) كنتيجة ثانية تتمثل في بقاءه في البيت منتظرا عودته، توصل الراوي إلى هذه النتيجة باعتبار أن القط تعود على وجوده كما سبق وأشرنا، وعلى تصرفات معينة جعلته مرتبطا به وبالمكان أيضا، كطريقة إطعامه ونومه ومعاملته من قبل الراوي، كل هذا سيجعل القط منتظرا لعودته وللأسف لن يعود.

يشعر الراوي وهو يسرد هذه الأحداث على متلقي الخطاب بالألم والحسرة على القط الذي سيكون مصيره مجهولا، وربما سيموت قبل أن يعود إليه ولن ينفعه الانتظار؛ لأنه متيقن بأن القط سيبرح مكانه منتظرا عودته، فالقارئ لهذا الخطاب سيشعر بأحاسيس الراوي وكأنها أحاسيسه هو، لما تحمله من شحنة عاطفية وصدق في المشاعر.

¹ المصدر نفسه: ص 63.

النموذج السابع:

>> كنت أحس بدوران السيارة عبر منحرجات مختلفة، وبسرعة السيارة التي تزداد أحيانا إلى حد كبير مما يعني أننا الآن خارج المدينة، ربما سأقاد إلى مركز معزول في مزرعة أو في سفح جبل أو في خلاء أو حتى في مدينة أخرى لا أعرف بالضبط <<¹.

يعبر الراوي في هذا النموذج عن إحساسه وهو مغمض العينين داخل السيارة؛ إذ يحس بأنه خارج المدينة، وجاء الفعل الإنجازي (سأقاد) مسبقا بـ (ربما) التي تعني عدم اليقين، حيث حمل هذا الفعل قوة إنجازية أتت نتيجة حيثيات سابقة كدوران السيارة عبر منحرجات ومدى سرعتها، مما يعني أنهم سيأخذونه إلى مركز خارج المدينة، فربما يكون هذا المركز في جبل أو في مزرعة أو في مدينة أخرى؛ إذ يعبر الراوي عن جهله لهذا المكان وأين سيكون بالضبط، ولكن ما هو متأكد منه أنه سيرسل إلى مركز للتحقيق معه في مكان معين مجهول بالنسبة له ومعلوم للخاطفين.

إن الراوي وهو يسرد هذه القصة التي حدثت معه صادق في مشاعره وكلامه؛ لأنه خُطف وهو مغمض العينين لا يعلم أين وجهته، ولكنه يعلم بأنه سيختفي لمدة كبيرة بعيدا عن منزله وعن المدينة، ولهذا جاء الفعل الإنجازي (سأقاد) للدلالة على تحديد مصيره من قبل أشخاص مجهولين، لا يعرف عنهم شيئا سوى أنهم أعداء له ولأفكاره.

النموذج الثامن:

>> أحسست بجوع شديد، تذكرت أنني لم أدخل المطبخ ولا المراض أيضا، رغم أنني كنت بحاجة للأكل والاعتسال، كان جسدي متعرقا من إرهاق شديد أصبت به قبل إطلاق سراحي، يقينا

¹ المصدر نفسه: ص 64.

سأضطر للخروج وليس لي رغبة، وتفقدت جيوبي عن غير قصد، كانت كلها فارغة، لم يكن معي دينار واحد <<1.

إن مكوث الراوي في السجن طيلة هذه السنوات، جعله يشعر بتعب شديد ظل يرافقه حتى بعد خروجه منه، حيث يحكي ويصف للمتلقي عن شعوره بالجوع الشديد، وكيف تذكر بأنه نسي الدخول إلى المطبخ والمرحاض رغم حاجته إلى الأكل والاغتسال، وجد الراوي نفسه مضطرا للخروج رغم أنه لا يملك تلك الرغبة، وجاء الفعل الكلامي (سأضطر) حاملا قوة إنجازية تمنع عنه هذا الفتور والكسل الذي أصابه، وإن كان هذا الاضطراب خارجا عن إرادته إلا أنه سيخرجه من هذه الحالة التي هو فيها، ولكن سرعان ما تذكر بأنه لا يملك دينارا واحدا في جيبه، ولن يستطيع الذهاب إلى التسوق.

إن الراوي صادق في مشاعره وكلامه، وليس بحاجة إلى الكذب حتى يجذب انتباه المتلقي؛ لأن المتلقي يدرك جيدا بأن الراوي خرج لتوه من السجن ومن الطبيعي أن يحدث معه كل هذا، فهو يعبر عن أحاسيسه وشعوره بالتعب والجوع وحاجته إلى أخذ قسط من الراحة، إضافة إلى حاجته لبعض النقود كونه مفلسا تماما، أما فيما يخص الفعل الكلامي (سأضطر) فهو حالة تحول لا بد منها، حتى وإن كان لا يملك الرغبة في الخروج من البيت فسيخرج عاجلا أم آجلا.

النموذج التاسع:

>> تذكرت رسائل طفلي المدللة، استخرجتها، رتبها، ثم شرعت في تعليقها على طول الجدار، كانت إحدى عشرة رسالة، تمنيت اللحظة لو أنني عثرت على رسائلي إليها، حتما سأعلقها أيضا فتكون اثنتين وعشرين رسالة <<2.

¹ المصدر نفسه: ص 94.

² المصدر نفسه: ص 106.

عندما خرج الراوي من السجن حمل معه حافظته التي يوجد بها إحدى عشرة رسالة، أرسلتها إليه طفلة المدللة وهو في السجن، حيث أخرجها من الحافظة وقام بتعليقها على الجدار، مما جعله يتمنى لو كانت رسائله إليها معه، ليصبح عدد الرسائل اثنين وعشرين رسالة معلقة.

إن الفعل الكلامي (سأعلقها) فعل إنجازي يملك قوة إنجازية تتمثل في حنين الراوي إلى طفلة المدللة، وهدفه من جمع هذه الرسائل وتعليقها هو تذكر تلك الأيام أو الأشهر أو السنوات، التي كان فيها على تواصل مع طفلة المدللة، وكانت الوسيلة المعتمدة في التواصل هي هذه الرسائل؛ إذ يعبر الراوي عن اشتياقه لطفلة المدللة ورغبته في رؤيتها وامتناعها عن ذلك، مما جعله يعاني من جفائها وبعدها عنه دون أن يعرف السبب الحقيقي وراء ذلك، وهذا ما سيدفعه إلى التساؤل عم إذا تزوجت برجل غيره؟ أم أنها تلومه على تلك السنوات التي قضتها بعيدة عنه؟ أم أنها دخلت في حالة اكتئاب من فرط سعادتها كونها لم تصدق بأن حبيبها خرج أخيراً من السجن.؟

يبدو أن الراوي صادق في التعبير عن مشاعره؛ لأنه فعلاً يشفق إلى حبيبته ويتمنى رؤيتها.

تتشرك هذه النماذج المختارة جميعها في كونها تتعلق بالراوي الذي استخدم أفعالاً إنجازية كتقارير عن حياته اليومية؛ إذ تحمل هذه الأفعال قوة إنجازية تخبر المتلقي عما سيفعله الراوي في المستقبل وما فعله في الماضي، فجاءت هذه الأخبار واضحة وصريحة دون لبس، وساهمت في تقريب صورة الراوي من المتلقي؛ إذ بات يملك بفضل هذه الأخبار زادا معرفياً عن شخصية الراوي وعن مشاعره الدفينة التي لا تتضح إلا بالإفصاح عنها.

ب - التوجيهيات:

إن الغرض من هذا القسم المسمى بالتوجيهيات أو الأمرات كما صنفها (سيرل) هو >> جعل المخاطب يقوم بعمل ما، حتى يتمكن المتكلم من تحقيق أمر معين يريده ويرغب به في

المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات <<¹، حيث >> تتوفر نماذج التوجيهيات في الاستفهام والنواهي والأوامر والطلبات. وكل توجيه هو تعبير عن رغبة تأتي نتيجة الصدق النفسي في أن يقوم المستمع بالفعل الموجه له، والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تهمل أو تطاع، أو يُخضع لها أو تستنكر ... الخ >>².

ظهرت التوجيهيات في هذه الرواية مباشرة وغير مباشرة، واختلفت بحسب النموذج المختار، وبحسب وضعها في الخطاب، ولقد اخترنا النماذج التي وجدناها مناسبة لدراستنا، سواء أكانت التوجيهيات مضمرة تفهم من سياق الكلام، أو صريحة وواضحة؛ لأن الروائي (عز الدين جلاوجي) كما سبق وأشرنا اعتمد في كتابته للرواية على التلميح أكثر من التصريح، ولأن الرواية تشبه السيرة الذاتية فغياب الحوار جعل القبض على العناصر التداولية صعبا نوعا ما، ولكن يعطي حركية وتشويق للدراسة.

الاستفهام:

>> وهو طلب ما لا تملكه، أي طلب العلم أو الفهم بشيء لم يكن معلوما بواسطة أداة من أدواته وهي: الهمرة، ما، من، أم، أيان، متى، كيف، أتى، كم، هل، أي، أين.

فالمستفهم يكون في طلب التصور مترددا في تعيين أحد الشئيين مثل: أحاضر عمر أم غائب ؟ ويكون في التصديق متردد النسبة بين النفي والإثبات مثل: أرسب عمر <<³.

¹ ينظر إلى خيرة ولد العزاوي، نعيمة زايدي: أفعال الكلام ومتضمنات القول في سورة نوح، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 16، ع 02، 2023، الصفحات 75 - 96، ص 83.

² ينظر إلى هشام صويلح: استقصاء أغراض الأفعال الكلامية في الخطاب السياسي الجزائري تحليل عينة باعتماد تصنيف جون سيرل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 13، ع 03، 2021، الصفحات 182 - 203، ص 187.

³ ينظر إلى عبد الرحمان مرواني: أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 08، ع 03، 2019، الصفحات 559 - 575، ص 566.

يمكن القول أيضا: >> أن الاستفهام آلية من آليات الإستراتيجية التوجيهية، وهو سؤال وتساؤل يطلقه المتكلم أو المخاطب لطلب الفهم من المتلقي أو المخاطب، أو لتوجيهه نحو دلالة مضمرة تتضح غايتها من سياق الكلام أو الخطاب.

يعني ذلك أن الاستفهام ينقسم إلى قسمين: استفهام مباشر، وآخر مضمّر يعتمد تفسيره على قدرة المتحاورين وكفايتهم التواصلية، استنادا على ربطه بالسياق أو المقام؛ أي أنه ربط بين إشارات صوتية ومحتوى معنوي يراد به التعبير عن قضية أو واقعة معينة، أو نقل معلومات تتعلق بالمخاطب أو بما يحيط به <<¹، والنماذج المدروسة خير مثال على ذلك.

إن رواية (هاء وأسفار عشتار) غنية بالاستفهام والأسئلة إلا أن معظم هذه الأسئلة يوجها الراوي إلى نفسه، فهو الوحيد الذي يملك سلطة الإجابة عنها أو الامتناع عن الإجابة، لأن آلية التوجيه هنا من الذات إلى الذات، ويعود السبب وراء ذلك إلى افتقار الرواية لعنصر الحوار الذي يتطلب وجود طرفين حاضرين في نفس المكان والزمان بينهما عملية تواصلية مباشرة، فالراوي (عز الدين جلاوجي) جعل الحوار بين الشخصيات بطريقة غير مباشرة، يكون فيها الراوي هو العليم بكل شيء والشاهد على كل شيء، وهو الذي يتحدث على لسان الشخصيات بضمير الغائب، أو يتحدث عن نفسه أمام متلقي أو مستمع لا يجيب، فقط يكتفي بالاستماع دون إبداء رأيه، مع أننا شهدنا طفلة الراوي المدللة والضابط وقلقماش وبعض الشخصيات الأخرى تتحدث ولكن يبقى الحوار ناقصا؛ لأن الطرف الثاني لا يجيب، وهذا ما سيجعل الدراسة تأخذ منحى آخر، وتختلف عن الدراسات الأخرى، كونها تبحث عما وراء السطور، وتحاول القبض على الدلالة من خلال التحليل والتفكيك والاستنباط.

النموذج الأول:

¹ ينظر إلى محمد بن عبد الله المشهوري: التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية القصيرة النسائية السعودية أنموذجا، ص 434.

>> وكانت الدهشة تذبج القلب، لماذا أنا هنا في هذا المضمار ؟ ولماذا أنا وحدي أسابق نفسي ؟
ولماذا هذه العداوة والبغضاء ؟.

هيئ لي أني أفر من شيء ما، ما هو ؟ لا أدري، متى تشرق عليّ نقطة النهاية لأستريح وأريح
رئتي وقد كادت تحترق <<¹.

يحكي الراوي عن حلم راوده وهو نائم، حيث تعرض في هذا الحلم إلى السب والشتم
والرمي بالعلب الفارغة والأحذية والعصي والأشواك من طرف مئات الأشخاص الذين لا يعرفهم،
وهذا ما جعله يستغرب كثيرا ويطرح على نفسه عدة تساؤلات عن سبب وجوده في هذا المكان،
ولماذا بات وحيدا لا يوجد من يؤازره، وعن سبب هذه العداوة التي لم يجد لها مبررا.

يخبر الراوي المتلقي لخطابه بأنه تائه، يعتقد بأنه يهرب من شيء ما لا يدرك ما هو، لم
يستطع الراوي أن يجيب عن كل هذه التساؤلات؛ لأنه يجهل الأسباب والدوافع من ورائها، ولكنه
استطاع أن يجيب عن سؤال واحد وهو: أنه لا يعرف الشيء الذي يفر منه.

إن الراوي وهو يعبر الممر الضيق، ويتعرض لكل هذا العنف والتجريح، يوجه إلى نفسه
سؤالا غير مباشر وهو: متى يصل إلى نقطة النهاية ليستريح ويريح رئته التي تكاد تحترق، هذا
السؤال في حقيقة الأمر هو عبارة عن تمني، فهو يشعر بالضيق الشديد ويختنق من الوضع الذي
بات فيه، بين ضيق الممر وتعنيف المئات من الأشخاص له، وعدم قدرته على إيجاد تفسير لكل
هذه التساؤلات، مما يجعلنا أمام أسئلة مباشرة وغير مباشرة وراءها قصد وغرض معين على القارئ
فك شفرتها؛ لأن الراوي لم يصرح بالإجابة رغم أنه يوجهها لنفسه، ومع أنه حلم إلا أن واقع الراوي
يفرض وجود الأعداء والمعارضين.

يدرك المتلقي للخطاب أن الإجابة عن هذه الأسئلة واضحة؛ لأنه ينظر إلى طبيعة هذه
الأسئلة من منظور مغاير لمنظور الراوي، الذي يرى نفسه على صواب بينما يرى المتلقي أنه على

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 25 - 26.

خطأ، وأنه متناقض مع نفسه وفي صراع داخلي دائم، وما هذه الأسئلة إلا تعبير عن هذا الصراع، وسؤاله عن الشيء الذي يفر منه، ما هو إلا هروب من الإجابة التي تتمثل في فراره من المجهول أو السجن؛ لأن السجن قيد وهو لا يؤمن بالقيود ولا يعترف بوجودها، أما سبب هذه البغضاء فهو دعوته إلى التحرر والثورة ضد الدين والقوانين والضوابط، ولن يرى الراحة إلا عندما يتخلى عن أفكاره ودعوته.

النموذج الثاني:

>> كطائر الفينيق الذي ينتفض دوماً من تحت الرماد ليبعث من جديد خلقاً آخر، لا تزيده النار إلا توهجا وتألقا وقوة، فمتى تنتفض البشرية من تحت الركाम؟ من تحت أطنان من الرماد؟ متى يتمرد سيزيف على الآلهة التي حكمت عليه بالشقاء؟ يكفي أن يفلت الصخرة لتهوي في الوادي السحيق، ويندفع هو إلى القمة <<¹.

يقول الراوي بالرغم من أنه مسجون ولا يستطيع الخروج بدنيا من أسوار السجن إلا أن روحه التواقفة إلى الحرية تأبى أن تكون مسجونة، فشبه روحه بطائر الفينيق الأسطوري الذي يتجدد كلما أحرق نفسه وتحول إلى رماد، ليولد من جديد بخلق مغاير، فهذه النار التي تبرم في جسده لا تزيده إلا حسنا وبهاء وقوة، وكذلك هي روحه قوية رغم الانكسار والسجن.

إن إحساس الراوي بالقوة رغم تواجده في السجن جعله يطرح عدة تساؤلات، حيث يتساءل عن الزمن؛ أي الوقت الذي ستنتفض فيه البشرية من تحت الركام، ويقصد بتساؤله البشر الذين يرضون بالعيش تحت الذل والعبودية، تحت بيروقراطية السلطة الحاكمة أو تحت سلطة الاستعمار؛ لأن الحرية هي مطلب شرعي.

إن سؤال الراوي الثاني تابع للسؤال الأول، ففي قوله: " فمتى تنتفض من تحت أطنان الرماد " يتساءل عن الزمن الذي ستكون فيه البشرية مثل طائر الفينيق الذي يتجدد كلما تحول إلى

¹ المصدر نفسه: ص 69.

رماد، فهو رمز للقوة والمكافحة والاستمرارية، وهو الزمن الذي ستتحرر فيه البشرية من العبودية والضعف لتعتنق القوة والشموخ، يتساءل الراوي أيضا عن الزمن الذي سيتحرر فيه الأسطورة سيزيف من بطش الآلهة التي حكمت عليه بالشقاء الأبدي، إذ حكمت عليه برفع صخرة من أسفل الوادي إلى أعلى قمة الجبل وتكرار ذلك إلى الأبد، رغم أن الراوي يوجه أسئلته إلى متلقي الخطاب أو المخاطب إلا أنه يوجهها لنفسه أيضا، ولهذا فهو يجيب عن السؤال الأخير بدلا عنه، حيث يقول: " يكفي أن يفلت الصخرة لتهوي في الوادي السحيق ويندفع هو إلى القمة ".

إن الراوي في حقيقة الأمر اتخذ من سيزيف وسيلة لكي يوجه نصيحة إلى متلقي الخطاب أو المخاطب وللبنشوية جمعاء تتمثل في: أن ينفذ الغبار على نفسه وكذلك يجب أن يفعل الجميع فهو يناشد بالحرية، والملاحظ أن الراوي يوجه أسئلة لا أحد يجيب عنها وتترك دون إجابة، وإن تمت الإجابة عنها فالمجيب هو الراوي نفسه، وهذا دليل على أن الحوار أحادي صالح لكل زمان ومكان، وأن هذه الأسئلة تحمل رسالة موجهة إلى قارئ أو متلقي حذق يفهمها من خلال ربطها بالسياق.

النموذج الثالث:

>> ومن يفعل هذا غير طفلي المدللة؟ أيتها البارعة في ترتيب كل شيء، كل شيء دون استثناء إلاي ظللت عصيا حرونا، وما عساك تفعلين وأنا المتمرّد على كل شيء حتى على نفسي؟ <<¹.

يأتي السؤال الأول موجها للمتلقى وحاملا للإجابة في نفس الوقت، فكأن الراوي يقول له: ومن يهتم بي سوى طفلي المدللة التي اعتنت بالمنزل جيدا في غيابي، فالواضح أنه من خلال طرحه لهذا السؤال يعبر عن حنينه واشتياقه إلى طفله المدللة التي فرقته عنها الظروف، فهو متيقن بأنها هي من قامت بكل هذا، وما توجيهه لهذا السؤال إلا حنين واشتياق لها، فهو غير مصدق بأن طفله المدللة هي من رتبت كل شيء وأنها لا تزال تهتم به رغم كل هذه السنوات التي

¹ المصدر نفسه: ص 92.

مرت على آخر لقاء بينهما؛ إذ أن الهدف من توجيهه لهذا السؤال هو بث شكواه بطريقة غير مباشرة إلى المتلقي وجعله يتفاعل معه ويتأثر بحزنه؛ إذ يوجه الراوي في خضم هذه التساؤلات خطاباً إلى طفلة المدللة، فرغم أنها غائبة عنه إلا أنه يحدثها وكأنها موجودة، فيصفها بصفات تليق بها فيقول: " أيتها البارعة في ترتيب كل شيء، كل شيء دون استثناء ".

يرى الراوي بأن طفلة المدللة استثنائية في كل شيء، ربما تكون هذه الصفات دقيقة وفعلية فيصفها بكل موضوعية، وربما تكون هذه الصفات غير حقيقية تعود إلى شدة حبه لها؛ لأنه في هذه الحالة سينظر إليها بعين المحب العاشق لا بعين الإنسان العادي الذي يصفها بناء على ما يراه حقيقة، ورغم هذه الصفات الجميلة إلا أنه يخبرها بأنها لم تستطع ترويضه وتغيير تفكيره ومعتقداته؛ إذ ساهمت بمساعدتها ومسايرتها له في إدخاله للسجن، فهي لم تستطع منع أفكاره التي جعلته سجيناً ومع هذا فهو يطرح عليها سؤالاً ويجيب عليه بدلاً عنها، يفهم من خلاله بأنه لا يلومها على مساعدته ومسايرته؛ إذ يتمثل هذا السؤال في قوله: " وما عساك تفعلين وأنا المتمرد على كل شيء حتى على نفسي ؟ ".

عندما ينظر المخاطب أو المتلقي لهذا السؤال فإنه يجد الراوي في صراع داخلي بينه وبين نفسه، فهو يشعر بالذنب ولا يحمل طفلة المدللة وزر دخوله للسجن؛ لأن عناده وتمرده هما سبب ذلك، فالراوي لم يكن غرضه من طرح هذين السؤالين الاستفسار ولم يكن جاهلاً للإجابة، بل طرحهما ليبين للمتلقي بأنه راوٍ عليم يدرك جيداً بأن طفلة المدللة تستحق كل الحب والتقدير كونها بارعة في كل شيء، أما هو فيستحق ما لقي من سجن وتعذيب بسبب عناده وتمرده اللامتناهي.

النموذج الرابع:

>> خطوت على أناملي وخرجت كأني كنت أخرج من قلب معبد عتيق، وما كدت أتوسط الردهة حتى أجهشت بالبكاء، وما السر في هذا التناقض الرهيب، الذي لا يفصل بين طرفيه سوى خطوة، أي فرح عانقنا ها هنا، وأي دهشة هزنتي هناك ؟ <<¹.

لقد نظفت طفلة الراوي المدللة الحديقة والبيت ورتبت كل شيء فيهما إلا أنها لم تستطع ترتيب غرفة الراوي، لما تحمله هذه الغرفة من ذكريات مهمة بالنسبة له، يصف الراوي حالته عندما رأى سريره وأوراقه المبعثرة على الأرض، حيث وجد كل شيء في مكانه كما تركه تماما، لم يتغير شيء في الغرفة، شعر بألم يعتصر فؤاده، فانسحب منها وكأنه ينسحب من مسجد عتيق، وحينها أجهش بالبكاء؛ لأنه لم يتحمل رأيت طموحاته وأحلامه مبعثرة على الأرض يكسوها الغبار سأل نفسه أي فرح عانقنا ها هنا، وأي دهشة هزنتي هناك ؟.

عندما دخل الراوي إلى البيت ووجده نظيفا فرح كثيرا باهتمام طفلته المدللة به، فقال: " عانقنا الفرحة هنا ؛" لأنه كان خارج غرفته في الردهة المرتبة، أما قوله: أن الدهشة هزته هناك، فتعود هذه الدهشة إلى رؤيته لمشهد صدمه، حيث ظلت غرفته كما تركها منذ سنوات لم يتغير فيها شيء، يعيش الراوي في صراع بين الماضي الجميل عندما كان يستمتع بحياة الحرية، يدعو إلى التخلص من القيود والعبودية وبين أحلامه التي قضى عليها السجن.

إن دموع الراوي هي دموع رجل منكسر، يحاول أن يكابر ولكنها سرعان ما تفضحه، فهو منكسر الخاطر والفؤاد، ولم يستطع أن يتجاوز ذلك، ورغم أنه يؤمن بالحرية إلا أنه نسي بأن هذه الدموع هي نوع من العبودية المتمثلة في الرضوخ للألم، تحمل هذه الأسئلة بعدا تداوليا حيث أنها أسئلة توجيهية الغرض منها هو التعبير عن الحسرة والألم.

النموذج الخامس:

¹ المصدر نفسه: ص 93.

>> أسئلة حيرى راحت تراودني، كأني في واقع ليس واقعي، بل كأني لست في الواقع أصلا، وماذا يعني الواقع، وماذا يعني اللاواقع؟.

أحسست بتعب شديد يعصف برأسي وكل عضلاتي ومفاصلي <¹.

يُشغل الراوي تفكيره بأمر فلسفية تؤدي به إلى طرح عدة تساؤلات؛ إذ يشعر بأنه في واقع لا يليق به، فهو يبحث عن واقع مثالي، ومع ذلك فهو يريد أن يُعرّف الواقع ويُعرّف اللاواقع، كأنه يضع مقارنة بين الواقعيين وفي متاهة لا يحسن الخروج منها، يطرح الراوي على نفسه سؤالين فلسفيين تبادرا إلى ذهنه نتيجة التفكير والتأمل في كل شيء، ففي قوله: " وماذا يعني الواقع؟ وماذا يعني اللاواقع؟"، هو تقصي ويبحث عن الحقيقة؛ لأن الراوي لا يكتفي بالتعريفات المتعارف عليها - لكل منهما - بل يبحث عن تعريف استثنائي، والغرض من ذلك هو محاولته تجسيد مفهوم الحرية على أرض الواقع، الحرية التي تمنع القيود والاستسلام للعبودية التي يفرضها الذوبان في الواقع المعاش.

يريد الراوي الابتعاد بخياله عن التبعية والرضوخ لما هو موجود والبحث عن واقع مختلف تماما، وهذا ما جعله يحس بالإرهاق الجسدي والنفسي والذهني، فهو يوجه لنفسه أسئلة حتى يشحذها عن المضي قدما دون التراجع للخلف، فهو مقتنع تماما بأن هناك عالم آخر يكون فيه الإنسان حرا لا عبدا.

النموذج السادس:

تقول الطفلة المدللة أيضا:

¹ المصدر نفسه: ص 101.

>> أكملت وأي فرح هذا الذي لا نصب خمرته في كأس الحبيب، وأي كأس هذا الذي لا يرشف منه الحبيب حتى ينتشي ويسكر، بل أي خمر هذا الذي لا نترشف أنا وأنت شاطئي كوبه حتى يطرز شفتينا بنوار الحب ؟ <<¹.

تحدث طفلة الراوي المدللة عن الحزن الذي أسر فؤادها حينما غاب عنها حبيبها الذي أبعد عنها السجن، فهي لم تعد تشعر بذلك الفرح الذي كانت تشعر به وهي قربه، ففي لحظة تخرجها أدركت بأن لا فرح بعده، وهي تقصد بتساؤلها: " فأأي فرح هذا الذي لا نصب خمرته في كأس الحبيب ؟ " القول بأن يوم تخرجها لا طعم له ما دام هو غير موجود ليبارك لها نجاحها وتفوقها، فهو بالنسبة لها يوم عادي مثله مثل سائر الأيام، بل هو يوم افتقدت فيه وجود الراوي الذي جعلها بعد غيابه تعيش الوحدة وخيبة الأمل.

تقصد طفلة الراوي بتساؤلها الثاني: " أي خمر هذا الذي لا نترشف أنا وأنت شاطئي كوبه حتى يطرز شفتينا الحب " القول بأن الشهادة التي تحصلت عليها لا قيمة لها؛ لأن حبيبها لم يشاركها لحظة الحصول عليها، والتي كانت ستكون مليئة بالحب الذي سيظهر جليا في ابتسامة شفتينا.

إن الغرض من طرح طفلة الراوي المدللة لهذه الأسئلة الموجهة للراوي، هو بث شكواها وألمها إليه وتعبيرها عن اشتياقها له، ولأنه لا يوجد طريقة أخرى غير الرسائل ليكون هناك حوار بينهما وإن كان حوارا غير مباشر، قررت طفلة المدللة أن ترسل إليه رسالة وتنتظر رده، فالرسالة هي أداة التواصل بينها وبين الراوي وإن كانت هي حاضرة والراوي غائب، لا تحتاج طفلة الراوي المدللة إلى قراءة إجابة الراوي عن أسئلتها؛ لأنها توجه إليه الأسئلة وتجبب عنها بنفسها، فهي أرادت فقط أن تقول له بأنه موجود في قلبها، وبأن فرحتها دونه غير مكتملة وتبقى ناقصة دائما،

¹ المصدر نفسه: ص 112.

إن طفلة الراوي المدللة وهي تكتب هذه الرسالة تشعر بالحزن الشديد على فراق حبيبها الذي تفصلها عنه أسوار السجن.

النموذج السابع:

>> غير أن حيرة حارقة التهبت فجأة في أعماقي:

هل يمكن أن أعود إلى طبيعتي البشرية؟ وما السبيل إلى ذلك؟

لقد دهنت الساحرة بامفيلة نفسها بمرهم فتحوّلت بومة، طارت وحلقت في السماء، وكان سبيلها لأن تعود إلى طبيعتها البشرية أن تستحم بماء نقعت فيه نبات الشبت وأوراق الغار، وكان سبيل لوكيوس كي يعود إلى بشريته من حماريتها أن يلتهم الورد، فما سبيلي أنا؟ ولكن ما لي أفكر هذه الأفكار الحمقاء، ومن قال إنني سأفكر يوماً أنني سأعود إلى آدميتي وقد تحررت؟¹

يتحدث الراوي عن حياته الجديدة بعد أن أصبح ذئباً، يرمي من خلال طرحه لسؤالين الوصول إلى فكرة معينة، فبعد تحوله إلى ذئب من طرف الإلهة عشتار سأل نفسه إذا يمكنه العودة إلى آدميته؟ وما هي الطريقة إلى ذلك؟، فالراوي هنا متناقض فمن جهة كان يسعى لأن يكون ذئباً حتى يكون حراً، ومن جهة أخرى يحس بالخوف ويريد أن يعود إنساناً كما كان، يكمن هذا التناقض بين دعوته للحرية عندما كان إنساناً وبين رغبته في العودة للعبودية بعد أن أصبح ذئباً.

إن الراوي في حقيقة الأمر يرفض كل معتقد؛ إذ يرى البشر عبارة عن عبيد للدين والفلسفة وكل ما يحيط بهم، ويتملص من عاداتهم وتقاليدهم، وهذا دليل على تناقضه، فهو لا يدرك الحقيقة ولا يعرف الحرية التي ينادي بها، فهو يطرح سؤالاً فلسفياً لا يمكن للمتلقي أن يجيب عنه، وما سؤاله إلا تعبيراً عن الحيرة التي توجد بداخله وتمنعه العيش بسلام مثل أتراه، يتحدث الراوي عن

¹ المصدر نفسه: 121.

الأشخاص الذين تحولوا إلى حيوانات وتمكنوا من العودة إلى آدميتهم، فيقول بأن استحمام الساحرة بامفيلة بماء نقعت فيه نبات الشبث وأوراق الغار جعلها تعود لآدميتها، في حين التهم لوكيوس الورد حتى تمكن من العودة إليها، ولأن كل منهما استطاع أن يعود إلى آدميته سأل الراوي متلقي الخطاب سؤالاً آخر مفاده: ما سبيلي أنا؟، ولم ينتظر المخاطب حتى يجيب عن أسئلته وأجاب عليها بنفسه، وذلك بطرحه لسؤالين مناقضين للأسئلة السابقة؛ إذ أجاب قائلاً: لماذا أفكر في هذه الأفكار الحمقاء ومن قال أصلاً بأنني سأفكر يوماً بأن أعود لآدميتي وقد تحررت؟.

إن الراوي بطرحه لهذين السؤالين الأخيرين يتدارك خطأه في التفكير بالعودة للعبودية التي طالما هرب منها، فهو يعتقد بأن حياة الذئاب هي حياة فعلية بعيدة عن العبودية، ولكنه في حقيقة الأمر واقع في عبودية أقسى من العبودية التي كان يفر منها ويثور ضدها؛ لأنه في عالم الحيوانات لا يستطيع إبداء أي حركة دون موافقة زعيم القطيع.

النموذج الثامن:

>> وكيف للعبد الضعيف الذي مسخ ذنباً أن يتحدى الإلهة عشتار وقد ملكت المطلق من كل أطراف الآلهة أبوها الإله سين إله القمر، وأمها الإلهة نكال، وأخوها الإله أوتو إله الشمس، وأختها الإلهة ارشكيح إلهة العالم السفلي، عالم الأموات، لتتربع هي على عرش الألوهية؟ وكيف للعبد الضعيف الذي مسخ ذنباً أن يتحدى الإلهة عشتار، وهي التي روضت كل جبابرة الأرض وملوكها، وزرعت قلوبهم حسرة وآلاماً، ونزلت بهم إلى مراتب اللصوص وقطاع الطرق؟ يقينا ستزيد في تعذيبي <<¹.

لقد جاء السؤال الأول طويل جداً غاص فيه الراوي في عالمه الجديد، حيث بات يعيش في عالم الماورائيات عالم أراد به الهروب من واقعه الذي كان يعيش فيه، فيقول: " وكيف للعبد الضعيف الذي مسخ ذنباً أن يتحدى الإلهة عشتار وقد ملكت المطلق من كل أطراف الآلهة أبوها

¹ المصدر نفسه: ص 139.

الإله سين إله القمر، وأمها الإلهة نكال، وأخوها الإله أوتو إله الشمس، وأختها الإلهة ارشكيح إلهة العالم السفلي، عالم الأموات، لتتربع هي على عرش الألوهية؟".

يشعر متلقي هذا الخطاب أن الراوي يصارع ذاته ويصارع الآخرين في عالم الأساطير، أين توجد الإلهة عشتار إلهة الجمال والخصب والنماء، يسأل الراوي سؤالاً لا يحتاج إلى إجابة صريحة عنه؛ لأن إجابته موجودة في متضمن القول؛ إذ يسأل كيف له وهو إنسان ضعيف مسخ ذنباً لا حول ولا قوة له أن يتحدى الإلهة عشتار التي تملك قوة تجعلها تتربع على العرش رغم أن أبوها وأمها وأخوها وأختها آلهة.

يشعر متلقي الخطاب أيضاً أن الراوي يوجه خطابه إلى متلقي آخر غيره، غير موجود أو غير مرئي، واستخلص ذلك من طريقة طرحه للأسئلة؛ إذ يسأل سؤالاً ويتبعه بسؤال آخر، ولهذا فبإمكان المتلقي أن يتساءل عن الشخص الذي يخاطبه الراوي، والذي لا يعلم عنه شيئاً، ولمن يبيت الراوي خوفه وشكواه كونه يتحدث والخوف بادٍ عليه؟ ولماذا هذا المخاطب لا يجيب؟ وهل فعلاً يخاطب شخصاً آخر أم أنه يخاطب نفسه أم يخاطبه هو؟.

يمكن للمخاطب أن يطرح كل هذه التساؤلات ومع هذا فلقد جاء سؤال الراوي مخالفاً لما يدعو إليه، فطالما ناشد بالحرية ووقف ضد العبودية، فبطرحة لهذا السؤال يضرب معتقداته عرض الحائط، وهذا ما يجعل المتلقي يشمئز من هذا التناقض والضعف، أما فيما يخص السؤال الثاني والذي يقول فيه: " كيف يمكنني أن أتحدى الإلهة عشتار وهي التي روضت كل جبابرة الأرض ".

يبدو أن الراوي مستسلماً وراضحاً رضوخاً تاماً، ولكن ما يمكن قوله أن طرح هذا السؤال يخدم نفس الغرض سواء أكان الراوي إنساناً أو ذنباً؛ لأنه يشعر بالخوف والهزيمة مثله مثل البقية حيث يخاف من القوي ويستسلم عندما يشعر بالهزيمة، حتى لا يتأذى، وهو اعتراف منه غير مباشر برضوخه أمام القوي ورضوخه للقوانين التي تحكم المجتمع، وما أفكاره المتعلقة بالحرية إلا

وهم تسبب له بالسجن وضياع شبابه، وما هو إلا مريض نفسي يدعو إلى الحرية والتخلص من العبودية وهو يخاف من زعيم القطيع ومن الإلهة عشتار.

تحمل هذه الأسئلة بعدا تداوليا وتوجيهيا، تجعل المتلقي أمام تناقضات الراوي، الذي تراه تارة متمردا على كل شيء وتارة أخرى راضيا وخائفا من كل شيء، وتكون الإجابة عن هذه الأسئلة التوجيهية متضمنة في القول، ومع هذا يجب على المتلقي تفسيرها رغم أن الراوي يوجه أسئلته ولا ينتظر الإجابة عليها.

النموذج التاسع:

>> أففف ..

وأين طفلي المدللة ؟ وما الذي جاء بها لملاقاتي ؟ ولماذا لم تكلمي البتة ؟ أي حاجز كان يقف بيننا ؟ <<¹.

عندما خرج الراوي من السجن وجد طفله المدللة أمام البوابة تنتظره بسيارتها، ولكن الغريب في الأمر أنها لم تكلمه ولم تنتظر إليه ولم تسأل عن حاله، وبعد ركوبه في سيارتها متجهة به إلى منزله تفاجأ عند نزوله من السيارة ببيته المرتب؛ مما يعني أن طفله المدللة اعتنت به جيدا في غيابه، وهذا ما جعله يطرح عدة تساؤلات حيث تساءل عن مكان طفله المدللة التي تركته دون أن تسأل عن أخباره، وعن السبب الذي دفعها للقدوم إليه وهو خارج من السجن، ولماذا لم تكلمه، وما هو الحاجز الذي حال بينه وبينها وجعلها تعامله بجفاء.

يمكن القول أن هذه الأسئلة هي نتيجة افتقاد الراوي لطفله المدللة التي بات لا يعرف عنها شيئا، لا يعرف ما إذا تزوجت وأعدت بناء حياتها أم أنها لازالت تحتفظ بحبه في قلبها ؟، وهل ذهبت مع غيره أم ظلت وفية لحبه ؟، لا شك أن الراوي يفكر بهذه الطريقة ولكن الغرض من

¹ المصدر نفسه: ص 147.

طرحه للسؤال المتعلق بسبب مجيئها إليه أثناء خروجه من السجن يكمن تحته عدة تساؤلات مخفية تتمثل في قوله بينه وبين نفسه: إذا كانت قد نسيتني حقا فم الذي جاء بها إلي ؟ وإذا كانت تحبني فعلا فلماذا لم تكلمني ؟ وإن كانت مشتاقة لي فلماذا لم تنتظر في وجهي ؟.

إن الغرض من هذه التساؤلات هو تعبير الراوي عن شعوره بالحيرة التي باتت تؤرق نومه، فهو بين نارين بين اشتياقه لطفلته المدللة وبين خوفه من أن تكون قد تزوجت وتركته، كما أنه يشعر بالوحدة؛ لأنه دون أب ودون أم ودون جده مصباح، فبعد وفاتهم ظلت معه إلا طفلته المدللة التي تغيرت عليه كثيرا، فهي لم تعد تملك تلك اللفتة التي كانت تعبر عنها في رسائلها، كما أنها لم تصرح بنسيانها ولم تعبر عن غضبها منه وسخطها عليه فقط التزمت الصمت، وهذا الصمت هو الذي زرع الخوف في نفسه؛ لأنه لا يزال متعلقا بها كثيرا ويخاف من فقدانها.

قد تكون هذه الأسئلة موجهة إلى متلقي حاضر أمامه أو غائب عنه صالح لكل زمان ومكان، أو ربما تكون أسئلة موجهة إلى نفسه، المهم في الأمر أن هذه الأسئلة ورائها الكثير من التساؤلات التي لا أحد يملك إجابتها سوى طفلة الراوي المدللة.

يتواجد الاستفهام بكثرة في رواية (هاء وأسفار عشتار) واكتشفنا بتحليلنا لهذه النماذج أن الروائي (عز الدين جلاوي) قد عمد إلى استخدام نفس الطريقة في توجيه الأسئلة، كون الراوي وطفلته المدللة قد عمدا إلى طرح الأسئلة بنفس الطريقة والكيفية، الفرق بينهما أن طفلة الراوي المدللة توجه أسئلتها إلى الراوي الذي يُبعدها عنه سور السجن، ورغم إمكانية انتظار إجابته على هذه الأسئلة في رسالته القادمة إلا أنها تجيب عليها بنفسها دون انتظار رده، بينما يطرح الراوي الأسئلة إما على نفسه ويجيب عليها أو على متلقي الخطاب المجهول الهوية أو على المخاطب الذي لا يحده زمان أو مكان، حيث يجيب الراوي على هذه الأسئلة بدلا من المتلقي أو يتركها دون إجابة.

تستخدم طفلة الراوي المدللة الرسائل كوسيلة للتواصل بينها وبين الراوي، وهذا يعني أنها ستتلقى - على الأغلب - إجابة منه على أسئلتها وإن أجابت عليها قبله، أما الراوي فهو يسأل متلقي لا يجيب، وعلى الأغلب يسأل الراوي نفسه ويجيب عليها بنفسه، وأحيان أخرى تكون الإجابة متضمنة في السؤال؛ لأنه لا يوجد حوار مباشر بينه وبين المتلقي، بل هو حوار أحادي الطرفين كما سبق وأشرنا، كما تأتي هذه الأسئلة غير مباشرة تفهم من سياق الكلام.

إن هذه الأسئلة على اختلاف أنواعها ووجودها في الرواية لها غرض معين ووراءها قصد صاحبها، والتداولية تدرس اللغة في الاستعمال، ولهذا جاء الاستفهام كأداة من أدوات التوجيهات له قصد وغرض معين، فلكل سؤال طرح في هذا الخطاب قصد أراد الراوي إيصاله إلى المتلقي سواء أكان هذا المتلقي حاضرا أم غائبا.

الأمر:

>> يعرف الأمر بأنه طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى، حقيقة أو ادعاء <<¹؛ بمعنى أنه قد يكون الأمر في مرتبة عالية تمنح له الحق في الطلب وقد يكون مدعيا لذلك ويحتل مكانة بسيطة ولا يملك سلطة على أحد >> قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي للدلالة على أغراض بلاغية كثيرة، تستفيد من السياق وقرائن الأحوال وتتمثل هذه الأغراض البلاغية في: النصيح والإرشاد، الدعاء، التعجيز، التهديد، التحقير، التمني، التعجب، الندب، التأديب <<².

يمكن القول أيضا أن لفعل الأمر عدة أدوات من أهمها:

>> - فعل الأمر (فعل).

- اسم فعل: مثل أنتم مأمورون بذلك.

¹ فتيحة باخالد، محمد بن يحيى: الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في " المقامة البغدادية " لبديع الزمان الهمذاني، مجلة علوم اللغة وآدابها، مج 16، ع 01، 2024، الصفحات 475 - 497، ص 486.

² ينظر إلى أمانة جاهمي: الأفعال الكلامية ووظائفها عند علي كرم الله وجهه تحليل من منظور رؤية سيرل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 13، ع 01، ص 646 - 647.

- فعل المضارع المسوف باللام.
- ألفاظ مخصوصة للوجوب: يجب ينبغي، لا بد من، عليك
- المصدر النائب عن فعل الأمر <<¹.

النموذج الأول:

>> وماذا يريد جدي مصباح بالضبط من هذه الرحلة ؟ ولم يزد على أن أشار إليّ بأن أصمت، وليبيت <<².

إن الفعل الإنجازي في هذا القول غير مصرح به، يفهم من سياق الكلام؛ إذ يتحدث الراوي عن جهله للسبب الذي دفع جده مصباح لأخذه في هذه الرحلة، حيث يقول بأن جده مصباح أشار إليه بأن يصمت، وإن كانت الإشارة إيماء وليست كلاماً إلا أنها تعد كلمة؛ لأنها مفهومة ولا يوجد بها لبس، ويقصد الراوي بعبارة (أن أصمت) فعل الأمر (أصمت)، حيث جاء هذا الفعل بغرض الكف عن الحديث والاكتفاء بالصمت من أجل الإصغاء للطبيعة، وكفعل إنجازي وجب على المخاطب أن يبدي ردة فعل طبيعية، وكانت ردة فعل الراوي هي تلبية الطلب، ويتضح ذلك في قوله: " وليبيت " فكلمة (لبيت) هي دليل على الاستجابة والانصياع للأمر، لقد صدر هذا الأمر من الجد مصباح الذي يملك سلطة على الراوي، فلقد وجه إلى الراوي أمراً وهو يعلم أنه لا يستطيع رفض أوامره بحكم أنه يفوقه سناً وهو من اعتنى به طيلة حياته.

النموذج الثاني:

¹ لعبيدي فريدة، حشلافي لخضر: الإستراتيجية التوجيهية في الخطاب الإداري، مجلة إنسانيات معاصر للبحوث والدراسات، مج 02، ع 01، 2023، الصفحات 130 - 153، ص 137.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 20.

>> يليق بي اليوم أن أزور جدي مصباح، لعل ما وقع في القلب إن يكن إلا شوقا إليه، تذكرت قوله وأنا أسعى إليه. اسع إلي حيث حييت لا حيث أنا ميت <<¹.

لقد توفي الجد مصباح والراوي لا يزال صغيرا، ولكن ظلت ذكرياته تجوب بخاطره، وعندما شعر بألم في قلبه أدرك أن السبب وراء هذا الشعور يعود إلى اشتياقه إلى جده مصباح، كونه كان قريبا جدا منه؛ إذ يقول: " لقد تذكرت قوله وأنا أسعى إليه، اسع إلي حيث حييت لا حيث أنا ميت "، ففعل الأمر (اسع) هو فعل إنجازي يتطلب التأثير في المتلقي أو المخاطب، فرغم أنه جاء بصيغة الأمر إلا أن الغرض منه هو الطلب.

يطلب الجد مصباح من الراوي أن يزوره وهو حي لا أن يزوره وهو ميت، وربما يعود السبب وراء ذلك إلى مدى حب وتعلق الجد مصباح بالراوي، ولهذا يريد أن يملأ عينيه برؤيته وهو حي قبل أن توافيه المنية، وحتما سيؤثر هذا الفعل الإنجازي في الراوي؛ لأنه يحبه ومتعلق به جدا، والدليل على ذلك هو رغبته في زيارة الجد مصباح بعد وفاته رغم أنه طلب منه عدم زيارته، وكأنه فهم فعل الأمر بطريقة عكسية وذلك أن جده مصباح كان يرمي إلى القول: لا تتركني وحدي وأنا حي ولا تتركني وحدي وأنا ميت، وزرني في قبوري كلما جبت بخاطرك وعصف بقلبك الحنين، يمكن القول أيضا أن الغرض من فعل الأمر (اسع) هو الاستعطاف، فالجد مصباح يستعطف الراوي كي لا يتركه وحده وأن يظل قريبه، ومهما تعددت أغراض فعل الأمر في هذا النموذج فهو موجه من الأعلى إلى الأدنى.

النموذج الثالث:

>> كنت أعرف أن الأمر سينتهي إلى العنف اللفظي وحتى البدني، ونحن دعاة حرية، وطريق الحرية لن يكون هو طريق العبودية، الإنسان يستعبد بالعنف فلنتحرر بالسلم، وخطرت لي فكرة الاجتماع في حديقة منزلنا، أفضل مكان لتجنب أي تصادم، رفضت طفلي المدللة الفكرة بداية

¹ المصدر نفسه: ص 23.

الأمر، خوفا علي من جام غضبهم، لكنها رضيت مستسلمة أمام إلحاحي، إيماننا مني أننا دعاة حرية <<1.

يعد الفعل الإنجازي المتمثل في فعل المضارع المسوف بلام الأمر، التي غيرت صيغته إلى صيغة الأمر (فلنتحرر) فعلا صريحا جاء به الراوي ليقنع رفاقه ومنهم طفلة المدللة بفكرة إقامة الاجتماع في حديقة بيته؛ لأنه بات يخاف من التصادم الذي يقع في كل مرة جراء اختياره لأي مكان، نظرا للتعارض القائم بين الأفكار التي يقدمها وتدعو للتحرر وبين الأفكار التي جبل الناس عليها.

يرى الراوي أن الإنسان يُستعبد ويقع تحت جبروت العبودية عن طريق العنف، ولهذا أمر رفاقه وطفلة المدللة باللجوء إلى السلم، فاستخدم فعل الأمر؛ أي الفعل المضارع المسوف باللام (فلنتحرر) بغرض إقناع نفسه وإقناع زملائه بأن السلم هو السبيل إلى الحرية، وأن العنف هو السبيل إلى العبودية.

يكون الرد على هذا الفعل الإنجازي إما بالرفض أو القبول، والملاحظ أن طفلة الراوي المدللة في بادئ الأمر رفضت أن يكون الاجتماع في حديقة بيته، ولكن سرعان ما وافقت نظرا لإلحاح الراوي المتكرر؛ لأنها وجدته مؤمنا بدعوته للحرية ومقتنعا بها.

يمكن القول أيضا أن الغرض من الفعل الذي جاء بصيغة الأمر (فلنتحرر) الالتماس، حيث يلتمس الراوي من نفسه ومن زملائه الابتعاد عن العنف ويدعوهم إلى السلم بقوله: " فلنتحرر بالسلم "؛ لأنه يدرك جيدا بأن العنف سيقضي على أفكارهم، وسيواجهون أشخاصا لن يرحمهم، ولن يرحبوا بما يدعون إليه، وأن المكان المناسب للاجتماع من أجل تفادي المشاكل هو حديقة بيته، تختلف وجهات النظر في هذا الفعل بين الأمر باللجوء إلى السلم وبين الالتماس والدعوة إلى

¹ المصدر نفسه: 59 - 60.

السلم حيث يتحكم في دلالاته وغرضه السياق الخارجي والظروف المحيطة بالراوي أثناء التلفظ، ولهذا اخترنا الداليتين معا؛ لأن الهدف منهما واحد.

النموذج الرابع:

>> لقد غادر المساجين الذين أطلق سراحهم السجن، وخرج الآخرون إلى الفسحة، أدرك أنني تأخرت عن تنفيذ الأوامر في مغادرة السجن، وحتما سيأتي كبير السجانين الآن ليمزق ستار الاحترام بيننا ويصب على رأسي أطنانا من الشتائم <<¹.

يوجد في هذا النموذج فعل إنجازي محذوف يتمثل في فعل الأمر (غادر)، ويتضح ذلك من خلال قول الراوي: " أدرك أنني تأخرت عن تنفيذ الأوامر في مغادرة السجن، فعلى الرغم من أن المساجين الذين أطلق سراحهم غادروا السجن، وخرج الآخرون إلى الفسحة إلا أن الراوي ظل حبيس غرفته ".

تحكم السجون القوانين والضوابط والأوامر وعلى السجن الرضوخ لها، وعصيانه لهذه الأوامر يعرضه للعقوبة، وبما أن الراوي لم يمتثل لأوامر السجان المتمثلة في مغادرة السجن فإن ذلك سيعرضه للعقوبة أيضا، حيث تجاهل الراوي الأوامر وتأخر عن تنفيذها، وربما يعود السبب وراء ذلك إلى تعوده على السجن، وبالتحديد على غرفته التي مكث فيها طويلا، أو ربما يعود السبب في ذلك إلى شعوره بالخوف من العودة إلى الماضي، وإلى بيته الذي سيكون فيه وحيدا بحكم وفاة أمه وأبيه وجده مصباح، أما طفلته المدللة فربما تزوجت.

يعيش الراوي صراعا داخليا جعله يتأخر عن تنفيذ الأوامر، ولكن سرعان ما تدارك الأمر ودكّر نفسه بمغادرة السجن تفاديا لكبير السجانين، الذي حتما سيصب عليه وابلا من الشتائم، يفهم المتلقي من ذلك أن كبير السجانين لا يحب الراوي، كما أنه ينتظر مثل هذه الفرصة حتى يسبه ويشتمه، وربما يتجاوز الشتم إلى الضرب.

¹ المصدر نفسه: ص 85.

يُفهم الفعل الإنجازي (غادر) من سياق الخطاب كما سبق وأشرنا، إلا أن ردة فعل الراوي كانت مغايرة لردة فعل المساجين؛ حيث تأخر عن تنفيذ الأمر، ولكن سرعان ما تذكر القوانين التي تحكم السجن وتفرض عليه المغادرة فوراً، فالراوي الذي كان يناشد بالحرية ويثور ضد العبودية بات يخاف من العقوبات التي تكون جراء التمرد على هذه القوانين، ليصبح الراوي مثله مثل أي شخص يكون قويا في موضع القوة وضعيفا في موضع الضعف، فالحرية ترتبط بالمكان والزمان وكذلك هي العبودية، ولهذا فإن الحرية نسبية وليست مطلقة.

النموذج الخامس:

>> وكان مدخل القاعة يعج بعشرات اللافتات الداعية للحرية: أخي الإنسان تحرر من سجونك، ذاتك سجن، أوطانك سجن، أديانك سجن، عاداتك سجن، غرائزك سجن، خوفك سجن، تحرر من خوفك تتحرر من كل السجون <<¹.

ظل الراوي بعد خروجه من السجن كما هو لم يتغير تفكيره ولا معتقداته، بل بات يرى في يقظته لافتات تدعو إلى الحرية، مكتوب فيها: " أخي الإنسان تحرر من سجونك، ذاتك سجن، أوطانك سجن، أديانك سجن، عاداتك سجن، غرائزك سجن، خوفك سجن، تحرر من خوفك تتحرر من كل السجون "، حيث تكرر الفعل الإنجازي المتمثل في فعل الأمر (تحرر) في هذا القول مرتين، والغرض من هذا التكرار هو التأكيد على الفكرة التي لطالما آمن بها الراوي وسعى لنشرها.

تدعو هذه اللافتات إلى التحرر من السجون التي يعيش فيها الإنسان، فالذات سجن والأوطان سجن والأديان سجن والعادات والتقاليد سجن والغرائز والخوف سجن، ويرى أن الخوف هو الذي يمنعه من التحرر، ولهذا جاء الفعل الإنجازي (تحرر) كفعل أمر موجه إلى الإنسان الذي يمنعه الخوف من أن يثور ضد القوانين والضوابط التي تحكم المجتمع والآنف ذكرها.

¹ المصدر نفسه: ص 99.

يتطلب الفعل الإنجازي (تحرر) وجود رد فعل من قبل المرسل إليه سواء بالقبول أو الرفض، ويمكننا معرفة ذلك من خلال قول الراوي:

>> وأخيرا تحررنا، اقتربت أكثر، كان الحشد يتطاير أمامي كزبد البحر، ورحت أمد يدي أتلمس اللافتات الملونة، غير أنها كانت تتلمص من بين يدي ثم ترفرف عاليا كأوراق خريف لهت بها ريح عاتية.

وتملكنتي الخيبة الجارحة.

ومن بعيد ارتفعت لافتة كبيرة: لا مرحبا بعدو الإنسان، ثم سريعا تبخرت في الفضاء، أمام صيحات أعماقي: ما أخطر أعداء الحياة <<¹.

بعدما أوهم الراوي نفسه بأنه وكل البشرية قد تحرروا من العبودية في قوله: " وأخيرا تحررنا "، تبخرت كل آماله في الفضاء؛ لأن تلك اللافتات المكتوبة اختفت وأصابته الخيبة، ليرى بعد ذلك لافتة كبيرة فيها: " لا مرحبا بعدو الإنسان "، فرغم أن هذه اللافتات التي تدعو الإنسان إلى التحرر هي لافتات وهمية إلا أن الراوي طالما دعا إلى التحرر، وهذا هو السبب الذي جعله يدخل السجن ويمكث فيه لسنوات طويلة.

لم يكتف الراوي بالعقوبة التي تعرض لها نتيجة أفكاره التحررية، وظل متطلعا إلى قبول فكرته، وهذا ما جعله يصل إلى مرحلة الهديان؛ إذ شاهد نفسه وكل البشرية متحررين من كل الضوابط والقوانين المختلفة التي تحكم المجتمع، ورغم أن أفكاره لقيت رواجاً قبل دخوله إلى السجن إلا أن أتباعه لم يعودوا موجودين ولم يبق سوى أعدائه الذين لقبوه بعدو الإنسان؛ لأن أفكاره التحررية تدعو إلى التمرد على الدين والعادات والتقاليد وكل ثوابت المجتمع، بحجة أنها نوع من أنواع العبودية.

¹ المصدر نفسه: ص 99 - 100.

النموذج السادس:

تقول طفلة الراوي المدللة:

>> أيها القمر الموغل في عليائه، المشرق ببهائه، هلا تتواضع وتتنزل إليّ أحدثك حديث قلبي العاشق، حيث كبدي الحرّي، حديثاً تجمجم به أعماقي ولا تبوح، وتمور به عيوني ولا تهمي، احفظه كما تحفظ ضياء النجوم، وطوق به قلب حبيبي هالة من شوق وقوزحا من حنين <<¹.

استهلت طفلة الراوي المدللة رسالتها بالمناداة على القمر الذي تراه مشرقاً من شدة بهائه، وتطلب منه أن يتواضع وينزل إليها لتحديثه عن عشقها للراوي وحبها الشديد له، حديث أسرته في أعماقها ولم تبح به، وأخفته في عيونها ولم تبده.

يظهر الفعل الإنجازي في الفعلين الأمرين (احفظه) و (طوّق)، حيث تأمر طفلة الراوي المدللة القمر الذي لا يدرك ولا يعقل ولا يمكنه النزول إليها وكأنه إنسان تأمره فينفذ، ولأن هذين الفعلين الإنجازيين موجهين إلى القمر فهذا يعني أنه غير مطالب بالرضوخ للأوامر وإبداء ردة فعل، ومع ذلك فإن طفلة الراوي المدللة تطلب منه الحفاظ على هذا السر كما يحافظ على ضياء النجوم ليلاً، كما تأمره بأن يرسل حبها إلى حبيبها الماكت بالسجن كلما طلّ عليه وهلّ.

إن المرسل في هذا الخطاب هو طفلة الراوي المدللة والمرسل إليه هو الراوي، بينما تتمثل وسيلة التواصل بينهما في القمر والرسالة؛ إذ عمدت طفلة الراوي المدللة إلى توظيف الفعلين الأمرين (احفظه) و (طوّق) كفعلين غير حقيقيين، الغرض منهما هو التعبير عن مشاعرهما نحو الراوي ومدى اشتياقها وحبها له بطريقة شعرية، فهي تريد من الراوي أن يتذكرها كلما نظر إلى القمر؛ لأنها أرادت أن تخبره بأنها كلما نظرت إليه تذكرته، ولهذا وجب أن ينظر إليه حتى يتذكرها.

¹ المصدر نفسه: ص 107.

إن الفعلين الإنجازيين المتمثلين في الفعلين الأمريين (احفظه) و (طوّق) موجهان في الظاهر إلى القمر، وفي حقيقة الأمر فإنهما موجهان إلى الراوي الذي تطلب منه أن لا ينس حبها، وأن يحتفظ به في أعماق قلبه.

النموذج السابع:

تقول طفلة الراوي المدللة أيضا:

>> وفي من روح الفراشات وبهائها ورشاققتها ما علمت، بعضه إنما صنعه الطبيعة، وبعضها قد نفخته من روحك في روحي فإذا أنا خلق آخر، فانفخ فيما بعثت إليك، والتم على شفاهها من شفاهك، وأرسلها إنني أنتظرها على قارعة الشوق، و... <<¹.

تذهب طفلة الراوي المدللة بتفكيرها إلى أبعد نقطة يمكن أن يصل إليها العاشق، وهي اتهام الفراشة بأنها تغار منها أو تعتمد إلى جعلها تزهرق روحها لكي ترسلها ميتة فوق الرسالة إلى الراوي، أو ربما يعود السبب إلى إحساس الفراشة بالشفقة اتجاهها، يعود هذا التعبير إلى عشق طفلة الراوي المدللة واشتياقها للراوي؛ إذ تريد أن ترسل إليه نفس الفراشة التي داعبت خدها، حتى يراها ويتذكرها ويتذكر ما كان بينهما، حيث جاء الفعلان الإنجازيان المتمثلان في الفعلين الأمريين (فانفخ) و (الثم) بغرض تعجيز الراوي؛ لأنه لا يستطيع تنفيذ الأمرين، فهو لا يستطيع أن ينفخ في الفراشة ولا يستطيع إعادة إحيائها كما أنه لا يستطيع لثم شفاهها.

يمكن القول أن طفلة الراوي المدللة تطلب من الراوي أن يلمس الفراشة ويقبلها ويعيد إرسالها إليها، حتى تشعر بالأنفاس التي افتقدتها منذ دخوله للسجن، كما تعترف له بأنها تحمل نفس حلاوة الفراشات حيث ساهمت الطبيعة في صنع بعض من حلاوتها والبعض الآخر صنعه الراوي، لم يصرح الراوي بقبوله لتنفيذ أوامر طفلة المدللة أو رفضها، ويجهل المتلقي للخطاب ردة فعله، إلا أنه يعلم بتمرده على الأوامر والقوانين وبالتالي فعلى الأغلب سيرفض الامتثال لأوامرها.

¹ المصدر نفسه: ص 108.

النموذج الثامن:

تقول طفلة الراوي المدللة:

>> وكم كانت المحطات باردة باهتة من دونك، فأشرق عليّ قبل أن يكفني الصقيع، ويسرق مني
بسمة الحياة، قبل ... <<¹.

تحتوي الرسالة التي أرسلتها الطفلة المدللة إلى الراوي على كثير من الحزن والألم، والسبب وراء ذلك هو اعتقادها بأن الراوي ابتعد عنها ولم يعد يرسل إليها الرسائل كما كان سابقاً، حيث باتت تراه متكبراً ولا يهتم لأمرها، ولهذا جاء الفعل الإنجازي المتمثل في فعل الأمر (فأشرق) بغرض دعوته إلى الاهتمام بها وزيارتها في أحلامها؛ لأنها لم تعد تستطيع العيش دونه معتقدة بأنه قد نسيها.

يعود السبب وراء اعتقاد الطفلة المدللة بأن الراوي قد نسيها أيضاً إلى وجوده في السجن؛ إذ ترى أن سبب عدم ظهوره في أحلامها يعود إلى تخليه عن حبه لها، ولهذا تصرح بأنها تبكي كل ليلة من أجله ولا تحس بطعم الحياة دونه، وتأمره بأن يترك روحه تعبر أسوار السجن وتأتي إليها لتعانق روحها.

إن هذا الحوار هو حوار أحادي الطرفين رغم أن المرسل هو طفلة الراوي المدللة والمرسل إليه هو الراوي إلا أن الراوي حاضر معها وغائب في نفس الوقت؛ بمعنى أنه حاضر في تفكيرها وغائب عنها؛ أي غير ممثل أمامها، مما يعني أنه لا يستطيع الاستجابة مباشرة لأوامرها سواء بالرفض أو بالقبول، بل عليها انتظار رده بفارغ الصبر، ولا يعلم متلقي الخطاب إذا قام بالرد عليها فيما بعد أم لا.

¹ المصدر نفسه: ص 109.

جاء فعل الأمر (أشرق) أيضا بغرض الشكوى، حيث تبث طفلة الراوي المدللة شكواها وحرزها لمحبوبتها، فهي تطلب منه أن لا ينساها وأن يبقى وفيا لحبها مثلما ظلت هي وفية لحبه.

النموذج التاسع:

>> وأدرك الزعيم بحدسه خطورة ما نحن فيه، وفجأة أعطى الأمر بوجوب الإسراع في اختراق حزام النيران مهما كلف الأمر، لبلوغ القمة العصماء المتوجة بالثلج، والعصية عن الخنوع لمكر الماكرين، وانطلقنا <<¹.

جعلت حرائق الغابات التي أتت على الأخضر واليابس زعيم القطيع يأمر القطيع باختراق حزام النيران مهما تطلب الأمر ذلك، خوفا على حياتهم من جهة وحتى لا يداهمم الخطر من جهة أخرى؛ إذ تسببت النيران في قتل كثير من الحيوانات، تحمل عبارة (أعطى الأمر) فعلا إنجازيا يتمثل في فعل الأمر المضارع المسوف بلام الأمر، التي غيرت صيغته إلى صيغة الأمر (فلتسرعوا)، حيث يفهم هذا الفعل من سياق الخطاب، وبإدخاله على القول يصبح كالاتي: " وفجأة قال فلتسرعوا في اختراق حزام النيران مهما كلف الأمر ".

إن فعل الأمر هنا غير قابل للرفض؛ لأن رفضه يعني الموت، فما يهم الأمير هو سلامة القطيع، ولهذا على القطيع أن ينفذوا أمره دون اعتراض، ولقد اختار الزعيم أن تكون وجهتهم هي القمة العصماء لاحتوائها على الثلوج، وهي المكان المناسب الذي يحميهم من النيران، فيقول الراوي وانطلقنا؛ بمعنى أنهم ساروا على درب زعيمهم، ليكون المرسل هو الزعيم والمرسل إليه هو القطيع.

توفرت عملية التواصل على جميع الشروط رغم أن المرسل الحقيقي هو الراوي والمرسل إليه هو المتلقي.

النموذج العاشر:

¹ المصدر نفسه: ص 131.

>> ومددت عيني لأرى رجلا أمامي ممتد الهامة غائر العينين كث اللحية، في صدره تتجلى الحياة والحكمة، وأمرني بالوقوف، عرفته للتو إنه قلقامش المخلص، وسعى فسعيت خلفه، ورغم أنه لم يواجهني بالحديث إلا أن أسراره كانت تبلغني <<¹.

يتحدث الراوي عن قلقامش - وهو ملك العالم السفلي - الذي أمره بالوقوف، ويتضح ذلك من خلال عبارة (وأمرني بالوقوف) التي تحمل فعلا إنجازيا يتمثل في فعل الأمر (قف)، ليكون المخاطب هو قلقامش والمخاطب هو الراوي.

يُفهم فعل الأمر (قف) من سياق الخطاب، وأصل القول: مددت عيني لأرى رجلا أمامي ممتد الهامة غائر العينين كث اللحية، في صدره تتجلى الحياة والحكمة؛ حيث قال لي قف، عرفته للتو إنه قلقامش المخلص، وكل فعل أمر موجه إلى شخص معين يتطلب ردة فعل، وردة فعل الراوي هي الوقوف والامتثال لأمره حيث يقول: " وسعى وسعيت وراءه "؛ بمعنى أن الراوي نفذ طلب قلقامش وتبعه مباشرة دون اعتراض.

الملاحظ أن الراوي وهو ذئب مختلف عن الراوي وهو إنسان، وهذا ما يجعل المتلقي في حيرة من أمره ويتساءل ما إذا كان الراوي يرى الحرية في عالمه الجديد أم أنه على العكس بات تحت سيطرة العبودية بعد أن كان يدعو إلى الحرية في عالمه القديم؟.

لقد جاء فعل الأمر في هذه الرواية بأسلوب غير مباشر في أحيان كثيرة، وفعل مضارع مسوف بلام الأمر في أحيان أخرى، أما حضوره بصفة مباشرة فلم يكن موجودا البتة، ووجد إلا في الرسائل التي كانت ترسلها طفلة الراوي المدللة إلى الراوي، وكان الغرض من هذا الفعل التعجيز والدعوة؛ لأنه صعب التنفيذ إن لم نقل مستحيلا، كما أنه ذكر في نسق شاعري، فلم يأتي الأمر بصيغته الحقيقية بل يُفهم من سياق الخطاب، وعلى العموم كان حضور فعل الأمر بأنواعه في

¹ المصدر نفسه: 141.

هذه الرواية محتشما جدا، ويعود السبب في ذلك إلى افتقار الرواية للحوار المباشر كما سبق وأشرنا، والذي يتطلب وجود مخاطبين حاضرين في نفس الزمان والمكان وبينهما تواصل آني.

النصح:

>> أفعال النصح مثل: الاقتراح والنصح والحث والإشارة والتحذير والتوصية، والإنذار والعرض ... ويجعل (باخ) (Bach) لهذه الأصناف افتراضات مسبقة تتحسر في قاعدتي الكم والكيف، فالكم بتقديم المرسل المعلومات الضرورية، والكيف يكون المطلوب ممكنا ومبررا <<¹.

النموذج الأول:

>> وبقدر إيمان طفلي المدللة بقناعاتي، فهي أيضا تعتقد أنني أتجاوز حدود ما يجب أن يقف عنده الإنسان من حرية، وإلا صار مجرد تمرد سلبي مدمر، مجرد عبث وفوضى، غادرنا المقهى لكنها لم تغادر الموضوع <<².

توجد قوة إنجازية في هذا النموذج من خلال نصح طفلة الراوي المدللة للراوي، الذي لم يعدل عن قناعاته - رغم أنها تؤمن بها -؛ لأنه في اعتقادها تجاوز حدود المعقول، فتصوره للحرية مغاير للتعريفات الموجودة، بل ولقد انفرد في ذلك عن سواه.

تدعو طفلة الراوي المدللة الراوي إلى تجنب المبالغة في معتقداته التي ستعود عليه بالسلب والدمار؛ لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، ومن خلال سياق الخطاب تعلن تمردا عليه؛ لأنها لم تعد تؤمن بأفكاره كما كانت؛ إذ انتبهت بعد طول تفكير إلى مدى خطورة هذه المعتقدات التي تدعو إلى الحرية، ووجدت بأنها عبث وفوضى.

¹ محمد مدور: الاستراتيجية التوجيهية في خطاب إبراهيمي؛ مقاربة تداولية، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريج، ع 02، 2020، الصفحات 106 - 123، ص 112.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، 35.

جاءت العملية التواصلية على لسان الراوي، الذي يحكي للمتلقي عن حدث يفترض بأنه جرى بالفعل، وهو حوار دار بينه وبين طفلة المدللة، التي ما انفكت تدعم أفكاره حتى تغيرت آراؤها، وما هذا التغير إلا خوفاً على حبيبها الذي ستكون نهايته وخيمة، وبما أن طفلة الراوي المدللة في محل نصح، فهذا يتطلب وجود ردة فعل من قبل الراوي إما بالعدول عن هذه الأفكار، التي ستؤدي به إلى التهلكة أو مواصلة جهاده والدعوة إلى التحرر، ورغم إصرارها على دعوته إلى التخلص من القيود التي وضعها لنفسه إلا أنه لم يصرح على ردة فعله، ولكن بما أنه يسرد ما حدث معه من وقائع وأحداث قبل دخوله إلى السجن، فهذا يعني بأنه رفض المثل لنصيحتها وظل متمرداً.

النموذج الثاني:

>> في كلمتي عدت باللائمة على من علق الإطار، فالإنسان الحر يتمرد على عبودية الأفراد، إننا نفقد حريتنا حين لا نناقش الأفكار ولكننا نتعلق بأصحابها، وإذ ذاك نقع فريسة العبودية المقبولة، ثم ركزت في حديثي على شكلين من أشكال العبودية، الوطن والدين <<¹.

لم يحبذ الراوي وهو يلقي محاضراته على الجمهور الذي انقسم إلى قسمين قسم يجلس باليمين والقسم الآخر يجلس باليسار أن تعلق صورته في إطار على الحائط؛ لأنه يعتقد بأن تعليق صورته على الجدار هو نوع من أنواع العبودية، ولهذا أرادها أرضاً وبدأ كلمته بتقديم النصائح للجمهور، وتتمثل هذه النصائح في دعوتهم إلى الابتعاد عن تقديس الأفراد وعبادتهم وبدأ الأمر بنفسه، حيث يدعوهم إلى الابتعاد عن تقديسه والتمرد على العبودية؛ إذ يعتقد بأن تعليق صورته هو نوع من العبودية، كما يدعوهم إلى فتح حوار معه ومناقشة أفكاره التي جاء بها بدل اهتمامهم به، فهو يعتقد بأن التمسك بشخص معين هو وقوع في العبودية المقبولة.

¹ المصدر نفسه: 46.

ينصح الراوي الجمهور أيضا بالابتعاد عن تقديس الدين والوطن لأنهما شكل من أشكال العبودية، فهو يعتقد بأن الدين عبارة عن أوامر ونواهي أما الوطن فهو سجن يربطهم بالحدود الجغرافية.

كانت ردة فعل الجمهور بين مؤيد للنصيحة ومعارض لها؛ إذ ارتفعت صيحات المعارضون وأصواتهم الحاقدة متهمة إياه بالكفر والجنون والخيانة، وقاموا برشقه بالأحذية والقارورات وغير ذلك، أما المؤيدون للنصيحة فلقد تشابكوا مع المعارضين بالأيد، ومع ذلك فالراوي دعا المؤيدين إلى التخلي عن هذا النزاع حتى لا يقعون في العبودية لفكرة ما.

النموذج الثالث:

>> لكن الرجل الضخم قام فجأة وركز يديه على المكتب فبدت لي أصابعه كمذراة، وصب في مسمعي فضائل الوطن علي وعلى كل أبنائه المنتسبين إليه، وكان يعرف أنني لا أومن بشيء يسمى الوطن، والمواطنة أيضا، هههه التي إن هي إلا شكل جديد من القبليّة المقيتة، لا يختلفان إلا في الاسم ولكنهما يشتركان في الروح والممارسة والشكل وتبرير العبودية والغزو والنهب وتقديم القرابين من دماء المستضعفين <<¹.

عندما أخذ الراوي إلى المركز تقدم منه رجل ضخم للتحقيق معه إلا أنه بات ينصحه بالعدول عن أفكاره، ويتضح ذلك في قول الراوي: " صب في مسمعي فضائل الوطن علي وعلى كل أبنائه المنتسبين إليه "، فقلد عمد الرجل الضخم إلى نصح الراوي بطريقة غير مباشرة، ربما يعود السبب في ذلك إلى كون الراوي متهما، والرجل الضخم يتبع القوانين التي تفرض عليه أن يتحدث بأسلوب معين، بحكم أنه لا توجد علاقة بينه وبين الراوي وبحكم المكان والظرف الذي لا يسمح له بالنصح المباشر.

¹ المصدر نفسه: ص 65 - 66.

أراد الرجل الضخم أن يذكر الراوي بفضائل الوطن عليه وعلى كل أبنائه المنتسبين إليه، رغم أنه يدرك جيدا بأن الراوي لا يؤمن أصلا بشيء اسمه الوطن والمواطنة، مما يعني أن الرجل الضخم أراد أن يحاول معه لعله يتخلى عن أفكاره وينجى من شرها، ولأنه يعلم بأن هذه الأفكار ستدمره وستدمر أتباعه، أراد أن يوجهه إلى الطريق الصحيح حتى وإن كان مقتنعا بأنه لن يفعل، ربما يعود هذا النصح إلى طبيعة عمل الرجل الضخم، وربما يعود إلى نظرتة الثاقبة التي عرف من خلالها بأن الراوي لا يملك ملامح المجرمين، الذين بات يعرفهم جيدا من وجوههم.

يحكي الراوي لمتلقي الخطاب عن الموقف الذي وضع فيه، والذي لا يسمح له بالنقاش والرد على الرجل الضخم، ويخبره عن رفضه لنصيحته؛ لأنه يرفض العبودية التي ينتمي إليها، ويرفض ما يسميه بالوطن والمواطنة، كما أنه عمد إلى إبراز ضحكته وهو يسرد الأحداث على متلقي الخطاب، وهذا دليل على سخريته من النصيحة التي قدمها إليه الرجل الضخم.

تتطلب العملية التواصلية وجود مرسل ومرسل إليه حاضرين في نفس المكان والزمان، إلا أنه يفهم من خلال هذا النموذج أن العملية التواصلية كانت بداية الأمر بين المرسل المتمثل في الرجل الضخم والمرسل إليه المتمثل في الراوي، وبما أن الراوي يسرد الأحداث على متلقي الخطاب، ويسترجع ذكرياته أمامه، فهذا يعني بأن هناك عملية تواصلية أخرى بحيث أصبح المرسل هو الراوي والمرسل إليه هو متلقي الخطاب.

الملاحظ أن ردة فعل الراوي قد تغيرت تماما، فبينما كان صامتا أمام الرجل الضخم لا يستطيع الرد عليه أو إبداء قبوله للنصيحة من عدمه، نجده يشارك المتلقي ذكرياته وما مر عليه من أحداث، والسخرية أمامه من نصيحة الرجل الضخم وإبداء رفضه لها.

يعود صمت الراوي أمام الرجل الضخم إلى خوفه منه مع أنه لم يصرح بذلك، وهذا ما يجعل المتلقي للخطاب يتساءل ككل مرة عن السبب الذي جعل الراوي يدعو إلى التحرر والحرية، والثورة على كل شيء واعتبار الخوف نوع من أنواع العبودية، وهو يخاف من الرجل الضخم.

النموذج الرابع:

>> وخرجت من سبحاتي على صراخه الغليظ مذكرا بما ارتكبته هذه الكتب اللعينة الحقيرة من جرائم في غسل مخي، وفي إفساد أفكاري، كانت الكتب في الفكر والفلسفة وفي الدين والتاريخ والنفس والاجتماع والقانون، ثم مد يده إلى قداحة كانت على المكتب وراح يشعل النار في كومة الكتب محاولا أن يسترق النظر إلى ملامحي <<¹.

يعود الراوي بذكرياته إلى الكتب التي اشتراها وإلى الملاحظات التي دونها عليها، والتي اعتبرها الرجل الضخم سبب مشاكله، حيث صرخ في وجهه موبخا ومذكرا إياه بما ارتكبته هذه الكتب اللعينة الحقيرة من جرائم غسلت مخه، وأفسدت أفكاره، فبحكم اقتناء الراوي للعديد من الكتب في الفلسفة والدين والتاريخ وعلم النفس والاجتماع والقانون والتعمق في قراءتها، أصبحت هذه الكتب وبالآعلى، حيث غيرت حياته وتفكيره، كما جعلت هذه الكتب الراوي إنسانا متمردا عن العرف والدين والقانون ومختلف الضوابط التي تحكم المجتمع، وما كان على الرجل الضخم سوى إحضار قداحة وإحراق هذه الكتب وهو ينظر إلى الراوي كأنه يريد أن يعرف ردة فعله ومدى تمسكه بها.

يقول الراوي متحدثا عن ردة فعله: >> وحين كان ضخم الجثة يهتف نشوان بحرق كومة الكتب كنت أسر في نفسي انتشاء أكبر، وقد تحررت من هذا الغباء <<²، فلقد كانت ردة فعله عدم مبالاته وعدم اهتمامه بها؛ لأنه إنسان لا يعرف كيف يرتبط ويتعلق بالأشياء، فهو متمرد حتى على أحاسيسه، بل بالعكس فلقد أحس بنشوة كبيرة عندما قام الرجل الضخم بحرقها.

¹ المصدر نفسه: ص 66 - 67.

² المصدر نفسه: ص 67.

لا يتأثر الراوي بنصائح وبتوبيخ الرجل الضخم له؛ لأنه إنسان متمرد على كل شيء مع أنه لم يتجرأ على إسكات الرجل الضخم والوقوف في وجهه؛ لأنه يخاف من ردة فعله التي قد تكون الضرب أو الشتم.

النموذج الخامس:

>> لم أرد عليه مباشرة، لكنني كنت أؤمن في أعماقي أن كل ما قاله إن هي إلا صخور سيزيفية فرضوها علينا ليحكموا علينا بالعبودية، وبالشقاء الأبدي، بعد أن أساغوها بتوابل مختلفة الألوان والأذواق، لذا يجب أن تستمر معركتنا للعودة بالإنسان إلى حرية الفطرة، لسنا بحاجة إلى كل ما تراكم علينا من طمي العبودية <<¹.

يتحدث الراوي عن الرجل الضخم الذي ذكره بفضائل الوطن والوطنية والقوانين التي تحكم المجتمع، رغبة منه في تغيير تفكيره الذي سيؤدي به إلى السجن، فيقول الراوي بأنه لم يرد عليه مباشرة، ولكنه كان يؤمن في أعماقه بأن هذه القوانين والضوابط ما هي إلا شكل من أشكال العبودية، تشبه تلك الصخرة التي حملها (سيزيف) والتي فرضت عليه الشقاء الأبدي، فهذه القوانين تواضع عليها مجموعة من الأشخاص وجعلوها مزيّنة للجميع، ولهذا يرى الراوي بأنه من الواجب الاستمرار في تمرده عليها.

يتحدث الراوي بلسانه وبلسان أتباعه وبصيغة الجمع، حاثا وموصيا بضرورة تمسكهم بأفكارهم للعودة بالإنسان إلى حريته الفطرية؛ لأنهم ليسوا بحاجة إلى تلك التراكمات من طمي العبودية، بل هم في حاجة ماسة إلى التمسك بأفكارهم ومعتقداتهم، وبما أن الراوي يحث نفسه متحدثا بضمير الجمع (نحن)، فهذه التوصية واجب تنفيذها؛ لأنها مبنية على قناعة جبل عليها ولا يستطيع التخلي عنها بسهولة، ولهذا فإن المرسل هو الراوي والمرسل إليه هو المتلقي، لتكون القوة الإنجازية في هذا النموذج تتمثل في الحث والتوصية للاستمرار في شحن نفسه وأتباعه على

¹ المصدر نفسه: ص 73.

مواصلة تمردهم على كل شيء، وبما أن أتباعه بعيدون عنه فربما يرمي إلى نصح المتلقي وإقناعه بإتباع طريقه وأفكاره.

النموذج السادس:

>> امتلأت انتعاشا وقد ملأت رثتي بمصاة عميقة، ثم رحلت أزفره على مهل، تذكرت هنا نصائح طبيب وهو يسرد على مسامعي مخاطر التدخين، طبعا كنت أضحك في سري لاعنا نصائحه، التي لا فائدة منها إلا أن تزيد في عمرك على هذه الأرض سنوات أخرى إن نجوت من مخاطر أخرى طبعا <<¹.

يظهر النصح جليا في هذا النموذج حيث يسترجع الراوي ذكرياته حول نصائح الطبيب له، والمتعلقة بمخاطر التدخين، ويعود السبب في استرجاعه لهذه النصائح هو تناوله لسيجارة في السجن، يعبر الراوي عن سخطه ولعنه لهذه النصائح كونه متمردا لا يقبل النصيحة من أحد؛ إذ يرى أن هذه النصائح لا فائدة منها سوى أنها تزيد في عمرنا سنوات أخرى، وما يلاحظه متلقي الخطاب هو أن الراوي متعصب جدا ولا يحترم نصائح الآخرين، كما أنه لا يواجههم برفضه لها، بل دائما ما يحدث نفسه بهذا الرفض.

تكمن القوة الإنجازية في ضرب هذه النصائح عرض الحائط وعدم تقبلها، فالراوي في هذا المثال يسرد أحداثا جرت معه بالفعل إلى متلقي الخطاب، لتكون العملية التواصلية بين الطبيب الناصح والراوي ثم بين الراوي ومتلقي الخطاب الذي لا يجيب ولا يبد رأيه.

النموذج السابع:

¹ المصدر نفسه: ص 76.

>> وفجأة قفزت إلى خيالي صورة الجد مصباح الذي طالما استمع إلى شكوى والدتي التي أصيبت بالعقم فجأة، ورد عليها وهو يضحك بحكمته البليغة التي لم تكن ترى الدنيا إلا سجنا كبيرا، ومن غباء الإنسان أن يتكاثر فيها، لأنه بذلك يطيل عمر هذا السجن الغبي <<¹.

يعود السبب وراء تمرد الراوي على القوانين والضوابط التي تحكم المجتمع إلى جده مصباح الذي غرس فيه جل الأفكار التي أدت به إلى السجن فيما بعد.

يقول الراوي بأن صورة جده مصباح قفزت إلى مخيلته، حيث تذكر ذلك اليوم الذي استمع فيه جده مصباح إلى شكوى والدته التي أصيبت فجأة بالعقم، والتي رد عليها قائلاً: بأن الدنيا هي عبارة عن سجن كبير ومن الغباء أن يتكاثر الإنسان فيها، تعتبر هذه الحكمة نصيحة غير مباشرة، فقد نصح الجد مصباح والدة الراوي بالكف عن حزنها وشكواها بسبب تعرضها للعقم، ولأن الجد مصباح متمرد مثله مثل الراوي فهو يرى بأن إنجاب الأطفال يزيد في عمر هذا المجتمع الغبي.

يدرك متلقي الخطاب من خلال هذا النموذج أن الراوي كان ضحية أفكار جده مصباح، الذي رافقه طيلة طفولته، وما أفكار الراوي التحررية إلا نتيجة ما زرعه الجد مصباح في ذهنه، إلا أنه لا يعلم ما إذا كانت والدة الراوي قد اقتنعت بنصيحته أم أنها لم تقتنع؛ لأن الراوي لم يصرح بردة فعلها، ولكن ما صرح به هو أن والدته تترتاح كثيراً بالحديث مع جده مصباح.

النموذج الثامن:

>> ألم أعلم من جدي الشيخ مصباح إذ كنت أتهدى أبجدية الحياة: ليست الحرية أن تخرج من العبودية، إنما الحرية أن تخرج العبودية منك، وكان يضحك وهو يحك بأصابعه الغليظة الحنونة

¹ المصدر نفسه: ص 76.

رأسي، كأنما كان يقصد أن يرسخ المقولة عميقا في عقلي الصغير، وكنت أعيها تماما فتنقش في أعماقي نقشا، ثم هي تظل تتوهج كلما تقدم بي العمر <<¹.

يتحدث الراوي عن جده مصباح متذكرا نصيحته له، وهو لا يزال يتهجي أبجدية الحياة، وتتمثل هذه النصيحة في قوله بأن الحرية لا تعني أن تخرج من العبودية بل الحرية هي أن تخرج العبودية منك؛ لأن الإنسان العاقل هو الذي يُحكّم عقله ويبتعد عن القيود التي تمنعه من التحرر، ولا يقصد بذلك الابتعاد عن القيود ليعود إليها فيما بعد.

قدم الجد مصباح النصيحة للراوي وهو يحك بأصابعه الحنونة رأسه، وظلت تلك النصيحة ترافقه، أما بخصوص تقبله لهذه النصيحة من عدمه، فلقد كان الراوي يستوعب هذه النصيحة تماما، كما أنها ترسخت في ذهنه وكلما تقدم به العمر تذكرها.

إن السبب الحقيقي وراء تمرد الراوي على كل شيء هو إيمانه بهذه النصيحة، التي أثرت فيه ودمرت حياته فيما بعد، وبهذا يكون الراوي قد أفصح للمتلقي عما جرى بينه وبين جده مصباح في الماضي، وكيف أن نصيحته رافقته في المستقبل، لتكون هناك قوة إنجازية تتمثل في النصح والإرشاد وتقبّل هذه النصيحة والعمل بها طيلة الحياة.

يظهر النصح في رواية (هاء وأسفار عشتار) مضمرا غير مصرح به وعلى دارس الخطاب أن يبحث عنه من خلال ربطه بالسياق الخارجي والظروف المحيطة به؛ إذ يعتبر النصح من التوجيهيات ويحمل قوة إنجازية، ورغم عدم وجود قرائن لغوية مباشرة تدل عليه إلا أن هناك توجيه يفهم من سياق الخطاب، حيث يفهم ويستنتج مع المحافظة على المعنى الحرفي للخطاب، وبما أن الرواية كتبت بأسلوب الحكيم وسرد الأحداث فإن النصح والتوبيخ والتوصية ظهروا كاسترجاع، حيث يسترجع الراوي ذكرياته مع الرجل الضخم الذي قام بالتحقيق معه عندما انقاد إلى المركز، كما يسترجع ذكرياته مع جده مصباح وذكرياته الخاصة به، ولم يظهر النصح بعيدا عن

¹ المصدر نفسه: 101.

التذكر والاسترجاع، ربما يعود السبب وراء ذلك إلى انعدام الحوار المباشر بين الشخصيات، مما جعل الدراسة تحتاج إلى تفسير وتأويل لإبراز التوجيهيات، وهذا ما سيمنحها حركية أكثر، فلن يقبض الباحث على أسلوب النصح إلا من خلال فك شفرات الخطاب والبحث عن الدلالة التي يخفيها.

ج - الوعديات أو الإلزاميات:

إن >> الهدف من هذا القسم هو جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل ما، ويجب أن يطابق العالم الكلمات، ويستلزم أن يكون المتكلم صادق النية <<¹، حيث >> تشمل الوعديات جل التعهدات (الوعد، النذور، التهديدات ...)، التي يعينها المتكلم ويلتزم فيها بتنفيذ الفعل في المستقبل <<².

النموذج الأول:

>> وقام من مكانه مرعوبا وهي تسل خاتم الزواج من بنصر يسراها وترمي به فوق الطاولة بحركة هستيرية عجيبة وتتصرف إلى غرفتها، دون أن تكف عن صراخها بالويل والثبور، حتى تخيلتها كأنثى فرس النهر في شكلها وصياحها وهي تخوض معركتها ضد مفترس عنيد <<³.

أحدث اختفاء الخاتم مشاكل بين والد الراوي ووالدته أدت بهما إلى الدخول في صراعات كانا في غنى عنها، ولأن الراوي كان يستمع إلى نقاشهما منذ البداية شاهد والده مرعوبا وخائفا من ردة فعل زوجته التي لامته على اختفاء الخاتم، واشتد خوفه أكثر عندما رأى زوجته تسل خاتم الزواج من بنصر يسراها وترمي به فوق الطاولة.

¹ ينظر إلى سامية محمول: دراسة تداولية للأفعال الكلامية فيسورة مريم، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج 05، ع 01، 2022، الصفحات 465 - 477، ص 471.

² ينظر إلى نسيم شوش: تداولية القوة الإنجازية في قصيدة التأشيرة للشاعر هشام الجخ - نماذج مختارة -، مج 21، ع 01، ديسمبر 2021، الصفحات 503 - 522، ص 509.

³ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 16.

يعود خوف والد الراوي من ردة فعل زوجته إلى حبه الشديد لها وعدم قدرته على فراقها؛ لأن نزع خاتم الزواج من إصبعها يعني انتهاء العلاقة بينهما، وفي قول الراوي: " دون أن تكف عن صراخها بالويل والثبور "، وعد غير مباشر يمثل قوة إنجازية تُفهم من متضمن القول؛ وهو تهديد مباشر بأنها ستريه الويل نتيجة فعلته، ولا نعلم إن كانت صادقة في وعدها أم كاذبة، وفي قوله: " حتى تخيلتها كأنثى فرس النهر في شكلها وصياحها وهي تخوض معركتها ضد مفترس عنيد " يصرح الراوي بأن والدته تشعر بغضب شديد وشبهها بفرس النهر نظرا لتغير ملامح وجهها جراء هذا الغضب، أما والده فشبهه بالمفترس العنيد؛ لأن والدته اتهمته بأنه السبب وراء ضياع الخاتم ويرفض الاعتراف بذلك.

إن (الويل) و (الثبور) هما دليل على التهديد والوعيد، وهما وعد والتزام بالقيام بالفعل وإن كان الفعل غير ظاهر؛ لأن والدة الراوي تدرك جيدا بأن زوجها لن يستطيع أن يتحمل وعدها له بالترك إن لم يحضر الخاتم، وربما ترمي من خلال هذا الوعد إلى زرع الخوف في قلبه لعله يعترف بأنه من قام بإضاعته.

النموذج الثاني:

>> اتهمت والدتي والدي بأنه يقف وراء اختفاء خاتمها أيضا، بعد أن منح خاتمه لإحدى عشيقاته، ولأنه لم يستطع أن يقدم لها ما يقنعها في اختفاء الخاتمين راح يقسم لها بكل مقدس لديها، معيدا على مسمعا ما حدث له مع خاتمه، وكيف أنه رمى به على الطاولة بجوار خاتمها بعد أن عثر عليه في المرحاض حيث كان يغتسل، ولأن أمي تثق في والدي خاصة حين يقسم بهذه المقدسات، بل ولأنها تدرك يقينا أن لا عشيقة له، وأتى له أن يفعل أو حتى أن يفكر في ذلك؟ وهي تعد عليه حتى أنفاسه، ولأن نفسها أيضا لم تحدثها سوء بشأني، فقد كانت تستبعد مطلقا أن أكون وراء

اختفاء الخاتمين، لذا مار في نفسها أن الاختفاء في تلك الظروف لن يكون إلا بسبب غيبات فوق إدراك الإنسان <<1.

بعد أن وجد والد الراوي الخاتم في الحمام وضعه فوق الطاولة بقرب خاتم زوجته إلا أن الخاتمين قد اختفيا، وهذا ما جعل زوجته تتهمه بأنه السبب وراء اختفاء خاتمها أيضا، وبما أنها لم تصدقه راح يقسم لها بكل المقدسات لديها بأنه لم يكن الفاعل.

إن الفعل الكلامي (يقسم) هو نوع من أنواع الوعديات، وقد استخدمه والد الراوي لينفي اتهامه بإضاعة الخاتمين، كما أنه يوجد افتراض مسبق متضمن في القول بأن زوجته تصدقه عندما يقسم ولهذا عمد إلى القسم، ويتضح ذلك في قول الراوي: " ولأن أمي تثق في والدي خاصة حين يقسم بهذه المقدسات "، مما يعني أن والد الراوي إذا عاهد عهدا وفى به ولهذا فإن زوجته تثق به كثيرا.

جاء الفعلان الكلاميان (يقسم) و (تثق) مرتبطين بعضهما البعض كون القسم لا يعني الصدق، فيمكن أن يقسم والد الراوي وهو كاذب، أما الفعل (تثق) فجاء ليثبت بأن والد الراوي صادقا؛ لأنه لم يخلف وعدا ولم يحنث يمينا، ولأن زوجته تثق أيضا في ابنها - الراوي - فهي لم تشك فيه، وأرجعت اختفاء الخاتمين إلى سبب غيبي خارج عن قدرة البشر.

النموذج الثالث:

>> لذا كانت طفلي المدللة توصي وتلح في أن أظل هادئا متعاليا على كل استفزاز، ربما لأنها تعرف شخصيتي المندفعة التي لا تحسن المداهنة، ولذا فقد أسندت إلى نفسها تسيير الجلسة وستكون صارمة في كل من لا يلتزم بقواعد الحوار <<2.

¹ المصدر نفسه: ص 18.

² المصدر نفسه: ص 45.

لقد وعدت الطفلة المدللة الراوي بأنها ستكون صارمة مع الأشخاص الذين لن يحترموا قواعد الحوار، ليكون فعل الكلام (سأكون) دالا على الوعد القريب؛ لأن حرف السين يعمل على ذلك، ففي متضمن القول هناك قوة إنجازية يتضح من خلالها فعل الوعد.

إن سبب هذا الوعد هو معرفة الطفلة المدللة لطبع الراوي الذي لا يستطيع التحكم في ردة فعله، فهو من النوع الذي يثار جنونه بسهولة، وهذا ما سيؤدي به إلى خلق مشاكل مع جمهوره.

الواضح أن طفلة الراوي المدللة رصينة وصادقة في قولها؛ لأنها تدرك أن الراوي سيصدق وعدها؛ لأن هناك افتراض مسبق بأن الراوي سيفتعل المشاكل عندما يتم استنقازها، ولهذا فهي ترمي إلى تهدئته وإبعاده عن المشاكل من خلال وعدها له بوضع حد لأي شخص يتجاوز الحدود.

النموذج الرابع:

>> لكن مزاجي سريعا ما تعكر، كانت تعبت بأصابعي، حين أخبرتني أنها فعلت ما فعلت من أجلي، وما دام الأمر سيرضييني فلن تفعل غيره، وبقينا هذا نوع من العبودية أيضا، كثير من علاقاتنا الاجتماعية ما هي إلا عبودية، كثير من علاقات الطاعة والاحترام والتقدير هي عبودية <<1.

توجد قوة إنجازية في هذا القول تتمثل في الوعد الذي أطلقته الطفلة المدللة على الراوي؛ إذ وعدته أنها لن تفعل إلا ما يرضيه؛ إذ يقول الراوي: " كانت تعبت بأصابعي، حين أخبرتني أنها فعلت ما فعلت من أجلي، وما دام الأمر سيرضييني فلن تفعل غيره ".

يحمل الفعل الكلامي (سيرضييني) قوة إنجازية تتمثل في سعي الطفلة المدللة إلى تلبية رغبة الراوي، وبدل اقتران الفعل الكلامي بالسين على قرب تنفيذ هذا الوعد، كما أن ارتباطه ب (لن) النافية جعله وعدا مطلقا.

¹ المصدر نفسه: ص 51.

يعتبر الراوي طفلة المدللة عبدة؛ لأنها وفيه له وتسعى على راحته وإتباع خطواته، ويعود سبب اعتقاده هذا إلى اعتبار العلاقات المبنية على الطاعة والاحترام والتقدير نوع من أنواع العبودية؛ إذ يراها صادقة في وعدها ومساندة له في نشر أفكاره المرتبطة بالحرية، وبالتالي يعتبر ذلك تقديسا وتمجيذا، وما ساهم في اعتقاده هذا هو افتراضه المسبق بأن طفلة المدللة ستكون وفيه له وصادقة في وعدها، وهذا ما سيجعلها تسقط في برائن العبودية.

النموذج الخامس:

>> وانتهت بكلمة رجل دين حشد كل ما يحفظ من بؤس مسجوع وكذب مرصع ليقنعني أن والديّ من أهل الجنة، ولم ينقصه إلا أن يمنحني صكيّ غفران يوقعهما هو نيابة عن الله <<¹.

أقام مدير الشركة التي كان يشتغل فيها والدي الراوي قبل وفاتها حفلة تكريم على شرفهما، واستدعى الراوي ليستلم شهادة اعتراف بجهودهما، وألقى في ختام الحفل رجل الدين كلمته التي تُفهم من سياق الخطاب بأنها وعد للراوي أن يكون والديه من أهل الجنة، ويتضح ذلك من خلال قول الراوي: " ولم ينقصه إلا أن يمنحني صكيّ غفران يوقعهما هو نيابة عن الله ".

عندما يكون متلقي الخطاب مسلما فسيفهم أن رجل الدين يتحدث عن حسن الخاتمة كون والديّ الراوي كانا متجهين إلى العمل، مما يعني أنهما توفيا في سبيل الله، ولأن الراوي لا ديانة له اعتبر كلام رجل الدين وعدا له بأنهما سيكونان من أهل الجنة، وما قوله هذا إلا أسلوبا تهكميا عليه وعلى الدين في حد ذاته، وربما عمد رجل الدين إلى إقناع الراوي بأن والديه من أهل الجنة حتى يخفف عنه ألمه ووجعه.

إن حديث الراوي بتهكم عن رجل الدين يجعل المتلقي يشكك في قوله جملة وتفصيلا؛ لأن الراوي متمرد وثائر على الدين وعلى كل شيء في هذه الحياة، ورغم أن حديثه عن رجل الدين يبين بأن وعده مبني على افتراض مسبق، بناء على طريقة موت والديه التي تفرض دخولهما إلى

¹ المصدر نفسه: ص 57 - 58.

الجنة، ولا يمكن لمتلقي الخطاب أن يقول بأن رجل الدين صادق؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يمكن أن يقول بأن الراوي معه حق؛ لأنه يتحدث عن رجل الدين وهو أساسا ضد الدين وكل ما هو مقدس.

النموذج السادس:

>> وكما كانا يصنعان ألعابهما الصبيانية كان يخططان لعيش الحياة، عشا للفراخ والحب والوفاء، من أجل ذلك كان يعمل ضعف ما يعمل غيره، يحرم نفسه من لذائذ الدنيا وحتى من ضرورياتها، فجاع وتعرى وتألم، لكن نفسه كانت بهيجة وهو يقيم دعائم البيت الصغير، ويرفع سور الفناء الصغير، جمع الحب بينهما ذات صباح من يوم بارد مثلج، كانت قد انتقت ثلاث شجيرات ليمون وتفتح وبرتقال، وغرساها معا، وعلى جذوعها كتبا اسميهما وقسم الحب بينهما، وحتى أسماء ما يحلمان به <<¹.

التقى الراوي بسجين كان يحكي لكل وافد جديد عن محبوبة قلبه، ويعيد الراوي نفس الحكاية على متلقي الخطاب فيخبره بأن هذا الرجل أحب فتاة حبا شديدا إلى درجة أنه كان يكدح ويتعب حتى يبني لها بيتا صغيرا يضمهما بعد الزواج، جمع الحب بينهما ذات يوم بارد ومثلج حيث تعاهدا أن يبقى الحب بينهما وأن لا يفترقا مهما حدث.

يحمل الوعد قوة إنجازية تُفهم من متضمن القول، ويتمثل هذا الوعد في انتقاء محبوبته لثلاث شجيرات ليمون وتفتح وبرتقال وعلى هذه الشجيرات ثبتا عهد وقسم حبهما فكتبا اسميهما عليها وأسماء ما يحلمان به.

يفرض سياق الخطاب وجود حكاية أخرى بعد هذا العهد، فإما أن يكونا صادقين ويحافظا على هذا الحب، وإما أن يخلفا بالعهد فيخون أحدهما الآخر، فيكون هذا الوعد كاذبا؛ بمعنى أن

¹ المصدر نفسه: 77 - 78.

هذا العهد والميثاق يحتمل الصدق والكذب، الملاحظ أن هذا الرجل صادق في حديثه ومشاعره وحافظ على وعده لحبيبه إلا أن القدر فرق بينهما.

النموذج السابع:

>> حملت حفنة من تراب وقبلتها، أحسست براحة تغمر قلبي، ها هو أخيرا إلى جانبي، ظل وفيًا للبيت، وفيًا لذكرياتنا، كما ظلت مدلتني وفية لي فاحتضنته حتى توفي، وأقامت له ها هنا قبرا يليق بكرامته ووفائه <<¹.

ترك الراوي خلفه - عندما دخل السجن - قطه مصباح فلم يكن هناك من يعتني به سوى طفلة المدللة، التي لم يستطع أن يطلب منها الاعتناء به كونه دخل السجن على حين غفلة، يقول الراوي بأنه عندما خرج من السجن وجد قطه مصباح مدفونًا في حديقة بيته، ولأنه مشتاق إليه كثيرًا ويتألم على فراقه حمل حفنة من تراب وقبلها.

يجد المتلقي في هذا الخطاب قرينتين تدلان على وجود الوعد هما (وفيا) و (وفية)؛ إذ تعود القرينة الأولى (وفيا) على القط مصباح وتعود القرينة الثانية (وفية) على طفلة الراوي المدللة، حيث يعتبر الراوي القط مصباح وفيًا للبيت الذي لم يبرحه ووفيا لذكرياته معه.

إن هذا العهد هو عهد متخيل؛ لأن القط لا يوجد له عقل ليفكر به، ولكن ربما يعود سبب بقاءه في البيت إلى تعوده عليه وإلى غريزته التي تفرض عليه البقاء فيه، أما الطفلة المدللة فقد ظلت وفية للراوي من خلال عنايتها بالقط إلى حين وفاته، فلقد دفنته في قبر يليق به، كما أن هناك افتراض مسبق بأن تكون طفلة الراوي المدللة وعدته بالاعتناء بالقط مصباح وبالبيت في غيابه، وربما يكون ذلك عن طريق الرسائل التي كانت ترسلها إليه وهو في السجن.

النموذج الثامن:

¹ المصدر نفسه: ص 93.

>> امتدت أصابعها وحملتني كرضيع، ضمتني إلى صدرها الدافئ، وخيل إلي أنها أوحى إلي أن لا خوف علي ما دمت في حضن الإلهة عشتار <<¹.

لا شك أن الوعد يكون بين شخصين عاقلين رغم أنه يحتمل الصدق أو الكذب، ومع ذلك يجد متلقي الخطاب في هذا النموذج بأن الوعد أتى بطريقة مختلفة، حيث خيل للراوي بأن عشتار إلهة الخصب والنماء والجمال وعدته بأن لا يمسه أي سوء ما دام في حضنها، ففي قوله: " وخيل إلي أنها أوحى إلي أن لا خوف علي ما دمت في حضن الإلهة عشتار " يوجد وعد يفهم من سياق الخطاب إلا أن هذا الوعد غير حقيقي؛ لأنه محض الخيال؛ إذ أنه لا يمكن للإلهة عشتار أن تحمل الراوي كرضيع وتضمه إلى صدرها الدافئ وهو يصفها بأنها إلهة الشر.

يتضح من سياق القول بأن هناك وعد، ولكن هذا الوعد من نسج الخيال؛ لأن الراوي يحلم بأن يكون في حضن الإلهة عشتار التي مسخته إلى ذئب، وربما يعود سبب تخيله بأنها وعدته بحمايته إلى خوفه منها وعدم قدرته على مواجهتها.

النموذج التاسع:

تقول الطفلة المدللة في رسالتها إلى الراوي:

>> وأدرك أنك مطمئن البال دوماً كيفما كانت النتيجة، واني لعلى جادتك وعلى عهدك حتى ألقاك <<².

كانت رسائل الطفلة المدللة تصل إلى الراوي وهو في السجن، وكانت تخبره فيها بأخر المستجدات وتحكي له عنها وعن أخبارها، ولكنها كتبت إليه في إحدى رسائلها بأنها تعلم جيداً بأنه تأقلم على السجن؛ لأنه مطمئن البال كيفما كانت النتيجة، كما قدمت له وعداً يتضح من سياق الخطاب بأنها ستبقى وفية له ولأفكاره وكل ما آمن به حتى تلقاه.

¹ المصدر نفسه: ص 104.

² المصدر نفسه: ص 110 - 111.

يحتمل هذا الوعد الصدق والكذب ولكن الواضح بأنها صادقة في وعدها ومشاعرها؛ لأنها لازالت تتذكره وترسل إليه الرسائل، أما قولها بأنها تعلم أنه مطمئن البال مهما كانت النتيجة فهو مبني على افتراض مسبق، كونه لا يؤمن بالعبودية ويدعو إلى الحرية التي تمنعه من تقديس الأشياء أو التأثير بها، ولهذا تجده متأقلا مع كل الأوضاع مهما كانت مزرية، ومع هذا فلا يوجد إنسان عاقل في هذا الكون الفسيح لا يملك مشاعر الألم والإحساس بالانكسار.

النموذج العاشر:

>> سرتني هذه الأنباء، لم يعد لي من غرض في تسلق القمة العصماء، لن تكون وجهتي إلا هاوية الظلام السحيقة مهما كانت المغامرة، ومهما كانت المخاطر، يجب أن ألقى عشتار إلهة الفتنة والجمال والخصب وإلهة المسخ، لن أتجاوز عن جريمتها ويجب أن تدفع ثمنها غاليا، لن أقبل بغير أن أمسخها أيضا إلى إلهة للقبح والجذب والهوان <<¹.

يحكي الراوي لمتلقي الخطاب عن السبب الذي جعله يَعدُّ نفسه بالانتقام من الإلهة عشتار، ويحكي له عن كيفية الوصول إليها، فبينما كان متوجها إلى القمة العصماء حيث الثلوج وحيث سينجو هو وزملاؤه من الحريق، سمع في فترة الاستراحة زعيمهم يتحدث عن تضاريس المكان، فذكر أمامهم كيف أن قلقامش سيلتقي بالإلهة عشتار، فسَرَّ الراوي كثيرا بهذا الخبر وقرر عدم الصعود إلى القمة العصماء والذهاب إلى هاوية الظلام السحيقة مهما كلفه الأمر ذلك.

يوجد في سياق الخطاب وعودا قطعها الراوي على نفسه وهي: أن لا تكون وجهته إلا هاوية الظلام السحيقة مهما كانت المغامرة والمخاطر، وأنه لن يتجاوز عن جريمة الإلهة عشتار، وأنها ستدفع الثمن غاليا، ولن يقبل بغير أن يمسحها إلى إلهة للقبح والجذب والهوان، والغرض من هذه الوعود هو شعور الراوي بالغضب ورغبته الجامحة في الانتقام من الإلهة عشتار؛ لأنها مسخته ذنبًا.

¹ المصدر نفسه: ص 132

تحمل هذه الوعود قوة إنجازية وتوجيها للقيام بأمر معين يُفهم من سياق الخطاب، يحتمل هذا الوعد والوعيد الصدق والكذب إلا أن متلقي الخطاب يجد بأن الراوي كاذبا؛ لأنه لا يستطيع مواجهة الإلهة عشتار وحده ولا يملك القدرة على مسخها؛ لأنه مجرد ذئب لا حول له ولا قوة، يتبع أوامر زعيم القطيع ولا يستطيع الاعتراض عليها خوفا من عقوبته، ويمكن عد هذه الوعود تهديدا مباشرا؛ لأنه يخبر المتلقي بأنه سينتقم منها مهما كلفه ذلك.

تحمل أفعال الكلام في هذا القسم المسمى بالوعديات قوة إنجازية تتمثل في الوعود غير المباشرة التي قطعها المتكلم على نفسه أو على المخاطب، فيجد متلقي الخطاب أحيانا قرائنا لغوية تدل على الوعد وأحيانا أخرى لا يجد أي قرينة لغوية تدل عليه.

يُفهم الوعد في أغلب الأحيان من سياق الخطاب حيث جاءت الوعديات بمفهوم القَسَم مرتين فقط في هذه الرواية، فجاء القَسَم الأول بأسلوب مباشر وتمثل في قَسَم والد الراوي أمام زوجته بأنه لم يكن السبب وراء ضياع الخاتمين، وجاء القَسَم الثاني بأسلوب غير مباشر ويتمثل في حديث الراوي عن السجين الذي حكى له عن حبيبته، وكيف أنهما أفسَمَا بأن لا يفترقا، كما ظهرت الوعديات بمفهوم الوعيد ومن ذلك الوعود التي قطعها الراوي على نفسه بأنه سينتقم من الإلهة عشتار التي مسخته إلى ذئب، كما جاءت الوعديات بأسلوب متخيل حيث تخيل الراوي بأن الإلهة عشتار وعدته بأنها ستحميه، وأن القط مصباح وعده بأن لا يترك المنزل بعد غيابه، وأن يظل في انتظار عودته، كما جاءت الوعديات بأسلوب غير مباشر بمفهوم الوعد.

جاء الوعد في أغلب الأحيان بطريقة غير مباشرة وحاملا لقوة إنجازية تتمثل في الصدق أو الكذب، تُفهم من خلال ربطها بالسياق الداخلي والخارجي والظروف المحيطة بالتلفظ، ومن هنا يستنتج متلقي الخطاب بأن هناك وعود صادقة وأخرى كاذبة حسب الوعد ومدى قدرة صاحبه على تنفيذه.

نذهب الآن إلى الحديث عن جانب آخر من التصنيفات التي جاء بها (سيرل) لأفعال الكلام وهو قسم التعبيرات، ولقد اخترنا أن نتحدث عن أغراض معينة نظراً لتعددتها وكثرتها في هذه الرواية ومن بينها: التمني ورغم أن التمني يمكن أن يدرج في قسم التوجيهيات إلا أننا رأينا بأنه من الأنسب إدراجه في هذا القسم، إضافة إلى التعبير عن الحرية والندم والخوف والحيرة والأمل والحنين.

د- التعبيرات: أو البوحيات أو التصريحيات:

إن الغرض الإنجازي للتعبيرات أو البوحيات >> هو التعبير عن المواقف النفسية، دون وجود اتجاه مطابقة في هذا الصنف بين الكلمات والعالم، ويشترط فيه الإخلاص والصدق <<¹، أما >> القضايا التي تتضمنها البوحيات فترتبط بالمتكلم أو بالمخاطب <<²، ومن أفعالها ما >> يتضمن التهنئة، الاعتذار والشكر والمواساة وغيرها <<³.

الندم:

يقول الراوي:

>> وبكيت ليس لقساوة ما تلقيته من ضرب، بل حزنا على ما لحق طفلي المدللة من عقاب وإهانة، رغبت في أن أسعدها فإذا بي ورطتها فيما عاد عليها بالويل والثبور <<⁴.

يعبر الراوي عن شعوره بالندم؛ لأنه كان السبب وراء تعرض طفله المدللة إلى الضرب والإهانة من طرف والدته فيقول: " رغبت أن أسعدها فإذا بي ورطتها فيما عاد عليها بالويل والثبور

¹ قادري خضرة: ملامح نظرية أفعال الكلام في التقسيم الثنائي للبلاغة العربية - دراسة تطبيقية -، مجلة جسور المعرفة، مج 05، ع 02، 2019، الصفحات 418 - 431، ص 420.

² العيد جلول: نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، الصفحات 51 - 59، ص 59.

³ راضية سكاوي: أفعال الوعديات (الإلتزاميات) في القرآن الكريم - مقارنة تداولية -، مجلة آفاق للعلوم، مج 07، ع 04، 2022، الصفحات 242 - 254، ص 246.

⁴ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 33.

"

فيمثل الفعل الماضي (رغبت) في حسن نية الراوي الذي أراد أن يسعد طفلة المدللة وأن يزرع الابتسامة على وجهها، ولكن لسوء الحظ حدث عكس ذلك؛ لأن والدته عاقبتها وألحقت بها الأذى كونها أفسدت ترتيب الحديقة، وما جعل الراوي يبكي من أجلها ويشعر بالذنب والحزن والندم هو اعتقاده بأنه السبب وراء تعرضها للعقاب والإهانة.

يلوم الراوي نفسه ويحملها وزر ما حدث مع طفلة المدللة، وهذا دليل على صدق مشاعره وصدق إحساسه بالندم.

التمني:

إن التمني >> هو الرغبة في حدوث أمر معين، والرغبة لا تعني إمكان حصول الشيء؛ حيث ذهب بعض البلاغيين إلى أن التمني يتعلق بالأمر الممكن والممتع؛ أي المستحيل وقوعه <<¹، يقول (السكاكي): >> اعلم أن الكلمة الموضوعية للتمني هي: ليت، وحدها <<²، لكن هذا لا يعني بأنه لا يوجد أدوات أخرى تدل عليه؛ إذ يوجد العديد من الأدوات منها: أتمنى وأرجو ... الخ، ويمكن أن يعبر المتكلم أو المخاطب عن رغبته في حصول أمر معين أو قيامه بأمر معين، على أن يكون صادقا في تمنيه ورغبته.

يقول الراوي:

>> أسندت ظهري جيدا على الجدار متخذاً زاوية تسمح لي برؤية المشهد بوضوح، واستفرت رائحة السجائر شهيتي، تمنيت أن أحظى بواحدة، وإذا بأحدهم يهرع إليّ، فيسلمني واحدة، ويشعلها لي على مهل مركزاً نظراته فيّ <<³.

¹ عرابي غالبية: نظرية أفعال الكلام في ضوء الأسلوبين الخبري والإنشائي، مجلة فصل الخطاب، مج 07، ع 27، 2019، ص 28.

² سراج الملة والدين أبي يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ط2، 1987، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 307.

³ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 75.

يصف الراوي طريقة جلسته في فترة الاستراحة؛ فلقد أسند ظهره جيدا على الجدار متخذا زاوية تسمح له برؤية المساجين وهم يتسامرون ويمرحون، وبينما هو كذلك استنقزت رائحة السجائر شهيته، مما جعله يتمنى لو أنه تحصل على واحدة؛ إذ يقول معبرا عن أمنيته هذه: " تمنيت أن أحظى بواحدة " .

جاء الفعل الماضي (تمنيت) بغرض التعبير عن رغبته الجامحة في الحصول على سيجارة، وبحكم وجوده في السجن فهو لا يستطيع الحصول عليها بسهولة، ولهذا فقد بات الحصول عليها أمنية من الأمنيات، وبينما هو كذلك ناوله السجنان واحدة وأشعلها له على مهل، وكأنه قرأ أفكاره، ليكون التمني هنا قابل للتحقق دون طلب وفي ظرف وجيز أيضا، رغم أن الراوي لم يكن يتوقع بأن تصبح أمنيته حقيقة ولم يطلب من أحد مناولته سيجارة.

تقول طفلة الراوي في رسالتها إليه:

>> وهذا الليل يا حبيبي يوشك أن يللم أطرافه ويرحل، وليته لن يسلمني إلى سياط النهار، فيجلد قلبي الصغير الذي لم يعد يحتمل بعدك، لقد صار قلبي يدق على إيقاع الساعة الكبيرة، كل دقة هي طعنة جديدة، وكل دقة هي فرع مرير <<¹.

تصف طفلة الراوي المدللة حالتها النفسية فهي لم تعد ترغب في طلوع النهار، استخدمت الأداة (ليت) بغرض التمني، فهي تتمنى لو أن الليل لم ينجل، فلقد عبرت عن حزنها وشعورها بالاشتياق للراوي بطريقة شعرية أو شاعرية، فهي تخبره بأنها تلجأ إلى النوم حتى تراه ماكتا أمامها، وتخبره بأنها لم تعد تستطيع تحمل الوقت الذي بات بطيئا.

يبدو أن طفلة الراوي المدللة كتبت الرسالة في زمن الليل الذي تشعر فيه بالوحدة دونه، وتشعر بفراغ رهيب لن يملأه إلا هو، فهي تتمنى شيئا مستحيلا؛ لأن الليل والنهار في حركة تعاقبية، فلا يمكن أن يدوم الليل ولا يمكن أن يختفي النهار؛ لأنهما سنة كونية، خلقهما الله لتأدية

¹ المصدر نفسه: ص 109.

دور معين يقومان به من أجل استمرار هذه الحياة واستمرار دورة الطبيعة، والغرض من هذا التمني (ليته) هو التحسر والألم.

الحنين:

يقول الراوي:

>> كنت أؤمن أن أول مكان لنا نرتبط فيه بالحميميات والذكريات هو رحم الأم، لذا نحلم دوماً أن نعود إليه <<¹.

يحن الراوي ككل البشر إلى الماضي ويرتبط به، ولكن ما يميز الراوي أنه يؤمن بأن أول مكان يجد فيه الأمان ويحن إليه أكثر من غيره من الأماكن الأخرى هو بطن أمه، يتحدث الراوي على لسان البشرية جمعاء فيقول أننا نحلم جميعاً بالعودة إلى بطون أمهاتنا، ليكون الفعل المضارع " نحلم " دليلاً على الحنين والاشتياق للعودة إلى حضن الرحم حيث الأمان والطمأنينة والغذاء والنوم والراحة دون إزعاج أو كلل أو ملل.

يعبر الراوي عن شعوره في لحظة معينة، ربما تكون لحظة يأس أو وجع من حاضر مر، وربما تكون لحظة استرجاع لذكريات جميلة يبحث فيها عن الراحة التي لا تشبهها أي راحة، ولكن ما يمكن قوله أن الماضي لا يعود، ونحن لا يمكننا العودة بالزمن إلى اللحظة التي كنا فيها أجنة في بطون أمهاتنا.

الخوف والحيرة:

يقول الراوي:

>> يقصف الرعد، يلتهب البرق كسيف خرافي عملاق، يتعالى الموج كأفعوان، يتملكني الرعب، أعجز عن الحركة، أجنو على ركبتي، يلفني الفرع، يرتعش كل جسدي، أتمدد على الرمل، أحلم

¹ المصدر نفسه: ص 96.

أن أكون جبارا مثلك أيها الرعد الذي في السماء، مثلك أيتها الرياح التي تطوين الكون كله، وتضحكين باستهزاء، مثلك أيها الموج العابت بآثار أقدامي، أيتها الطبيعة الغاضبة وأنت تغتصبين إرادتي وحرיתי، فأصير في عوالمك ريشة متناهية في اللامعنى وارتفع الموج فجأة، ولطمني بقوة حتى ارتطمت بالصخر الذي أعادني نحو الموج، وظلا يتقاذفانني وقد علت فهقاتهما <1>.

يحكي الراوي بلغة شعرية عن قصة ذهابه إلى البحر، ويعبر عن حالته النفسية المضطربة، فهو يشعر بالخوف والحيرة؛ إذ توجه بعد خروجه من السجن إلى البحر، وبات يصف ما رآه أمامه، فبينما كان يلعب بقدميه ويلامس الرمل قصف الرعد والتهب البرق فتعالى الموج وتغير الطقس، وهذا ما جعله يحس بالخوف والرعب ويعجز عن الحركة، فتمدد على الرمل وتمنى لو كان جبارا مثل الرعد والرياح والموج، مثل الطبيعة الغاضبة.

يعبر الراوي من خلال توظيفه للفعل الماضي (أحلم) عن رغبته في أن يكون قويا وجبارا، وهذه الرغبة غير قابلة للتحقق؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يكون مثل الرعد والموج والرياح، فقط يستطيع أن يكون قويا بشخصيته ومواقفه وإيمانه، وما هذا الفعل (أحلم) إلا تعبيراً عن ضعفه وعدم قدرته على التعايش والتأقلم مع واقعه، فهو يعبر عن حالته الشعورية ويسعى بأن يكون حرا بعيدا عن القيود، ولكن فجأة ارتفع الموج ولطمه بقوة على الصخر الذي أعاده نحو الموج وظلا يتقاذفانه، فكأنه يريد أن يقول بأن الإحساس بالضعف ظل يرافقه رغم تمنيه بأن يكون قويا وأن الخوف والحيرة ظلا يسيطران عليه.

الحرية:

يقول الراوي:

¹ المصدر نفسه: 103 - 104.

>> أدهشني الأمر فعلا لكنه لم يزعجني، لقد تحققت أمنيته في أن أعيش حرיתי المطلقة حيث لا نداء يسيح إرادتي <<¹.

اندهش الراوي عندما تحول إلى ذئب وراقه الأمر كثيرا، ويدل هذا على شعوره بالراحة النفسية، فهو يحبذ العيش في عالم الحيوان، فطالما تمنى أن يكون حرا، فهو يرى أن الطريق إلى الحرية والخروج من العبودية يكون بتحوله إلى ذئب والعيش في عالم لا توجد به قيود؛ حيث يقول: " لقد تحققت أمنيته في أن أعيش حرיתי المطلقة حيث لا نداء يسيح إرادتي ".

يرمي الراوي إلى القول بأن أمنيته في التخلص من العبودية وأمنيته بأن يصبح حرا قد تحققت، ولكن متلقي الخطاب يرى بأن اعتقاد الراوي بأن الذئاب أحرار ولا توجد قوانين ولا ضوابط تكبح حريرتهم، وأنهم لا يمتثلون للأوامر خطأ فادح، وهذا ما سيكتشف عكسه فيما بعد؛ لأن الذئاب يعيشون في الغابة والغابة يحكمها قانون القوي يأكل الضعيف، وهذا التحول الذي وصفه بأنها أمنية تحققت هو الذي سيقيد أكثر وسيجعله خاضعا لزعيم القطيع.

يقول الراوي:

>> وكان الأمر مناسبا جدا إذ سمح لي الفناء بأن أكون في أبعد نقطة يمكن القفز منها، وتحقق فعلا ما كنت أحلم به، هاأنذا الآن في الشارع المدثر بالصمت الرهيب، ولم يطل بي المقام فاندفعت لهثا وفي قلمي لهيب وهما تصفعان الإسفلت <<².

يقول الراوي بأنه كان يحلم بالحرية وتحقق حلمه، فلقد بدأت حريرته عندما قفز من جدار الفناء إلى الشارع، ويعود قراره في مغادرة المنزل إلى ذلك اليوم الذي رأى فيه والديه يذبحان ويسلخان الخروف ليقوما عليه وليمة، شعر بأنه لم يعد يملك الرغبة في البقاء معهما؛ لأنهما حسبهما قاما بفعل إجرامي.

¹ المصدر نفسه: ص 119.

² المصدر نفسه: ص 125.

يملك الفعل الكلامي (أحلم) قوة إنجازية تتمثل في رغبة الراوي في أن يكون حراً، وذلك بالتححرر من القيود التي تفرض عليه البقاء مع أشخاص لا يحترمون مشاعر الآخرين، فهو يرى بأن والديه قد حرما الخروف من العيش بسلام.

يتزامن خروج الراوي من البيت مع حلول الليل، فالصمت الرهيب لا يكون إلا والناس نائمون، يقول الراوي بأن وقوفه في الشارع لم يدم طويلاً؛ لأنه انطلق مهرولاً باتجاه الجبل باحثاً عن الحرية التي تبدأ حسب وجهة نظره من الشارع.

يقول الراوي:

>> كانت لي رغبة قوية في اكتشاف كل شي دفعة واحدة، كنت أحلم بالانطلاق كنسمة عيلة راقصة بين أذرع الأشجار وأحضان الفيافي وعلى رؤؤس الجبال، ألهث، أعوي، أتمرغ، أؤيد، أرفض، أفك أسرى المظلومين والمكبلين، أعلم الجميع أبجديات الحرية، أصبح في الكون الفسيح، بكل هواء ادخرت في أعماقي عن حبي للحرية، أنقل بالتجربة إلى بني البشر لأردهم إلى الحياة وإلى الحرية <<¹.

يعبر الراوي عن رغبته في اكتشاف كل شيء دفعة واحدة، فيسعى إلى الوصول للحرية التي تمكنه من ذلك، تحمل الأفعال الكلامية (أحلم، ألهث، أعوي، أتمرغ، أرقص، أفك، أعلم، أنقل) قوة إنجازية تتمثل في الطاقة الإيجابية التي تحتويها هذه الأفعال والمتمثلة في الحيوية والحركية والقدرة على التنفيذ.

جاء الفعل (أحلم) بغرض التعبير عن الرغبة والطموح، فالراوي يرغب ويطمح بأن ينطلق في الطبيعة ويستمتع بمناظرها، وربط هذا الطموح والرغبة بصفات الذئب وهي العواء واللهاث، والتمرغ، وبما أنه تحول من كائن بشري إلى ذئب، أصبح يستخدم ألفاظاً لغوية خاصة بالذئب، فكل هذه الأفعال المضارعة تحمل دلالة القوة والحرية والشعور بالمتعة والرغبة في

¹ المصدر نفسه: ص 126 - 127.

الحياة، أما الفعلان الإنجازيان (أويد) و (أرفض) فيرتبطان بالحرية، فعندما تحول الراوي إلى ذئب باتت - حسب وجهة نظره - له الحرية في تأييد القرارات من عدمها؛ إذ يملك ناصيته، أما الفعل (أفك) فقد جاء بغرض التخلص من الظلم والعبودية.

يرمي الراوي إلى إخراج المساجين المظلومين من غياهب السجن، وفي هذه الحالة عليه العودة إلى بني البشر الذين لم يعد ينتمي إليهم ويحررهم من السجن والعبودية، ليكونوا أحراراً؛ حيث جاء الفعلان (أعلم) و (أنتقل) مرتبطان بالحرية، فالراوي عندما تحول إلى ذئب بات يرغب في تعليم البشر كيف يكونون أحراراً، فينتقل إليهم بناء على تجربته السابقة عندما كان منهم، ليقارن بين حياته القديمة التي كان فيها عبداً للعادات والتقاليد والمجتمع وحياته الجديدة التي أصبح فيها ذئباً حراً، له الحرية في فعل واكتشاف كل شيء.

الأمّل:

يقول الراوي:

>> مئات الحيوانات مشوية عجزت عن الفرار فلسعتها أسنة النيران المتثعينة لتسرق منها الحياة، ومئات الأوكار والأعشاش كانت تعج بالحياة وتحلم بالقادم الأسعد، لكن أصابع النيران امتدت إليها وأزهقت أنفاسها <<¹.

يتحدث الراوي عن الحيوانات التي لقيت حتفها ولسعتها أسنة النيران في الحريق، فيقول بأن هناك مئات الأوكار والأعشاش التي كانت تعج بالحياة وتحلم بأن القادم أجمل، فالفعل الإنجازي (تحلم) هو فعل مضارع يحيل على الأمل، ورغم أن الحيوانات لم تصرح بذلك إلا أن الراوي عليم يعلم أكثر منها؛ إذ يصف شعورها وأفكارها وأمانيتها وأملها وكل ما يتعلق بأحلامها في المستقبل.

¹ المصدر نفسه: ص 133.

يعبر الراوي عن عالم الحيوانات حيث كان ذئبا فارا هو وأصدقاؤه من السنة النيران، إذ يرى أنه من حق الحيوانات العيش بسلام واستقرار لغرض إنساني بحت، فهو ضد العنف والقتل والتنكيل والتشريد.

ظهرت التعبيرات بكثرة في رواية (هاء وأسفار عشتار) وساهمت في تشكيل الحكى، فلقد عمد الروائي (عز الدين جلاوي) إلى جعل الشخصية الراوي عليما يعرف أكثر من الشخصيات ويعبر عنها، إلا أنه ترك المجال للبطلة المدعوة بالطفلة المدللة حتى تعبر عن أحاسيسها دون أن يتدخل فيها، وذلك عن طريق الرسائل التي كانت ترسلها إلى الراوي وهو في السجن.

تحمل التعبيرات قوة إنجازية في ذاتها من خلال الأفعال الكلامية ومن خلال الوصف والسرد، إذ وُجدت أنواع وأغراض كثيرة تعبيرية من بينها: الحنين، الحرية، الأمل، التمني ... الخ، ولم نرد التعمق أكثر في الموضوع كون الرواية غنية بالتعبيرات ولا توجد إشكالية من حيث دراستها؛ لأنها جاءت صريحة وغير مضمرة.

ننتقل الآن للحديث عن القسم الأخير من التصنيفات التي جاء بها (سيرل) وهو قسم الإعلانات، حيث اخترنا عدة نماذج مناسبة لنطبق عليها دراستنا.

هـ - الإعلانات:

تحمل الإعلانات >> غرضا إنجازيا يتمثل في إحداث تغيير في العالم، بحيث يطابق العالم القضية المعبر عنها بالفعل الإنجازي بمجرد الأداء الناجح للفعل، وينجز المتكلم من خلال الإعلانات فعلا يمثل نفسه فحسب عندما يقوم به <<¹؛ إذ >> تتحدد دلالة الإعلانات فور التلفظ بها، حيث يعبر الفعل فيها عن الدلالة المقصودة في الواقع، وهناك أفعال لغوية كثيرة

¹ كنزة قدوس، علود حميدة: تداولية الفعل الإنجازي في سورة الملك - دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام -، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مج 17، ع 01، 2023، الصفحات 1119 - 1136، ص 1133.

تحمل وظيفة إعلانية من بينها: الشهادة والإقرار والتوكيل والوصية والشكر، بشرط أن يتم نسبتها إلى المتكلم، يكون الفعل في زمن الحاضر أو المستقبل <<1.

النموذج الأول:

>> حين تلا حارس السجن بعد الغداء مباشرة قائمة الذين سيطلق سراحهم غدا صباحا اهتز المكان كله بالصياح فرحا <<2.

يحكي الراوي لمتلقي الخطاب عن ردة فعل المساجين الذين تم الإعلان عن إطلاق سراحهم، فيقول بأنهم دخلوا في حالة هستيرية من شدة الفرح والسرور، وظف الراوي في سرده لهذه الأحداث الفعل الماضي (تلا) بمعنى (قرأ) أو (أعلن)، كما وظف الفعل المضارع (سيطلق) مرتبطا بحرف السين.

يحمل الفعل الكلامي (سيطلق) قوة إنجازية تتمثل في الإفراج عن المساجين غدا صباحا، ويعتبر هذا الفعل الإنجازي بمثابة إعلان عن تنفيذ أمر الإفراج؛ لأن السجن مبني على ضوابط وقوانين ولا يمكن للحارس تجاوزها، ولهذا تعتبر هذه القائمة الاسمية إعلان مرتبط بزمن الحاضر القريب، نظرا لوجود حرف السين الذي يقرب زمن حدوث الفعل.

النموذج الثاني:

>> علمت فيما بعد قصة العراف، هذا الذائع الصيت الذي يتهافت عليه الناس، طبعا الأثرياء منهم ليحظوا بموعد معه، فيكشف لهم بفضل من يتعاون معهم من الجن عن غيبيات خفيت عنهم، بل وله القدرة حتى على قراءة مستقبلهم <<3.

¹ ينظر إلى زغدي محمد الصالح: تداولية أفعال الكلام في قصيدة لن أبكي للشاعرة فدوى طوقان، مجلة علوم اللغة العربية وأدابها، مج 02، ع 02، 2020، الصفحات 30 - 41، ص 39.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 11.

³ المصدر نفسه: ص 28 - 29.

عندما أحضرت والدة الراوي العراف إلى منزلها، كانت تؤمن بقدرته على استرجاع الخاتمين، مما جعل الراوي يسأل عنه ويتقصى أخباره، فلقد عرف بأنه ذائع الصيت وبتهافت الناس عليه من كل مكان ليقضي حوائجهم.

جاءت جملة الخطاب " فيكشف لهم بفضل من يتعاون معهم من الجن عن غيبات خفيت عنهم " كإعلان عما حدث وراء ظهورهم ولا يعرفون عنه شيئاً، كما يحمل الفعل الإنجازي (يكشف) قوة إنجازية غرضها الإعلان عن كل ما هو مخفي وغيبى ومن الصعب معرفته والإحاطة به، وكذلك جاءت جملة الخطاب الثانية " بل وله القدرة حتى على قراءة مستقبلهم " تحمل قوة إنجازية مضمرة تتمثل في إعلان العراف عما ينتظر الزبون في المستقبل.

إن الجملتين مرتبطتان ببعضهما البعض من حيث الغرض والوظيفة إلا أن جملة الخطاب الأولى هي إعلان عن غيبات ماضية ويجعلها الزبون، بينما جملة الخطاب الثانية هي إعلان عما سيحدث في المستقبل.

النموذج الثالث:

>> لقد قدم نفسه على أنه كبير الأساتذة، وكبير الباحثين المتخصصين أيضاً، وأنه لم يتعرض طيلة حياته في الجامعة أو في غيرها لمثل هذا الموقف <<¹.

يحكي الراوي لمتلقي الخطاب عن سبب طرده من القسم من قبل أستاذ محاضر بالجامعة، يعود سبب ذلك إلى اختلافهما في الرؤى والأفكار، مما جعله يقرر عدم عودته إلى الجامعة مرة أخرى، التقى الراوي بطفاته المدللة في المقهى حيث أخبرته عن ردة فعل الأستاذ بعد أن قام بطرده، والتي تمثلت في تقديم نفسه على أنه كبير الأساتذة وكبير الباحثين المتخصصين، ويعتبر ذلك إعلان أمام الجميع بأنه أفضل أستاذ على الإطلاق وأفضل باحث متخصص في مجاله.

¹ المصدر نفسه: ص 35.

جاءت الجملة الخطابية " وأنه لم يتعرض طيلة حياته في الجامعة أو في غيرها لمثل هذا الموقف " إعلاناً وتصريحاً بأنه لم يتجرأ أحد طيلة مساره المهني على مناقشته بهذه الطريقة، وتهديه بهذا الأسلوب، وهذا الإعلان يبين مدى غرور الأستاذ وتمسكه بأفكاره وخطريته. لم يكن الإعلان والتصريح مباشراً، بل جاء مضمرًا يُفهم من سياق الخطاب؛ إذ يحمل قوة إنجازية تتضح من خلال متضمن القول.

النموذج الرابع:

>> وكم كنت عنيدا وأنا أصددها برفضي، وكم صدمتها حين صارحتها أنني سأذهب بعيدا فيما أوّمن به، ورحت أحدثها عن مفهومي للحرية التي يجب أن نعيدها إلى البشر الذين رانت على قلوبهم طبقات سميكة سوداء من العبودية من جراء ما تراكم في عقولهم من فلسفات ومعارف وقوانين وأديان كلها من صنع البشر ذاتهم <<¹.

لقد قرر الراوي عدم الرجوع إلى الجامعة رغم إصرار طفلة المدللة على ذلك وصددها برفضه، وكان مصرا على رأيه، كما أعلن أيضا بأنه سيذهب بعيدا فيما يؤمن به، ليكون الفعل الماضي (صارحتها) كفعل علني يسعى من خلاله الراوي إلى الإعلان عن حقيقة تفكيره، وتتمثل هذه الحقيقة في دعوته إلى التمرد على كل شيء عن الدين والعادات والتقاليد والقوانين والضوابط التي تحكم المجتمع.

تحمل الجملة الخطابية " صارحتها أنني سأذهب بعيدا فيما أوّمن به " قوة إنجازية تتمثل في الإعلان والتصريح عن رغبته في مواصلة رسالته، كما يحمل الفعل الكلامي (سأذهب) قوة إنجازية تتمثل في النظرة الاستشرافية للمستقبل، فهو يعلن ويصرح بأنه سيفعل ذلك في القريب العاجل؛ لأن السين اللاصقة بالفعل المضارع (أذهب) تعمل على ذلك.

¹ المصدر نفسه: ص 40.

النموذج الخامس:

>> وأخبرني الضابط في نهاية اللقاء أنه سيرفع المحضر إلى الجهات المختصة ولعلها تحوله إلى القضاء <<¹.

صرح الضابط بأنه سيرفع محضرا ضد الراوي إلى الجهات المختصة، وربما يتم تحويله إلى القضاء، وبالتالي سيتغير وضعه الاجتماعي من شخص عادي إلى شخص مطالب قضائيا، وفي الجملة الخطابية " وأخبرني الضابط في نهاية اللقاء أنه سيرفع المحضر إلى الجهات المختصة " إعلان، فلقد جاء الفعل الماضي (أخبرني) بغرض الإعلان والتصريح، وكذلك الفعل الإنجازي (سيرفع) الذي يحمل قوة إنجازية تتمثل في قرب حدوث الأمر وسرعة تنفيذه. يعتبر هذا القول إعلان عن الخطر الذي يحيط بالراوي، والذي سيعرضه لكثير من المشاكل كان في غنى عنها.

النموذج السادس:

>> منتصف النهار اتصلت بي طفلي المدللة لتخبرني عن أن الانطلاق سيكون بعد ساعة مباشرة من مدخل الجامعة <<².

لقد قرر أتباع الراوي أن يكون اللقاء بينهم وبينه في الطبيعة، ولهذا اتصلت به طفله المدللة لتخبره بذلك، ومن سياق الخطاب يفهم المتلقي أن هناك إعلان عن الزمن المحدد لهذا اللقاء والمتمثل في: (بعد ساعة)، ليكون مكان الانطلاق مباشرة من مدخل الجامعة، إن الجملة الخطابية " منتصف النهار اتصلت بي طفلي المدللة لتخبرني عن أن الانطلاق سيكون بعد ساعة مباشرة من مدخل الجامعة " هي جملة خبرية تحمل قوة إنجازية، حيث يعلن فيها الراوي عن موعد ومكان الاجتماع، ليكون الفعل (لتخبرني) فعل إنجازي الغرض منه هو الإعلان والتصريح على

¹ المصدر نفسه: ص 47.

² المصدر نفسه: ص 60.

حدوث أمر مهم، وكذلك الفعل الإنجازي (سيكون) الدال على الزمن أو المكان المحددين والقريبين.

لا يحتوي هذا القول على أفعال إنجازية مباشرة إعلانية، ولكن وجدت قرائن لغوية دالة عليه متمثلة في الفعلين الإنجازيين (لتخبرني) و (ستكون)، فلقد عمد الراوي إلى الحديث عن إعلانه بالموعد المحدد للقاء بطريقة غير مباشرة تُفهم من سياق الخطاب.

النموذج السابع:

>> ضرب ضخم الجثة على المكتب فهرع إليه أحدهم بملف فتحه وراح يقرأ منه ملخصا فيه اتهامي بعدائي الشديد للدين والوطن والدولة والمعلوم من مقدسات المجتمع بالضرورة <<¹.

يروى الراوي في هذا الخطاب السردى قصته مع المحقق الذي وصفه بضخم الجثة، فيقول بأن هذا الأخير قد ضرب على المكتب ليأتي إليه أحدهم بملف، هذا الملف فيه إعلان عن اتهام الراوي بعدائه الشديد للدين والوطن والدولة والقوانين والضوابط التي تحكم المجتمع؛ إذ جاء الفعل الإنجازي (يقرأ) بغرض الإعلان والإفصاح.

جاء الإعلان في هذا القول بطريقة غير مباشرة، يفهم من سياق الخطاب، فمنطقيا قراءة الملخص الذي يحتوي على هذه الاتهامات المقدمة ضد الراوي هو تصريح على تصنيفه إلى مجرم ومتهم وخارج عن القانون.

النموذج الثامن:

>> سريعا تم تحويلي إلى المحاكمة، وسريعا أصدر القاضي علي حكما ثقيلا بالسجن، بتهمة أنني خطر على الدين والوطن والأمن القومي <<².

¹ المصدر نفسه: ص 67.

² المصدر نفسه: ص 67.

لقد أُتهم الراوي باتهامات ثقيلة وسريعا ما تم تحويل ملفه إلى المحكمة، وتم إعلان القاضي عن حكمه المتمثل في سجنه لمدة طويلة، وما يلاحظه متلقي الخطاب في هذه الجملة الخطابية " وسريعا أصدر القاضي حكما ثقيلا بالسجن " هو أن الفعل الماضي (أصدر) هو إعلان عن النتيجة التي توصل إليها القاضي بعد تتبع حيثيات القضية، ويعد هذا الفعل إعلان مباشر عن الحكم.

جاء الإعلان في هذا القول مباشرة رغم تعلقه بالماضي، وربما يعود السبب وراء ذلك إلى استرجاع الراوي لذكرياته، مما يدل على أن الفعل تم إنجازه في الماضي وانتهى الأمر.

النموذج التاسع:

>> أعلن الأمير وجوب انطلاقنا <<¹.

تحمل الجملة الخطابية " أعلن الأمير وجوب انطلاقنا " إعلانا واضحا ومباشرا، حيث يدل الفعل الماضي (أعلن) على التصريح والإعلان؛ إذ خطب زعيم الذئاب في القطيع معلنا عن وجوب انطلاقهم إلى القمة العصماء، هروبا من النيران التي أضرمها البشر، ولأن الفعل (أعلن) جاء واضحا وصريحا فلا يوجد شك في أن هذه الجملة الفعلية هي جملة إعلانية، إلا أن الفعل تم إنجازه في الماضي ولا يحمل قوة إنجازية في الحاضر؛ لأن الراوي يسرد أحداثا جرت معه بالفعل على متلقي الخطاب، ويحكي له عن اليوم الذي أعلن فيه زعيم الذئاب الفرار من النيران حتى ينجو بحياتهم.

النموذج العاشر:

¹ المصدر نفسه: ص 127.

>> واستقر المقام بنا أخيرا في مأمن من الأرض لا يمكن أن يبلغه خطر مهما كان شديداً، وأعطى الأمير الأمر بالراحة <<¹.

يتحدث الراوي بصفته ذنباً عنه وعن القطيع فيقول بأنهم وصلوا بعد المسير الطويل إلى مكان آمن، بعيداً عن السنة النيران، ولذلك أعطى أميرهم الأمر بالراحة، حيث يعتبر الفعل الماضي (أعطى) فعلاً دالاً عن الإعلان؛ لأن الأمر بالراحة هو عبارة عن إعلان زوال الخطر وإمكانية المكوث في مكان معين دون خوف.

جاءت هذه الجملة الخطابية بغرض الإعلان والإفصاح، وارتبط الإعلان بزمن الماضي؛ لأن الراوي كالعادة يسترجع ذكرياته القديمة ويحكي عن مغامراته لمتلقي الخطاب، مما يعني أن القوة الإنجازية للفعل قد تحققت والغرض منها قد تم، كما أن الإعلان في هذه الجملة الخطابية لم يكن مباشراً؛ إذ يفهم من سياق الخطاب ومن القرينة اللغوية الدالة عليه، والتي تتمثل في الفعل الماضي (أعطى).

جاءت الإعلانات بطريقة مباشرة في بعض المواضع إلا أن زمن التلطف بها يرتبط بزمن الماضي، مما يعني أنها كانت تحمل قوة إنجازية وتم إنجاز الفعل وانتهى الأمر، ويعود السبب في ذلك إلى استرجاع الراوي لذكرياته، كما جاءت بطريقة غير مباشرة تُفهم من سياق الخطاب وترتبط بظروف التلطف، إضافة إلى ظهورها في مواضع أخرى عن طريق جمل خطابية تحمل قرائناً لغوية تدل على الإعلان والتصريح.

إن الحجاج من بين القضايا التداولية التي شغلت بالدارسين منذ نشأة التداولية إلى يومنا هذا، له آليات إجرائية مختلفة من بينها الروابط والعوامل الحجاجية، والتي تساهم في اتساق النص وانسجامه، وحتى يتمكن الباحث من استنتاج أي نص سواء أكان نصاً سردياً أو نثرياً وجب أن تتوفر فيه عدة شروط تسهل على الباحث دراسته حجاجياً وتداولياً، والنص الذي بين أيدينا (هاء

¹ المصدر نفسه: ص 128.

وأسفار عشتار) هو نص حدائثي نسعى من خلاله إلى إبراز الآليات الحجاجية، فإلى أي مدى تتوفر هذه الرواية على آليات الحجاج ؟ وكيف يمكننا استنتاجها وفقا لذلك ؟.



الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار "

1- مفهوم الحجاج:

أ - لغة:

ب - إصطلاحاً:

2 - إرھاصاته:

3 - مراتب الحُجَج:

4 - التداولية المدمجة:

5 - لقسم الحجاجي والسلالم الحجاجية:

6 - الروابط الحجاجية:

7 - العوامل الحجاجي:

الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار ":

1- مفهوم الحجاج:

أ - لغة:

جاء في كتاب العين لـ (الخليل بن أحمد الفراهيدي) >> حجج: قد تُكسر الحَجَّةُ والحَجُّ فيقال: حَجٌّ وحِجَّةٌ. ويقال للرجل كثير الحَجِّ حَجَّاجٌ من غير إمالة. وحَجَّ علينا فلانٌ أي قَدِمَ. والحَجُّ: كثرة القصد إلى مَنْ يُعَظَّمُ، والفِعْلُ حَاجَبْتُهُ فَحَجَبْتُهُ. احتَجَبْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ. والحجاج المصدر <<¹، وجاء في مقاييس اللغة لـ (ابن فارس) في باب حجج >> حج: الحاء والجيم أصول أربعة. فالأول القصد، وكل قَصِدٍ حَجٌّ، ومن الباب المَحَجَّةُ، وهي قارعة الطريق، وممكن أن تكون الحُجَّةُ من هذا لأنها تقصد، أو بها يُقصدُ الحق المطلوب <<².

لم يبتعد (ابن منظور) في لسان العرب و(الرازي) في مختار الصحاح عما جاء به (الفراهيدي) و(ابن فارس)، فلقد جاء في لسان العرب بأنه >> من أمثال العرب: لَجَّ فَحَجَّ، معناه لَجَّ فغلب مَنْ لَاجَهُ بِحُجَجِهِ. يقال حَاجَبْتُهُ أُحَاجُهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَةً حتى حَجَبْتُهُ أي غلبتُهُ بالحجج التي أدليت بها <<³، وجاء في مختار الصحاح أن >> الحجة البرهان وحَاجَّهُ فَحَجَّهُ من باب رَدَّ أي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. <<

لم تختلف المعاجم العربية في تعريفها للحجاج فكلها تشترك في أن الحجاج هو القصد والبرهان والغلبة بالحجة، أما في القواميس والموسوعات الغربية فهناك نظرتان تقتربان من حيث تعريفهما للحجاج، حيث جاء في النظرة الأولى ويمثلها قاموس (لالاند) و(لاروس) الآتي: >>

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح عبد الحميد هندواوي، ج 01، ط1، 2003، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 286 - 287.

² أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج 02، ص 30 - 31.

³ ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخران، ط 1، 1981، دار المعارف، القاهرة، ص 779.

الحجاج في النظرة الأولى (سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة)، أو (هو الكيفية التي تقدم بها الحجج وتنظم) (لالاند، 1951)، أو (مجموعة من الاستدلالات الموجهة لإثبات أطروحة)، وتعتبر الحجة في هذه النظرة (دليلاً أو استدلالاً لدعم إثبات) (لاروس، 1966).

أما الحجاج في النظرة الثانية (إشارة إلى الشك، لأنه يفترض أن مجال الاتفاق حول موقف معين، ليس واضحاً بما فيه الكفاية، أو لا يفرض بالقوة الكافية)، أو أنه (إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع مستمع إلى تبني موقف، اعتماداً على إثبات أو حجج) (فلوكييه، 1962) <<1.

إن الحجاج وفق النظرة الأولى هو مجموعة من الحجج تؤدي إلى نتيجة واحدة، بينما الحجاج في النظرة الثانية هو تقديم مجموعة من الحجج لإثبات صحة قضية معينة يوجد فيها اختلاف وشك لغاية تبنيها.

ب - اصطلاحاً:

لقد وضع دارسو الخطاب عدة تعريفات للحجاج، ويختلف تعريف الحجاج من دارس إلى آخر، فحسب (أنسكومبر) (Jean Claud Anscomber) و (ديكر) (Oswald Ducrot) الحجاج >> هو تلازمات لفظية تؤدي إلى نتائج محددة ومعلومة.

ومتلماً للقول عمل إنجازي فكذلك للحجاج عمل إنجازي، وهذا ما يوصل بين حقل نظرية أفعال الكلام عند (أوستن) و (سيرل) ونظرية الحجاج <<2.

¹ محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، 2005، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص 8.

² ينظر إلى علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ط1، 2008، مسكيلياني، تونس، ص 18.

يرمي (أنسكومبر) و (ديكر) إلى القول بأن الحجاج هو فعل إنجازي لديه وظيفة معينة ويؤدي إلى نتيجة محددة، وفي موقف آخر يقولان بأنه يمكن أن لا يصرح المخاطب بالنتيجة، ولكن يمكن لمتلقي الخطاب معرفتها من خلال استنتاجها عن طريق البنية اللغوية، إضافة إلى أنه يمكن أن يعتمد المخاطب حججا صريحة أو ضمنية حتى يقتنع المتلقي بنتيجة معينة، فلقد >> أوضح (ديكر) و (أنسكومبر) أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تترايط وتتابع بشكل دقيق حيث تأتي حجج لتدعم وتثبت حججا أخرى؛ أي أن المَخاطِبُ إنما يجعل قولاً ما حجة لقول آخر هو بلغة الحجاج (نتيجة) يسعى إلى إقناع المَخاطِبُ بها بشكل واضح وصريح أو بشكل ضمني. بمعنى آخر يمكن للمخاطب أن يصرح أو يخفي النتيجة فيكون على المخاطب استنتاجها لا من مضمون هذا القول الإخباري بل اعتماداً على بينته اللغوية فقط <<¹.

يرى (بنفينيست) أنه >> إذا عرفنا الحجاج بأنه محاولة لاستبدال تمثيلات المتكلم فهذا يعني أن كل إخبار من شأنه أن ينهض بهذا الدور كما يمكن أن يُدعى بهذا المعنى حجاجياً، فكل ملفوظ وكل ملفوظات متناسقة ومتعاقبة (وصفية، سردية) تقيم وجهة نظر أو (ترسيمية) تمثل دراستها موضوع المنطق الطبيعي <<².

يرى (بنفينيست) أن كل مخاطب يسرد أحداثاً أو يصف موقفه تجاه أمر معين، أو يعبر عن وجهة نظره مُحاجاً؛ لأنه بالسرد والوصف وتقديم الحجج والتبرير والتفسير يكون قد وقع في ما يسمى بالحجاج.

لا يختلف قول (بنفينيست) هذا عن رأي (بول غرايز)، والذي يرى أن الحجاج هو >> تمشّ يسعى إلى محاولة التأثير في موقف أو رأي أو سلوك شخص معين بوسائل الخطاب، ((إن

¹ ينظر إلى سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، 2011، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ص 23.

² باتريك شارودو، دومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، د . ط، 2008، دار سيناترا، تونس، ص 69.

الحجاج كما أفهمه يعتبر المتلقي لا بوصفه شيئاً يتصرف فيه المرء، وإنما هو المعادل الموضوعي له الذي يحمله على مشاركته في الرؤية، والسعي للتأثير فيه هو العمل على تغيير مختلف التمثلات التي تنسب إليه، بإظهار بعض مظاهر الأشياء، وإخفاء البعض الآخر، واقتراح مظاهر جديدة وذلك بواسطة ترسيمية ملائمة)) <<¹.

يعتمد الحجاج بالنسبة لـ (بول غرايز) على استخدام المتكلم لوسائل الخطاب المختلفة من أجل إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره والتأثير فيه، وهذا ما يجعله يتبعه ويفتتح برأيه، فيكون بذلك قد قدم العديد من الحجج والبراهين حتى يصل إلى نتيجة واحدة، وهي إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره التي قد تغير سلوكياته وموقفه تجاه أمر معين.

هناك أيضاً من يعرف الحجاج بناء على ربطه بالسياق والتواصل من بينهم: >> (باربارا وارنيس) مع (إدوارد انش) (Barbara Warnich & Edward Inch) و (فيرنون جونسون) (Vernon Jenson) بالنسبة لهما تظهر الحجة وتستخدم عندما يوجد اختلاف بين موقفين محتملين. ويحددان أربعة عناصر سياقية تتعلق بهذا الموقف الاختلافي، وهي: حقول الحجاج (تلك ذاتها التي ذكرها تولمن)، والمناسبة، والثقافة، والتأثير الأخلاقي. وبطريقة مشابهة، نجد أن (جونس) قد اهتم بمجال تطبيق خاص في الحجاج، هو المواجهة. وقد قاده ذلك إلى أن يدمج بعض العوامل الأساسية: كالمصادقية والتفنيد في تحليل الحجج <<².

يقول (عبد الله صولة) في كتابه الموسوم بـ : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية بأنه يوجد ثلاثة مفاهيم على الأقل للحجاج: >> يأتي مساوياً للجدل ويوجد خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ويأتي قاسماً مشتركاً بين الخطابة والجدل ويوجد خاصة عند

¹ باتريك شارودو، دومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، ص 69.

² فيليب بروتون، جيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناحي الغامدي، ط1، 2011، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ص 85 - 86.

اليونان ((أرسطو) على سبيل المثال) ويأتي أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين في العصر الحديث لدى الغرب، ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئاً فشيئاً في الاستواء مبحثاً لغويًا وفلسفيًا قائم بذاته في العصور الحديثة مستقلاً عن صناعة الخطابة من ناحية وعن صناعة الجدل من ناحية أخرى <<1.

تعددت مفاهيم الحجاج من باحث إلى آخر ومن مفكر إلى مفكر آخر، وكل يعطي مفهوماً له بحسب مجاله واختصاصه، وهناك من يقول بأن << الحجاج - مثل السرد - هو كل يساهم في بنائه شكلُ التناسق الحجاجي. إن الحجاج هو حاصل نصي عن توليف بين مكونات متنوعة تتعلق بمقام له هدف إقناعي أو تأثيري. فهذا النص كله أو بعضه سيكون بالإمكان ظهوره في شكل حوار (حجاج حوار) شفوي أو مكتوب (حجاج أحادي الحوار) وفي هذا الإطار ستسخر تعابير من قبيل: ((أنشئ محاكاة قوية)) و ((أعتد حجاً قوية)) و ((حاجج جيد)).. إن الحجاج باعتباره شكلاً من أشكال تناسق الخطاب يكون الآلة التي تمكن من إنتاج أنواع من الحجاج في مظاهر متنوعة <<2.

يتطلب الحجاج بهذا المفهوم وجود طرفين، يحاول الطرف الأول التأثير في الطرف الثاني وإقناعه، فيكون الحوار إما شفويًا أو مكتوبًا، مما يجعل عملية التفاعل كاملة، ولكن بشرط أن يكون الحوار واقعيًا وكلاهما حاضرين، وإما أن تكون عملية التفاعل افتراضية وغير كاملة، وذلك إذا كان أحد الطرفين غائبًا.

يقول (محمد العمري) في كتابه الموسوم ب: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: <<

¹ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، 2007، دار الفرابي، بيروت - لبنان، ص 8 - 9.

² باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى)، تر أحمد الودرني، ط1، 2009، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ص 16 - 17.

كان هناك مشكل! قد يكون عندنا حينئذ، برهنة من نمط منطقي - رياضي، بدون أية علاقة مع البلاغة، من جهة، وقد يكون هناك، من جهة ثانية، تهيج سيكولوجي ذو علاقة أكيدة بالبلاغة، ولكنه غير ذي علاقة بالحجاج. وفي مقابل ذلك فإذا ما رأينا في الحجاج خطابا عقليا يهدف إلى الإقناع بدون أن تكون له الصرامة الشكلية التي تتمتع بها البرهنة، فحينئذ سي طرح مشكلة علاقته مع البلاغة <<¹.

يتحدث (محمد العميري) عن السبب الذي جعل الباحثين والدارسين يختلفون في وضع مفهوم محدد للحجاج، ويرى أن السبب في ذلك يعود إلى تشبيه الحجاج بالبرهنة وجعله مرادفا لها دون الاهتمام بالفروق بينهما، إضافة إلى طبيعة كل من الحجاج والبرهنة، ولكن ما يراه (أبو بكر العزاوي) في كتابه الخطاب والحجاج هو أن >> التعريف المنتشر والمستخدم للحجاج، هو تقديم مجموعة من الأدلة والحجج التي تخدم نتيجة مقصودة وغاية مرجوة. إن الحجاج اللغوي هو منطق اللغة وهو المنطق الطبيعي الذي نجده في كل اللغات البشرية، ونجده في كل الخطابات والنصوص التي تنجز باللغة الطبيعية بمختلف أنواعها وأنماطها <<².

بعد الإطلاع على بعض التعريفات التي وضعها الباحثون والدارسون للحجاج، وجب التوقف عند نقطة مهمة وهي كيف نشأ الحجاج دون التعمق في التفاصيل، كون ما يهمنا في هذا البحث هو كيفية استنتاج النص الذي بين أيدينا (هاء وأسفار عشتار) عن طريق آليات الحجاج.

2- إرهاساته:

يرجع (كريستيان بلانتان) (Christian Plantin) في كتابه الموسوم ب: الحجاج الذي ترجمه (عبد القادر المهيري) بداية ظهور الحجاج إلى السفسطائيين الذين قدموا حججا من خلال

¹ محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ط2، 2012، أفريقيا الشرق، المغرب، ص 213 - 214.

² أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ط1، 2010، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ص 9.

نقدم اللادع للتصورات الاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة آنذاك، إلا أن هناك من الباحثين من يرجع نشأة الحجاج إلى (أرسطو) (Aristotle)، حيث >> يذهب أغلب الباحثون عادة إلى إرجاع بدايات نشأة الحجاج إلى (أرسطو) (384 - 322 ق.م)، ولكن سيكون ذلك على حساب السفسطائيين الذين كانوا - القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م - علماء أصليين أخضعوا التّصورات الاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة في عصرهم لنقد لاذع تماما، وقد أمكن لمخلفاتهم أن تقارن بمخلفات التنوير، وما تلك الصورة السيئة التي بقيت ملتصقة باسمهم سوى صورة مشوهة فرضتها عليهم انتقادات أفلاطون (347 - 427 ق.م)، الذي انتقد تفكيرهم وممارستهم، وينبغي لكل مقارنة للحجاج السائد أن تأخذ بعين الاعتبار ما حقّته السفسطائية من مكتسبات <<¹.

بدأت نشأة الحجاج على الأغلب مع السفسطائيين كما قال بذلك (كريستيان بلانتان)، حيث يوضح ذلك (محمد بن سعد الدكان) في مؤلفه الموسوم بـ: الدفاع عن الأفكار تكون ملكة الحجاج والتناظر الفكري فيقول: >> كانت البداية الأولى للحجاج، من حيث النظرية والممارسة و((التكوين)) بالضبط، في القرن الخامس قبل الميلاد: (400 - 450 ق.م)، هذا من حيث التحديد الزمني، الذي كانت فيه البذور الأولى لظهور الحجاج، ومن حيث المكان فقد ظهر في جزيرة صقلية باليونان، وأما عن الظرف والواقع الذي أوجد فكرة ((الحجاج))، فهو ((الواقع الديمقراطي))، كما يشير إلى ذلك (رولان بارت)؛ إذ ارتبط الحجاج في بدايته بشكل رئيسي بالواقع الديمقراطي، وذلك حين تحررت جزيرة صقلية من قبضة الاضطهاد الذي فتك بالشعب الصقلي، الذي قام وثار للدفاع عن حقوقه <<².

¹ ينظر إلى كريستيان بلانتان: الحجاج، تر عبد القادر المهيري، د. ط، 2010، دار سيناترا، تونس، ص 11 - 12.

² محمد بن سعد الدكان: الدفاع عن الأفكار تكون ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ط1، 2014، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت - لبنان، ص 47.

يعود سبب نشأة الحجاج في مراحلہ الأولى إلى السياسة، فلقد ثار الشعب الصقلي ضد الاستبداد الذي فتك به، حيث >> يقول (رولان بارت) متحدثا في الموضوع: ((نشأت البلاغة باعتبارها لغة واصفة من دعاوي الملكية، في حوالي 485 ق . م، قام طاغيتان، هما (جيلون) و(هيرون) من صقلية، بتهجير السكان ونفيهم، ونزع ممتلكاتهم من أجل تعمير (سراكوزا)، ومنح الأراضي للمرتزقة وتقسيمها عليهم، وعندما أسقطا الطاغيتين من طرف انتفاضة ديمقراطية، وتم عودة الأهالي إلى مناطقهم، كانت هناك شكاوي لا حصر لها؛ لأن حقوق الملكية كانت معتمدة. هذه الشكاوي كانت بأسلوب جديد: حيث تم تعيين لجان تحكيم شعبية كبرى، ويشترط من أجل الإقناع أن يكون الشخص المائل أمامهم بليغا وفصيحا، هذه البلاغة والفصاحة، المازجة بين الغوغائي والديمقراطي، بين السياسي والقضائي، سرعان ما تأسست كموضوع تعليمي، وقد كان المعلمون الأوائل لهذا الفرع المعرفي هم: (وتسياس)، (كوراكس)، (أنبذل الأغرجنطي)، وانتقل هذا التدريس، بالسرعة ذاتها إلى (أتیکا) >>¹.

نتج عن ظهور سياسة جديدة بعد انتفاضة الشعب الصقلي على نظم الحكم الظالم والمستبد، وضع شرط وجب توفره في الشخص الذي سيمثل أمام لجان التحكيم المساندة للشعب، ويتمثل هذا الشرط في الفصاحة كون السياسي المحنك الفصيح بإمكانه أن يقنع اللجنة بما يريد دون تمرده على الوضع الراهن، وفيما بعد أصبحت الفصاحة التي تمزج بين الديمقراطي والغوغائي، وبين القضائي والسياسي كمنهاج في التدريس وموضوع تعليمي.

>> ظهر في هذا الوقت المفكر (كوراكس) الذي أَلَّفَ الدليل التكويني الحجاجي، وهو: أول رسالة في الحجاج، والكلام المعقلن، التي تحوي جملة من أنظمة القول، وقوانين التأثير والتخاطب، فكان أول سوفسطائي حول الخطاب الحجاجي إلى عمل تكويني، ثم حوّل الحجاج إلى عمل مؤسساتي، حيث باتت صقلية منارة حجاجية تعليمية، يحج إليها الأساتذة من السوفسطائيين

¹ محمد بن سعد الدكان: الدفاع عن الأفكار تكون ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ص 47 - 49.

أمثاله - كوراكس - : يُدرسون بأجرة كبيرة أصحاب اليسار من الشباب الأثيني، بداية من مبدأ لديهم آمنوا به وعلموه يفيد بأن: التمكن من سلطة القول يعد وسيلة للتمكن من سلطة الحياة ثقافيا وسياسيا واقتصاديا <<¹.

يمكن القول - وفقا لذلك - بأن أصحاب نظرية الحجاج في العصر الحديث قد اعتمدوا >> في مساهم المنهجي على عدة خلفيات كأساليب الحجاج القضائي والتراث المنطقي، كما ركزوا على العناية باللغة التواصلية بصفة عامة انطلاقا من دور الشكل البلاغي أسلوبيا وحجاجيا. وقد أوصلهم مساهم المنهجي المتبع إلى المطابقة بين البلاغة والحجاج منطلقين من فكرة أن كل خطاب يروم لدعم وضع ما أو تغيير وضع ما أو اتخاذ موقف تجاه قضية ما، وأن كل تلك الخيارات لا بد لها من أن تتأسس على خطط حجاجية مقصود بها المخاطبون <<².

بُني أساس هذه الفكرة الأخيرة على ما جاء به كل من (أرسطو) في الخطابة، وما جاء به (السفسطائيون) من خلال ما قدموه من حجج وأدلة لغاية إقناع الشعب بالسياسة الجديدة، والاهتمام باللغة التواصلية، لما لها من قدرة على الإقناع والتأثير بفضل بلاغتها و >> فيما يتعلق بأدوات الإقناع فيؤكد (أرسطو) أنها يجب أن تكون ذات طابع برهاني، وأن تكون متعلقة بموضوع النزاع، حيث يتم التركيز في الجنس الاحتفالي على جعل الأحداث ضخمة وبيان جمالها والفائدة منها، ولا تتم المُحاجة فيها إلا إذا كانت غير قابلة للتصديق، أو حين تُنسب إلى إنسان آخر.

وفي الخطب الاستشارية، يمكن للخطيب أن يعترض على عدالة ما يوصي به الخصم أو أهميته أو نفعه، إن أقر بإمكانية وقوعه، كما يمكنه أن يرى ما إذا كان الخصم كاذبا في أمور

¹ محمد بن سعد الدكان: الدفاع عن الأفكار تكون ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ص 47 - 49.

² محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، 2008، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ص 104 - 105.

خارجة عن الموضوع؛ لأن ذلك سيكون دليلاً على عدم مصداقية ما يقترحه، وأداة الاستدلال المناسبة للجنس الاستشاري هي المثال، في حين أن الضمائر الأصلح للجنس القضائي <<1>. إن هذا فيما يخص الإرهاسات الأولى لظهور الحجاج الذي كان على يد (أرسطو) و (السفسطائيون) وآخرون، وللحجج مراتب أيضاً ووجب الإشارة إليها.

3- مراتب الحجج:

>> يحتج المناظرون والمستدلون بأنواع من الحجج والأدلة:

- 1- الحجة البرهانية.
- 2- الحجة الجدلية.
- 3- الحجة الخطابية.
- 4- الحجة الشعرية.
- 5- الحجة المرفوضة: وهذه الحجة المرفوضة إن كانت قائمة على خطأ مقصود، غير مقصود، فهي ((الغلط))، وإن كانت قائمة على خطأ مقصود من أجل التموهيه على الخصم، أو من أجل تضليل المخاطب، فهي ((المغالطة)) <<2>.

إن من أهم الاتجاهات التي اهتمت بالجانب التداولي وعلاقته بالجوانب الأخرى هي التداولية المدمجة، والتي سنعتمد على آلياتها المتمثلة في: الروابط الحجاجية والسلم الحجاجي والعوامل الحجاجية في استنتاج نص (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوي).

¹ الحسين بنوهاشم: بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ط1، 2014، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ص 350.
² عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، ط1، 1975، دار القلم، دمشق - بيروت، ص 305.

4 - التداولية المدمجة:

بدأت >> أول انطلاقة للتداولية المدمجة من فكرة: أن اللغة تحقق أعمالا وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون، فهي تعارض التصنيف الخطي السائد في النظريات اللسانية التقليدية، الذي يجعل اللغة مستويات ثلاثة: التركيب والدلالة ثم التداول، فقواعد الصياغة السليمة (التركيب) مستقلة على المستوى الخبري للملفوظ (الدلالة)، وهذا المحتوى الخبري، بدوره، مكثف بذاته لا يحتاج إلى معطيات النشاط التكلمي والسياق والذي يندرج فيه (التداول).

لقد وجه الباحثان (ديكرو) و(أسكومبر) ضروبا من النقد لهذا التصور، ورفضوا الفصل بين تلك المكونات (تركيب، دلالة، تداول) ففي جل الأقوال بعض السمات التي تحدد قيمتها التداولية باستقلال عن محتواها الخبري <<¹.

جاءت التداولية المدمجة كرد فعل على التصور القديم للغة، الذي يرى بأنها لغة واصفة، وكرد فعل على فصله بين مستويات اللغة: التركيب والدلالة والتداول، حيث قام أصحاب التداولية المدمجة (ديكرو) و(أسكومبر) بالمزج بين الدلالة والتداول، ورفضوا الفصل بين هذه المستويات الثلاثة (التركيب، الدلالة، التداول)، وقالوا بأن اللغة تحقق أعمالا، وهذا يعني أنهما متأثران بما جاء به كل من (أوستن) و(سيرل).

>> لا تفصل التداولية المدمجة بين البعد الدلالي والبعد التداولي في الخطاب، فالمظهر مدرج في الدلالة، إضافة إلى أنها تبحث في الجوانب التداولية المسجلة في بنية اللغة، لأن معنى أي ملفوظ وحتى في الحالة التي نقدم فيها للكلمة مفهومها الأكثر نحوية، لا يمكن أن يوصف دون استحضار مقصديات معينة لتلفظه، حيث تتجاوز اللغة في سياق التداولية المدمجة طابعها الوصفي والإخباري، وتمتلك قوة إنجازية فتحقق أعمالا وتحدد موافقا؛ إذ تتضمن مجموعة من

¹ عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، ط1، 2016، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص 178.

الإجراءات الخاصة التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية <<¹، كما >> يميز أصحاب التداولية المدمجة بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية في العمل والوظيفة <<²، ولقد اعتبرت (أموسّي) (Amossy) >> أن التداولية الإدماجية تعتنى بالروابط الحجاجية التي تصل السلاسل اللفظية بعضها ببعض <<³؛ يعني هذا أن الروابط والعوامل الحجاجية إضافة إلى السلاسل الحجاجية هي آليات تساهم في دراسة النصوص المختلفة حجاجيا.

>> يقول (ديكر) في كتابه السلاسل الحجاجية: ستكون بدايتنا من الملاحظة البسيطة التي تقول إن كثيرا من أفعال التلطف تتميز بوظيفة حجاجية، ويتم ذلك في كون هذه الأفعال ترمي إلى جعل المتلقي يصل إلى نتيجة محددة أو يبتعد عنها، وأقل بساطة من ذلك، ربما الملاحظة التي تقول إن هذه الوظيفة تخلف علامات في بنية الجملة نفسها: إن القيمة الحجاجية للمفوض ليست فقط نتيجة للمعلومات التي يسوقها، ولكن الجملة يمكنها أن تتضمن عبارات وصريقات وصيغا متنوعة تؤدي إضافة إلى وظيفتها الإخبارية وظيفية منح المفوض وجهة حجاجية <<⁴.

5 - القسم الحجاجي والسلاسل الحجاجية:

>> إن القسم الحجاجي حسب (ديكر) يتمثل في قدرة المتكلم، في وضعية خطاب محددة، على وضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد يؤدي إلى نتيجة (ن) بشرط أن يكون الملفوظان يقودان ويخدمان نفس النتيجة (ن)، ونفهم من كلام (ديكر) هذا أن القسم الحجاجي هو مجموعة الملفوظات أو الأقوال التي تأخذ محلّ (ق 1) في المعادلة الحجاجية وتؤدي هذه

¹ عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، ص 178 - 179.

² أبو بكر العزاوي: الحجاج بين النظرية والتطبيق، ط1، 2020، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، ص 185.

³ علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ص 18.

⁴ حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثاني الحجاج: مدارس وأعلام، ط1، 2010، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ص 84.

المجموعة من الحجج إلى نتيجة واحدة تؤكدتها وتثبتها <<¹، أما السلام الحجاجية >> فينطلق هذا المبحث من تصور مبني على تدرج الحجج، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، وصولاً إلى النتيجة المقصودة من المرسل، وأن هذه الحجج تدعم هذه النتيجة التي ينقاد إليها المخاطب، من خلال متابعة هذه الحجج، وما ستؤول إليه؛ لأن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المرسل إلا بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها، وقد تبقى ضمنية.

ويعرف السلم الحجاجي على أنه علاقة تراتبية للحجج متتابعة <<²، و>> يندرج ضمنه كثير من الأدوات اللغوية، مثل الروابط الحجاجية (حتى، لكن، ليس كذا فحسب، فضلا عن، أدوات التوكيد)، والإحصاءات، ودرجات التوكيد، وبعض الآليات والصيغ الصرفية، مثل التعديّة بأفعال التفضيل، وصيغ المبالغة، والقياس <<³.

6- الروابط الحجاجية:

>> هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين (أو أكثر) ينتميان إلى إستراتيجية حجاجية واحدة، بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين مجموعة من الحجج أو بين حجة ونتيجة). وهي نوعان:

- روابط مدرجة للنتائج مثل (أخيرا، إذن ...).

- روابط مدرجة للحجج مثل (لكن، لأن، حتى، بل ...).

¹ عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط1، 2011، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس، ص 130.

² مثني كاظم صادق: أسلوبيّة الحجج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ص 117.

³ حافظ إسماعيلي علوي: الحجج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الأول الحجج: حدود وتعريفات، ص 79.

وعلى العموم، فإن العلاقة بين الحجة والنتيجة ليست اعتباطية، بل هي ناجمة عن توجيه تحكمه المشيرات اللغوية الحجاجية <<¹.

يعني ذلك أن << الروابط تربط بين حجتين على الأصح (أو الأكثر) ...، ومن الروابط أيضا: الفاء، وحتى، والواو، وإن، وثم، وإذ، وبل، ... >>².

الرابط الحجاجي التساوي (حتى):

<< يقر (موشلار) (Moeschler) و (ريبول) (Reboule) بأن الخاصية الأساسية للعلائق الحجاجية هي أن تكون سلمية وتراتبية، وهذه الصفة هي نتيجة ما يوفره الرابط الحجاجي من تقوية للحجة حتى يجعلها غير متساوية ضعفا وقوة تأثيرا وإقناعا، ومنه يصبح الرابط الحجاجي هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ في ذاته، وداخل القسم الحجاجي حتى ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي، فيكون وفقا لذلك أقرب تحقيقا للمفهوم والنتيجة.

يساعد الرابط الحجاجي (حتى) في الملفوظ على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة، بل إن الرابط قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة وهو في أثناء ذلك كله يقوي النتيجة التي يسعى الملفوظ إلى إيصالها، وعليه فإن السلمية يفضحها الرابط الحجاجي في حد ذاته <<³.

يمكن القول أيضا أن (حتى) << رابط حجاجي يعمل على ترتيب الحجج داخل الخطاب؛ إذ تقوم بترتيب عناصر القول، وتكمن وظيفتها بحسب السياق الذي توضع فيه، وتكون حجاجية بحالتي: الجر والعطف، ولا تكون (حتى) الجارة حجاجية إلا إذا كان ما بعدها داخلا فيما قبلها

¹ عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، 2013، منشورات صفاق، بيروت - لبنان، ص 100.

² أبو بكر العزاوي: الحجاج بين النظرية والتطبيق، ط1، 2020، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، ص 185.

³ ينظر إلى عز الدين ناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط1، 2011، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس، ص 133 - 134.

<<¹، ومن هنا فإن >> (حتى) الجارة تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المخاطب تحقق شروط مجرورها في التركيب، حيث يكون الأول ظاهر في أغلب الأحيان، ويكون الثاني آخر جزء أو ملاقٍ لآخر جزء، وأن يكون المجرور بها داخلا فيما قبلها على الغالب، وأن يكون الانتهاء به أو عنده، وثاني استعمالها ما يسمى بـ (حتى) العاطفة ويراعي المخاطب هنا شروط المعطوف، وهي شرطان: الأول: أن يكون بعض ما قبلها، أو كبعضه، الثاني أن يكون غاية لما قبلها، في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير >>²، أي ما يسمى حجاجا بالتساوق، وفي هذا السياق يقول (ثعلب): أن >> (حتى) للغاية، والغاية تدخل وتخرج. يقال ضربت القوم حتى زيد. فيكون مرة مضروبا، ومرة غير مضروب >>³؛ أي أن ما قبلها غاية لما بعدها.

يوجد أيضا >> (حتى) التعليلية: ترد (حتى) حرفا للتعليل في الاستعمال، فتكون بمعنى (كي) إذا جاء ما قبلها سببا وعلة لما بعدها، والجدير بالملاحظة أن ما بعد (حتى) غاية غالبا أي: أن الفعل الذي يقع قبل (حتى) التعليلية إنما هو لتحقيق ما بعدها >>⁴.

يعني هذا أن الرابط الحجاجي (حتى) يعمل غالبا تساوquia، فيكون ما قبلها غاية لما بعدها وسنتطرق لها في هذا الجانب التطبيقي.

¹ وهيبه شودار، عمار لعويجي: دور الروابط الحجاجية في فهم النمط الحجاجي لـ (نصوص فهم المنطوق) كتاب اللغة العربية الجيل الثاني سنة رابعة متوسط " أنموذجا "، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 14، ع 01، 2022، الصفحات 621 - 637، ص 629.

² رابح كريب، محمد مدور: توظيف الروابط والعوامل الحجاجية ودورها في كتاب: ذم الهوى لابن الجوزي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 14، ع 02، 2022، الصفحات 61 - 75، ص 67.

³ الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، 1992، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 545.

⁴ بوهوش فاطمة: الأشكال التعليلية وأثرها في دلالة الخطاب القرآني، مجلة دراسات معاصرة، تيسمسيلت - الجزائر، مج 02، ع 02، 2018، الصفحات 26 - 30، ص 28.

النموذج الأول:

>> ونظّل نتجاذب، فنتعانق ونتراقص ونبذر في الحياة فرحا هادئا راكنا لأقدارنا أحيانا، عاصفا بزوابع الأسئلة المتمردة أحييين أخرى، نتلاحم حتى نصير جسدا واحدا <<¹.

اشتمل القول على مجموعة من الحجج يربط بينها الرابط الحججي (حتى)، حيث تحمل هذه الحجج نفس التوجه الحججي وتؤدي إلى نتيجة واحدة، تتمثل الحجة الأولى في قول الراوي: " فنتعانق ونتراقص ونبذر في الحياة فرحا هادئا راكنا لأقدارنا أحيانا "، وتتمثل الحجة الثانية في قوله: " عاصفا بزوابع الأسئلة المتمردة أحييين أخرى "، أما الحجة الثالثة فتتمثل في قوله: " نتلاحم "، فيما جاءت الحجة التي بعد الرابط الحججي (حتى) غاية لما قبله، ومساوقة له وتتمثل في قوله: " نصير جسدا واحدا ".

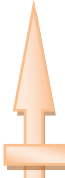





يتحدث الراوي في هذا القول عن علاقته بطفلته المدللة التي تربطه بها قصة حب جميلة، حيث يتفقان أحيانا ويتخاصمان أحيانا أخرى، فينظران إلى الحياة على أنها أخذ وعطاء، ورغم انزعاج الراوي من أسئلة طفلته المدللة كثيرا، والتي تعيق صفوى علاقتهما، إلا أن تضارب أفكارهما وتعارضها في بعض الأحيان لا يمنع من وجود ألفة بينهما؛ إذ يعتبران شخصا واحدا وروحا واحدة.

جاءت الحجة التي بعد الرابط التساوقي (حتى) أقوى من الحجج التي سبقته، وتخدم هذه الحجج نتيجة واحدة مفادها: قوة العلاقة بين الراوي وطفلته المدللة رغم وجود مناوشات بينهما في بعض الأحيان.

ونمثل لذلك كالاتي:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 7.

شكل 1

ن	قوة العلاقة بين الراوي وطفلته المدللة.	
ح 4	نصير جسدا واحدا.	
الأداة	حتى.	
ح 3	نتلاحم.	
ح 2	عاصفا بزوابع الأسئلة المتمردة أحييين أخرى.	
ح 1	فتتعانق وبتراقص وبتذر في الحياة فرحا هادئا راكنا لأقذارنا أحيانا.	

النموذج الثاني:

>> وأوصى أن يدفن بعيدا عن البشر، قريبا من الطبيعة، في حضن أشجار الأرز، حتى في موته كان يرغب في أن يظل بعيدا عن صخب البشر وغبائهم، قريبا من عبقرية الطبيعة وعمقها <<¹.

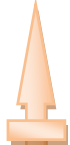





جاءت الحجتان اللتان قبل الرابط التساوقي (حتى) والمتمثلتين في قول الراوي: " قريبا من الطبيعة "، وقوله: " في حضن أشجار الأرز " غاية للحجتين اللتين جاءتا بعده، والمتمثلتين في قوله: " في موته كان يرغب في أن يظل بعيدا عن صخب البشر "، وقوله: " قريبا من عبقرية الطبيعة وعمقها ".

تخدم هذه الحجج نتيجة واحدة حيث اختار الجد مصباح أن يُدفن في مكان معزول بعيدا عن البشر، ويعود السبب وراء ذلك إلى إيمانه ببعض المعتقدات التي جعلته يفكر بهذه الطريقة،

¹ المصدر نفسه: ص 24.

لتكون الحجتين اللتين جاءتا بعد الرابط التساوي (حتى) أقوى من الحجتين السابقتين له كونهما انتهاء للغاية، ونمثل لذلك كالاتي:

شكل 2

ن	رغبة الجد مصباح في أن يدفن في مكان معزول.	
ح 4	قريبا من عبقرية الطبيعة وعمقها.	
ح 3	في موته كان يرغب في أن يظل بعيدا عن صخب البشر وغبائهم.	
الأداة	حتى.	
ح 2	في حزن أشجار الأرز.	
ح 1	قريبا من الطبيعة.	

النموذج الثالث:

>> إن التراكمات التي ولدتها الأديان والفلسفات والأفكار وحتى الخزعبلات من السماكة والنتانة ما يجعل إزالتها وتطهيرها مستحيلا <<¹.

يثور الراوي ضد الأديان والفلسفات والأفكار والخزعبلات، ويرى أن كل ما آمنت به البشرية هو مجرد عفن ونتانة ومن الصعب بل من المستحيل التخلص منه؛ لأنه بات مسيطرا عليهم؛ إذ ينظر إليهم نظرة دونية، ويعتبرهم عبيدا للمعتقدات والتقاليد والدين والقوانين والضوابط، وما عليهم

¹ المصدر نفسه: ص 48.

الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار "

سوى التخلص منها وإلا ظلت مسيطرة عليهم، واعتمد في نظرتة هذه على حجتين، تكون الحجة الأولى غاية للحجة الثانية.

تتمثل الحجة الأولى التي تسبق الرابط الحجاجي (حتى) في قوله: " إن التراكمات التي ولدتها الأديان والفلسفات والأفكار "، بينما تتمثل الحجة الثانية والتي جاءت بعده في قوله: " إن التراكمات التي ولدتها الخزعبلات "، ولكن هذه الحجة الأخيرة أقوى من الحجة الأولى ومع ذلك فهما يخدمان نتيجة واحدة وهي: ثورة الراوي ضد الدين والفلسفات والأفكار والخزعبلات وكل ما يحكم المجتمع.

نمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 3

ثورة الراوي ضد كل ما يحكم المجتمع من دين وفلسفات وأفكار وخزعبلات.	ن
التراكمات التي ولدتها الخزعبلات.	ح2
حتى.	الأداة
التراكمات التي ولدتها الأديان والفلسفات والأفكار.	ح1

النموذج الرابع:

>> اللعنة لقد جاءتني هذه المرة دون قناع المساحيق، كانت طبيعية تماما، لعلها لم تزد صباحا على أن اغتسلت بماء وربما صابون أيضا، وقد كانت رائحته العطرة نفاذة، وربما أيضا لم تضع

عطرا مما تعودت أن تضعه، حتى شعرها الأسود لم تتفلسف كثيرا في تسريحه، ربطته إلى الخلف وتركته ينساب على ظهرها حتى تتأرجح نهايته على خصرها <<¹.

استخدم الراوي وهو يتحدث عن طفلة المدللة عدة حج يربط بينها الرابط الحجاجي التساوقي (حتى)، حيث جاءت الحجتان اللتان قبل هذا الرابط والمتمثلتين في قوله: " لم تزد صباحا على أن اغتسلت بماء وربما صابون أيضا " وقوله: " وربما أيضا لم تضع عطرا مما تعودت أن تضعه " متماشيتين مع الحجة التي جاءت بعده والمتمثلة في قوله: " شعرها الأسود لم تتفلسف كثيرا في تسريحه ".

تؤدي هذه الحجج إلى نتيجة واحدة مفادها: أن طفلة الراوي المدللة أجمل عندما تكون طبيعية، بربطة شعر بسيطة ودون مساحيق التجميل.

إن حضور الرابط الحجاجي (حتى) مرة أخرى في هذا المثال يربط بين حجتين تخدمان النتيجة نفسها، لتكون الحجة التي تسبق الرابط الحجاجي (حتى) متمثلة في قوله: " ربطته إلى الخلف وتركته ينساب على ظهرها "، بينما جاءت الحجة التي بعده متمثلة في قوله: " تتأرجح نهايته على خصرها "، والحجة الثانية هي أقوى من الحجة الأولى رغم أنهما يخدمان النتيجة السابقة وهي: أن طفلة الراوي المدللة بدت طبيعية ولكن هذه المرة بتسريحة شعرها فقط.

¹ المصدر نفسه: ص 51.

شكل 4

طفلة الراوي المدللة أجمل عندما تكون طبيعية دون مساحيق التجميل.
شعرها الأسود لم تتفلسف كثيرا في تسريحه.
حتى.
وربما أيضا لم تضع عطرا مما تعودت أن تضعه.
لم تزد صباحا على أن اغتسلت بماء وربما صابون أيضا.



ن

ح 3

الأداة

ح 2

ح 1

إضافة إلى:

شكل 5

ربطة شعر طفلة الراوي المدللة جعلتها تبدو أكثر جمالا.
تتأرجح نهايته إلى خصرها.
حتى.
ربطته إلى الخلف وتركته ينساب على ظهرها.



ن

ح 2

الأداة

ح 1

النموذج الخامس:

>> وأجهش عاليا بالبكاء، كل شيء كان يعانده، لقد فشل في حياته، وفشل في حبه، وفشل حتى في قتل اللعين الذي سرق قلبه، وفشل ها هنا مرات في قتل نفسه، ليتخلص مما يعانيه من عذاب أليم <<¹.


يربط الرابط التساوقي (حتى) كما سبق وأشرنا بين حجتين فأكثر، لدى هذه الحجج نفس التوجه ونفس النتيجة، حيث يتحدث الراوي في هذا النموذج عن السجين الذي شرع يسرد له قصته مع محبوبته، التي أحبها وأحبته ولكن فرق بينهما القدر، وذلك بزواجها من رجل آخر سعى إلى إبعادها عنه، مما أدى به إلى طعنه بسكين ودخوله إلى السجن، إلا أنه فشل في قتله مما سبب له إحساسا بالفشل في أمور كثيرة.

استخدم السجين عدة حجج للتعبير عن سبب ارتكابه لهذه الجريمة؛ إذ جاءت هذه الحجج متناسقة مع بعضها البعض، وجاءت الحجج التي قبل الرابط التساوقي (حتى) غاية للحجج التي بعده، لتكون عبارة " وأجهش بالبكاء " هي النتيجة التي أدت إليها هذه الحجج، يعود السبب وراء بكاء السجين إلى شعوره بالحزن الشديد والمعاناة، فكل شيء بات يعانده؛ إذ فشل في حياته وفشل في حبه وفشل في قتل اللعين الذي سرق قلبه، وفشل مرات عدة في قتل نفسه.

ونمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

¹ المصدر نفسه: ص 78.

شكل 6



ن	بكاء السجين من شدة حزنه على فراق محبوبته.
ح 5	فشل مرات عديدة في قتل نفسه.
ح 4	فشل في قتل اللعين الذي تزوج محبوبته.
الأداة	حتى.
ح 3	فشل في حبه.
ح 2	لقد فشل في حياته.
ح 1	كل شيء كان يعانده.

النموذج السادس:

>> لملتُ أتعابي وترجلتُ..

تحركت السيارة ببطء .. تعلقت بها عيناى حتى اخنقت، انتبهت من غفلي فجأة، استدرت يمينا
أبحث عن بيت جدي " مصباح "، كان قلبي يخفق بشدة خوفا من الصدمة، تنفست بعمق وأنا أراه
كما تركته سوى سور من حديد ضرب على جداره الخارجي وسد حتى بابه <<¹.

يتحدث الراوي في هذا المثال عن طفلة المدللة التي أخذته بالسيارة من أمام السجن دون
أن تتفوه بكلمة واحدة، ولهذا شعر ببعض الاستغراب والأسى؛ لأنها لم تكلمه، رغم أنه كان مشتاقا
إليها، فجاءت الأداة (حتى) الأولى رابطة بين حجتين تخدمان نفس الموضوع وترتبطان

¹ المصدر نفسه: ص 91.

الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار "

ببعضهما البعض، لتكون النتيجة هي: إحساس الراوي بالألم؛ لأن طفلة المدللة لم تكلمه، إضافة إلى خوفه من العودة إلى الماضي وما سيراه بعد خروجه من السجن من تغيرات طرأت على بيت جده مصباح.

تتمثل الحجة الأولى في قوله: " تعلقت بها عيناى "، بينما تتمثل الحجة الثانية في: أنه ظل ينظر إلى هذه السيارة حتى اختفت، ويمكن القول أن الحجة الثانية جاءت أقوى من الحجة الأولى في السلم الحجاجي ويمثل لذلك كما يأتي:

شكل 7


ن	إحساس الراوي بالألم لأن طفلة المدللة لم تكلمه وخوفه من العودة إلى الماضي.
ح 2	ظل ينظر الراوي إليها إلى غاية اختفاءها.
الأداة	حتى.
ح 1	تعلقت عينا الراوي بالسيارة.

جاءت (حتى) التساوقية الثانية - أيضا - رابطة بين عدة حجج ولها نفس التوجيه الحجاجي؛ لأن الحجة الأولى ترتبط بالحجة الثانية والثالثة، أحس الراوي وهو يتحدث عن منزل جده مصباح الذي سيراه لأول مرة بعد خروجه من السجن بأن قلبه يخفق بشدة كما شعر بالخوف والصدمة مما سيراه.

كان تغير بيت جده مصباح هو النتيجة، وتتمثل هذه الحجج المتساوقة في: خفقان قلب الراوي بشدة خوفا من صدمته من رؤية البيت، وتنفسه بعمق وهو يراه كما تركه سوى سور من حديد ضرب على جداره الخارجي، وقام هذا السور بسد بابه، علما بأن الحجبتين اللتين جاءتا قبل

الروابط الحجاجي (حتى) غاية للحجة التي جاءت بعده، وأن الحجة الأخيرة هي أقوى من الحجبتين السابقتين. ويمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 8

ن	تغير شكل البيت من الخارج.	
ح 3	سد هذا السور الباب أيضا.	
الأداة	حتى.	
ح 2	تنفس الراوي بعمق وهو يرى البيت كما تركه، سوى سور من حديد.	
ح 1	كان قلب الراوي يخفق بشدة خوفا من الصدمة.	

النموذج السابع:


>> لم يتحمل تصرفي فصفعني صفعاً رقيقاً لطيفاً رغم ما تملكه من غضب شديد، لم أذكر أن والدي قد ضربني يوماً حتى وأنا صغير فكيف يفعل بي وأنا في سن الفتوة <<¹.

ذكر الراوي وهو يسترجع ذكرياته مع والده ذلك اليوم الذي قام فيه بنزع الباب الخارجي ورميه في الحديقة، لتكون نتيجة فعلته هي صفع والده له صفعاً رقيقاً لطيفاً، ويعود السبب وراء ذلك؛ أي الصفع الرقيق واللطيف إلى عدم تعود والد الراوي على ضربه، ولهذا جاءت الحجة التي تسبق الرابط التساوقي (حتى) غاية وخادمة للحجة التي بعده، وبذلك فإن الحجة المتمثلة في أنه لم يذكر بأن والده قد ضربه يوماً خادمة للحجة الثانية والمتمثلة في أنه لم يضربه وهو صغير

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 97.

فكيف له أن يضربه وهو في سن الفتوة، كما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، ونمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كآتي:

شكل 9

ن	لم يتحمل والد الراوي تصرفه فصفعه صفعاً رقيقاً لطيفاً.	
ح 2	لم يذكر الراوي بأن والده قد ضربه وهو صغير.	
الأداة	حتى.	
ح 1	لم يذكر الراوي بأن والده قد ضربه يوماً.	

النموذج الثامن:

>> حين كانت روحي تتسل بعيدا، كانت الأتربة تنهال على الجسد المسجي حتى غطته، وارتفعت عليه كيلا يسلمني لعبودية الفناء <<¹.

ربط الراوي في هذا النموذج بين حجتين متساوئتين، فجاء الرابط التساوي (حتى) بين حجتين مترابطتين وتخدمان نفس الموضوع، فلقد تخيل الراوي عندما عاد بذاكرته إلى ذلك اليوم الذي خرج فيه من السجن وجود حفرة حُفرت له ووُضع فيها، وراح التراب ينهال عليه وروحه تغادر جسده، وبما أن الراوي يرفض العبودية التي تؤدي إلى الموت والفناء، صعد عالياً كي لا يغطي بالتراب ويفقد حياته، لتكون الحجة التي سبقت الرابط الحجاجي (حتى) متمثلة في قوله: " كانت الأتربة تنهال على جسدي المسجي "، بينما جاءت الحجة التي بعده متمثلة في أن هذه الأتربة غطته، ليصل متلقي الخطاب إلى نتيجة واحدة وهي رفض الراوي للعبودية وللاستسلام للفناء.

¹ المصدر نفسه: ص 113.

جاءت الحجة الثانية أقوى من الحجة التي سبقتها، ويمثل لذلك وفق السلم الحجاجي

كالآتي:

شكل 10

الارتفاع عن هذه الأتربة كي لا يستسلم للعبودية المتمثلة في الموت.

غطت هذه الأتربة جسد الراوي.

حتى.

تتهال الأتربة على الجسد المسجي.



ن

ح 2

الأداة

ح 1

النموذج التاسع:


>> كانت أمي تؤكد أن سعره أعلى بكثير من لو تم اقتناؤه من السوق، بل وحتى من الفلاح ذاته وقد استطاعت بشطارتها أن تقنعه بما دفعت له <<¹.

يسرد الراوي على متلقي الخطاب قصة الخروف الذي اشتراه والداه من عند الفلاح، وقصة والدته التي تقنعه بتمكنها من إقناعه ببيعه لها بسعر مناسب، ولقد جاء الرابط التساوقي (حتى) في هذا النموذج من أجل الربط بين حجتي؛ إذ أتت الحجة الأولى غاية لما بعده، تتمثل الحجة الأولى في قوله: " سعر الخروف أعلى بكثير من لو تم اقتناؤه من السوق "، بينما تمثلت الحجة الثانية في قوله: " بل سعر الخروف أعلى بكثير من لو تم اقتناؤه من الفلاح ذاته "، وفي هذا النموذج أيضا جاءت الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، لتكون النتيجة هي: إقناع والده الراوي الفلاح بالمبلغ الذي دفعته له.

¹ المصدر نفسه: ص 122.

يمثل لذلك وفق السلم الحجاجي بما يلي:

شكل 11

ن	إقناع والدة الراوي الفلاح بما دفعت له.	
ح 2	إن سعر الخروف أغلى بكثير من لو تم اقتناؤه من الفلاح ذاته.	
الأداة	حتى.	
ح 1	إن سعر الخروف أغلى بكثير من لو تم اقتناؤه من السوق.	

النموذج العاشر:

>> كم كانت حمقاء إذ حولتني ما حولت، ألم أكن أصلح طائرا غريدا، أو فراشة حائمة، أو حتى نحلة تصنع الزهر، أو حملا بريئا يركض في البراري لا هم له إلا أن يقطف الأزهار التي تحني له رؤوسها في محبة وحبور ؟ <<¹.


قامت الإلهة عشتار بتحويل الراوي إلى ذئب مفترس، وهذا التحول جعله يلتهم صديقه الذئب الذي أصيب بطلقة نارية أردته جريحا.

عمد الراوي في هذا النموذج إلى الربط بين الحجج عن طريق الرابط التساوقي (حتى)، حيث أن لهذه الحجج نفس الغاية التي تؤدي إلى نفس النتيجة، فلقد استخلص الراوي أن الإلهة عشتار حمقاء؛ لأنها حولته إلى ذئب، فالراوي منزعج منها ويلومها على تحويله لما حولت، ويعود السبب في ذلك إلى فرض زعيم القطيع عليه التهام صديقه، وهذا ما ألمه كثيرا وجعله يندم على

¹ المصدر نفسه: ص 130.

صورته التي بات عليها، وأصبح يتمنى لو كان فراشة أو نحلة أو حملا برياً، نظراً لأن هذه الكائنات مسالمة، ووصل إلى هذه النتيجة من خلال ربطه بين عدة حجج تمثلت في طرحه لعدة تساؤلات، ويمثل لذلك بما يلي:

شكل 12

ن	إن الإلهة عشتار حمقاء لأنها اختارت أن تحول الراوي إلى ذئب.	
ح 4	ألم أكن أصلح حملاً بريئاً يركض في البراري لا هم له إلا أن يقطف الأزهار.	
ح 3	ألم أكن أصلح نحلة تصنع الزهر.	
الأداة	حتى.	
ح 2	ألم أكن أصلح فراشة حائمة.	
ح 1	ألم أكن أصلح طائراً غريداً.	

لقد زحرت رواية (هاء وأسفار عشتار) لـ (عز الدين جلاوي) بالرباط التساوقي (حتى)، حيث جاءت الحجج التي قبله في جميع النماذج غاية لما بعده، وكانت الحجج التي بعده أقوى من الحجج التي قبله في السلم الحجاجي، وأخذت هذه الحجج نفس التوجه الحجاجي، وتم التمثيل لها وفق القوة والضعف.

الرابط التعارضي (لكن):

إن الأداة (لكن) هي >> حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها <<¹؛ بمعنى أن الحرف (لكن) يفيد >> الاستدراك، حيث يختلف المعنى الذي بعدها عن المعنى الذي قبلها <<²، ويمكن القول أيضا أن الاستدراك يعني >> تعقيب الكلام برفع ما يُتوهم ثبوته أو نفيه، يقال: زيد عالم، فيُوهم ذلك أنه صالح، فنقول: لكنّه فاسق، ونقول: ما زيد شجاع، فيُوهم ذاك أنه ليس بكريم؛ فنقول: لكنه كريم <<³، كما تعرف (لكن) بأنها >> حرف مشبه بالفعل، من أخوات إن، يدخل على الجملة الاسمية، فينصب المبتدأ ويسمى اسمها، ويرفع الخبر ويسمى خبرها <<⁴.

تنتمي الأداة (لكن) في التداولية إلى الروابط الحجاجية، حيث تربط أداة الربط الحجاجي (لكن) بين حجتي متناقضتين تؤديان إلى نتيجتين متضادتين أو متناقضتين.

>> تقارن (ديبورا شيفرن) (Deborah schiffrin) الأداة (لكن) بحرف (الواو)، وذلك بقولها: بالرغم من أن الأداة (لكن) هي من أدوات تنسيق الخطاب، إلا أن لها وظيفة تداولية مختلفة، وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضادا، ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو؛ إذ لا تتسق الأداة (لكن) بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعضا من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي <<⁵؛ يعني هذا أن الأداة (لكن) تعمل عمل حرف (الواو) من حيث الربط بين الأقوال أو

¹ مصطفى عباس: الحجاج وآلياته في الدراسات اللغوية الحديثة، مجلة اللغة الوظيفية، مج 10، ع 01، 2023، الصفحات 2 - 20، ص 14.

² أيمن أمين عبد الغني: النحو الكافي، ج 01، د . ط، 2010، دار التوثيقية للتراث، القاهرة، ص 335.

³ ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ط 4، 2004، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 141.

⁴ زقنون نصيرة: العوامل الحجاجية وروابطها في التمثلات النبوية، جسر المعرفة، مج 05، ع 04، 2019، الصفحات 693 - 706، ص 700.

⁵ عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 512.

الجمل، بينما تربط تداوليا بين جملتين أو قولين متناقضين أو متضادين؛ إذ أن >> التلطف بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين اثنين:

أن المتكلم يقدم (أ) و (ب) باعتبارهما حجتيين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي (لا - ن) .

أما المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته << 1.

لقد اخترنا عدة نماذج من رواية (هاء وأسفار عشتار) من أجل دراستها وتبيين ما سبق ذكره والخروج بنتيجة معينة في آخر الدراسة.

النموذج الأول:

>> أحاول أن أتهدى كل رسائل الطبيعة، أحاول أن أرتقي إلى منازل جدي مصباح، ولكن هيهات << 2.

لقد جاءت الحجتان قبل الرابط التعارضي (لكن) متوافقتين، تتمثل الحجة الأولى في كون الراوي يحاول أن يتهدى كل رسائل الطبيعة، بينما تتمثل الحجة الثانية في محاولته أن يرتقي إلى منازل جده مصباح، فهو في هذين الحجتيين يحاول أن يكون مثل الجد مصباح؛ لأنه يعتبره قدوته، فيما جاء ما بعد الأداة (لكن) معارضا لما قبلها، فأنت (هيهات) منافية (لسعيه لأن يكون مثل جده مصباح)، ف (هيهات) هي الحجة المعارضة لما قبل (لكن) .

يعترف الراوي بأنه غير قادر على تقفي كل رسائل الطبيعة والارتقاء إلى منازل جده مصباح، لتكون هذه الحجة هي الحجة المعارضة للحجتيين اللتين جاءتا قبل الأداة (لكن)، أما

¹ أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط1، 2006، الدار البيضاء، د . ب، ص 58.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 24.

فيما يخص النتيجة الأولى فنتمثل في اعتبار الجد مصباح قدوة للراوي، بينما تتمثل النتيجة الثانية في فشل كل محاولاته بأن يكون مثله، فهو يملك الرغبة في ذلك ولكن للأسف الشديد لا يستطيع، حيث يعبر عن عجزه بأن يكون مثله.

نمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 13

لا - ن	فشل كل محاولات الراوي في أن يكون مثل جده مصباح.
ن	اعتبار الراوي الجد مصباح قدوة له.
ح2 م	فشل الراوي في تقفي أثر جده مصباح وتهجي كل رسائل الطبيعة.
الأداة	لكن.
ح1	محاولة الراوي تهجي كل رسائل الطبيعة، والارتقاء إلى منازل جده.

النموذج الثاني:

>> كانت رغبتني ملحة أن أجلس طويلا ملفوفا بملاءة الليل حيث كان جدي مصباح يقودني وأنا صغير لنمارس طقوس الإنصات، لكنني قررت أن أمارس طقوس العزف <<¹.

تربط الأداة (لكن) في هذا المثال بين حجتين متعارضتين ليصل المتلقي إلى نتيجتين متعارضتين، حيث جاءت الحجة الأولى التي تمثلت في قول الراوي: " لنمارس طقوس الإنصات " حجة لتبرير رغبة الراوي في الذهاب إلى الغابة ليلا والجلوس طويلا متأملا في الطبيعة؛ إذ تعود

¹ المصدر نفسه: ص 43.

منذ صغره على الذهاب رفقة جده مصباح إلى هناك، كما جاءت هذه الحجة معارضة لما بعد الرابط التعارضى (لكن)، كما استدرك الراوي بأن هذه العادة المتمثلة في الإنصات باتت قديمة أو مملة، وعليه تغييرها بممارسة طقوس العزف بعيدا عن الإنصات.

إن هناك تعارض واضح بين الإنصات والعزف، فبعد أن كان الراوي متلقي للعزف أصبح هو العازف، وهنا تبرز نتيجة معارضة للنتيجة الأولى تتمثل في تغيير عادة الإنصات بممارسة العزف، والملاحظ أن الحجة الأولى وهي: (طقوس الإنصات) معارضة للحجة الثانية وهي: (ممارسة العزف)، وأن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى من حيث تدرجها في السلم الحجاجي، لتكون النتيجة الأولى وهي: تعود الراوي على الذهاب إلى الغابة مع جده مصباح والإنصات للطبيعة معارضة للنتيجة الثانية وهي: زهاب الراوي وحده إلى الغابة وتغيير عادة الإنصات بالعزف، وربما يكون السبب وراء ذلك هو شعوره بالوحدة بعد موت جده مصباح، أو شعوره بالملل من هذه العادة وتغيير أفكاره عبر الوقت. ويمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 14

لا - ن	ذهاب الراوي إلى الغابة وحده وتغيير عادة الإنصات للطبيعة بالعزف.
ن	تعود الراوي على الذهاب إلى الغابة رفقة جده مصباح والإنصات للطبيعة.
ح 2 م	ممارسة العزف.
الأداة	لكن.
ح 1	ممارسة طقوس الإنصات.

النموذج الثالث:

>> وأشار الرجل الضخم بيده محركا رأسه في حنق، وما هي إلا لحظات تكومت أمامي أوراق وكتب مختلفة الأشكال والألوان والأحجام لكنها تشترك جميعها في أنها قديمة بالية <<¹.

إن إشارة المحقق بيده محركا رأسه في حنق إلى رجل آخر، كانت بغرض إحضار الرجل لكومة من الكتب والأوراق ووضعها أمام الراوي، لتكون الحجة الأولى والمتمثلة في: اختلاف هذه الأوراق والكتب من حيث الشكل والألوان والأحجام، معارضة للحجة الثانية والمتمثلة في: اشتراكها جميعها في كونها قديمة وبالية، ليكون الرابط الحجاجي (لكن) رابطا بين هاتين الحجبتين المتعارضتين؛ لأن ما قبلها يعارض ما بعدها.

إن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى من حيث تدرج الحجج في السلم الحجاجي، وتؤديان إلى نتيجتين متضادتين، تتمثل النتيجة الأولى في اختلاف هذه الكتب من حيث الحجم والشكل واللون، بينما تتمثل النتيجة المعارضة لها في أن هذه الكتب تشترك في نفس الميزة وهي القدم، ونمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 15

أوراق وكتب لها نفس الميزة.	لا - ن
أوراق وكتب مختلفة من حيث الحجم والشكل واللون.	ن
تشترك الأوراق والكتب جميعها في أنها قديمة بالية.	ح 2 م
لكن.	الأداة
تكومت أمامي أوراق وكتب مختلفة الأشكال والألوان والأحجام.	ح 1

¹ المصدر نفسه: ص 66.

النموذج الرابع:

>> أعدت شريط ذكرياتي مع هذه الكتب، لكل واحد منها قصة معينة، تبدأ منذ أن استوى عنوانا في ذاكرتي حتى عثرت عليه واقتنيته وقرأته، وسجلت عليه ملاحظاتي، وصار لكل كتاب منها قصة ما قد تطول وقد تقصر، قد تتغلغل عميقا وقد تقف عند الضفاف، لكنها تشترك جميعها في زراعة أشواك حادة من القرف <<¹.

لقد جاءت أداة الربط (لكن) حتى تربط بين حجتي متعارضتين، يشترط أن تكون الحجة الأولى قبلها والحجة الثانية بعدها، يسترجع الراوي - في هذا النموذج - ذكرياته أمام متلقي الخطاب الذي يحكي له عن قصة هذه الكتب، فيقول بأنه كان يفكر بعناوين معينة وبعد ذلك يذهب للبحث عنها واقتنائها، لتكون الحجة الأولى متمثلة في تلك القصة المتعلقة بهذه الكتب والتي قد تطول وقد تقصر، وقد تكون هذه الكتب قيمة وقد تكون بلا قيمة؛ إذ تختلف عن بعضها البعض، معارضة للحجة التي تأتي بعد الرابط الحجاجي (لكن) والتي تتمثل في اشتراك هذه الكتب في القرف.

يعني ذلك أن الراوي يرى بأن هذه الكتب سخيصة وتعالج قضايا تثير اشمئزازه فتزرع أفكارا سامة لدى قارئها، لتكون النتيجة الأولى المستخلصة هي: اختلاف هذه الكتب من حيث القصة، بينما النتيجة الثانية والمعارضة لها هي: اشتراك هذه الكتب في تسميم أفكار القارئ.

يتماشى هذا النموذج مع النموذج السابق من حيث الاختلاف والاشتراك بين الحجتي المتعارضتين في حين أن كومة الكتب الأولى تختلف من حيث الشكل والنوع والحجم، بينما الكتب الثانية تختلف من حيث القصة التي قد تطول وقد تقصر، والتي قد تكون قيمة أو العكس، في

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 66.

حين تشترك الكتب الأولى في كونها قديمة وبالية، تشترك الكتب الثانية مع بعضها في زرع الأفكار السامية في ذهن القارئ لها وفي وصفها بالقذارة.

لقد جاءت الحجة الثاني أقوى من الحجة الأولى من حيث تدرج الحجج في السلم الحجاجي في هذا النموذج أيضا، ونمثل لذلك كالاتي:

شكل 16

لا - ن	تشترك هذه الكتب في تسميم أفكار القارئ.
ن	تختلف هذه الكتب من حيث القصة.
ح 2 م	تشترك هذه الكتب من حيث القذارة.
الأداة	لكن.
ح 1	تختلف هذه الكتب من حيث القصة ومن حيث المحتوى.

النموذج الخامس:

>> تمطط جسدي وقد استكان كليا لسطوة الأقدام التي راحت تمخر كل أزقته الضيقة وافترت شفطاي عن ابتسامة بلهاء تسايل لها لعابي، لكني سرعان ما عدت إلى وعيي وقد تناهى إلى سمعي أنين آت من بعيد، ثم سعال كأنه صدى لرثة مجروحة متجوفة، لكن المكان سريعا ما غرق في صمت رهيب، يقينا السجناء أقرب إلى الحرية <<¹.

يسرد الراوي على المخاطب حلما رأى فيه جسما غريبا يدخل إلى غرفته ويقرب منه، مما جعله هذا المشهد يشعر بالخوف الشديد، راح هذا الجسم الغريب يضرب جسده بأقدامه، مما جعله

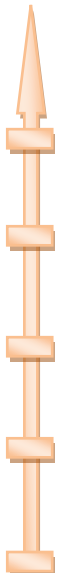
¹ المصدر نفسه: ص 71.

يبتسم ابتسامة أسالت لعابه، لتكون الحجة الأولى وفقا لذلك هي السبب وراء سيلان لعاب الراوي؛ أي تلك الابتسامة البلهاء التي كانت نتيجة تمطط جسمه بفعل الضرب.

جاء الرابط الحجاجي (لكن) كوسيط يربط بين الحجة الأولى والحجة الثانية التي جاءت بعدها والمعارضة لها، والتي تعتبر أقوى منها من حيث تدرج الحجج في السلم الحجاجي.

تتمثل الحجة الثانية في استيقاظ الراوي من النوم وعودة وعيه وخروجه من الحلم، ويعود السبب وراء استيقاظه إلى الأنين الذي آتاه من بعيد، لقد نتج عن هاتين الحجتين نتيجتين متعارضتين؛ إذ تمثلت النتيجة الأولى والتي كانت مضمرة تفهم من سياق الخطاب في مشاهدة الراوي لكابوس مزعج، بينما تمثلت النتيجة الثانية في رجوع وعيه والخروج من هذا الكابوس.

شكل 17

رجوع الراوي لوعيه وخروجه من هذا الكابوس.	لا - ن	
مشاهدة الراوي لكابوس مزعج.	ن	
صوت الأنين الذي جاء من بعيد كان كاف ليوقظ الراوي من نومه.	ح 2 م	
لكن.	الأداة	
الابتسامة البلهاء التي أدت إلى سيلان لعاب الراوي.	ح 1	


الملاحظ في هذا النموذج أن الحجة الأولى ارتبطت بحلم وبقائع متخيل وبالاشعور، بينما الحجة الثانية ارتبطت بالوعي والإدراك وبالعالم الواقعي، لتكون النتيجة الأولى هي: أن الراوي يتحدث عن مجرد حلم راوده وهو نائم، بينما النتيجة الثانية متعلقة بالواقع الحقيقي.

لقد تكررت الأداة (لكن) في هذا النموذج مرتين، مما يعني وجود حجتين متعارضتين مرة أخرى، ففي قول الراوي: " ثم سعال كأنه صدى لرئة مجروحة متجوفة، لكن المكان سريعا ما غرق في صمت رهيب، يقينا السجناء أقرب إلى الحرية ."

جاءت الحجة الأولى قبل الأداة (لكن) متمثلة في أن هذا السعال ناتج عن إصابة الشخص الذي سُمع أنه بمرض الرئة، لتكون الحجة الثانية والمعارضة لها هي اختفاء هذا الصوت وسيطرة الهدوء على المكان بسبب أن السجناء يستعدون لمغادرة السجن، لتكون النتيجة الأولى هي: وجود سجين مريض بالسجن، بينما النتيجة المعارضة لها والتي جاءت مضرة تفهم من سياق الخطاب هي: أن المريض سيخرج قريبا من السجن.

يمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 18

لا - ن	أن المريض سيخرج قريبا من السجن.	
ن	وجود سجين مريض بالسجن.	
ح 2 م	الصمت وعموم الهدوء بسبب أن السجناء أقرب إلى الحرية.	
الأداة	لكن.	
ح 1	إن السعال ناتج عن مرض الرئة.	

النموذج السادس:

>> تجمدت مكاني أقلب الطرف في النزلاء وقد ارتفع لغطهم يغرقون في موج من التدافع وهم يتجاذبون الأدوار في لعبة القمار، حاول الحراس دفعي بقوة نحو غرفتي ولكنني عاندت، فتراجعوا

ظنا منهم أي سأكون لقمة سائغة لبرائث الجريمة وأنيابها، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، ولم يرفع أحد المساجين نظره إلي كأنهم لم يحسوا بوجودي مطلقاً >>¹.

يسرد الراوي على المتلقي أحداثاً جرت معه بالفعل، فعمد إلى توظيف الرابط الحجاجي (لكن) مرتين من خلال سرده لهذه الأحداث، والذي يربط بين حجتين متعارضتين.

تتمثل الحجة الأولى التي جاءت قبل الأداة (لكن) الأولى في دفع الحراس الراوي بقوة نحو غرفته، ويعود السبب في ذلك إلى تجرد الراوي في مكانه يُقلب الطرف في النزلاء الذين ارتفع صوتهم وهم يتدافعون على لعبة القمار، ويقابل ذلك الحجة الثانية المعارضة لهذه الحجة التي جاءت بعد الأداة (لكن)، والمتمثلة في عناد الراوي؛ أي أنه امتنع عن التحرك من مكانه، فالدفع يقابله السكينة وعدم التحرك، مما تولد عن ذلك ظهور نتيجتين متعارضتين مضمريتين تفهمان من سياق الكلام، تتمثل النتيجة الأولى في محاولة الحراس تحريك الراوي والامتثال لأوامرهم، بينما تمثلت النتيجة الثانية المعارضة لها في عدم رضوخ الراوي لأوامر الحراس وبقائه في مكانه.

شكل 19

لا - ن	عدم خضوع الراوي لأوامر الحراس وبقائه في مكانه.
ن	محاولة الحراس تحريك الراوي والامتثال لأوامرهم
ح 2 م	عناد الراوي وامتناعه عن التحرك.
الأداة	لكن.
ح 1	دفع الحراس للراوي نحو غرفته.

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 75.

تمثلت الحجة الأولى التي سبقت الأداة (لكن) الثانية في اعتقاد السجانيين بأن الراوي سيكون لقمة سهلة لبرائن الجريمة، وهذا ما جعلهم يتراجعون عن فكرة دفعه إلى غرفته، بينما تمثلت الحجة الثانية المعارضة لها في عدم تنفيذه لمخططهم وعدم انحنائه لبرائن الجريمة، كما أن المساجين لم يرفعوا نظرهم إليه وكأنه غير موجود، وظلوا منشغلين بلعب القمار، في حين تتمثل النتيجة الأولى المضمرة في رغبة السجانيين في نشوب معركة بين الراوي والمساجين تؤدي بالراوي إلى قتل أحدهم، فإن النتيجة الثانية المضمرة المعارضة لها تتمثل في عدم نشوب أي معركة بين الراوي والمساجين وعدم وقوع أي جريمة، يمكن القول أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى المعارضة لها، ونمثل لذلك كالاتي:

شكل 20

لا - ن	عدم نشوب أي معركة بين الراوي والمساجين وعدم وقوع أي جريمة.
ن	رغبة السجانيين في نشوب معركة بين الراوي والمساجين تؤدي بالراوي إلى القتل.
ح 2 م	لم ينفذ الراوي خطط السجانيين ولم يكن لقمة سهلة لبرائن الجريمة.
الأداة لك	
ح 1	يعتقد السجانيين بأن الراوي سيكون لقمة سهلة لبرائن الجريمة.

النموذج السابع:

>> دخل عليّ السجن، تأملني لحظات، ثم انصرف دون أن ينبس بكلمة، بعد ساعة جاءني سجانان وسحباني لأخرج مرة ثانية عبر الدهليز الطويل، تنفست بعمق لكن بصعوبة، وأجهشت بالبكاء وأنا أضع يدي على عيني وقد تأذتا من النور الساطع <<¹.

لقد عانى الراوي نتيجة وضعه في الحبس الانفرادي الذي مر فيه بظروف قاسية جدا، وفي هذا النموذج يصف الراوي لحظة نقله من السجن الانفرادي إلى سجن آخر، ولقد استخدم في سرده للحدث الأداة (لكن) حتى تربط بين حجة تسبقها وحجة تأتي بعدها.

تتمثل الحجة الأولى في قول الراوي: " لأخرج مرة ثانية عبر الدهليز الطويل، ويمتاز الدهليز الطويل بالظلام "، بينما تتمثل الحجة الثانية المعارضة لها في وضع الراوي يده على عينيه؛ لأنهما تأذتا من النور الساطع فالظلام هو ما يقابل النور ومنه يستخلص متلقي الخطاب نتيجتين متعارضتين، تتمثل النتيجة الأولى في أن الراوي لم ير النور طيلة فترة وجوده في السجن الانفرادي، بينما تتمثل النتيجة المعارضة لها في قرار إدارة السجن بأن يخرج الراوي من السجن الانفرادي وينقل إلى سجن جماعي يرى من خلاله النور.

ونمثل لما سبق كالاتي:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار: ص 72.

شكل 21

لا - ن	قررت إدارة السجن نقل الراوي إلى سجن جماعي يرى من خلاله النور.
ن	لم ير الراوي النور طيلة فترة وجوده في السجن الانفرادي.
ح 2 م	وضع الراوي يديه على عينيه وقد تأذتا من النور الساطع.
الأداة	لكن.
ح 1	خرج الراوي مرة ثانية من الدهليز الطويل.

النموذج الثامن:


>> كان يراني كبيرا وقد بلغت الفتوة وعلى أساس ذلك صار يعاملني، لكني كنت أصر أن أظل صغيرا، أصر أن أنال منه الحلوى والكعك، وأصر أن يقطف لي حبات التين <<¹.

توجد حجتان في هذا الخطاب السردى يربط بينهما الرابط الحجاجي التعارضى (لكن)؛ إذ جاءت الحجة الأولى متمثلة في قول الراوي: " كان يراني كبيرا وقد بلغت الفتوة وعلى أساس ذلك صار يعاملني "، بينما جاءت الحجة الثانية معارضة لها تماما وتتمثل في قول الراوي: " كنت أصر أن أظل صغيرا "، ولهذا ظل الراوي يطلب من جده مصباح الحلوى والكعك وأن يقطف له التين، تتمثل النتيجة الأولى وفقا لذلك في تغير سلوك الجد مصباح تجاه الراوي، فلم يعد يعامله كطفل صغير وأصبح يعامله كشخص بالغ وناضج، بينما تتمثل النتيجة الثانية المعارضة لها في رفض الراوي لهذا التغير وإصراره على أن يعامله الجد مصباح كطفل.

¹ المصدر نفسه: ص 82.

لقد جاءت الحجة الثانية في هذا النموذج أقوى من الحجة الأولى ونمثل لذلك في السلم الحجاجي كالآتي:

شكل 22

إصرار الراوي على أن يعامله الجد مصباح كطفل.	لا - ن	
أصبح الجد مصباح يعامل الراوي كشخص بالغ وناضج.	ن	
كنت أصر أن أظل صغيرا.	ح 2 م	
لكن.	الأداة	
كان يراني كبيرا وقد بلغت الفتوة وعلى أساس ذلك صار يعاملني.	ح 1	

النموذج التاسع:

>> كانت البوابة الحديدية العملاقة تخطو خطوتها الأخيرة نحو الانسداد التام، أسرعت إليها لكن ارتطامه ضخمة انفجرت ضاحكة من عنادي وعبثي <<¹.

إن الحجة وراء سرعة الراوي وهو يسير باتجاه بوابة السجن الحديدية العملاقة هي انغلاق البوابة بعد ثواني معدودات، ليكون ما بعد أداة الربط الحجاجي (لكن) معارضا لها، وتتمثل هذه الحجة المعارضة في ارتطام البوابة العملاقة وانغلاقها.

يمكن القول أنه رغم استخدام الراوي للصور البيانية في هذا النموذج، ووجود نوع من الشعرية في السرد، إلا أن هذا التعارض واضح ويستخلص منه نتيجتين متعارضتين، تتمثل

¹ المصدر نفسه: ص 88.

النتيجة الأولى في عدم استسلام الراوي ومواصلته التقدم نحو البوابة قبل انغلاقها، أما النتيجة الثانية والمعارضة لها فتتمثل في استلام الراوي وانغلاق البوابة قبل وصوله إليها، ولقد جاءت الحجة الثانية من حيث تدرج الحجج أقوى من الحجة الأولى، ونمثل لذلك بالسلم الحجاجي كالاتي:

شكل 23

لا - ن	استلام الراوي وانغلاق البوابة قبل وصوله إليها.
ن	عدم استسلام الراوي ومواصلته التقدم نحو البوابة قبل انغلاقها.
ح2 م	الارتطام والانغلاق للذين ضحكا على عناد الراوي وعبثه.
الأداة	لكن.
ح1	كانت البوابة الحديدية العملاقة تخطو خطواتها الأخيرة نحو الانسداد التام.

النموذج العاشر:

>> وعادت إلي روجي فتنفست بعمق، كأنما سحبت كل هواء الأرض، وفجأة سكن كل شيء، وابتسم الكون كله، لكننا نمنا، غرقنا معا دون أن يبرح كل منا مكانه في بحر لحي من سبات عميق، ولم نستيقظ إلا صباح الغد، كنت مرهقا كأنما جسدي قطع بساطور عملاق، لكنني نشطت حين رأيت قلقامش يقوم عند رأسي ثم يمد يده فيوقظني، كأن لمستته كانت ترياقا <<¹.

¹ المصدر نفسه: ص 143.

تكرر الرابط الحجاجي التعارضى (لكن) مرتين في هذا النموذج، حيث تربط الأداة (لكن) في كل مرة تتكرر فيها بين حجتين متعارضتين فأكثر.

لقد ربطت الأداة (لكن) الأولى في هذا الملفوظ بين عدة حجج، حيث يتحدث الراوي عن رجوع روحه إليه بعد أن فارقت جسده، ويعني بذلك تخلصه من المشاكل والصراعات التي جعلته مخدرا، واستيقاظه منها وعودته إلى الحياة بعيدا عن الضغوطات التي أرقت نومه، ثم بات يتحدث عن استمتاعه بالنوم رفقة قلقامش الذي خلصه من جبروت الإلهة عشتار، التي كانت سبب مشاكله.

تتمثل الحجج التي سبقت الرابط الحجاجي (لكن) في قول الراوي: " وعادت إلي روحي فتنفست بعمق "، وفي قوله: " كأنما سحبت كل هواء الأرض "، وفي قوله أيضا: " وفجأة سكن كل شيء، وابتسم الكون كله "، بينما تمثلت الحجج بعد الرابط الحجاجي (لكن) في قوله: " نمنا "، وفي قوله: " غرقنا معا دون أن يبرح كل منا مكانه في بحر لحي من سبات عميق "، وفي قوله أيضا: " ولم نستيقظ إلا صباح الغد "، الملاحظ أن كل هذه الحجج متناقضة؛ لأن استيقاظ الراوي وتنفسه بعمق واستنشاقه للهواء وابتسام الكون، كلها حجج مناقضة للحجج التي جاءت بعد الرابط والمتمثلة في نوم الراوي وقلقامش، ودخولهما في سبات عميق دون أي حراك وعدم استيقاظهما حتى الصباح.

تؤدي هذه الحجج إلى نتيجتين متعارضتين، تتمثل النتيجة الأولى في حرمان هذه المشاكل والصراعات الكبيرة الراوي من النوم وجعله مستيقظا دائما، بينما تتمثل النتيجة الثانية والمعارضة لها في تخلص الراوي من المشاكل والصراعات ودخوله في نوم عميق، وبما أن الحجج التي جاءت بعد الرابط الحجاجي (لكن) أقوى من الحجج التي جاءت قبله، فسيكون السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 24

لا - ن	تخلص الراوي من المشاكل والصراعات ودخوله في نوم عميق.
ن	حرمت المشاكل والصراعات الكبيرة الراوي من النوم.
ح6	ولم نستيقظ إلا صباح الغد.
ح5	غرقنا معا دون أن يبرح كل منا مكانه في بحر لحي من سبات عميق.
ح4	نمنا.
الأداة	لكن.
ح3	وفجأة سكن كل شيء، وابتسم الكون كله.
ح2	كأنما سحبت كل هواء الأرض.
ح1	وعادت إلي روحي فتتفتت بعمق.

جاءت الحجة التي قبل الأداة (لكن) الثانية، والمتمثلة في قول الراوي: " كنت مرهقا كأنما جسدي قطع بساطور عملاق "، لتعبر عن حالة الراوي الجسدية فكأن جسده قطع بساطور، بينما جاءت الحجة التي بعد الأداة (لكن) معارضة لها والمتمثلة في قوله: " نشطت حين رأيت قلقامش يقوم عند رأسي ثم يمد يده فيوقظني ، كأن لمستته كانت ترياقا "، فالنشاط هو نقيض الإرهاق، ومن هنا كانت النتيجة الأولى هي عدم استيقاظ الراوي حتى الغد لشدة إرهاقه، بينما النتيجة الثانية المناقضة لها هي شعور الراوي بالنشاط فور إيقاظه من قِبَل قلقامش، وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى من حيث التدرج في السلم الحجاجي فإننا نمثل لذلك كالاتي:

شكل 25

شعور الراوي بالنشاط فور إيقاظه من طرف قلقامش.	لا - ن
لم يستيقظ الراوي حتى الغد لشدة إرهاقه	ن
نشطت حين رأيت قلقامش يقوم عند رأسي ثم يمد يده فيوقظني.	ح 2 م
لكن.	الأداة
كنت مرهقا كأنما جسدي قطع بساطور عملاق.	ح 1

لقد توفر الرابط الحجاجي (لكن) بكثرة في رواية (هاء وأسفار عشتار)، فنراه تارة رابطا بين حجتين متناقضتين وتارة أخرى رابطا بين عدة حجج، حيث تكون الحجج التي بعد الأداة (لكن) مناقضة للحجج التي قبلها.

تتدرج هذه الحجج وفق السلم الحجاجي من الحجة الضعيفة إلى الحجة الأقوى، ليكون السلم الحجاجي تصاعديا، وتؤدي هذه الحجج إلى نتيجتين متناقضتين.

الرابط الحجاجي (لأن):

يمكن القول أن >> هذا الرابط الحجاجي من بين أهم روابط التفسير والتعليل، وهو إضافة إلى هذا يستخدم لتبرير الفعل من عدمه <<¹، ولقد اخترنا عدة نماذج من أجل توضيح عمل الأداة (لأن) ودراستها تداوليا.

النموذج الأول:

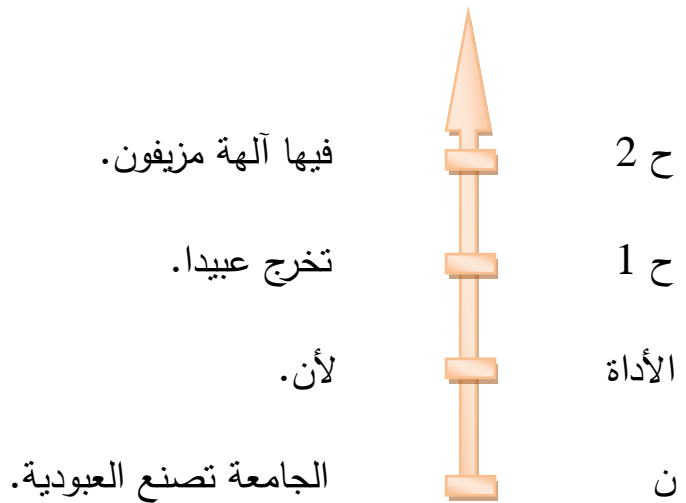
¹ محمد أمعيط: الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية - مناظرة علي للخوارج نموذجا - (دراسة حجاجية)، مجلة إحالات، كلية اللغات والآداب والفنون - جامعة ابن طفيل، القنيطرة - المغرب، ع 07، جوان 2021، ص 65.

>> انطلقت مما سردت علي لأثبت لها ما كنت أذهب إليه دوما، من أن الجامعة تصنع العبودية، ولأنها تخرج عبيدا ففيها آلهة مزيفون <<¹.

يحكي الراوي لمتلقي الخطاب عن حديث طفله المدللة حول ما وقع في الجامعة بعد غيابه، حيث راح الأستاذ يفتخر بنفسه وبإنجازاته، ولهذا أراد الراوي أن يثبت لها بأن ما يؤمن به دائما هو الصحيح، والمتمثل في أن الجامعة تصنع العبودية والقيود، فلقد جاءت النتيجة في هذا القول تسبق حجتين، كما جاءت أداة الربط الحجاجي (لأن) رابطة بين هذه النتيجة والحجتين.

تتمثل النتيجة في قول الراوي بأن الجامعة تصنع العبودية، في حين تتمثل الحجة الأولى في قوله بأن الجامعة تخرج عبيدا، أما الحجة الثانية فتتمثل في قوله بوجود آلهة مزيفون في الجامعة، ومنه فإن النتيجة تكون في أسفل السلم الحجاجي، بينما تتدرج الحجج في السلم الحجاجي حسب قوتها، ونمثل لذلك كالاتي:

شكل 26



النموذج الثاني:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 35.

>> كنت أؤمن أن المساحيق على وجه الأنثى هي أيضا شكل من أشكال العبودية لأنه تزييف لحقيقتها، وأن ليس أجمل لها من أن تظل على طبيعتها التي خلقت عليها¹.

لقد جاءت أداة الربط الحجاجي (لأن) لتربط ما قبلها وهو النتيجة بما بعدها وهو الحجة، إذ يتحدث الراوي عن طفله المدللة التي رآها دون مساحيق التجميل، ليستخلص أن وضع المساحيق على وجه الأنثى هو أيضا شكل من أشكال العبودية، والسبب وراء وصوله لهذه النتيجة هو أن هذه المساحيق تزييف لحقيقة الأنثى، وتعتبر حجة أولى وظفها كدليل على اعتقاده بينما تمثلت الحجة الثانية في قوله بأنه لا يوجد أجمل من أن تظل الأنثى على طبيعتها التي خلقت عليها، ونمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 27

ليس أجمل للأنثى من أن تظل على طبيعتها التي خلقت عليها.

المساحيق تزييف لحقيقة الأنثى.

لأن.

المساحيق على وجه الأنثى هو أيضا شكل من أشكال العبودية.



ح 2

ح 1

الأداة

ن

النموذج الثالث:

¹ المصدر نفسه: ص 41.

>> وبقينا سيحدث الاصطدام الذي قد يخرج عن السيطرة، لذا كانت طفلي المدللة توصي وتلح في أن أظل هادئاً متعالياً على كل استفزاز، ربما لأنها تعرف شخصيتي المندفعة التي لا تحسن المداهنة <<¹.

أنت النتيجة في هذا النموذج قبل أداتي التعليل والتفسير (لذا) و (لأن)، ولكن ما يهم متلقي الخطاب هو رابط التعليل (لأن) رغم أنهما يعملان نفس العمل، وتتمثل هذه النتيجة في قول الراوي بأن طفله المدللة توقعت حدوث اصطدام بعد أن قدم مداخلته حول كتابه (الإنسان الحر)، وبما أنها توقعت ذلك فقد طلبت منه أن يظل هادئاً وأن لا يفعل مهما كان الاستفزاز قوياً.

جاءت الحجة بعد الرابط الحجاجي (لأن) متمثلة في معرفة طفلة الراوي المدللة لشخصية الراوي المندفعة التي لا تحسن المداهنة. ويمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 28

تعرف شخصيتي المندفعة التي لا تحسن المداهنة.
لأن.
يقينا سيحدث الاصطدام الذي قد يخرج عن السيطرة.



ح 1
الأداة
ن


النموذج الرابع:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 45.

>> لم يكن يعنيني ما تعرضت له، لأنني أدرك يقينا أن تغيير واقع الناس لن يكون أمرا ميسورا، لقد صارت أردية العبودية لدى الإنسان هي الأصل الذي يمكن أن يريق من أجلها الدماء ويزهق الأرواح، وما تعرضت إليه اليوم تعرض له كل دعاة الحرية على مر الأزمان <<¹.

ترتبط الأداة (لأن) في هذا الملفوظ بين نتيجة واحدة وعدة حجج على أن تكون هذه النتيجة قبل هذه الأداة والحجج بعدها؛ حيث تتمثل النتيجة في تصريح الراوي بأنه غير مهتم ولا يعنيه ما تعرضت له طفلة المدللة، والدليل على ذلك أنه يدرك بأن تغيير واقع الإنسان ليس بالأمر السهل، وبأن العبودية باتت هي الأصل ومن أجلها يمكنه أن يريق الدماء ويزهق الأرواح، إضافة على ذلك فيمكن لأي شخص يدعو للحرية أن يتعرض لما تعرضت له طفلة المدللة، ليكون السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 29



ح 3	وما تعرضت إليه اليوم تعرض له كل دعاة الحرية على مر الأزمان.
ح 2	لقد صارت أردية العبودية لدى الإنسان هي الأصل الذي يمكن أن يريق الدماء
ح 1	أدرك يقينا أن تغيير واقع الناس لن يكون أمرا ميسورا.
الأداة	لأنني.
ن	لم يكن يعنيني ما تعرضت له.

النموذج الخامس:

¹ المصدر نفسه: ص 48.

الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار "

>> نشطت تضع ما حملت من حلويات ومشروبات وحتى من قهوة ساخنة، وهي تفعل ذلك غالبا حين تزورني خاصة في الأوقات التي أكون فيها في حالة قلق واضطراب، لأنني أصاب بحالة اكتئاب أهمل فيها نفسي تماما <<¹.

لقد جاءت النتيجة في هذا النموذج لثبُّين بأن طفلة الراوي المدللة تحضر له القهوة الساخنة والمشروبات والحلويات غالبا حين تزوره، خاصة في الأوقات التي يكون فيها حزينا أو في حالة قلق واضطراب، ويعد هذا الملفوظ نتيجة جاءت قبل أداة الربط الحجاجي (لأن)، وتعود هذه النتيجة لسببين هما: حالة الاكتئاب التي يمر بها الراوي وإهماله لنفسه في هذه الحالة، ويعتبران حجتين لهذه النتيجة حيث جاءت الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى من حيث تدرج الحجج في السلم الحجاجي، ونمثل لذلك كالاتي:

شكل 30

أهمل فيها نفسي تماما.	ح 2
أصاب بحالة اكتئاب.	ح 1
لأنني.	الأداة
تفعل ذلك غالبا حين تزورني خاصة في الأوقات التي أكون فيها في حالة قلق.	ن

النموذج السادس:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار: ص 49.

>> تخيلت نظراته، يقينا ستكون نظرات وداع لأنني قد لا أعود، ما يفعل المسكين بعدي وقد تعود علي <<¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن ذلك اليوم الذي تم فيه اعتقاله، وأخذه من بيته ووضعها في سيارة وكأنه مخطوف، حيث عمد إلى الحديث عن نظرة قطه مصباح إليه، والتي اعتبرها نظرة أخيرة، باعتبار أن القط مصباح كان آخر من رآه، ليخرج المتلقي بنتيجتين.

تتمثل النتيجة الأولى في أن نظرات القط مصباح ستكون حتما نظرات وداع، والدليل على ذلك أنه متيقن بأنه لن يعود إليه أبداً، ويتساءل عم سيفعله بعده وقد تعود عليه، ويعتبران سببين رئيسيين لهذه النتيجة أو حجتين لها، وإجابته عن سؤاله هي النتيجة الثانية التي جاءت بعد الرابط الحجاجي (لأن)، وتتمثل في انتظار القط مصباح لعودة الراوي، ونمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالآتي:

شكل 31

انتظار القط مصباح عودة الراوي.	ن 2
تعود علي.	ح 2
قد لا أعود.	ح 1
لأن.	الأداة
يقينا ستكون نظرات وداع.	ن 1


¹ المصدر نفسه: ص 63.

النموذج السابع:

>> كان كبير السجانين الجديد يكن لي بعض التقدير والاحترام، ويحمل لي في نفسه شيئاً من التعاطف والشفقة، ربما لأنني أنا أقدم سجين في هذا السجن، وربما لأنني لم أكن مجرماً بأتَم معنى الكلمة للإجرام، لذا تركني وحيداً في القاعة الواسعة، بعيداً عن الشباب وعن المجرمين الخطيرين <<1.

يعبر الراوي عن المشاعر التي يكنها له كبير السجانين، ووفقاً لذلك خرج الراوي بنتيجتين، تتمثل النتيجة الأولى في أن كبير السجانين يكن له بعض التقدير والاحترام، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنه أقدم سجين في هذا السجن، أما النتيجة الثانية فتتمثل في أنه يحمل له في نفسه شيئاً من التعاطف والشفقة، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الراوي لم يكن مجرماً بأتَم معنى الكلمة للإجرام، إذ أن هذين السببين يعتبران حجتين على هاتين النتيجتين، ويمكن التمثيل لذلك وفق تدرج الحجج في السلم الحجاجي كآتي:

شكل 32

ح 2	لم يكن الراوي مجرماً بأتَم معنى الكلمة للإجرام.	
ن 2	إن كبير السجانين يحمل للراوي في نفسه شيئاً من التعاطف والشفقة.	
ح 1	إن الراوي أقدم سجين في هذا السجن.	
الأداة	لأن.	
ن 1	إن كبير السجانين الجديد يكن للراوي بعض التقدير والاحترام.	

¹ المصدر نفسه: ص 84.

النموذج الثامن:

>> كان قلقامش وقد بلغ هذا الحد يبكي بحرقة، لأنه ضيع الخلود الذي لا يمكن أن يحققه الإنسان، وأن لا مندوحة من أن يسير طوعا أو كرها نحو الفناء والزوال¹.

يحكي الراوي في هذا النموذج عن قلقامش، وهو العدو اللدود للإلهة (عشتار)، فلقد تعرض قلقامش إلى مواقف كثيرة ألمته وجعلته يبكي بحرقة، ليكون البكاء هو نتيجة لما تعرض إليه؛ إذ تتمثل الحجة الأولى في تضييع قلقامش للخلود الذي لا يمكن أن يحققه الإنسان، بينما تتمثل الحجة الثانية في أنه لا مفر من أن يسير طوعا أو كرها نحو الفناء والزوال.

إن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى من حيث التسلسل بين القوة والضعف، بينما تقع النتيجة أسفل السلم الحجاجي ونمثل لذلك كالآتي:

شكل 33

ح 2	أن لا مفر لقلقامش من أن يسير طوعا أو كرها نحو الفناء والزوال.
ح 1	أن قلقامش ضيع الخلود الذي لا يمكن أن يحققه الإنسان.
الأداة	لأن.
ن	بكاء قلقامش بحرقة.


النموذج التاسع:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار: ص 144.

>> كنت مضطربا لأنني كنت أبحث عن طريق ثالث، طريقة ما يمكن أن نغسل بها العقول من كل هذه الأدران والترسبات والفلسفات والقوانين والأديان والأسيجة الشائكة التي سجت قيم القيم لدى الإنسان <<¹.

إن دعوة الراوي طفلة المدللة والإلهة عشتار إلى الحرية في الحب، ودعوة قلقامش الراوي إلى الخلود أو الموت، جعلته يصل إلى نتيجة واحدة وهي اضطرابه وتوتره من ذلك - فأى الطريقين يسلك ؟ -، والذي يعود إلى سببين هما: بحثه عن طريق ثالث للحرية وبحثه عن طريقة ما يمكن أن يغسل بها العقول، لتتخلص من كل الترسبات القبلية المختلفة، التي سجت قيم القيم لدى الإنسان، ويعتبران حجتين أحدهما أقوى من الأخرى، ونمثل لذلك في السلم الحجاجي كالاتي:

شكل 34

ح 2	بحثه عن طريقة ما يمكن أن تغسل بها العقول من كل الترسبات القبلية.	
ح 1	كان الراوي يبحث عن طريق ثالث.	
الأداة	لأن.	
ن	شعور الراوي بالاضطراب.	

يؤدي الرابط الحجاجي (لأن) وظيفة التعليل والتفسير والتبرير، ولقد استخدمه الروائي (عز الدين جلاوجي) بكثرة في هذه الرواية، لتبرر من خلاله الشخصية المتمثلة في الراوي العليم بكل شيء مواقفها ومواقف الشخصيات من أحداث معينة، والتي اعتبرت كنتائج تحتاج إلى أدلة وبراهين لازمة لإثباتها وإقناع المتلقي بها.

¹ المصدر نفسه: ص 145.

الرابط الحجاجي (بل):

قبل الحديث عن الحرف (بل) من الجانب التداولي وجب الحديث عنه من الجانب النحوي حيث >> يعتبر الحرف (بل) من الحروف الهوامل، ولها معنى الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني، تقول من ذلك: ما قام عمرو بل زيد، وخرج أبوك بل أخوك؛ إذ أن المذهب البصري يجيز وقوعها بعد النفي والإيجاب.

وأما المذهب الكوفي فلا يجيز أن يقع الحرف (بل) بعد الإيجاب، وإنما يقع عنده بعد النفي أو ما يجري مجراه، وإذا جاء في القرآن كان تركا لشيء وأخذاً في غيره، وأكثر ما يأتي بعد الإنكار <<¹.

يمكن القول أيضا أن الحرف (بل) له معنى نحوي وتداولي يتمثل في أنه >> يستعمل للحجاج والإبطال، مثله مثل (لكن). وله حالان: إما أن يقع بعده مفرد أو أن يقع بعده جملة، فإن وقع بعده مفرد، فله حالان هما: إن تقدمه إيجاب أو أمر، فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء، ويثبت الحكم لما بعده، وإن تقدمه نهي أو نفي فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده، أما إذا وقع بعد (بل) جملة، فيكون معنى الإضراب، إما الإبطال، وإما الانتقال من غرض إلى غرض، نجد الرابط (بل) يربط دائما بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين، ولكن الحجة الواقعة بعد الرابط هي الحجة الأقوى، والنتيجة المضادة (لا - ن) هي النتيجة المعتمدة <<²، كما يساهم الرابط الحجاجي (بل) >> في إنشاء السلم الحجاجي بذلك

¹ ينظر إلى بن عيسى الرماني: معاني الحروف، حق عرفان بن سليم الدمشقي، د . ط، د . ت، المكتبة العصرية، بيروت، ص 71.

² أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 60 - 64.

النفى لما يسبقه وهو درجة أولى في السلم. والإثبات لما يليه وهو أرقى درجة في الحجاج لما له من قيمة إقناعية <<¹.

يأتي الرابط الحجاجي (بل) مرادفاً للرابط الحجاجي (لكن) كما سبق وأشرنا، ويأتي أيضاً مرادفاً للرابط التساوقي (حتى) و >> يمكن أن نفرق هنا بين (بل) الحجاجية المرادفة لـ (حتى) التي تربط بين حجتين متساوئتين فأكثر، وبين (بل) الحجاجية المرادفة لـ (لكن) القائمة على الربط بين حجتين متعارضتين فأكثر.

ويؤكد (أبو بكر العزاوي) ذلك بقوله: إن الرابط الحجاجي (بل) يربط بين حجتين متساوئتين، يؤديان إلى نتيجة واحدة، أو يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة، تكون الحجة التي تأتي بعده أقوى من الحجة أو الحجج التي تأتي قبله، ومن هنا ترادف (بل) (حتى)؛ بمعنى أن (بل) هنا من روابط التساوق الحجاجي <<².

ظهر الرابط (بل) بمعنى الإضراب، والانتقال من غرض إلى غرض آخر، وبمعنى (لكن) و (حتى)، ورواية (هاء وأسفار عشتار) غنية به، ولهذا اخترنا العديد من النماذج وخصصناها بالدراسة.

النموذج الأول:

¹ عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 141 - 142.
² ينظر إلى مسعودة الساكر: الروابط الحجاجية في القرآن الكريم / نماذج مختارة، مجلة الآداب، مج 21، ع 01، 2021، الصفحات 442 - 460، ص 449.

>> راح السجان يرقبني للحظات كأنما ينتظر أن أبدي ردة فعل كما أبدأها جميع من أطلق سراحهم، ولأنه توهم أنني لم أسمع اسمي، اقترب مني وذكرني بالأمر، رفعت فيه عيني الحزینتین دون أن أنبس بكلمة، بل ودون أن أرسم على ملامحي ما يعتبره إجابة عما قاله <<¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن ذلك اليوم الذي أعلن فيه عن إطلاق سراحه، والملاحظ أنه استخدم (بل) ليربط بين عدة حجج متساوقة، وعند استبدال الرابط الحجاجي (بل) بالرابط التساوقي (حتى) لا يتغير المعنى.

لقد جاءت الحجة التي قبل الرابط الحجاجي (بل) على صيغة النفي، حيث أن الراوي لم يبد ردة فعل تجاه خبر إطلاق سراحه، إلى درجة أن السجان اعتقد بأنه لم يسمعه؛ إذ جاءت الأداة (لم) لنفي السمع عن الراوي؛ لأن السجان توهم ذلك ولهذا اقترب منه، ليذكره بقرار إطلاق سراحه، إلا أن الراوي لم يتفوه بكلمة واحدة، ثم جاء ما بعد الرابط الحجاجي (بل) مرتبطاً بما قبله، كون الحجج التي جاءت قبله هي غاية لما بعده.

جاءت الحجج قبل الرابط الحجاجي (بل) متمثلة في قول الراوي: " كأنما ينتظر أن أبدي ردة فعل كما أبدأها جميع من أطلق سراحهم، لأنه توهم أنني لم أسمع اسمي، اقترب مني وذكرني بالأمر، رفعت عيني الحزینتین دون أن أنبس بكلمة "، تخدم هذه الحجج الحجة التي بعد الرابط (بل) المتمثلة في قوله: " ودون أن أرسم على ملامحي ما يعتبره إجابة عما قاله ".

تعتبر هذه الحجة أقوى من الحجج التي سبقت الرابط الحجاجي (بل) رغم أنها تخدم نفس النتيجة وهي استمرار الراوي في تجاهله لخبر إطلاق سراحه، فيرى متلقي الخطاب بأن الراوي مضرب عن الكلام؛ إذ لم يكلف نفسه حتى التلميح بالإيماءات للسجان بالموافقة أو الرفض، فجاء الرابط (بل) كإثبات لوجوب الصمت وعدم الكلام أو الاستجابة لأوامر السجان، ليكون السلم

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 11.

الحجاجي هو الانتقال من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى التي تكون بعد الرابط، ويمثل لذلك كالاتي:

شكل 35

استمرار الراوي في تجاهله لخبر إطلاق سراحه.	ن
ودون أن أرسم على ملامحي ما يعتبره إجابة عما قاله.	ح 5
بل.	الأداة
رفعت عيني الحزینتین دون أن أنبس بكلمة.	ح 4
اقترب مني وذكرني بالأمر.	ح 3
لأنه توهم أنني لم أسمع اسمي.	ح 2
كأنما ينتظر أن أبدي ردة فعل كما أباها جميع من أطلق سراهم.	ح 1

النموذج الثاني:

>> كنت أعدو بقوة في مضمار ضيق متعرج شائك، ينهض على جانبيه سياج حصين يصطف على طوله مئات المتفرجين وهم يهتفون بقوة، لم يكونوا يهتفون لي بل كانوا يهتفون ضدي، وكانوا لا يترددون في رمي بكل ما يمكن أن يعيق اندفاعي <<¹.

يربط الرابط الحجاجي (بل) بين حجتين أو عدة حجج متعارضة أو متساوقة، ولقد ربط في هذا النموذج بين حجتين متساوقتين.

¹ المصدر نفسه: ص 25.


يتحدث الراوي عن الحلم الذي شاهده، حيث كان يعبر ممرا ضيقا، يصطف على جانبه مئات المتفرجين والذين راحوا يهتفون، فكان هذا الهتاف قويا جدا ولكنه لم يكن من أجل الراوي ولا حبا فيه، إذ ينفي الراوي حقيقة أن يكون الهتاف من أجله، حيث كانت الحجة التي تسبق الرابط (بل) منفية تتمثل في قول الراوي: " لم يكونوا يهتفون لي "، لتكون الحجة التي بعده غاية لهذه الحجة، وتتمثل في قوله: " كانوا يهتفون ضدي ".

جاء الإضراب في هذا النموذج بمعنى الانتقال من غرض إلى غرض آخر، انتقل الراوي من فكرة أن الهتاف يمكن أن يكون من أجله إلى فكرة أخرى وهي أن هذا الهتاف ضده، لتكون الحجة التي تلي الرابط (بل) أكثر إقناعا للمتلقي وأقوى من الحجة الأولى.

انتقل السلم الحجاجي من حجة النفي والتي كانت قبل الرابط التساوقي (بل) إلى حجة الإثبات والتي جاءت بعده، فإمكانية أن يكون الهتاف من أجل الراوي باتت بعيدة عن ذهن المتلقي، الذي سيعتقد للوهلة الأولى بأن الهتاف من أجل الراوي، كون هؤلاء المتفرجين مصطفىين بالمئات على طول سياج حصين، فيأتي الجزء الذي قبل الرابط الحجاجي (بل) أسفل السلم الحجاجي، في حين يأتي الجزء الذي بعده في أعلى السلم الحجاجي؛ لأن الأول مبني عن النفي بينما الثاني مبني على الإثبات.

تؤدي الحجتان إلى نتيجة مضمرة وهي: إحساس الراوي بالضيق والاختناق وبأن كل شيء بات ضده، ويمكن التمثل لذلك كالاتي.

شكل 36

ن	إحساس الراوي بالضيق والاختناق وبأن كل شيء بات ضده.	
ح 2	كانوا يهتفون ضدي.	
الأداة	بل.	
ح 1	لم يكونوا يهتفون لي.	

النموذج الثالث:

>> وبكيت ليس لقساوة ما تلقيته من ضرب، بل حزنا على ما لحق طفلي المدللة من عقاب وإهانة <<¹.

جاء الرابط الحجاجي (بل) في هذا النموذج بمعنى الإضراب والتعارض، يربط بين حجتين متعارضتين؛ إذ جاءت الحجة الأولى في قول الراوي: " وبكيت ليس لقساوة ما تلقيته من ضرب " منفية، وذلك بنفي الراوي لأن يكون سبب بكائه هو تعرضه للضرب القاسي من قبل أمه، فالرابط (بل) يبطل هذه الحجة ويثبت سبب البكاء بالحجة التي تأتي بعده والمتمثلة في قوله: " حزنا على ما لحق طفلي المدللة من عقاب وإهانة "، وهي حجة معارضة للحجة الأولى كون الراوي لم يبكي بسبب ضرب والدته له، بينما بكى بسبب ضرب والدته لطفله المدللة، وهذا ما يعتبر تعارضا، كما جاءت هذه الحجة أقوى من الحجة الأولى من حيث تدرج الحجج في السلم الحجاجي.

¹ المصدر نفسه: ص 33.

تؤدي هاتان الحجتان إلى نتيجتين متعارضتين؛ إذ تتمثل النتيجة الأولى في عدم تأثر الراوي بضرب والدته له، بينما تتمثل النتيجة الثانية في تأثره بضرب وإهانة والدته لطفاته المدللة، ويمثل لذلك كالاتي:

شكل 37

لا - ن	تأثر الراوي بضرب وإهانة والدته لطفاته المدللة.
ن	عدم تأثر الراوي بضرب والدته له.
ح 2	حزنا على ما لحق طفلي المدللة من عقاب وإهانة.
الأداة	بل.
ح 1	وبكيت ليس لقساوة ما تلقيته من ضرب.

النموذج الرابع:

>> لقد كان الإنسان أول أمره يعيش في سلام وانسجام مع كل ما حوله، وقد يتمادى فيمارس عنفا من أجل الطعام، أما الآن وقد صار يمارس أضعافا مضاعفة من العنف ليس بسبب الطعام بل بسبب ما يؤمن به ويعتقده <<¹.

جاء الرابط الحجاجي (بل) في هذا النموذج بمعنى (لكن)، وبمعنى الإضراب المتمثل في الانتقال من غرض إلى غرض آخر، فالحجج التي تسبق الرابط التعارضى (بل) معارضة للحجة التي جاءت بعده.

¹ المصدر نفسه: ص 40.

تتمثل الحجج التي تسبق الرابط التعارضى (بل) في قول الراوي: " لقد كان الإنسان أول أمره يعيش في سلام وانسجام مع كل ما حوله، وقد يتمادى فيمارس عنفا من أجل الطعام، أما الآن وقد صار يمارس أضعافا مضاعفة من العنف ليس بسبب الطعام ".

ينتقل الراوي من خلالها من غرض إلى غرض آخر، حيث ينتقل من كون الإنسان في أول خلقه مسالم لا يمارس العنف إلا بسبب الطعام إلى كون الإنسان يستخدم العنف من أجل الدفاع عن أفكاره ومعتقداته وكل ما آمن به وصدقه، ويتضح ذلك في الحجة التي تأتي بعد الرابط الحججي (بل) المتمثلة في قول الراوي: " بسبب ما يؤمن به ويعتقده "، كما جاءت هذه الحجة معارضة للحجج السابقة وأقوى منها من حيث التدرج في الحجج.

تخدم الحجج التي قبل الرابط الحججي (بل) النتيجة الأولى والمتمثلة في: أن الإنسان لم يكن يمارس العنف إلا نادرا، بينما تخدم الحجة التي بعده النتيجة الثانية، والتي جاءت مضمرة ومناقضة للنتيجة الأولى والمتمثلة في أن الإنسان بات يعيش سائر الأوقات في صراعات. ويمكن التمثيل لذلك كالاتي:

شكل 38

لا - ن	أن الإنسان بات يعيش سائر الأوقات في صراعات.
ن	أن الإنسان لم يكن يمارس العنف إلا نادرا.
ح 4	بسبب ما يؤمن به ويعتقده.
الأداة	بل.
ح 3	أما الآن وقد صار يمارس أضعافا مضاعفة من العنف ليس بسبب الطعام.
ح 2	قد يتمادى فيمارس عنفا من أجل الطعام.
ح 1	لقد كان الإنسان أول أمره يعيش في سلام وانسجام مع كل ما حوله.

النموذج الخامس:

>> وكانت جميلة، بل وفاتنة أيضا، سرقتني عن كل ما يشغلني <<¹.

لقد اشتغل الرابط الحجاجي (بل) على الربط بين حجتين، تكون الحجة الأولى غاية للحجة الثانية ويخدمان نفس النتيجة؛ بمعنى أن هذا الرابط يعمل نفس عمل الرابط التساوقي (حتى)، فيمكن من خلال ذلك القول: " وكانت جميلة، حتى وفاتنة أيضا، سرقتني عن كل ما يشغلني " دون أن يخل التركيب أو المعنى.

لقد جاءت الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى في السلم الحجاجي، كما جاءت لإثباتها، يرى الراوي أن طفله المدللة جميلة جدا ولكنها فاتنة أيضا، وصفة الفتنة هي أكثر تأثيرا في

¹ المصدر نفسه: ص 50.

المتلقي من صفة الجمال؛ لأن المرأة الفاتنة أكثر جذبا للأنظار من المرأة الجميلة، رغم أنهما يشتركان في الحسن والبهاء، تؤدي هاتان الحجتان إلى نتيجة واحدة وهي: تعلق الراوي الكبير بطفلة المدللة جعله لا يرى في هذا العالم سواها، ويمثل لذلك كالاتي:

شكل 39

ن	تعلق الراوي الكبير بطفلة المدللة جعله لا يرى في هذا العالم سواها.
ح 2	كانت فاتنة أيضا.
الأداة	بل.
ح 1	كانت جميلة.

النموذج السادس:

>> اضطررت أن أصور ما كتبت وأرسلته إلكترونيا إلى المئات من الراغبين في قراءته، بل وحتى للمناوئين والكافرين بما ندعو إليه <<¹.

يربط الرابط الحجاجي (بل) بين حجتين متساوئتين، حيث يمكن أن يستبدل هذا الرابط (بل) بالرابط التساوقي (حتى) في هذا القول، مما يعني أن الرابط (حتى) سيتكرر مرتين، والغرض من هذا التكرار هو التأكيد، ليصبح القول كالاتي: " اضطررت أن أصور ما كتبت وأرسلته إلكترونيا إلى المئات من الراغبين في قراءته، حتى وحتى للمناوئين والكافرين بما ندعو إليه "، تمثلت الحجة الأولى والتي تسبقه في قول الراوي: " اضطررت أن أصور ما كتبت وأرسلته

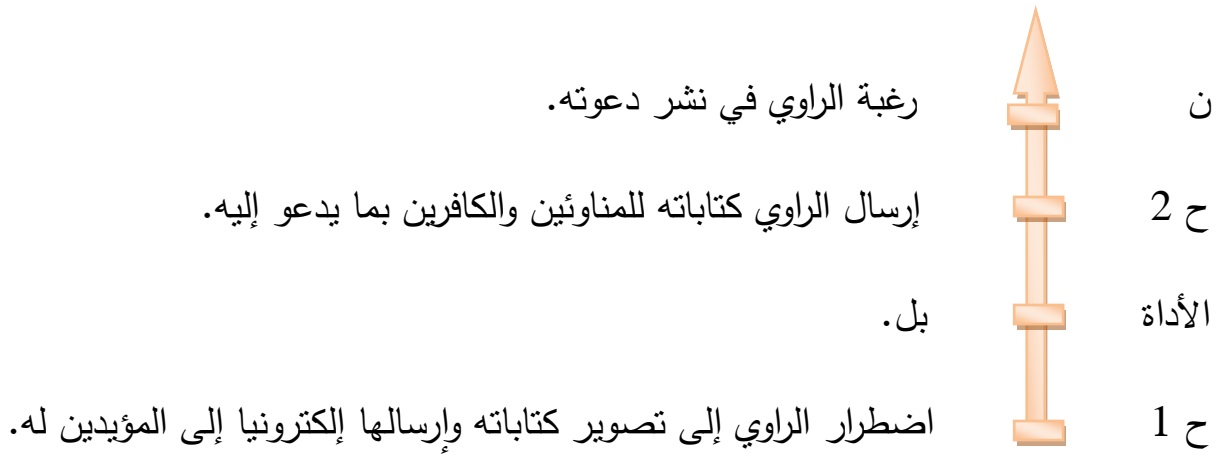
¹ المصدر نفسه: ص 59.

الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار "

إلكترونيا إلى المئات من الراغبين في قراءته "، أما الحجة الثانية التي جاءت بعده فتنتمثل في قوله: " وحتى للمناوئين والكافرين بما ندعو إليه ".

إن هناك ترابط واضح بين الحجتين؛ إذ قام الراوي بإرسال كتاباته إلى أنصاره وإلى أعدائه أيضا دون تفرقة بينهما، ويعود السبب وراء ذلك إلى رغبته في نشر أفكاره ومعتقداته، ومحاولة إقناع الطرف المعارض بها، كما جاء الرابط (بل) لإثبات ما قبله، مما يعني أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، رغم أنهما يؤديان إلى نتيجة واحدة وهي رغبة الراوي في نشر دعوته. ويمثل لذلك كالاتي:

شكل 40



النموذج السابع:


>> أي كأس هذا الذي لا يرشف منه الحبيب حتى ينتشي ويسكر، بل أي خمر هذا الذي لا نترشف أنا وأنت شاطئ كوبه حتى يطرز شففتينا بنوار الحب ؟ <<¹.

¹ المصدر نفسه: ص 112.

عندما كان الراوي في السجن، كانت طفلة المدللة ترسل إليه الرسائل، وهذا النموذج هو جزء من رسالة أرسلتها إليه، ولقد جاء الرابط الحجاجي (بل) للإضراب بمعنى الانتقال من غرض إلى غرض آخر، حيث جاءت الحجة التي قبل الرابط الحجاجي (بل) منفية بأداة النفي (لا)؛ إذ استخدمت طفلة الراوي المدللة وهي توجه سؤالاً إلى الراوي الصور البيانية للتعبير عن وحدتها، ففي الحجة الأولى المتمثلة في قولها: " وأي كأس هذا الذي لا يرشف منه الحبيب حتى ينتشي ويسكر "، تنفي شعورها بالسعادة بعيداً عن الراوي؛ لأن سعادتها تكون قربه وبوجوده، بينما جاءت الحجة التي بعد الرابط متمثلة في قولها: " أي خمر هذا الذي لا نترشف أنا وأنت شاطئ كوبه حتى يطرز شفتينا بنوار الحب " منفية أيضاً وتكملة للسؤال، ولكن من أجل غرض آخر وهو التعبير عن اشتياقها للراوي والرغبة في رؤيته.

انتقلت طفلة الراوي المدللة بذلك من غرض إلى غرض آخر لتكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى في السلم الحجاجي، وأكثر تأثيراً في القارئ أو المتلقي، وأكثر إقناعاً له، ليصل المتلقي إلى نتيجة واحدة وهي أن الطفلة المدللة لم تعد تستطيع العيش دون الراوي، ويمثل لذلك كالاتي:

شكل 41

ن	لم تعد الطفلة المدللة تستطيع العيش دون الراوي.	
ح 2	أي خمر هذا الذي لا نترشف أنا وأنت شاطئ كوبه حتى يطرز شفتينا ... الحب.	
الأداة	بل.	
ح 1	أي كأس هذا الذي لا يرشف منه الحبيب حتى ينتشي ويسكر.	

النموذج الثامن:

>> أسئلة حيرى راحت تراودني، كأي في واقع ليس واقعي، بل كأي لست في الواقع أصلا، وماذا يعني الواقع، وماذا يعني اللاواقع ؟ <<¹.

جاء الرابط الحجاجي في هذا النموذج رابطا بين حجتين متعارضتين، كما جاءت الحجتان قبله وبعده منفيتان، ويعود السبب في ذلك إلى الاضطراب الذي يعاني منه الراوي والأسئلة التي راحت تراوده.

إن الحجة الأولى التي سبقت الرابط الحجاجي (بل) المتمثلة في قول الراوي: " كأي في واقع ليس واقعي " مبنية على الظن؛ إذ يرى بأنه في واقع لا يعرفه ولا يشبه واقعه، بينما جاءت الحجة الثانية التي وقعت بعد الرابط الحجاجي (بل) معارضة للحجة التي سبقت، ففي قوله: " كأي لست في الواقع أصلا "، خروجا من الواقعيين؛ أي خروج الراوي من واقعه ومن الواقع الذي لا يشبه واقعه، ليكون التعارض قائما بين الواقع واللاواقع.

تؤدي الحجة الأولى إلى نتيجة مضمرة تتمثل في شعور الراوي بالاختناق والرغبة في الهروب من الواقع، كما تؤدي الحجة الثانية أيضا إلى نتيجة مضمرة تتمثل في تدبر الراوي وتفكره في الكون ومحاولة كشف أسراره.

لقد جاءت الحجة التي بعد الرابط الحجاجي (بل) أقوى من الحجة التي سبقت، وتأتي في أعلى السلم كونها أكثر إقناعا للمتلقي وأكثر إثباتا للاضطراب الذي يعاني منه الراوي، والتمرد الذي جعله يفكر في إعادة النظر في كل شيء. يمكن التمثيل لذلك وفق السلم الحجاجي كالاتي:

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 101.

شكل 42

لا - ن	تدبر الراوي وتفكره في الكون ومحاولة كشف أسراره.
ن	شعور الراوي بالاختناق والرغبة في الهروب من الواقع.
ح 2	كأن الراوي ليس في الواقع أصلا.
الأداة	بل.
ح 1	كأن الراوي في واقع ليس واقعه.

النموذج التاسع:

>> أول ما فكرت فيه الآن هو الإنسان، وقد صرت الآن خارجه من حقي أن أفكر فيه، بل وأن أنظر إليه نظرة عدائية فيها الكثير من الإشفاق، عداً لما يفعله هذا المخلوق المتغطرس الذي يرى نفسه الأرقى والأسمى <<¹.

استخدم الراوي في هذا النموذج الرابط الحجاجي (بل) للإضراب بمعنى الانتقال من غرض إلى غرض آخر، يتحدث الراوي بصفته ذنباً عن الإنسان الذي بات ينظر إليه من زاوية مختلفة، وبما أنه كان ينتمي إليه فهذا يعطيه الحق في التفكير فيه، ويتضح ذلك من خلال الحجتين اللتين يسبقان الرابط الحجاجي (بل) في قوله: " أول ما فكرت فيه الآن هو الإنسان، وقد صرت الآن خارجه من حقي أن أفكر فيه "، ثم انتقل الراوي للحديث عن نظرتة العدائية للإنسان، الذي أصبح عدواً له ويستحق الشفقة؛ لأنه مخلوق متغطرس متجبر ومتكبر، ويتضح ذلك من خلال الحجتين اللتين جاءتا بعد الرابط الحجاجي (بل) في قوله: " وأن أنظر إليه نظرة

¹ المصدر نفسه: 119 - 120.


الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار "

عدائية فيها الكثير من الإشفاق، عداً لما يفعله هذا المخلوق المتغطرس الذي يرى نفسه الأرقى والأسمى ."

لقد انتقل الراوي في هذا النموذج من مجرد التفكير في الإنسان بحكم انتمائه إليه، قبل أن تحوله الإلهة عشتار إلى ذئب، إلى اعتبار الإنسان عدواً له ويستحق الشفقة؛ لأنه مجرم وقاتل.

تؤدي هذه الحجج إلى نتيجة واحدة وهي حقد الراوي الكبير على الإنسان ورغبته في الانتقام منه، كما تأتي الحجتان اللتان تسبقان الرابط الحجاجي (بل) في أسفل السلم الحجاجي تأتي الحجتان اللتان بعده في أعلى السلم الحجاجي كونهما أكثر إقناعاً وتأثيراً في المتلقي، ويمثل لذلك كالاتي:

شكل 43

- 
- ن حقد الراوي الكبير على الإنسان ورغبته في الانتقام منه.
- ح 4 عداً لما يفعله هذا المخلوق المتغطرس الذي يرى نفسه الأرقى والأسمى.
- ح 3 وأن أنظر إليه نظرة عدائية فيها الكثير من الإشفاق.
- الأداة بل.
- ح 2 وقد صرت الآن خارجه من حقي أن أفكر فيه.
- ح 1 أول ما فكرت فيه الآن هو الإنسان.

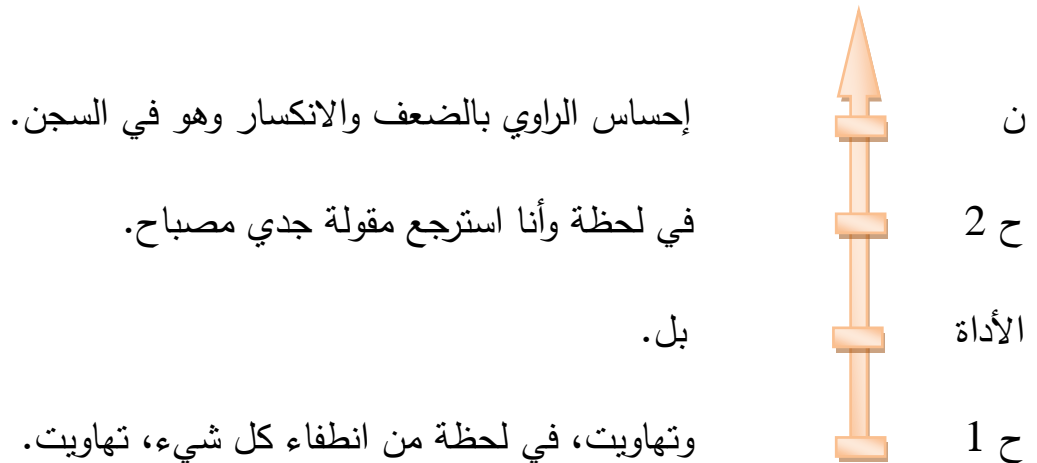
النموذج العاشر:

>> وتهاويت، في لحظة من انطفاء كل شيء، تهاويت، بل في لحظة وأنا استرجع مقولة جدي مصباح، ليست الحرية أن تخرج من العبودية، إنما الحرية أن تُخرج العبودية منك <<¹.

يعمل الرابط الحجاجي (بل) في هذا النموذج عمل الرابط التساوقي (حتى)، الذي يربط بين حجتين متساوئتين، جاءت الحجة التي قبله (وتهاويت في لحظة من انطفاء كل شيء) خادمة للحجة التي بعده وغاية لها، المتمثلة في قول الراوي: " تهاويت في لحظة وأنا أسترجع مقولة جدي مصباح "، يحكي الراوي لمتلقي الخطاب عن إحساسه بالضعف والهوان وهو في السجن؛ إذ بات يرى كل شيء فاقد لقيمتة ومعناه، كما يحس بالضعف أكثر عندما يتذكر مقولة جده مصباح التي تدعو إلى الحرية والخروج من العبودية، فكيف له أن يكون حراً وهو محبوس بين القضبان ؟.

يصل متلقي الخطاب إلى نتيجة واحدة وهي إحساس الراوي بالضعف والانكسار، لقد جاءت الحجة التي بعد الرابط الحجاجي (بل) أقوى من الحجة التي قبله، ويمثل لذلك وفق السلم الحجاجي كالآتي:

شكل 44



¹ المصدر نفسه: ص 137.

لقد حضر الرابط الحجاجي (بل) في رواية (هاء وأسفار عشتار) بجميع حالاته، فنجده حاضرا بمعنى الإضراب الإبطالي والإضراب الانتقالي، وبمعنى التعارض؛ أي الربط بين حجتين متعارضتين، وبمعنى التساوق؛ أي الربط بين حجتين متساوئتين؛ إذ يعمل وفقا لذلك عمل (حتى (التساوقية، وعمل (لكن) التعارضية.

7- العوامل الحجاجية:

إن >> العوامل الحجاجية من أهم المفاهيم الرئيسية التي بُنيت عليها نظرية الحجاج في اللغة؛ إذ بإمكانها أن تجعل الخطاب منسجما، وبإمكانها أيضا توجيه المتلقي إلى قصد المتكلم أو الكاتب، حيث تعمل على تقليص الاستلزمات الحجاجية للجملة أو القول الواحد داخل الخطابات، وتتمركز العوامل الحجاجية أساسا في أبنية اللغة، كما تعتبر عنصرا أساسيا في عملية التخاطب، حيث تتأسس من خلالها العملية الحجاجية، ويكون الخطاب أكثر إقناعا للمتلقي، وتظهر العوامل الحجاجية بأشكال متنوعة ومختلفة، وتتعدد في طاقتها الحجاجية <<¹.

إن العوامل الحجاجية حسب >> (ديكرو) من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، والتي توجد داخل القول الواحد وهي من العناصر التي تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل (منذ) الظرفية وتقريبا وعلى الأقل ... الخ <<²، وبمعنى أدق فإن العوامل الحجاجية >> هي عناصر لغوية إسنادية معجمية أو نحوية، تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر والنفي والشرط ... ووظيفتها هي حصر

¹ ينظر إلى جلالي علي، بن يحيى ناعوس: أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصل الخطاب، مج 10، ع 02، 2021، الصفحات 7 - 22، ص 11.

² فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إحمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، د . ط، د . ت، ص 376 - 377.

الإمكانات الحجاجية لمحتوى الملفوظات وتحويلها <<¹، ومن العوامل الحجاجية >> القصر بالنفي وإلا، وإنما، وإلا في الاستثناء، وقريبا وكثيرا.

وقد تعكس الوظيفة البلاغية لهذه الأقوال بحصرها المعنى وتقييده بوجهة واحدة لا تُخطئ التأثير في الآخر <<²؛ ويقصد بذلك أنها >> لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تقوم لقيدها <<³.

لقد اخترنا في دراستنا هذه العديد من العوامل الحجاجية التي ظهرت بكثرة في رواية (هاء وأسفار عشتار) المتمثلة في أدوات النفي والاستثناء، بينما لم نجد أدوات الشرط في هذه الرواية إلا ثلاث مرات، وهذا ما جعلنا نستثنئها من الدراسة؛ لأنها لم تكن ميزة في النص، وكان وجودها محتشم جدا.

العامل الحجاجي (لا ... إلا):

هو عامل من العوامل الحجاجية، >> يتكون من صرفمين (مورفيمين) غير متساويين، يحقق الأول النفي، ويحقق الثاني الاستثناء، فهو عامل يوجه القول نحو وجهة الانخفاض <<⁴، كما >> يعتبر هذا التركيب اللغوي المكون من أداة النفي لا وأداة الاستثناء إلا، والذي هو أسلوب من أساليب القصر في اللغة العربية، عاملا حجاجيا مهما يساعد في تركيب الخطاب ويزيد من طاقته الحجاجية، حيث يعتبر أيضا من أقوى الطرائق، وقيل أنه أصل الباب، وغالبا ما تأتي الجمل القصرية إلى الاستثناء بالحمل عليه، وترد كثيرا في مقامات الإنكار، وترد في المواقف التي

¹ عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 100.

² أبو بكر العزاوي: الحجاج بين النظرية والتطبيق، ص 185.

³ أُلمرجع نفسه: ص 185.

⁴ شمس الهدى تايب، السبتي سلطاني: مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 16، ع 01، 2024، الصفحات 316 – 333، ص

تنزل منزلة الإنكار، أو تلك المجهولة بالنسبة للمخاطب التي لا يقع فيها الإنكار <<¹، أما أداة النفي (لا) فتأتي في اللغة العربية >> على ثلاثة أوجه:

1 - أحدها: من أوجه لا أن تكون موضوعة لطلب الترك، وتختص بالدخول على المضارع، ونقتضي جزمه واستقباله.

2- الثاني: أن تكون نافية.

3- والثالث: لا الزائدة الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده <<².

النموذج الأول:

>> من سنوات لم أعد أرغب في أن أرفع عيني إلى الأعلى ولا أن أمدهما إلى الأمام إلا نادرا، وأي شيء سأرى؟ سقوف مسودة متهرئة <<³.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن السنوات التي قضاها في السجن، حيث استخدم بداية السرد أداة النفي (لا) لينفي رغبته في رفع عينيه إلى الأعلى، وينفي رغبته أيضا في مد عينيه إلى الأمام، ويستثني من ذلك نظره إلى الأعلى والأمام والذي يكون نادرا؛ إذ جاءت أداة الاستثناء (إلا) لإثبات النفي الذي يسبقها، فقد قصر الراوي نظره إلى السقف والأمام على الندرة؛ ويعنى ذلك أن الراوي لم يعد يستطيع العيش في غرفته، حيث يتساءل ويقول: " وأي شيء سأرى؟ سقوف مسودة متهرئة " .

¹ ميزوني قراد، زوبيدة ساسي: الروابط والعوامل الحجاجية في النصوص القانونية - مقارنة تداولية في قانون الأسرة الجزائري -، مجلة النص، أم البواقي، مج 10، ع 02، 2024، الصفحات 425 - 440، ص 434.

² ابن هشام الأنصاري: مُعني اللبيب عن كُتب الأعراب، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1991، ج 01، د . ط، ص 262 - 274.

³ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 11 - 12.

الملاحظ أنه عندما يحذف متلقي الخطاب من القول أداة النفي (لا) لا يتغير معناه، فيمكن القول: من سنوات لم أعد أرغب في أن أرفع عيني إلى الأعلى وأن أمدهما إلى الأمام، كما جاء القصر ليبيّن بأن الراوي قد سئم من النظر إلى سقف الغرفة وجدرانها ويستثني من ذلك وقت الضرورة، وهذا ما سيؤثر في المتلقي؛ لأنه سيفهم من خلال هذا العامل الحجاجي (لا ... إلا) بأن الراوي يشعر بالضيق والاختناق من سجنه في هذه الغرفة الضيقة، التي لم يعد يطيق النظر إليها.

النموذج الثاني:

>> كان يؤمن يقينا أن البشر لا يصيخون سمعا إلا لثرثرتهم، لذا يعيشون دوما الضلال والنتيه، وكان الأجدر أن يخرسوا، كان الأجدر أن يصمتوا طويلا، فلا يكون كلامهم إلا بمقدار <<¹.

استخدم الراوي وهو يتحدث عن جده مصباح العامل الحجاجي (لا ... إلا)، ليعبر عما يؤمن به، فيقول بأن جده مصباح ينفي استماع البشر لغيرهم فهم يستمعون فقط لثرثرتهم.

يمكن الاستغناء عن أداة النفي (لا) في هذا النموذج أيضا وتبقى الجملة صحيحة، كما يأتي القصر بالاستثناء (إلا) ليحصر عملية الإصغاء في ثثرتهم، مما يعني أن البشر حسب وجهة نظره أنانيون ولا يفكرون إلا في أنفسهم، ولهذا فهم يعيشون في ضلال دائم وتيه.

يرى الجد مصباح أن الأجدر بالبشر أن لا يتحدثوا كثيرا، ولقد جاءت أداة النفي والاستثناء أيضا في قوله: " فلا يكون كلامهم إلا بمقدار "، حيث يمكن الاستغناء عن أداة النفي (لا) في هذه الجملة أيضا دون تغيير معناها، أما (إلا) الاستثنائية فجاءت كإثبات للنفي الذي أتى قبلها، فتحصر الكلام في أن يكون بقدر يسير.

¹ المصدر نفسه: ص 23.

يعتبر هذا القصر والتقييد نصيحة يقدمها الجد مصباح إلى البشرية، فلقد ضاق ذرعا بهم، إذ يدعوهم إلى التخلي عن أنانيتهم والتخلي عن اهتمامهم بأنفسهم على حساب غيرهم، فهو يرى بأن من واجب الإنسان على أخيه الإنسان أن يهتم به، كما يدعوهم إلى إتقان فنون الكلام ليكون كلامهم بمقدار، حتى يتمكنوا من إعطاء الفرصة لغيرهم للحديث والتعبير، يعمم الجد مصباح حكمه على البشرية جمعاء ولا يستثني من ذلك أحدا، ولقد كان حكمه قاسيا جدا.

وظف الجد مصباح النفي والاستثناء (لا ... إلا) لغرضين اثنين هما: إعطاء وصف يليق بالبشرية وتقديم نصيحة لهم.

النموذج الثالث:

>> كلها صارت أسيجة بل ومعاقل تحجب النور عن الإنسان، نور الحرية التي فطر عليها أول أمره، ولا حل إلا أن نقشر هذه الطبقات من أفكار الناس وقناعاتهم¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن التراكمات الموجودة في عقول البشرية، الناتجة عن الفلسفات والأديان والمعارف والقوانين التي صنعها البشر أنفسهم، والتي أدت بهم إلى الرضوخ للعبودية.

لقد جاء العامل الحجاجي (لا ... إلا) ليجعل التخلص من العبودية محصورا في تفسير هذه الطبقات من أفكار الناس وقناعاتهم، حيث ينفي الراوي وجود حل غيره، كما حصر أيضا الحرية في التخلص من قيود العبودية التي تنتج عن إيمان البشر بالمعارف والفلسفات والأديان والقوانين، ولقد جاء الاستثناء في هذا النموذج متمثلا في الحل الوحيد الذي لا يوجد له بديل، كما جاء كإثبات للنفي الذي سبقه، وبغرض التأثير في المتلقي وإقناعه، ودعوته إلى اعتناق الحرية التي تكون فقط بالتمرد على كل ما سبق ذكره.

¹ المصدر نفسه: ص 40.

النموذج الرابع:

>> نداء القوة الذي يأسر قلب الأنثى، فكأنما هما قطبان متجاذبان، قطب للضعف وآخر للقوة، لا يكون الحب إلا بهما، ولا تستمر الحياة إلا بهما <<¹.

لقد حصر الراوي في هذا النموذج الحب في قطبي الضعف والقوة، وجعل النفي بالأداة (لا) حتى لا يكون الحب خارجهما.

جاء العامل الحجاجي (لا ... إلا) لقصر الحب عليهما، كما جاء الاستثناء ب (إلا) لإثبات أن الأنثى تأسر الذكر فقط بإبراز مفاتها وجمال صوتها وإشراقه بسمتها وعينيها، بينما يأسر الذكر الأنثى بإبراز قوته؛ لأن الأنثى تعشق الذكر القوي والذكر يعشق الأنثى الفاتنة، تؤدي هذه الصفات إلى ولادة الحب ودون هذين القطبين لا يولد الحب.

قصر الراوي الحب في فتنة الأنثى وقوة الرجل، ووضعها قاعدة لتعريفه حيث جبل الإنسان عليه، كما يأتي العامل الحجاجي الثاني (لا ... إلا) لينفي استمرارية الحياة دون هذين القطبين، حضرت أداة الاستثناء (إلا) كإثبات لذلك، ويمكن القول أن الراوي قد قصر استمرار الحياة عليهما، وحصر الحياة بينهما، فالحياة بين الأنثى والذكر تتطلب فتنة الأنثى وقوة الذكر؛ لأنهما أساس العلاقة بينهما.

يعني هذا أن الراوي جعل من العامل الحجاجي المتمثل في (لا ... إلا) عاملا يحصر من خلاله الحب والحياة ويقصرهما على قطبين معينين لا يمكن الاستغناء عنهما.

النموذج الخامس:

¹ المصدر نفسه: ص 42.

>> نعم يسعدني أن تحبني وأن أحبها، ولكن لن أقبل أن يكون أحدنا تابعا للثاني، لا أريد لهذا الحب أن يكون تملكا لا يخلص الحب إلا أن تمنح الطرف الآخر في أن يمارس حرّيته ويتمرد دوما على طقوس التبعية والولاء لك <<¹.

لقد استخدم الراوي في قوله: " نعم يسعدني أن تحبني وأن أحبها، ولكن لن أقبل أن يكون أحدنا تابعا للثاني، لا أريد لهذا الحب أن يكون تملكا " أداتيّ النفي (لا) و (لن)؛ إذ لا يمكن الاستغناء عنهما، وإن حذفنا أختلّ معنى الجملة، بينما استخدم العامل الحجاجي (لا ... إلا) في قوله: " لا يخلص الحب إلا أن تمنح الطرف الآخر في أن يمارس حرّيته ويتمرد دوما على طقوس التبعية والولاء لك "، حيث يمكن في هذه الحالة الاستغناء عن أداة النفي (لا) ولا يختلّ معنى الجملة.

قصر الراوي إخلاص الحب على منح الطرف الآخر الحق في ممارسة حرّيته والتمرد دوما على شريك حياته؛ لأن الحب لا يعني أن يكون تابعا له وتحت تصرفه دائما، قام الراوي في هذا القول بحصر الحب الخالص في ذلك، ولقد جاءت أداة الاستثناء (إلا) كإثبات لما سبق نفيه وهو (لا يخلص الحب)، فرغم وجود عدة إمكانيات واختيارات إلا أن الراوي اختار أن يكون الحب خارج ما يسمى بالعبودية، ولا يكون ذلك إلا بالحرية والتمرد.

النموذج السادس:

>> وهل الحرية هي مجرد وهم وأن لا حرية إلا ما خطته الآلهة وسمحت به، هل يمكن أن يكون سدنة العبودية هم أيضا سدنة الآلهة ؟ <<².

¹ المصدر نفسه: ص 51 - 52.

² المصدر نفسه: ص 70.

يتساءل الراوي ما إذا كانت الحرية تقتصر على ما خطته الآلهة وسمحت به، أم أن هناك احتمالات أخرى؟، وهذا ما يستلزم وجود إجابة عليه.

إن وجود النفي والاستثناء في هذا النموذج مختلف عما سبق، فلا يمكن أن نقول بأن هذا الاستثناء هو إثبات للنفي الذي سبقه والمتمثل في أن لا حرية خارج سلطة الآلهة وقدر الآلهة؛ لأنه من غير المنطقي أن يكون السؤال قصر وحصر لقضية معينة، ويعود السبب في ذلك إلى أنه يمكن للمتلقي أن يقلب الموازين ويكون جوابه مغايراً لسؤال الراوي، فهناك فرق بين قوله: " الحرية هي مجرد وهم ولا حرية إلا ما خطته الآلهة وسمحت به "، وبين قوله: " هل الحرية هي مجرد وهم وأن لا حرية إلا ما خطته الآلهة وسمحت به؟ "، فالنفي والاستثناء في القول الأول جاء لإثبات وقصر الحرية فقط فيما خطته الآلهة وسمحت به، بينما في القول الثاني يتوقف الإثبات والقصر في هذا العامل الحجاجي على إجابة المتلقي، فهو الوحيد القادر على الإثبات أو النفي.

المثال السابع:

>> كان فرحي باكتشافها كفرح من عثر على كنز نادر، ومذ ذاك صرت أقصد المكان دوماً، وأقضي الوقت في تأملها، وهي تغدو وتروح وتسعى في حرية لبناء الحياة، لا شيء يدفعها إلا إرادتها الحرة، ولا حرية تؤمن بها إلا حرية الطبيعة وحرية الفطرة <<¹.

يتحدث الراوي عن مملكة النمل التي اكتشفها في فناء السجن، حيث باتت تجمعها بالنملات علاقة قوية، يزورها دائماً ويقضي جل الوقت يتأملها، عمد الراوي إلى توظيف أداة النفي والاستثناء حتى ينفى وجود أمور أخرى تدفع النمل إلى بناء الحياة خارج إرادتها الحرة، كما ينفى

¹ المصدر نفسه: ص 79.

وجود حريات تؤمن بها النملات خارج حرية الطبيعة وحرية الفطرة، إذ يحصر الراوي ما تؤمن به النملات من حرية في إيمانها بحرية الطبيعة وإيمانها بحرية الفطرة فقط.

ينفي الراوي بأن تكون هناك دوافع للنمل تدفعها إلى تأسيس حياتها وبيتها عدا دافع الإرادة الحرة، كما ينفي إيمانها بالحرية التي تكون بعيدة عن حرية الطبيعة وحرية الفطرة، جاء الاستثناء هنا لإثبات النفي السابق وقصر وحصر الأمر في إمكانية أو إمكانية معينتين.

النموذج الثامن:

>> ونظّل ندور كحمار الرحي، نسعى على غير هدى، دون أن ندري إلى أين المسير، لا راحة لنفسي إلا في حضن الطبيعة، وانطلقت أجر نفسي بعيدا عن الزيف والعبودية <<¹.

يوجد في قول الراوي عامل حجاجي يتمثل في (لا ... إلا)، حيث ينفي الراوي من خلاله بأن تكون راحته النفسية بعيدا عن الطبيعة، وحصرها في حضنها فقط، كما استخدم الاستثناء المتمثل في (إلا) لإثبات النفي، فهو يرى بأن الطبيعة هي المكان الوحيد الذي يمكنه أن يشعر فيه بالراحة النفسية، في حين كان بإمكانه ذكر أماكن أخرى نظرا لتعدد الإمكانيات إلا أنه اختار المكان الذي يميل إليه.

جاء العامل الحجاجي في هذا النموذج بغرض التعبير عما يختلج في صدره وإقناع المتلقي بأن الطبيعة هي المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون متنفسا للراوي ولغيره.

النموذج التاسع:

¹ المصدر نفسه: ص 102.

>> وفي أعماق ذهني أجزمت أن من أراه اللحظة إن هي إلا الإلهة عشتار، إلهة الفتنة، لا شيء يمكن أن يسرق منا حريتنا إلا مثل هاته الإلهة وأضرابها وقد فضن فتنة لا تقاوم، وسحرا لا يدافع <<1.

يرى الراوي بأنه لا شيء يمكن أن يسرق حريتنا غير الإلهة عشتار وأمثالها من الآلهة، اللاتي يمكن لهن أن يأخذن حرية الرجال من خلال فتنتهن وبهائهن، وجاء العامل الحجاجي (لا ... إلا) لإثبات ذلك، كون أداة الاستثناء (إلا) تثبت النفي الذي يسبقها، والذي تمثل في النفي باستخدام أداة النفي (لا)، ففتنة هذه الآلهة لا تقاوم؛ لأنه ليس لها نظير وفريدة من نوعها، فوجود النفي مع الاستثناء يقوم بقصر وحصر الحرية وزوالها في الوقوع في فتنتهن.

كان بمقدور الراوي أن يجعل الفتنة مرتبطة بأشياء أخرى كالنقود وجمال المرأة الإنسانية وحب الممنوعات المختلفة كالخمر والمخدرات وإلى غير ذلك، لكنه ربطها بالآلهة عشتار ومن يشبهنها من الآلهة اللاتي لا تفوقهن جمالا، واختار الراوي هذا النفي والاستثناء بغرض التأثير في المتلقي الذي يميل إلى المتعة.

العاملان الحجاجيان (ليس ... إلا) و (ما ... إلا):

قبل التطرق إلى وظيفة (ليس) و (ما) حجاجيا باقترانهما ب (إلا) الاستثنائية، علينا التطرق إليهما نحويا حيث >> زعم (سيبويه) أن (ليس) فعل، وزعم أبو علي أنها حرف، ثم قال والذي ينبغي أن يقال فيها، إذا وجدت بغير خاصية من خواص الأفعال، وذلك إذا دخلت على الجملة الفعلية، أنها حرف لا غير، ك (ما) النافية.

ذهب أكثر النحويين أن (ليس) و (ما) الحجازية مخصوصان بنفي الحال، قال " بن مالك " : والصحيح أنهما ينفيان الحال، والماضي والمستقبل، وقد حكى (سيبويه) : ليس خلق الله

¹ المصدر نفسه: ص 118.

مثله، وينبغي أن يُحمل كلام الأكثرين على (ما) إذا لم تقترن به قرينة تخصه بأحد الأزمنة، فيحمل إذ ذاك على الحال، كما يحمل عليه الإيجاب، وقد أشار إلى ذلك " الشلوبين " <<1.

ذهب معظم النحويين إلى أن (ليس) و (ما) الحجازية يعملان نفس العمل، المتمثل في نفي الحال والماضي والمستقبل، حيث أن (ما) تعمل عمل (ليس) بأربعة شروط >> أحدها: أن يكون اسمها مقدما، وخبرها مؤخرا، الثاني: أن لا يقترن الاسم بـ (إن) الزائدة، الثالث: أن يقترن الخبر بـ (إلا)، الرابع: أن لا يليها معمول الخبر وليس ظرفا، ولا جارا ولا مجرور <<2، أما حجاجيا فإن (ما) و (ليس) يعملان نفس العمل باقترانهما بـ (إلا) الاستثنائية، وهما من العوامل الحجاجية التي تعتبر >> ضرب ثان من الصرافم (المورفيمات) المحققة للعاملية الحجاجية، وهو ضرب خاص؛ لأنه يتركب من صرفمين يفيد الأول النفي ويفيد الثاني الاستثناء، إن دخول صرافم من قبل (إن هو ... إلا) أو (ليس ... إلا) أو (ما ... إلا) على ملفوظ مثل (عمرو كاتب) بمقدورها أن تخرجه من الإبلاغية؛ أي من مستوى الإبلاغ والوصف إلى الحجاجية، حيث تكون العوامل المذكورة موجهة لبقية الخطاب نحو نتيجة بعينها وهذه النتيجة أو المفهوم أو الاستلزام واحد في كل الحالات <<3.

يمكن القول أيضا يكون >> الخبر بالنفي والإثبات نحو: إن هو إلا كذا، وما هذا إلا كذا، لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: ما هو إلا مخطئ، أو ما هو إلا مصيب، قُلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قُلته، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلا عمرو، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بعمرو، وأنه شخص آخر، ويجد في الإنكار أن يكون عمرو <<4.

¹ الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 493 - 499.

² ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ط1، 2001، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ص 105.

³ عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 60 - 61.

⁴ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تع محمد محمود شاكر، د . ط، د . ت، مكتبة الخانجي، ص 244.

يقول (يحي بن حمزة) في كتاب الطراز في عمل العامل الحجاجي (ما ... إلا) >> اعلم أن (ما) و (إلا) إذا تركبا في الكلام فإنهما يفيدان الحصر لا محالة، لدينا الحصر في الأسماء: إما في الفاعل كقول ما ضرب زيدا إلا عمرو، فالمعنى في هذا أنه لا ضارب لزيد إلا عمرو، وإما في المفعول كقولك، ما ضرب عمرو إلا زيدا، فالمعنى فيه أنه لا مضروب لعمرو إلا زيد، ولو قلت ما ضرب إلا زيدا عمرو، كانا سواء؛ لأن الغرض هو حصر المفعول.

إن الحصر مختصا ب (إلا)، ولم يكن واقعا قبلها؛ لأن الحصر من إثر (إلا) وأثر الحرف لا يحصل إلا بعده، ولا يكون واقعا قبله، ولدينا الحصر في الصفات، أما حصر الأسماء عليها، فكقولك: ما عمرو إلا واقفا، فإنك نفيت أن يكون زيد على صفة من الصفات إلا صفة الوقوف، وأما حصرها على الأسماء فكقولك: ما واقف إلا عمرو فإنك نفيت أن يكون الوقوف لأحد إلا لعمرو، فالحصر إنما يتناول ما بعد إلا كما قررناه <<¹.

يحمل العاملان الحجاجيان (ليس ... إلا) و (ما ... إلا) في رواية (هاء وأسفار عشتار) نفس الغاية ويؤيدان نفس العمل، ولقد اخترنا عدة نماذج وخصصناها بالدراسة لإبراز مدى صحة ما سبق.

النموذج الأول:

>> كنت في قاعة واسعة ليس بها إلا باب ونافذة صغيرة عليها ستار أحمر سميك <<².

استخدم الراوي العامل الحجاجي المتمثل في أداة النفي (ليس) وأداة الاستثناء (إلا) ليقيد الإمكانيات أمام المتلقي ويحصرها في إمكانية واحدة، ويفرض عليه أن يكون أمام خيار واحد، كما استخدم الاستثناء بالأداة (إلا) لإثبات الإنكار الذي جاء قبلها.

¹ ينظر إلى يحي بن حمزة: الطراز، تح عبد الحميد هندراوي، ج 02، د . ط، د . ت، المكتبة العصرية، بيروت، ص 114 -

115.

² عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 64.

إن الغرض من توظيف العامل الحجاجي (ليس ... إلا) هو غرض تداولي حجاجي، فالمخاطبُ أمام حصر صفات الغرفة والتي تتمثل في وصفها بأنها قاعة تحوي بابا ونافذة صغيرة عليها ستار أحمر سميك، ولأن المتلقي لا يعرف هذه القاعة فهو سيكتفي بهذا الحصر أو التقييد، وما دون ذلك سيكون عبارة عن تكهّنات تحتمل الصدق والكذب.

النموذج الثاني:

>> غير أن قلبي قد امتلأ حقدا على هذا الصياد المغتصب الذي سمح له ضميره بأن يردي ذنبا وديعا ليس في أغلب الحالات إلا للمتعة وإظهار المهارة <<¹.

يُكنُّ الراوي - وقد أصبح ذنبا - عدا شديدا لبني البشر، وخاصة للصياد الذي أطلق الرصاص على زميله الذئب، والذي يعتبره مغتصبا وعدوا له، ويتضح ذلك من خلال قوله: " غير أن قلبي قد امتلأ حقدا على هذا الصياد المغتصب الذي سمح له ضميره بأن يردي ذنبا وديعا ليس في أغلب الحالات إلا للمتعة وإظهار المهارة ".

لقد استخدم الراوي العامل الحجاجي (ليس ... إلا) لينفي وجود أسباب أخرى تدفع الصياد إلى إطلاق الرصاص على الذئب عدا بحثه عن المتعة وإظهار المهارة، فالراوي في هذا القول يحصر ويقيد السبب وراء قتل الصياد للذئب في المتعة وإظهار المهارة فقط.

يحمل هذا العامل (ليس ... إلا) بعدا تداوليا حجاجيا، يحاول الراوي من خلاله إقناع المتلقي والتأثير فيه، وبما أنه وظف الأداة (ليس) لينفي وجود احتمالات أخرى وراء إطلاق الصياد للنار ما عدا السببين المذكورين، فإن الاستثناء بـ (إلا) جاء ليثبت ما سبق نفيه.

النموذج الثالث:

¹ المصدر نفسه: ص 129.

>> وكان يزعمها أن أزعم أمامها أن الحب الذي يمارسه الإنسان ليس هو إلا مجرد امتلاك، ليس هو إلا اغتصاباً للحرية، ليس هو إلا إمعاناً في العبودية <<¹.

إن محاول الراوي إقناع طفلة المدللة بحقيقة الحب تثير إزعاجها، فهو يحكي لمتلقي الخطاب عما كان يزعم طفلة المدللة، واستخدم النفي ب (ليس) لينفي بأن يكون الحب غير مجرد امتلاك واغتصاب للحرية وإمعان في العبودية، فجعل وظيفة الأداة (إلا) الاستثناء واثبات هذا النفي.

الملاحظ أنه عندما تحذف أداة النفي (ليس) تبقى الجملة صحيحة ولا يتغير معناها، ليصبح القول كالاتي: (وكان يزعمها أن أزعم أمامها أن الحب الذي يمارسه الإنسان هو إلا مجرد امتلاك، هو إلا اغتصاباً للحرية، هو إلا إمعاناً في العبودية)، وهذا ما يشكل بعداً تداولياً ويساهم في إقناع المتلقي بما أراد أن يقنع به طفلة المدللة.

النموذج الرابع:

>> وتقدم أحد المهاجمين، يظهر أنه زعيمهم، ووجه إلينا خطاباً جارحاً، فيه شتم وسب ولعن، متهما إيانا بأننا أعداء الدين وبالتالي أعداء الله، وليس لنا إلا خياران، إما أن نرعوياً ونتوب، أو لا مناص له ولأتباعه من قتالنا <<².

تقدم أحد المهاجمين إلى الراوي أثناء دعوته إلى التمرد عن الدين والعادات والتقاليد والضوابط، ووجه إليه كلاماً جارحاً، فيه سب وشتم ولعن، ولقد عمد الراوي في سرده لهذه الأحداث إلى توظيف العامل الحجاجي (ليس ... إلا)، لتقييد الخيارات التي وضعها زعيم المهاجمين، وقصر ذلك على خيارين إما أن يرعوياً الراوي وأتباعه ويتوبوا أو لا مناص له وأتباعه من قتاله.

¹ المصدر نفسه: ص 37.

² المصدر نفسه: ص 62.

إن تقييد المهاجم لاختيارات الراوي وجعله يختار بين أمرين لا ثالث لهما جعل من الاستثناء تأكيدا للنفي الذي قبله، وما دام هناك خياران فللراوي وأتباعه الحرية في الاختيار بين الأمرين، فإما أن يتخلى عن دعوته إلى الحرية والخروج عن الدين والعادات والعرف والتقاليد وإما أن يتعرض للمشاكل هو وأتباعه، وفي هذا الاستثناء تهديد ووعيد.

يرمي الراوي من خلال توظيفه للعامل الحجاجي (ليس ... إلا) إلى إقناع المتلقي بتعرضه وأتباعه إلى الاضطهاد من قبل بعض المهاجمين، الذين جعلوهم مجبورين على الاختيار بين خيارين أحدهما صعب والآخر أصعب، وهذا ما سيجعل المتلقي متشوقا لمعرفة اختيار الراوي وأتباعه، والتساؤل عم سيكون هذا الاختيار ؟.

النموذج الخامس:

>> كجبل تدافعت صخوره وأتريته فجأة لتغتنال كل ما حوله من حياة، وعجلت إلى فراشي لأهرب إلى النوم، وليس في أعماق قلبي إلا طفلة المدللة <<¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن الرسالة التي أرسلتها إليه طفلة المدللة، والتي أثرت فيه كثيرا، وجعلته يشعر بالحزن والألم والرغبة في النوم كوسيلة للهروب من الواقع الذي خسر فيه طفلة المدللة وخسر فيه كل شيء، ويعتبر ذلك دليلا على مدى حبه واشتياقه لها.

وظف الراوي أداة النفي (ليس) لينفي وجود صور أخرى في أعماق قلبه غير صورة طفلة المدللة، فلقد استخدم أداة الاستثناء (إلا) ليحصر ويقيد ما يختلج في قلبه، وإثبات للنفي الذي جاء قبلها، كما وظف النفي والاستثناء ليبين للمتلقي مدى تعلقه بطفلة المدللة واشتياقه لها واختيارها من بين جميع النساء.

النموذج السادس:

¹ المصدر نفسه: ص 112.

>> الدين في حياة البشر هو أكبر السجون وأعتها، وما المذاهب والطوائف والفلسفات إلا أديان بوجه من الوجوه، وما صانعوها إلا لصوص كل همهم سرقة حريات الناس، ورميهم في غياهب العبودية ليسهل استغلالهم <<¹.

أراد الراوي من خلال توظيفه للعامل الحجاجي (ما ... إلا) أن يوصل فكرة معينة للمتلقى، تتمثل هذه الفكرة في نفيه بأن تكون المذاهب والطوائف والفلسفات خارج الأديان، وينفي أيضا أن يكون الغرض من صنعها هو السعي للخير ونشره؛ لأن صانعوها ما هم إلا لصوصا غرضهم هو سرقة حريات الإنسان، وجعله يرضخ للعبودية، مما يسهل عليهم استغلاله بأبشع الطرق.

يقيد ويحصر الراوي من خلال أداة الاستثناء (إلا) المذاهب والطوائف والفلسفات في إمكانية واحدة وهي أن يكونوا أديانا، ومعنى هذا أن الراوي يوجه المتلقي إلى وجهة واحدة، ليصبح الغرض من توظيف العامل الحجاجي (ما ... إلا) هو التأثير في المتلقي وإقناعه بأن هناك حقيقة واحدة ووجه واحد، لما يؤمن به الإنسان من مذاهب وطوائف وفلسفات، وأنها ما هي إلا وجه من وجوه العبودية؛ لأن الراوي يدعو إلى الحرية والتخلص من قيود العبودية، ليكون بذلك الاستثناء إثباتا للنفي الذي جاء قبله.

النموذج السابع:

>> ما أنتِ إلا موقد سرعان ما تخدم ناره في البرد <<².

يقول ققامش موجهها خطابه للإلهة عشتار: " ما أنتِ إلا موقد سرعان ما تخدم ناره في البرد "، حيث شبهها بالموقد؛ إذ استخدم الأداة (ما) لنفي أن تكون عشتار غير ذلك، واستخدم

¹ المصدر نفسه: ص 46.

² المصدر نفسه: ص 140.

أداة الاستثناء (إلا) لقصر وتقييد الـ (أنتِ) في الموقد الذي سرعان ما تخدم ناره في البرد، وبما أن القول هو صورة بيانية فإن قلقامش أراد من خلاله أن يقول بأن الإله عشتار ضعيفة في وقت الشدائد، ولا تستطيع الحفاظ على دفئها؛ لأنها دون مشاعر، فمشاعرها مزيفة ولا تملك قلبا يحس ويشعر بالآخرين، كما جاء هذا الاستثناء لإثبات النفي الذي سبقه.

النموذج الثامن:

>> ما كنت أفعل إلا ما فعله سيزيف، وقد حكمت عليه الآلهة بالشقاء الأبدي <<¹.

يشبه الراوي نفسه في هذا النموذج بسيزيف الذي حكمت عليه الآلهة بالشقاء الأبدي؛ إذ حكمت عليه بحمل صخرة من أسفل الجبل إلى قمته، وإعادة الكرة كل مرة للأبد، ولقد استخدم الراوي الأداة (ما) لينفي فعل شيء مغاير للشيء الذي فعله سيزيف، كما وظف أداة الاستثناء (إلا) لحصر وتقييد فعلته فيما فعله سيزيف؛ حيث بات يشبهه في العذاب.

لقد وضع الراوي المتلقي أمام إمكانية واحدة، وهي أن يكون شبيها لسيزيف فقط، وبالتالي سيصبح بمقدور المتلقي أن يعرف حجم العذاب الذي يعاني منه الراوي.

يمكن لمتلقي الخطاب أن يحذف أداة النفي (ما) دون أن يتغير معنى الجملة، ولقد وظف الراوي أداة الاستثناء (إلا) لإثبات النفي الذي قبلها والتأثير في المتلقي وإقناعه بالشيء الذي كان ينكره.

العامل الحجاجي (لم ... إلا):

تعرف (لم) نحويا بأنها >> حرف نفي وجزم وقلب <<²، حيث >> يقوم النفي بالأداة (لم) بسلب الحدث زمن وقوعه والذهاب به إلى الماضي مع تغيير دلالة الفعل ليحمل معنى الدلالة

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 145.

² إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ط 1، 1983، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص 474.

المضادة، حيث تعمل (لم) كوسيلة تعبيرية على إرجاع زمن المضارع إلى زمن الماضي، وذلك بمحاصرته تعبيريا وجذبه من زمن التحقق والإنجاز إلى زمن الانقطاع واللاوقوع، فهي تسلب من الفعل حديثه، وتنقله إلى زمن الماضي، ولذلك تسمى: حرف نفي، وجزم، وقلب، فهي تقلب المضارع من الحاضر إلى الماضي المتصل بالحال <<¹.

يمكن القول أن اقتران الأداة (لم) بأداة الاستثناء (إلا) سيساهم في نفي وقلب الحدث مع تقييد الفكرة المطروحة، حيث يعتبر العامل (لم ... إلا) >> عاملا حجاجيا مهما بما يقصر من شيء على شيء آخر في بنية الخطاب، وتكون الفكرة المشتركة بين كل من المخاطب والمخاطب هي المسار الذي يؤدي إلى نتيجة واحدة، حيث يقوم هذا العامل الحجاجي بتقييد الفكرة المطروحة، والضغط على محتواها الخبري لكي يجعل المخاطب يلتفت إليها فلعله يقتنع ويقر بها؛ لأن القصر بالعامل الحجاجي يكون للأمر الذي ينكره المخاطب، ويشك فيه فكثيرا ما يستخدم العامل الحجاجي (لم ... إلا) في توجيه القول إلى وجهة واحدة، نحو ما يصدق به المتحدث، ويريد أن يثبته للمستمع <<².

لقد حضر العامل الحجاجي (لم ... إلا) بكثرة في رواية (هاء وأسفار عشتار)، مما جعلنا نختار عدة نماذج ونخصصها بالدراسة، ونبيّن من خلالها كيف يعمل هذا العامل الحجاجي على تقييد الفكرة وإيصال المتلقي إلى نتيجة واحدة.

النموذج الأول:

¹ عالية قري: دلالاتية النفي وفاعلية السلب الزمني في ديوان " قرابين لميلاد الفجر " لعز الدين ميهوبي، مجلة النص، أم البواقي، مج 10، ع 02، 2024، الصفحات 317 - 331، ص 324.

² مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ط1، 2015، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ص 108 - 109.

>> كان ظن والدتي يتأرجح بين ابنة عم والدي وقد كانت تسعى أن تحظى بوالدي زوجها لها قبل أن تختطفه والدتي، وبين إحدى صديقاتها التي تظهر لها مودة وتبطن لها فيما تزعم حقدا وكرها، ولم تكن صورة الولد الصغير إلا لابن إحداهما <<¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن ذلك اليوم الذي أحضرت فيه والدته عرافا إلى البيت، والذي اعتقدت فيه بأن الخاتمين مدفونان بالحديقة، ولأن العراف رسم لها صورة ولد صغير، اعتقدت بأنه ابن إحدى صديقاتها أو ابن ابنة عم زوجها التي كانت تحبه.

وظف الراوي العامل الحجاجي (لم ... إلا) لينفي بأن تكون هذه الصورة لولد آخر غير ابن إحداهما، حيث حمل الفعل (تكن) دلالة الماضي، ونفي بأن يكون الولد ابن امرأة أخرى؛ بمعنى أن أداة النفي (لم) قيدت المعنى في دلالة واحدة، كما حصرت أداة الاستثناء (إلا) الحدث في إكثنتين، فإما أن يكون هذا الطفل ابن صديقتها وإما أن يكون ابن ابنة عم زوجها.

لم تضع والدة الراوي احتمالا ثالثا بأن يكون صاحب الرسم هو ابنها، ربما يعود السبب في ذلك لمدى وثوقها به، وربما لأنها لم تتوقع ذلك، ويضع الراوي المتلقي أمام عاطفة الزوجة التي تغار على زوجها، وتربط الأحداث التي وقعت في الحاضر بالماضي، وبين عاطفة الأمومة التي ترفض الشك في ابنها وتشك في أبناء الأخريات، كما جاء الاستثناء بـ (إلا) لإثبات النفي الذي قبله.

النموذج الثاني:

>> أما أنا فلم أكن أفكر إلا في الجدي المسكين لدرجة أنني لم أنم تلك الليلة إلا متأخرا <<².

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 29.

² المصدر نفسه: ص 29.

ينفي الراوي في قوله: " أما أنا فلم أكن أفكر إلا في الجدي المسكين لدرجة أنني لم أنم تلك الليلة إلا متأخراً " باستخدام أداة النفي (لم) تفكيره في شيء آخر غير الجدي المسكين، كما يحصر ويقيد بتوظيفه لأداة الاستثناء (إلا) تفكيره فيه دون سواه، إضافة إلى أنه استخدم الأداتين (لم) و (إلا) لينفي قدرته على النوم ويقصر ويقيد نومه بالساعة المتأخرة من الليل.

الملاحظ أن الراوي لا يشعر بذنب ما اقترفه، ولكنه يشعر بالحسرة على الجدي الذي ذبح كقربان من أجل استرجاع الخاتمين، ويضع الراوي المتلقي أمام احتمال واحد وهو التفكير في الجدي فقط، وإمكانية واحدة وهي النوم متأخراً، والغرض من ذلك هو التأثير فيه وإقناعه بأنه غير نادم على فعلته، وأنه يشعر فقط بالأسف على الجدي المسكين، فلو كان يشعر بالذنب لاعتترف بذنبه، ولما ترك الفرصة للعراف حتى يذبحه، كما جاء الاستثناء ليثبت النفي الذي قبله.

النموذج الثالث:

>> ورحلت أسرد عليها قائمة طويلة من هؤلاء، وكثير منهم طرد من المؤسسات التعليمية التي لم تكن بالنسبة إليهم إلا سجنًا، ولم يكن معلومها إلا زبانية مهما ارتقوا في درجات العلم والشهادات <<1.

يعتبر الراوي العباقرة متمردين عن الدين والعادات والتقاليد، ولهذا راح يسرد على طفله المدللة قائمة طويلة من هؤلاء، وأخبرها بأن كثيرا منهم قد طرد من المؤسسات التعليمية، وينفي أن تجمع بين هؤلاء العباقرة وهذه المؤسسات التعليمية أي علاقة طيبة؛ لأنها بالنسبة لهم عبارة عن سجن، ولقد ساهمت أداة الاستثناء (إلا) بحصر وتقييد إمكانيات واحتمالات أن تكون غير ذلك، كما ينفي الراوي باستخدامه أداة النفي (لم) بأن يكون معلومها محترمين، فهو يصفهم بأنهم

¹ المصدر نفسه: ص 39.

زبانية ويقيدهم في هذه الصفة باستخدام أداة الاستثناء (إلا)، لقد كان بمقدوره أن يفهم بصفة أخرى غير هذه الصفة، ف جاء هذا الاستثناء كإثبات لما سبقه من نفي.

جعل الراوي العامل الحجاجي (لم ... إلا) مساعدا له في إيصال المعنى إلى المتلقي والتأثير فيه وإقناعه وحصر الإمكانيات أمامه في إمكانية واحدة.

النموذج الرابع:

>> مدت طفلي المدللة يديها فاحتضنت يدي وأشرقت علي بابتسامة نقلت عدواها إلي فصمت، وابتسمت وسرى في جسدي تيار من الانتشاء، وسريعا راحت ترجوني أن أكف عن هذا الجنون وأعود إلى مدرجات الجامعة، لم يكن يعينها إلا أن أعود لنكون قريبين من بعض <<¹.

حاولت الطفلة المدللة إقناع الراوي بالرجوع إلى الجامعة، والكف عن تمرده وإصراره على عدم الرجوع إليها، وفي قول الراوي: " لم يكن يعينها إلا أن أعود لنكون قريبين من بعض " نفي باستخدام أداة النفي (لم)، فالراوي ينفي أن يكون هناك سبب وراء إصرار طفلة المدللة على عودته للجامعة عدا أن يظل بقربها، والواضح أن دخول (لم) على الفعل المضارع (تكن) جعلته حاملا لدلالة الماضي، كما استخدم الراوي أداة الاستثناء (إلا) ليحصر ويقيد رغبة طفلة المدللة في عودته إلى مدرجات الجامعة في نفس الدلالة السابقة، حيث جاء الاستثناء لإثبات هذا النفي.

وظف الراوي العامل الحجاجي (لم ... إلا) لغاية النفي والاستثناء اللذين يحملان بعدا تداوليا يؤثر من خلالهما في المتلقي، ويقنعه بأن الهدف الوحيد لطفلة المدللة هو أن تظل قربه ومعه؛ لأنها تعشقه ولا تستطيع العيش دونه.

النموذج الخامس:

¹ المصدر نفسه: ص 39.

>> أدرك أنها تحبني وأن قلبها الصغير لم ينبض إلا على إيقاع حبي مذ كنا صغيرين ندرج من حيناً إلى المدرسة ونعود منها إليه <<¹.

يتحدث الراوي في هذا النموذج عن طفلة المدللة التي يدرك جيداً بأنها تحبه، فيقول: " أدرك أنها تحبني وأن قلبها الصغير لم ينبض إلا على إيقاع حبي مذ كنا صغيرين ندرج من حيناً إلى المدرسة ونعود منها إليه "؛ إذ ينفي الراوي من خلال توظيفه لأداة النفي (لم) في هذا القول أن تكون طفلة المدللة عاشقة لغيره؛ لأنها حسب وجهة نظره لا تحب سواه، كما استخدم أداة الاستثناء (إلا) ليقيد مشاعرها ويخص بها نفسه، وجاء هذا الاستثناء لإثبات النفي الذي قبله.

يخبر الراوي المخاطب بأنه يعلم جيداً بأن طفلة المدللة تحبه منذ كانا صغيرين وكان يذهبان معاً إلى المدرسة، كما استخدم الراوي العامل الحجاجي (لم ... إلا) ليبين للمتلقى مدى تعلق طفلة المدللة به، والغرض من ذلك هو الافتخار ومحاولة التأثير فيه.

النموذج السادس:

>> حاولت أن أقنعه أننا بأفكارنا الجديدة نسعى كي ننقذ البشرية من العبودية وبالتالي من العداوات والبغضاء، ومن حروب عالمية قادمة ستأكل الأخضر واليابس، والدليل أن الحروب المدمرة على مدى تاريخ البشرية لم يكن لها من دوافع إلا خزعبلات آمن بها الناس قادمة إليهم من أوهام الدين والمذاهب والطوائف والأعراق وحدود الأوطان رسمناها وتقاتلنا من أجلها <<².

يحاول الراوي إقناع الضابط بأفكاره الجديدة التي تدعو إلى التمرد والثورة ضد كل شيء، ولقد وظف الرابط الحجاجي المتمثل في (لا ... إلا) لينفي وجود دوافع أخرى للحروب المدمرة على مدى تاريخ البشرية غير إيمانهم بالخزعبلات، حيث حصر وقيد الراوي سبب هذه الحروب

¹ المصدر نفسه: ص 41.

² المصدر نفسه: ص 52.

في ذلك؛ لأنه يرى بأن الإنسان آمن بها وصدقها، بعد أن تعلمها من أوهام الدين والمذاهب والطوائف والأعراف.

أراد الراوي من خلال النفي بـ (لم) والقصر بـ (إلا) إقناع الضابط أولاً والمتلقي ثانياً بمبادئه التي تنفي وجود الدين والعادات والتقاليد والقوانين والضوابط التي تحكم المجتمع، ويرى بأنها من برائن العبودية، كما يسعى إلى التأثير في المخاطب وتضييق الإمكانات أمامه، وجاء الاستثناء لإثبات النفي الذي قبله.

النموذج السابع:

>> مددت أصابعي إلى عيني المرتعشتين، كانت دموعي تنهمر على خدي كحمم ملتهبة، وفي الوتين غصة، وفي الفؤاد حريق، كأن الدموع لم تكن إلا شرراً من نحاس مذاب <<¹.

يصف الراوي شعوره عندما قرأ رسائل طفلته المدللة التي كانت ترسلها إليه وهو في السجن، والتي كانت تعبر فيها عن مدى حبها واشتياقها له، لقد تأثر الراوي كثيراً بما جاء فيها إلى درجة أنه بات يبكي بحرقة، وبات يشعر بغصة في حلقه وفؤاده.

استخدم الراوي أداة النفي (لم) لينفي أن تكون الدموع غير شرار من نحاس مذاب، كما استخدم أداة الاستثناء (إلا) ليحصر الدلالة في ذلك، ويرمي من خلال توظيفه لهذه الصورة (كأن الدموع لم تكن إلا شرراً من نحاس مذاب) ككناية عن كثرة الدموع التي نزلت على خده؛ لأن كثرة الدموع جعلت خده يصاب بحروق بليغة، فجاء الاستثناء لإثبات النفي الذي قبله، كما جاء العامل الحجاجي (لم ... إلا) ليصور الراوي من خلاله صورة هذه الدموع التي سيرها المتلقي بأنها دموع مؤذية، والغرض من ذلك هو التأثير في المتلقي وإقناعه بمدى تعلقه بطفلته المدللة.

النموذج الثامن:

¹ المصدر نفسه: ص 112.

>> على يد حانية استيقظت من نومي العميق، وقد امتلأت راحة وغبطة، وراحت الأصابع البضة الممتدة من بعيد تجوس خلال كل جسدي، وما كدت أتبين حتى اندفعت معتدلاً في جلستي، وقد غشيني الخوف الزؤام، لم تكن الأصابع البضة الفاتنة إلا أصابع عشتار، إلهة تمتد على ملكوتها المرصع بالجواهر والدر والذهب، والمتوهج بالنور والجلال <1.

يحكي الراوي للمتلقي عن اليد الحانية التي أيقظته من نومه، والتي راحت تلمس سائر جسده، إلى درجة أنه أصابه الخوف والهلع عندما اعتدل في جلسته ورأى الإلهة عشتار ممثلة أمامه، ولقد استخدم أداة النفي (لم) لينفي بأن تكون هذه الأصابع الرقيقة والفاتنة غير أصابع الإلهة عشتار.

حمل الفعل المضارع (تكن) دلالة الماضي لدخول أداة النفي والجزم والقلب (لم) عليه، كما حصر وقيد الراوي هذه الأصابع الفاتنة في إمكانية واحدة وهي أصابع الإلهة عشتار، ولا أحد سواها، حيث لا يمكن أن تكون هذه الأصابع أصابعاً بشرية لمدى نعومتها وجمالها، وجاء هذا الاستثناء بـ (إلا) لغاية الحصر والتقيد وإثبات النفي الذي قبله.

استخدم الراوي العامل الحجاجي المتمثل في النفي والاستثناء من أجل التأثير في المتلقي وإقناعه بأن ما رآه حقيقة وبأن الإلهة عشتار معجبة به، ولكن لا يمكن للمتلقي أن يقتنع بذلك بسهولة، كما لا يمكن له أن يصدق بأن من رآها الراوي هي الإلهة عشتار، كون المتلقي تتحكم فيه عقيدته ودينه وعاداته وتقاليده واعتقاداته، وهذا ما يجعل نسبة التأثير تتراوح بين السلب والإيجاب؛ لأنه لا يمكن لإنسان يملك عقيدة إسلامية أن يقتنع بذلك في حين يمكن لإنسان يحمل ديانة مغايرة أن يؤمن بما آمن به الراوي.

¹ المصدر نفسه: ص 138.

اشتركت هذه النماذج المختارة تقريبا في توظيف الروائي لنفس الفعل المضارع وهو (تكن) أو (يكن)، والذي جاء بعد أداة النفي والجزم والقلب والمتمثلة في الأداة (لم)، حيث حمل هذا الفعل دلالة الماضي، ليكون العامل الحجاجي (لم ... إلا) عاملا حجاجيا تداوليا يحصر الحدث في إمكانية واحدة أو إمكائيتين ومحاولة إقناع المتلقي بها والتأثير فيه؛ إذ جاءت الأداة (لم) للنفي والأداة (إلا) للاستثناء وإثبات النفي الذي قبلها.

لقد كان لوجود العوامل الحجاجية في رواية (هاء وأسفار عشتار) أثر بارز في تشكيل البعد الحجاجي والتداولي، ولقد اخترنا دراسة (النفي والاستثناء) كونه سمة بارزة في الخطاب، واخترنا عوامل حجاجية دون غيرها لنفس السبب.

ننتقل الآن إلى الفصل الخامس والأخير والذي سنعالج فيه الاستلزام الحوارية في رواية (هاء وأسفار عشتار)، والذي تطرقنا من خلاله إلى قواعد الاستلزام الحوارية، والاستلزام الحوارية والاستفهام، الاستلزام الحوارية والاستعارة، الاستلزام الحوارية والكناية.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: الاستلزام الحواري في رواية " هاء وأسفار عشتار "

- 1 - مفهوم الاستلزام الحواري:
- 2 - نشأة الاستلزام الحواري:
- 3 - مبدأ التعاون:
- 4 - نماذج عن قواعد غرايس الأربعة:
- 5 - الاستلزام الحواري والاستفهام:
- 6 - الاستلزام الحواري والاستعارة:
- 7 - الاستلزام الحواري والكناية:

الفصل الخامس: الاستلزام الحواري في رواية " هاء وأسفار عشتار ":

1 - مفهوم الاستلزام الحواري: Conversational Implicature

إن >> مبدأ الاستلزام الحواري أصيل في التراث العربي، حيث يقول (الرازي): إن اللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى إلى لازمه، وهذا الانتقال يعني عدم وجود الافتراض في معنى الجملة، ولكنه اتصل بها برابط طبيعي أو عقلي أو اجتماعي، وهو ما يسمى عند عبد القاهر بمعنى المعنى، يقول (الجرجاني): إن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ. أما معنى المعنى فهو أن تفهم من اللفظ معنى، ثم يؤدي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، يعني ذلك أن الاستلزام الحواري هو حلقة الوصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن في شكل الجملة، ويعد من أهم جوانب البحث التداولي الذي يستعين بالسياق لمعرفة المعنى <<¹.

يعني ذلك أن الاستلزام الحواري يتجاوز المعنى القضوي للجملة إلى معنى آخر يحدده السياق والموقف المحيط بالتلفظ، كما يمكن القول أيضا بأنه >> في مؤلفات الأصول والمنطق والبلاغة، تستخدم كلمة (اللزوم) أو (الاستلزام) للدلالة على الاستدلال المنطقي والاستدلال التداولي بشكل عام دون التفرقة بينهما. ونظرا للاختلاف الجوهرى بينهما، أخذ بمصطلح (الاقتضاء) المُستعمل في أصول الفقه بمعنى شبيه بمفهوم (غرايس)، للدلالة على الاستدلال التداولي، وحصرت لفظة (اللزوم) بالاستدلال المنطقي وحده <<²، و >> بما أن اللزوم المنطقي هو محور علم المعاني، فكذلك الاستلزام الحواري الذي يعتبر من أهم المفاهيم التي تتأسس عليها التداوليات، ومع أن هناك تقارب بين هذين المفهومين، إلا أن هناك فوارق حاسمة دعت الفيلسوف الأمريكي (غرايس) (Paule Grice) - واضع هذا المفهوم - إلى اشتقاق مصطلح جديد من

¹ ينظر إلى محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 86 - 87 .

² ينظر إلى عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ط1، 2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ص 7.

المصدر implicate نفسه، وتخصيص عملية الاستدلال التي تجري في التداول اللغوي باسم implicature، تمييزاً لها عن implication المتعارف عليها <<1.

يستند الاقتضاء بعيداً عن اللزوم >> على مبادئ عامة توجد خارج تنظيم اللغة، وتهدف إلى الاتصال القائم على التعاون، ومع ذلك فللاقتضاء تأثير فعال على بنية اللغة ذاتها <<2.

يفرق (محمود عكاشة) في كتابه الموسوم ب: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ بين مصطلح الاستلزام الحواري والاقتضاء، حيث يتغير مفهوم الاستلزام الحواري حسب السياق الذي ترد فيه العبارة، أما مفهوم الاقتضاء فلا يتغير بتغير السياق الذي ترد فيه العبارة ويبقى على حاله، ويتضح ذلك في قوله معرفاً للاستلزام الحواري: هو >> المعنى المستفاد من السياق، ويعتبر من أهم المبادئ التداولية، ويعني أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات الحوارية، وصحة القول وقبوله من المتكلم ومناسبته مستوى الحوار، فبعض جمل اللغات الطبيعية، في بعض المواقف، تدل على معنى مغاير لمعنى تركيبها اللفظي، ويختلف مفهوم الاستلزام عن مفهوم الاقتضاء، فالاستلزام مفهوم لساني تداولي يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية، والاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغير بتغير ظروف استعمال العبارة، فهو ملازم لها في جميع الحالات والأحوال <<3.

إن الاستلزام الحواري >> من أهم المظاهر اللغوية في الدرس التداولي الغربي الحديث، وهو لزوم شيء عن طريق التلفظ بشيء آخر، أو قل إنه شيء يقصده المرسل ويقترحه ويوحى به ولا يكون جزءاً مما تقصده الجملة بصورة حرفية، يعني أن جمل اللغات الطبيعية في بعض

¹ العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 17.

² عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص 7.

³ محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 86 - 87 .

المواقف تدل على معنى غير محتواها القضوي، أي أن هناك جملا تدل على معنيين في الوقت ذاته، أحدهما حرفي والآخر مستلزم <<¹.

2- نشأة الاستلزام الحواري:

تعود نشأة البحث في الاستلزام الحواري إلى (بول غرايس) (H . P Grice) الذي >> عمل مع (أوستين) في أوكسفورد في الأربعينيات والخمسينيات، ويقوم عمله على المبدأ التعاوني، والمبادئ الأساسية للمحادثة المرتبطة به على أعراف فلسفة اللغة العادية ذاتها. وكمثل (أوستن) من قبل، دُعي (غرايس) لإعطاء محاضرات (وليام جيمس) في جامعة هارفارد، وقد كان هناك في 1967 أن خطط لنظريته عن الإضمار، نشرت نسخة موجزة لها في عام 1975 في بحث بعنوان (المنطق والمحادثة) <<²؛ إذ >> يسجل هذا المقال تطورا في مفهوم الدلالة غير الطبيعية ويصوغ مقارنة لإنتاج الجمل وتأويلها غير تواضعية حصرا. وقد أدخل فيه (غرايس) مفهومين مهمين هما: الاستلزام الخطابي ومبدأ التعاون.

كان (غرايس) قد فهم أن تأويل وتفسير جملة ما غالبا ما يتجاوز كثيرا الدلالة التي تعود إليها بالمواضعة. ولهذا السبب يمكن التفريق بين القول والجملة، فالجملة هي مجموعة من الكلمات التي يمكن لعمره أو زيد التلفظ بها في ظروف متنوعة ولا تتغير بتغير هذه الظروف، أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة وهو يتغير بتغير الظروف والقائلين <<³.

يعني (بول غرايس) أن السياق هو الذي يتحكم في الدلالة، وأن الجملة في محتواها القضوي وفي دلالتها الطبيعية لا تتغير وإن تغير السياق، بينما الجملة كقول يتغير معناها بتغير السياق حيث >> بيّن بأن فهم الملفوظات وتأويلها أثناء عملية التخاطب لا يعتمد دائما على

¹ ينظر إلى حفناوي شيخة: دلالة انحراف بنية الاستفهام في القرآن الكريم في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة النص، أم البواقي، مج 08، ع 02، 2022، الصفحات: من 298 - 316، ص 299.

² جيني توماس: المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ط 1، 2010، دار الزهراء، الرياض، ص 75.

³ ينظر إلى آن روبرول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس، ص 54 - 55.

معناها الطبيعي التواضعي. وينبني هذا الحكم على ملاحظة استأثرت باهتمام (غرايس) تتمثل في دلالة الفعل to mean في الإنجليزية؛ إذ يرد بمعنى دل وأشار تارة، ويأتي بمعنى قصد تارة أخرى. من هذا المنطلق عمل (غرايس) على التفريق بين نوعين من الدلالة هما الدلالة الطبيعية الوضعية والدلالة غير الطبيعية. ويتمثل الفرق بينهما في كون الكلمات في الدلالة الطبيعية تدل على ما وضعت له في أصل اللغة، إنها عبارة عن المحتوى القضوي للجملة في قوتها الإنجازية الحرفية <<¹.

بناء على ذلك >> وحتى يتمكن المؤول من الوصول إلى فهم صحيح للجملة المستلزمة حوارياً، حاول (غرايس) أن يضع العبارات اللغوية في قوالب تسهل على المؤول استخلاص المعنى، فقسم الاحتمالات الدلالية للعبارة إلى قسمين:

معان صريحة: وهي المدلول عليها بصيغة الجملة نفسها، وتحتوي على ما يلي:

أ- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة ترتبط مع بعضها البعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية معينة.

معان ضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، والتي يحددها السياق، أو التوجه إليها، وتحتوي ما يلي:

أ- معان عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً، وتلازم الجملة ملازمة في سياق معين.

¹ جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 99 - 100.

ب- معاني حوارية: هي التي تتولد طبقاً للظروف التي تنجز فيها الجملة مثل الدلالة الاستلزامية <<1.

يساعد هذا التقسيم الذي وضعه (بول غرايس) للدلالة القارئ على فهم الجملة من خلال تمييزه بين البنية السطحية والبنية العميقة، يكون المعنى في البنية السطحية كظاهر الجملة، بينما يكون المعنى في البنية العميقة خفي، يحتاج إلى مؤول وقارئ حذق لاستخراجه.

>> لنعد إلى مفهوم الاستلزام الخطابي ومفهوم التعاون، يفترض (غرايس) أن المتحاورين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية متعاونة وعقلانية لتسهيل تأويل أقواله. يشرح (غرايس) هذا المبدأ مقترحاً أربع قواعد متفرعة منه، من المفترض أن يستغلها المتخاطبون وأن يحترموها <<2.

3 - مبدأ التعاون: Cooperative Principel

>> لما كان التخاطب يفتضي اشتراك جانبيين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو قل: (فائدتها التواصلية) نسميها (قواعد التبليغ) كما وجب أن تنضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية أو قل (التعاملية) نسميها (قواعد التهذيب).

ووفقاً لذلك يمكننا أن نصنف مبادئ المحادثة إلى مبادئ تعود إلى الجانب التبليغي، ويمثلها مبدأ التعاون، ومبادئ تعود إلى الجانب التهذيبي، ويمثلها مبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه <<3، لكن >> (غرايس) لم يتطرق، بالتفصيل، للقواعد التي تبين كيفية التعامل بين

¹ أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، 2015، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ص 24.

² ينظر إلى آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس، ص 54.

³ هيا راشد الزهير: الحكم العطائية دراسة تداولية، ط1، 2015، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إريد - الأردن، ص 179 -

المتخاطبين؛ لأن اهتمامه كان منصبا على كيفية صياغة إطار لتأويل، بل وتبرير عدم مطابقة معنى المَخَاطَبُ لدلالة الخطاب الحرفية، فيما عُرِف في عمومها بالاستلزام الحواري، الذي يستلزم الرجوع لهذه القواعد الحوارية لمعرفة، وعلى هذا فإن التعاون وقواعده يصبان على المعنى.

ومع ذلك فقد أشار إلى ضرورة اعتبار بعض القواعد والتوصيات الأخرى، التي يدعي أنها لم تغب عنه، وإن كان لم يقعد لها، أو يفصل الأمر فيها، وذلك بقوله هناك - بالطبع - أنواع لكافة القواعد الأخرى، (أخلاقية، جمالية، اجتماعية)، مثل (لتكن مؤدبا)، التي يراعيها المتخاطبون عادة في تبادلاتهم التخاطبية، والتي قد تولد معاني مستلزمة غير عرفية <<¹.

لقد >> ميز (بول غرايس) إلى جانب هذا المبدأ أربعة أصناف للقواعد وهي مستقاة مما وضعه الفيلسوف (كانط) <<²، وتتمثل في >> أن مشاركتك الحوارية تطابق ما هو مطلوب من طرفك في الميدان الذي تصله، في إطار الاتجاه أو الهدف الذي يقبله التبادل الكلامي الذي تساهم فيه:

1- مبدأ الكيفية: أن تكون مشاركتكم صادقة.

لا تثبتوا ما تعوزكم فيه الحجج.

لا تثبتوا ما تعتقدون أنه كاذب.

2- مبدأ الكمية: أن تشتمل مشاركتكم على أخبار قدر المطلوب (لكي تعتبر مناسبة للتبادل).

أن لا تشتمل مشاركتكم على أخبار أكثر من المطلوب.

3- مبدأ الطريقة: أن تتحدث بوضوح.

تجنبوا الإبهام.

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 96 - 97.

² خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 79 - 81.

تجنبوا الحديث بغموض.

كن منهجيا.

أن تكون موجزا (لا تكن مطنبا أكثر من الضرورة).

4- مبدأ العلاقة: تحدثوا فى الوقت المناسب وبكيفية ملائمة <<1.

ظهرت هذه المبادئ أو القواعد لتضبط العملية التواصلية، التى لا تكون إلا بوجود التفاعل بين المخاطب والمخاطب، >> يقوم التواصل التفاعلى على المشاركة القائمة على الحوار بين طرفين على الأقل أو على متكلم ومخاطب، ولكون التخاطب يقوم على المشاركة والتفاعل وجب أن تكون هناك ضوابط تحدد مسار هذا التفاعل التخاطبى، ليحقق غايته النفعية، ومبادئ تضبط حدود قواعده التهذيبية والأخلاقية حتى لا يخرج التخاطب عن حدوده المعقولة، ويفقد فعل التواصل فاعليته وأثره <<2.

رغم أن (بول غرايس) لم يتحدث عن القواعد التهذيبية أو قواعد التأدب إلا أنه انتبه إليها فيما بعد، وهى ضرورية فى عملية التخاطب؛ لأن هناك علاقة بين المتخاطبين، ويتم احترام هذه العلاقة بمراعاة القواعد التى وضعها (بول غرايس).

ربما يعود السبب وراء تجاهل (بول غرايس) الحديث عن قواعد التهذيب، وتحدثه عن قواعد التعاون إلى اعتبار أن قواعد التهذيب حتمية وبديهية، ولهذا لم يشر إليها فى البداية، وسنتطرق إلى نماذج مختلفة من روىة (هاء وأسفار عشتار) ونبحث عن القواعد التى وضعها، وننظر ما إذا قام الروائى (عز الدين جلاوجى) بكسر هذه القواعد وخرقها أم أنه حافظ عليها وقام بمراعاتها، ونبحث عن العلاقة التى تربط بين بطل الرواية المسمى (بالراوى) وبطلتها

¹ أ . مولز وآخرون: فى التداولية المعاصرة والتواصل، تر محمد نظيف، د . ط، 2014، أفريقيا الشرق، المغرب، 132 - 133.

² هيا راشد الزهير: الحكم العطائية دراسة تداولية، ص 179.

المدعوة بـ (الطفلة المدللة) وبقية الشخصيات الأخرى، كما سنتطرق إلى الاستلزام الحواري والاستفهام والاستلزام الحواري والاستعارة والاستلزام الحواري الكناية.

4 - نماذج عن قواعد غرايس الأربعة:

لقد قمنا باختيار نماذج من رواية (هاء وأسفار عشتار) من أجل إبراز قواعد التعاون، والبحث عما إذا تم خرقها أو تم مراعاتها، وهل المعنى كان واضحاً وصريحاً أم أنه ضمني يفهم من سياق الخطاب، كما استخرجنا العديد من النماذج وبحثنا من خلالها عن الاستلزام الحواري والاستفهام، والاستلزام الحواري والاستعارة، والاستلزام الحواري الكناية.

النموذج الأول:

>> كنت متعباً جداً يلف اليأس قلبي كأنه سلك معدني شائك، فأحس برجفة دامية في كل جسدي، قضيت في هذا المكان أكثر من خمس سنوات، أفصد ستين شهراً وثلاثة عشرة يوماً وخمس ساعات ويضع دقائق، تجاوزت الآن الستة والعشرين شتاء، كأنها القرن، فلماذا يريدونني أن أغادر هذا المكان وقد ألفتُه <<¹.

أراد الراوي من خلال هذا القول أن يعبر للمرسل إليه عن حالته النفسية والجسدية حيث أخبره بأنه يعاني من تعب شديد، أصاب نفسيته التي باتت مرهقة، فشبّه اليأس الذي يختلج قلبه بالسلك المعدني الشائك، ومن خصائص هذا السلك أنه يؤدي لأمسه، فإذا وضع يده عليه تأذى، وغالباً ما يستخدم هذا السلك المعدني الشائك في حراسة البيوت، حتى لا يتمكن السارق من اختراقها، نظراً للألم الذي يسببه، كما يستخدم هذا السلك للفصل حدودياً بين الدول، ويستخدم في القديم في الحروب الدامية، حيث يتم إحاطته بسلك كهربائي، إن التعب الذي أصاب الراوي جعله يحس برجفة في سائر جسده، وغالباً ما تكون هذه الرجفة متعلقة بالزكام والحمى إلا أن الراوي صرح بأن هذه الرجفة لم يكن سببها المرض، بل كانت بسبب إحساسه بالإرهاق النفسي.

¹ عزالدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 12.

جاءت الجملة التي تلت هذا الوصف اختراقاً لقاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي قاعدة (العلاقة)، فلقد انتقل الراوي بالقارئ أو المتلقي إلى موضوع آخر يتمثل في حديثه عن المكان الذي عاش فيه، فهو لم يصرح مباشرة بأن سبب هذا الألم والرجفة التي أصابته هو المكان الذي سكنه لسنوات عديدة وتعلق به؛ إذ انتقل مباشرة للحديث عن موضوع مغاير، تحدث بداية عن شعوره الداخلي بالألم ثم انتقل للحديث عما سببه هذا الألم جسدياً، ثم انتقل مباشرة للحديث عن السجن، وهذا ما سيفتح أمام المتلقي استفساراً عن علاقة المكان بما سبق ذكره.

تم أيضاً خرق قاعدة أخرى من قواعد الاستلزام الحواري وهي قاعدة (الكم)، فلقد كان بمقدور الراوي الاكتفاء بقوله: " قضيت في هذا المكان أكثر من خمس سنوات "، بدل الدخول في التفاصيل أكثر؛ لأن هذه المدة كافية ليدرك المتلقي من خلالها مدة مكوث الراوي في السجن، ففي قوله: " أقصد سنتين شهراً وثلاثة عشرة يوماً وخمس ساعات وبضع دقائق، تجاوزت الآن الستة والعشرين شتاء، كأنها القرن، فلماذا يريدونني أن أغادر هذا المكان وقد ألفتة " دخل الراوي في تفاصيل يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها ستجعل الحوار مملاً، فالمتلقي ليس بحاجة إلى هذا الكم من الشرح.

تخلل هذا الخطاب استفهام واضح في قول الراوي: " فلماذا يريدونني أن أغادر هذا المكان وقد ألفتة "، وهذا ما سيصيب المتلقي بالحيرة، ولن يفهم سبب طرح الراوي لهذا السؤال، الذي يبدو غريباً بالنسبة له، فمن المفروض أن يكون الراوي سعيداً بقرار إطلاق سراحه وليس العكس، خاصة وأنه إنسان طالما دعا إلى الحرية والتخلص من القوانين، لقد كسر الراوي من خلال سؤاله هذا قاعدة (النوع) التي تقرض نزاهته، حيث يبدو أنه متناقض وكاذب؛ لأنه متمرد على كل شيء، وهذا ما سيجعله عاجزاً عن إقناع المتلقي بأنه حزين ويرغب في قضاء بقية عمره بالسجن، فكيف لإنسان حر أن يتعلق بالأماكن، وأي مكان، السجن؟.

النموذج الثاني:

>> خدر سرى في كل بدني فجأة حتى غبت عن كل ما حولي وأسدلت ستائر الوعي على نوافذ بصري، لكن عقلي لم ينم، كان يقهقه عاليا ساخرا مني وأنا أتلوى في ساحة السجن كالمخدر، وفجأة اندفع حولي خمسة سجانين راحوا يتكاثرون حتى ملأوا الساحة راح بعضهم يمسط بدني فتستطيل أطرافي بشكل عجيب، حتى تبلغ صور السجن من جهته، كنت أتأمل بدني وقد ملكتني الدهشة، هل يمكن للبدن أن يكون لنا إلى هذه الدرجة فيمسط إلى هذا الحد، وقفز سجانون آخرون فربطوا قدمي وكذا يدي إلى جذوع الأشجار، فصرت أشبه بأرجوحة صيفية رخوة، وعجل العشرات من السجانين يمتطونها، بينما راح الآخرون يدفعونها إلى الأمام وإلى الخلف، حتى تتجاوز سور السجن السامق، وكنت أستطيع أن أرى الشوارع بيسر <¹.

يصف الراوي في هذا النموذج الإغماء الذي أصابه فجأة، والذي جعله يفقد الوعي، ولكنه استهل جملة بكسر قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي قاعدة (الكيف)، ففي قوله: " خدر سرى في كل بدني فجأة حتى غبت عن كل ما حولي وأسدلت ستائر الوعي على نوافذ بصري " لبس يمنح القارئ أو المتلقي للخطاب أو المستمع من معرفة ما يرمي إليه، فهل هذا الخدر الذي يعني فقدان الإحساس في جزء من الجسم قد كان نتيجة لمرض أو بسبب الجوع أو قلة النوم أو يعني الدخول في نوم عميق؟، فالمقصود من وراء هذه الجملة غير واضح بالنسبة للمتلقي، كونها تحمل عدة دلالات، ولكن الراوي استثنى من هذا التخدير عقله الذي ظل يعمل ومنتبها، فهو يدرك ما حوله، ومن المفروض أن الشخص عندما يصيبه الإغماء يفقد أيضا وعيه، فيصبح عقله غير مدرك لما حوله، وما هذا إلا خرق لقاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي (قاعدة النوع).

لم يكتف الراوي بخرق هذه القاعدة بل خرق جميع القواعد (الكم) و (النوع) و (العلاقة)، ففي قوله: " كان يقهقه عاليا ساخرا مني وأنا أتلوى في ساحة السجن كالمخدر " فصل العقل عن جسده وجعله كالإنسان يحمل نفس خصائصه، وهي القدرة على القهقهة والسخرية، إضافة إلى أن الراوي متناقض في كلامه، ففي بداية حديثه كان يشير بأنه مخدر تماما وفقد وعيه وأغمي

¹ المصدر نفسه: 13 - 14.

عليه، في حين أنه وصف عقله بأنه يقهقه ويسخر منه، وهو يراقبه في ساحة السجن شبه مخدر، خرج الراوي هنا عن قاعدة الاستلزام الحواري المتمثلة في قاعدة (العلاقة)؛ لأن هذا القول مخالف للقول السابق.

إن الراوي وهو يذكر السجنين في قوله: " وفجأة اندفع حولي خمسة سجانين " إلى غاية قوله: " حتى تتجاوز سور السجن السامق " خرق كل القواعد، حيث صور جسمه بأنه يملك القدرة على التمطط، كما صور السجنين على أن لهم القدرة على التكاثر والتناسخ، وهذا ما ينافي قاعدة (النوع) التي تفرض على الراوي أن لا يكذب، وقاعدة (الكم) التي تفرض عليه عدم الدخول في التفاصيل بهذا الشكل، وقاعدة (العلاقة) التي تفرض عليه عدم الخروج عن الموضوع؛ إذ كان يتحدث عن شعوره بالتخدر والإغماء، وقاعدة (كيف) التي تفرض عليه الحديث بوضوح.

كسر الراوي في هذا النموذج كل قواعد الاستلزام الحواري وقام بخرقها، والواضح أنه يتحدث عن حلم راوده، حتى وإن كان كذلك فهناك خرق لهذه القواعد لا يمكن التملص منه، باعتبار أن الحلم هو واقع ثاني يعيشه الراوي وهو نائم، ولا يمكن أن يتجاهله المتلقي الذي يفكك الخطاب ويحاول تأويله، ولعل هذا يدل على الصراع الداخلي الذي يعاني منه الراوي، بين دعوته إلى الحرية وخضوعه للعبودية وعدم الاعتراف بذلك ومكابرته وتمرده.

النموذج الثالث:

>> ولم أتوقف أيضا عن مناقشة طفلي المدللة، كانت صارمة إلى حد كبير فيما تعلمته من معارف ومناهج، منضبطة بتوجيهات مؤسسيها، وكنت شديد التمرد، لا أشكل ذاتي من خلال ما أقرأ، ولكني أبحث عن ذاتي من خلال أعماقي، وكان الحب بؤرة الاختلاف، كانت تدافع عنه بأنوثتها الساذجة، وكنت أدافع عنه بأنوثتي العميقة، وكان يزعجها أن أزعج أمامها أن الحب الذي يمارسه الإنسان ليس هو إلا مجرد امتلاك، ليس هو إلا اغتصابا للحرية، ليس هو إلا إمعانا في

العبودية، وكل ما مارسه الإنسان من حب منذ الخليقة الأولى إن هو إلا تزييف للحقائق يجب أن نتخلى عنه، أو على الأقل يجب أن نغير له مصطلحه <<1.

يتحدث الراوي عن طفلة المدللة التي وصفها بالصرامة فيما تعلمته من معارف ومناهج، كما وصفها بالانضباط، فهي تستمع وتتبع توجيهات مسئوليتها، بينما يصف نفسه بأنه متمرّد لا يتقن فنون الإصغاء ولا يستمع إلى توجيهات معلميه، فهو عكس طفلة المدللة التي تشكل ذاتها من خلال ما تقرأ، بينما هو لا يشكل ذاته من خلال ما يقرأ، بل يبحث عن ذاته من خلال البحث في أعماقه؛ بمعنى أنه هو من يعلم نفسه ويرشدها، وهذا ما يسمى بالاستلزام العرفي.

شبه الراوي نفسه بالأنثى في قوله: " وكان الحب بؤرة الاختلاف، كانت تدافع عنه بأنوثتها الساذجة، وكنت أدافع عنه بأنوثتي العميقة "؛ إذ يجد متلقي الخطاب أن الراوي قد اعترف بقصد أو دون قصد بأنه يحمل في داخله أحاسيس أنثوية، إلا أنها تختلف أنوثته عن أنوثة طفلة المدللة من حيث أنه يملك أنوثة عميقة بينما تملك هي أنوثة ساذجة، فلقد اختلفا في طريقة دفاعهما عن الحب، وبالتالي قام الراوي بخرق قاعدة (الكيف) التي تتطلب منه أن يكون واضحاً وأن لا يحدث لبساً.

يقع متلقي هذا الخطاب في حيرة، فبينما كان الراوي يتحدث عن دفاعه عن الحب بأنوثته العميقة، بات يتحدث عن الحب الذي يمارسه الإنسان والذي ما هو إلا امتلاك واغتصاب للحرية وإمعان في العبودية، وهذا ما يجعل المرسل إليه يلاحظ بأن هناك تضارب في الأقوال، فيقع هنا خرق لقاعدة من قاعدة الاستلزام الحواري وهي قاعدة (الكم)، فلقد بالغ الراوي في حديثه عن الحب وتعمق في ذلك، وكذلك قاعدة (النوع)، حيث لم يبرز الراوي الحجج الكافية على زعمه.

النموذج الرابع:

¹ المصدر نفسه: ص 37.

>> لكن مزاجي سريعا ما تعكر، كانت تعبت بأصابعي، حين أخبرتني أنها فعلت ما فعلت من أجلي، وما دام الأمر سيرضييني فلن تفعل غيره، وبقينا هذا نوع من العبودية أيضا، كثير من علاقاتنا الاجتماعية ما هي إلا عبودية، كثير من علاقات الطاعة والاحترام والتقدير هي عبودية، كثير من علاقات الحب بين المتحابين والعشاق هي عبودية، إنها شكل من أشكال الرغبة في التملك، لذا يسعى طرف ما لينصب نفسه إليها على الطرف الآخر، ثم يسعى لابتزازه ماديا أو نفسيا <<¹.

يتحدث الراوي عن طفلته المدللة التي تسعى دائما لإرضائه وفي نفسه بعض من الكبر والغرور، فهو لم ينظر إليها من زاوية أنها تحبه وتحترمه وتخاف على مشاعره، بل نظر إليها من زاوية أنها واقعة في العبودية؛ إذ يرى بأن العلاقات المبنية على الطاعة والاحترام والحب هي عبودية، ووصف أحد طرفي العلاقة بأنه ينصب نفسه إليها على الطرف الآخر، كما أنه سيتحجج بهذا الحب ليستغله ماديا ونفسيا، وفي هذا الخطاب كسر لقاعدة (الكم)؛ لأن الراوي بالغ في حديثه عن العبودية وتكرار كلمة العبودية، كما كسر قاعدة (الكيف)؛ لأنه غير واضح في وصفه للعلاقات التي جعلها رغم أهميتها عبودية.

لقد قام الراوي أيضا بخرق قاعدة (العلاقة) بخروجه عن الموضوع، فبينما كان يتحدث عن طفلته المدللة التي تسعى لإرضائه، بات يتحدث عن العبودية وأنواع العبودية وعن العلاقات الاجتماعية، وقام أيضا بخرق قاعدة (النوع)، حيث يبدو كاذبا من خلال طرحه، فهو لن يستطيع إقناع المتلقي بأن العلاقات الاجتماعية الراقية هي شكل من أشكال العبودية؛ لأن الراوي لن يستطيع إقناعه بأن العلاقات المبنية على الاحترام والتقدير هي علاقات تفكك المجتمع، بل بالعكس ستكون الحياة المبنية على هذه العلاقات مثالية وصحية.

النموذج الخامس:

¹ المصدر نفسه: ص 51.

>> قبل أن يخرج ذكرني وهو يضغط على رقبتني بمصير سيزيف، طريقه هو طريق كل متمرّد على قيم البشرية التي تواضعت عليها وارتضتها، وأوجدت لها منابع مقنعة لا يمكن تحديها ولا التمرد عليها، طريقه هو طريق كل من يتمرد على الآلهة ثانتوس.

لم أرد عليه مباشرة، لكنني كنت أوّمن في أعماقي أن كل ما قاله إن هي إلا صخور سيزيفية فرضوها علينا ليحكموا علينا بالعبودية، وبالشقاء الأبدي، بعد أن أساغوها بتوابل مختلفة الألوان والأذواق¹.

حدث في هذا الحوار غير المباشر الذي دار بين الضابط والراوي خرق لقواعد الاستلزام الحواري، حيث ظهرت الأسطورة لتعبّر عن الحقيقة، استخدمها الضابط الذي راح يذكر الراوي بمصير سيزيف الذي عاقبته الآلهة ثانتوس بحمله الصخر إلى الأبد للتأثير فيه، وتخويفه وذلك عن طريق إخباره بأنه سوف يلقي نفس مصيره، كونه متمرّداً على القوانين التي تحكم البشرية، وفي الوقت ذاته ورغم أن الراوي لم يستطع الرد على الضابط مباشرة إلا أنه كان يؤمن في أعماقه أن كل ما قاله الضابط هي صخور سيزيفية، ويتضح ذلك في قوله: " لم أرد عليه مباشرة، لكنني كنت أوّمن في أعماقي أن كل ما قاله إن هي إلا صخور سيزيفية فرضوها علينا ليحكموا علينا بالعبودية، وبالشقاء الأبدي، بعد أن أساغوها بتوابل مختلفة الألوان والأذواق ".

كان الراوي يرغب في القول - للضابط - : إن كنت أنت وأتباعك تنظرون إلي ولأتباعي على أننا متمرّدون على القوانين مثل سيزيف، فإننا نرى بأن هذه القوانين التي تواضع البشر عليها هي كالصخور التي يحملها سيزيف وأمثاله، فكل من الضابط والراوي ينظر إلى الموضوع من زاويته.

يتمثل كسر قواعد الاستلزام الحواري في كسر قاعدة (الكم)؛ إذ لم يكتف الضابط بالملف الموضوع أمامه، وبتأهام الراوي بأنه خارج عن القانون، بل عمم حكمه على أشخاص أكثر من

¹ المصدر نفسه: ص 73.

أمثال الراوي، وكذلك تم في هذا الخطاب خرق قاعدة (النوع)؛ لأن الضابط يعطي أحكاما دون تقديم الحجج على صحتها، فهو يسرد أحداثا بعيدة كل البعد عن الواقع ومرتبطة بما وراء الطبيعة والميتافيزيقا، وكذلك تحدث الراوي بينه وبين نفسه بالأسلوب ذاته، حيث استخدم الأسطورة التي لا تمد واقعه - كآدمي - بصلة، رغم أنه قام بتبرير ذلك بعدّ القوانين نوع من أنواع العبودية.

تم أيضا خرق قاعدة (العلاقة) في هذا الخطاب، وذلك بذكر الضابط للآلهة ثانتوس، وهذا ما يعتبر خروجاً عن الموضوع، مما يستدعي منا طرح التساؤل الآتي: ما العلاقة التي تجمع البشر بالآلهة ثانتوس؟، إضافة إلى خرق قاعدة (الكيف)؛ إذ لم يكن الضابط واضحا في حديثه، فالقارئ أو المتلقي الذي يجهل علم الأساطير لن يفهم القصد من وراء كلامه عن سيزيف والآلهة، وكلام الراوي عن الصخور السيزيفية، ووفقا لذلك فلقد تم خرق كل قواعد الاستلزام الحواري في هذا النموذج.

النموذج السادس:

>> تذكرت هنا نصائح الطبيب وهو يسرد على مسامعي مخاطر التدخين، طبعا كنت أضحك في سري لاعنا نصائحه، التي لا فائدة منها إلا أن تزيد في عمرك على هذه الأرض سنوات أخرى طبعا، وما معنى أن أموت في هذا السن أو تلك، لا فرق طبعا، دون أن ينسى لينبهنني أنني سأكون عبدا لعادة التدخين <<¹.

يحكي الراوي للمستمع أو القارئ عن الطبيب الذي نصحه بضرورة التوقف عن التدخين، كونه يعرضه للعديد من المخاطر، وفي قوله: " تذكرت هنا نصائح الطبيب وهو يسرد على مسامعي مخاطر التدخين "، استلزام حوارى يفهم من خلاله المتلقي بأن الراوي مُدخن ولديه مشاكل صحية بسبب التدخين.

¹ المصدر نفسه: ص 76.

يعبر الراوي أيضا - بينه وبين نفسه - في هذا الخطاب عن انزعاجه من نصائح الطبيب، فلقد حدث نفسه بأن هذه النصائح لا فائدة منها، وخرق بذلك قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي قاعدة (الكم)، فمن المفروض أن يقبل هذه النصائح أو يرفضها دون الزيادة على ذلك بالتهكم والسخرية منها، مع تقديم حجج أو مبررات على ردة فعله يقنع من خلالها المتلقي، وكذلك قام بخرق قاعدة (النوع)، حيث لم يكن نزيها في قوله أن نصائح الطبيب لا فائدة منها، كون التدخين معروفا للعام والخاص بأنه يسبب الكثير من المشاكل الصحية لدى المدخن، فهو لم يكن موضوعيا في حكمه.

قام الراوي أيضا بكسر قاعدة (العلاقة) في قوله: " وما معنى أن أموت في هذا السن أو تلك "، وهو ما يعتبر ابتعادا عن الموضوع الأساسي والمتمثل في الحديث عن أضرار التدخين إلى الحديث عن الموت والحياة وسبب الوجود، يهدف الراوي من خلال طرحه لهذا السؤال التطرق إلى العديد من المواضيع التي ليس لها علاقة بالتدخين ولا بنصائح الطبيب، كما قام بخرق قاعدة (الكيف)، حيث لم يكن واضحا وهو يضحك بينه وبين نفسه رافضا لنصائح الطبيب؛ لأن المتلقي سيبحث عن السبب وراء هذا الرفض، وسيطرح على نفسه الكثير من التساؤلات وسيقع في التأويل.

النموذج السابع:

>> لا شيء تغير في غرفتي، سريري، طاولتي، ما تبقى من كتبي وأوراقي، ما تبعثر من جنوني وفوضاي، ما أعدم من أحلامي وطموحي، ما اغتيل من أفكارني وفلسفتي <<¹.

يعبر الراوي في هذا الخطاب عن الحالة التي وجد عليها غرفته بعد غياب دام سنوات، والتي لم يتغير فيها شيء على غرار بقية الغرف، وفي قوله: " سريري، طاولتي، ما تبقى من كتبي وأوراقني، ما تبعثر من جنوني وفوضاي، ما أعدم من أحلامي وطموحي، ما اغتيل من أفكارني وفلسفتي " كسر لقاعدة (الكم)، فالمقام لا يستدعي كل هذا التفصيل، فكان بمقدوره أن يكتفي

¹ المصدر نفسه: ص 92 - 93.

بقوله: " لا شىء تغىر فى غرفتى "؛ لأن المتلقى أو المستمع سيفهم مباشرة بأن الراوى عندما خرج من السجن وجد كل شىء فى غرفة نومه على حاله ولم يتغىر، وكذلك هناك كسر لقاعدة (العلاقة)، حيث انتقل الراوى من حديثه عن الأشياء الموجودة فى غرفته إلى الحديث عن أشياء حسية ومعنوية، ويتضح ذلك جليا فى قوله: " ما تبعثر من جنونى وفوضاى، ما أعدم من أحلامى وطموحى، ما اغتيل من أفكارى وفلسفتى "، فهو يتحدث عن الفترة التى قضاها فى السجن، والتى منعتة من تحقيق أحلامه وطموحاته وأفكاره وفلسفته الداعية إلى الحرية والتمرد على كل شىء.

النموذج الثامن:

>> أخى الإنسان تحرر من سجونك، ذاتك سجن، أوطانك سجن، أديانك سجن، عاداتك سجن، غرائك سجن، خوفك سجن، تحرر من خوفك تتحرر من كل السجن.

وأخيرا تحررنا، اقتربت أكثر، كان الحشد يتطاير أمامى كزيد البحر، ورحت أمد يدي أتلمس اللافتات الملونة، غير أنها كانت تتلمص من بين يدي ثم ترفرف عاليا كأوراق خريف لهت بها ربح عاتية <<¹.

توجه الراوى عند خروجه من السجن إلى الجامعة، أين رأى أنصاره يحملون لافتات مكتوب فيها: " أخى الإنسان تحرر من سجونك، ذاتك سجن، أوطانك سجن، أديانك سجن، عاداتك سجن، غرائك سجن، خوفك سجن، تحرر من خوفك تتحرر من كل السجن "، فى هذا القول كسر لقاعدة (الكم)؛ لأن هناك تكرار لكلمة (السجن)، وهذا ما يعتبر غير ضرورى فى المقام، فكان بمقدور أنصاره أن يكتبوا: " أخى الإنسان تحرر من سجونك، دون أن يدخلوا فى التفاصيل والتكرار.

جاء رد الراوى (وأخيرا تحررنا) كسرا لقاعدة (النوع)، كونه لم يتحرر، فهو لم يستطع تطبيق أفكاره وتجسيدها على أرض الواقع، فلو كان متحررا حقا لما قضى سنوات من عمره فى

¹ المصدر نفسه: ص 99 - 100.

السجن راضخا لكل قوانينه، ولا يستطيع إبداء رأيه أمام الضابط والسجانين الذين كانوا يمعنون في إذلاله.

إن استخدام الراوي للصورة البيانية في قوله: " اقتربت أكثر، كان الحشد يتطاير أمامي كزبد البحر، ورحت أمد يدي أتلثم اللافتات الملونة، غير أنها كانت تتلمص من بين يدي ثم ترفرف عاليا كأوراق خريف لهت بها ريح عاتية " خرق لقاعة (النوع)، حيث يشبه المعجبين به والمشجعين له، الذين كانوا يتطايرون أمامه بزبد البحر، وتم تشبيههم بذلك نظرا لعددتهم الكبير، كما شبه اللافتات التي كانت تتلمص من بين يديه وترفرف عاليا بأوراق الخريف التي لهت بها ريح عاتية، والغرض من هذا التشبيه هو تبين مدى ابتعاد هذه اللافتات عنه وتطايرها في السماء، ويمكن القول وفقا لذلك بأن الراوي لم يكن نزيها في سرده أو خطابه.

قام الراوي أيضا بخرق قاعدة (الكيف)؛ إذ لم يعبر بوضوح عن الفكرة التي أراد إيصالها للمتلقي، وهذا ما سيجعل متلقي الخطاب أمام عدة تساؤلات من بينها: هل الراوي يحلم أو يتخيل بأن هناك حشد كبير في انتظاره؟ أم أن هذا الحشد حقيقي؟، هل الراوي يعاني من حالة هذيان جعلته يرى السراب؟ أم أنه في كامل قواه العقلية؟.

لقد فتح هذا الخطاب أمام المتلقي العديد من التساؤلات التي تحتاج إلى تفسير وتأويل، كما أنه تم خرق قاعدة (العلاقة) في قول أنصار الراوي: " أخي الإنسان تحرر من سجونك " إلى غاية قولهم: " تتحرر من كل السجون " وقول الراوي: " وأخيرا تحررنا "، حيث تم الخروج عن الموضوع، فبينما كان المرسل أي الكاتب للافتات يدعو إلى التحرر جاء قول الراوي الذي يبين بأن هذه الدعوة لم يعد لها دور، وهذا ما يعتبر خروجاً واضحاً وصريحاً عن الموضوع.

النموذج التاسع:

>> فجأة تتعالى حوالي من بعيد قهقهات أنثى، أجمد مكاني مرتعشا، أتلفت خلفي، أمد عنقي، أوزع نظراتي هنا وهناك، تصلني القهقهات أوضح كأنها تقترب مني، أنهض على ركبتي وقد

اشتدت حيرتي، تكاد القهقهات تتحول إلى زقزقة عصافير، أنهض على قدمي، وقد امتزجت على ملامحي حيرة وخوف، يتغير الطقس فجأة، تعوي الرياح كديناغول جبار، تهجم على الفضاء جيوش من سحب داكنة، يقصف الرعد، يلهث البرق كسيف خرافي عملاق، يتعالى الموج كأفعوان، يمتلكني الرعب، أعجز عن الحركة، أجنث على ركبتي، يلفني الفرع، يرتعش كل جسدي، أتمدد على الرمل، أحلم أن أكون جبارا مثلك أيها الرعد الذي في السماء، مثلك أيتها الرياح التي تطوين الكون كله، وتضحكين باستهزاء، مثلك أيها الموج العابث بأثار أقدامي، أيتها الطبيعة الغاضبة وأنت تغتصبين إرادتي وحريتي، فأصير في عوالمك ريشة متناهية في اللامعنى، وارتفع الموج فجأة، ولطمني بقوة حتى ارتطمت بالصخر الذي أعادني نحو الموج، وظلا يتقاذفاني وقد علت قهقهاتهما ¹.

تتضافر الصور البيانية من كنايات واستعارات وتشبيه في هذا الخطاب لتشكّل خرقة لقواعد الاستلزام الحواري الأربعة، حيث عمد الراوي إلى الحديث عن حالته الشعورية وهو على شاطئ البحر، ففي قوله: " أجمد مكاني مرتعشا " إلى غاية قوله: " وقد امتزجت على ملامحي حيرة وخوف " كسر لقاعدة (الكم)، فلقد ساهم المتكلم في هذا القول بمعلومات تزيد عن الحد، فالمقام لا يتطلب هذا الكم الهائل من الوصف، كما تم كسر قاعدة (النوع)؛ لأن الراوي لم يكن نزيها في سرده للأحداث، حيث جعل الرياح تعوي وشبهها بالديناغول الجبار، وجعل البرق يلهث وشبهه بالسيف الخرافي العملاق، وهذا ما لا يمكن لمتلقي الخطاب استيعابه وتصديقه، فما هذه إلا صورا بيانية تمثل كذب وزيف الراوي وسعة خياله.

تم كسر أيضا قاعدة (العلاقة) في قول الراوي: " أحلم أن أكون جبارا مثلك أيها الرعد الذي في السماء " إلى غاية قوله: " فأصير في عوالمك ريشة متناهية في اللامعنى "، فالقارئ أو المستمع للخطاب يلاحظ خروج الراوي عن الموضوع، فبعدما كان خائفا من البرق والرعد والريح، بات يحلم بأن يكون جبارا مثل الرعد، مثل الريح، ومثل الموج، ومثل الطبيعة، وكذلك تم خرق

¹ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 103 - 104.

قاعدة (الكيف)؛ لأن الراوي لم يكن واضحا بتاتا، وكان كلامه غامضا ورمزي يحمل الكثير من الدلالات والمعاني ويحتاج قارئاً أو مستمعا حذقا لفك شفراته.

النموذج العاشر:

>> رغم الدهشة التي هزتني في كل جوارحي ظللت متمسكا أحذر أن أقع في الإغراء، وخيل إلي فجأة أنني أمام طفلي المدللة وقد تنكرت علي وألبست هذا اللبوس، وتهجيت على ملامح الإلهة عشتار، وهي تضحك ساخرة مني ومن قناعاتي التي هي في نظرها أشبه ببالونات الصابون، وقرأت أن الحرية التي ألهج بها إن هي إلا وهم ومرض، وأن لا مندوحة حتى تكون إنسانا من أن تكون عبدا، والأنثى أولى مدارج العبودية، تبسم الحياة وتبهج حين نتأنت ونتعاشق، طبعاً يقينا هي تقصدنا لا تقصد عالم الآلهة التي استطاعت أن ترتقي كل تلك المستويات <<¹.

وظف الراوي العديد من الصور البيانية في هذا الخطاب، والتي لها دور في خرق قواعد الاستلزام الحواري، فلقد تم كسر أول قاعدة وهي قاعدة (الكيف)؛ إذ لم يعبر الراوي بوضوح عن فكرته وهو يسرد الأحداث على متلقي الخطاب، مما جعل المتلقي أمام عالم حقيقي وآخر متخيل، بين الآلهة عشتار وطفلة الراوي المدللة، كما تم خرق قاعدة (النوع) في قوله: " تبسم الحياة وتبهج حين نتأنت ونتعاشق "؛ لأن المعنى غير واضح ويحتاج المتلقي إلى تأويل وفك شفرات هذا القول حتى يفهم قصد الراوي، إضافة إلى كسر قاعدة (النوع)، فالراوي لم يكن نزيها في سرده للأحداث، فلقد قام بالمزج بين حياته كذئب وحياته كبشري، كما ربطت الآلهة عشتار الإنسان بالعبودية وجعلت الأنثى هي الأولى بأن تكون تحت هذه العبودية، وهذا ما لا يمكن تصديقه.

إن في قول الراوي: " وتهجيت على ملامح الإلهة عشتار " إلى غاية قوله: " طبعاً يقينا هي تقصدنا لا تقصد عالم الآلهة التي استطاعت أن ترتقي كل تلك المستويات " خرق لقاعدة (الكم)، حيث تمسك الراوي بالحديث في نفس الموضوع مع تغيير الصياغة، فلقد تحدث عن الإلهة

¹ المصدر نفسه: ص 118 - 119.

عشتار التي تسخر من أفكاره الداعية للحرية، ثم تحدث بعد ذلك عن اعتقادها بأن الحرية وهم ومرض، ثم تطرق إلى حديثها عن العبودية باعتبار أن الإنسان عبد، وأن الأنثى أول بدايات العبودية، فكان بمقدور الإلهة عشتار أن تكتفي بقولها: " إن الإنسان عبد " دون أن تدخل في كل هذه التفاصيل، وهذا ما يعد كسرا لقاعدة (الكم).

قام الراوي أيضا بكسر قاعدة (العلاقة) وهي قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري، حيث خرج عن الموضوع في قوله: " رغم الدهشة التي هزنتني في كل جوارحي ظللت متمسكا أحذر أن أقع في الإغراء، وخيل إلي فجأة أنني أمام طفلي المدللة وقد تنكرت علي وألبست هذا اللبوس، وتهجيت على ملامح الإلهة عشتار، وهي تضحك ساخرة مني ومن قناعاتي التي هي في نظرها أشبه ببالونات الصابون "، فبعدها كان يتحدث عن دهشته عندما رأى الإلهة عشتار وخوفه من الوقوع في إغرائها، أصبح يتحدث عن طفلة المدللة، ليتطرق كما سبق وأشرنا إلى الحديث عن الحرية والعبودية، وهذا ما يعتبر خرقا لقاعدة (العلاقة)، وحفاظا على هذه القاعدة كان من المفروض أن يتحدث فقط عن جمال الإلهة عشتار، وأن يتحدث عن محاولته الابتعاد عن إغرائها، وكان عليه أن يوضح للمتلقي ما إذا استطاع أن يتجنب إغراءها أم أنه وقع في شباكها.

5 - الاستلزام الحواري والاستفهام:

النموذج الأول:

>> وما معنى أن أنام أهو طلبا للراحة، أم هروبا من مواجهة واقع بئيس ؟ وهل هو طلبا لحرية النفس أم غرقا في بحيرات راكدة من العبودية ؟ <<¹.

قام الراوي بخرق قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي قاعدة (الكم)، فرغم أن هذه الأسئلة مباشرة إلا أنها تتعلق بالموضوع نفسه، فلقد أعطى الراوي للنوم عدة مفاهيم جاءت على شكل تساؤلات، وكان بمقدوره أن يكتفي بطرح سؤال واحد وصريح مثل: ما معنى أن أنام ؟ بدل

¹ المصدر نفسه: ص 13.

طرحه لعدة أسئلة كما هو واضح، ومن خلال هذا السؤال سيفهم المتلقى الغرض منه مباشرة، وإن بدا له غامضا فسيقترح عدة حلول، كما خرقت هذه الأسئلة قاعدة (الكيف)؛ إذ لم يعبر الراوى بوضوح عن الغرض الحقيقى من ورائها، حيث جعل المتلقى فى حيرة من أمره، متسائلا أى المفاهيم يختار.

النموذج الثانى:

>> فأى سر فى القط؟ وأى سر فى الجد؟ <<¹.

يطرح الراوى سؤالين يتبادر إلى ذهن القارئ أو متلقى الخطاب بأنهما احتمالين، يتمثل الاحتمال الأول فى أن الراوى يطرح هذين السؤالين على نفسه، بينما يتمثل الاحتمال الثانى فى طرحهما على متلقى حاضر فى نفس الزمان والمكان قريب منه أو قارئ للخطاب لا يحده زمان ومكان، ولكن ما هو واضح أن هناك كسر لقاعدة (العلاقة)، حيث انتقل الراوى من السؤال عن السر الذى يحمله القط مصباح إلى السؤال عن السر الذى يحمله الجد مصباح، وإذا نظر المتلقى للسؤالين من زاوية أخرى، فسيجد أن الراوى يشبه القط وهو حيوان لا عقل له بالإنسان الذى ميزه الله بالعقل، وهذا ما يؤدي إلى كسر قاعدة أخرى من قواعد الاستلزام الحوارى هي قاعدة (النوع)؛ لأن الراوى غير نزيه خاصة عندما تساءل عن السر الذى فى القط؛ لأن المتلقى يدرك جيدا بأن القط لا تملك أسراراً بحكم طبيعة خلقها الذى يعلمه العام والخاص.

النموذج الثالث:

>> لماذا أنا هنا فى هذا المضمار؟ ولماذا أنا وحدي أسابق نفسي؟ ولماذا هذه العداوة والبغضاء؟ <<².

¹ المصدر نفسه: ص 23.

² المصدر نفسه: ص 26.

يطرح الراوي هذه الأسئلة على متلقي الخطاب مما أدى إلى كسر قاعدتين من قواعد الاستلزام الحواري وهما قاعدتي (الكم) و (العلاقة)، ففي قوله: " لماذا أنا هنا في هذا المضمار؟ ولماذا أنا وحدي أسابق نفسي؟ " كسر لقاعدة (الكم)، حيث كان بمقدور الراوي أن يختصرهما في سؤال واحد وهو: " لماذا أنا وحدي في هذا المضمار أسابق نفس؟ "، فمن المفروض أن يساهم المتكلم بما هو ضروري للمقام، كما كسر أيضا قاعدة (العلاقة) في قوله: " ولماذا هذه البغضاء والعداوة؟ "؛ إذ خرج عن الموضوع بطرحه لهذا السؤال، مما أدى إلى نقل المتلقي من قضية إلى قضية مغايرة، فبعدما كان الراوي يتحدث عن المضمار وعن نفسه بات يتحدث عن البغضاء والعداوة، فهو لم يمنح فرصة للمتلقي حتى يستوعب السؤالين السابقين وطرح عليه سؤالاً ثالثاً، سيجعله يبحث عن علاقته بالسؤالين السابقين.

النموذج الرابع:

>> متى دخلت؟ ولماذا عادت اللحظة؟ وكم الساعة الآن؟ <<¹.

يسرد الراوي أحداثاً جرت معه بالفعل في طفولته، وهو رفقة طفلته المدللة، عندما أمسكت بهما والدته وهما يخربان الحديقة الخاصة بمنزلها، حينها طرح عدة تساؤلات كسر من خلالها قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي قاعدة (الكم)، حيث لم يكتف الراوي بالتساؤل عن الزمن الذي دخلت فيه والدته إلى الحديقة، مما يدل على جهله للوقت الذي دخلت فيه المنزل بالتحديد، أما التساؤل الثاني المتمثل في قوله: " ولماذا عادت اللحظة؟ " فمن جهة يعتبر سؤالاً معارضاً للسؤال الأول المتمثل في قوله: " متى دخلت؟ " ومن جهة أخرى يفهم المتلقي من خلاله بأن الراوي تفاجأ بعودة والدته في هذا الوقت بالتحديد؛ لأنها عاملة وتعود إلى المنزل في وقت معين بحكم طبيعة عملها، واستدرك بطرحه للسؤال الثالث المتمثل في قوله: " كم الساعة الآن؟ " نسيانه للوقت رفقة طفلته المدللة.

¹ المصدر نفسه: ص 32.

يستطيع الراوى طرح سؤال واحد فقط كقوله: متى دخلت أمى إلى المنزل؟، دون الإكثار من التساؤلات التى تؤدى إلى كسر قاعدة (الكم).

قام الراوى أيضا بكسر قاعدة (العلاقة)، فبطرحه للسؤال الثالث خرج عن الموضوع، فبعدها كان يتساءل عن الزمن الذى دخلت فيه والدته إلى المنزل، بات يستفسر عن الساعة، وكم هو الوقت الآن، وهذا ما جعله ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر، وما سيجعل المتلقى متسائلا عن سبب طرحه لهذا السؤال.

النموذج الخامس:

>> أى سر أراد القمر أن يبوح به إلى؟ كم يلزمننا من عمر لنتهجى أسرار الحياة، كم نحن تعساء حين تكبل الغفلة عقولنا! وكم نحن أتعس حين يغيبنا الموت ليزيدنا غفلة! أكون الموت غفلة وعبودية للفناء أم هو انطلاق جديد فى عوالم الحرية؟¹.

لقد قام الراوى فى هذا النموذج بكسر كل قواعد الاستلزام الحوارى، حيث كسر قاعدة (الكم) بطرحه للعديد من الأسئلة التى تعتبر غير ضرورية فى المقام، والتى ستجعل المتلقى مشوش الذهن والأفكار، غير قادر على الإجابة عليها إلا بعد التفكير والتمييز بينها، كما كسر قاعدة (النوع)؛ إذ لم يكن صادقا ونزيها، فى قوله: " أى سر أراد القمر أن يبوح به إلى؟ " شبه القمر بالإنسان الذى يملك أسراراً ويرغب فى البوح بها، وهذا ما يعتبره المتلقى كذبا وزيفا، إضافة إلى طرحه لأسئلة ميتافيزيقية وفلسفية يتحكم الدين والعقيدة فى الإجابة عليها، فى قول الراوى: " كم يلزمننا من عمر لنتهجى أسرار الحياة؟ "، وفى قوله: " أكون الموت غفلة وعبودية للفناء أم هو انطلاق جديد فى عوالم الحرية؟ " يجد الراوى نفسه أمام سؤالين مرتبطين بأمور غيبية لا يعلمها إلا الله.

¹ المصدر نفسه: ص 54.

قام الراوى أيضا بكسر قاعدة (العلاقة) أو (المناسبة) التى تفرض عليه عدم الخروج عن الموضوع، إلا أننا نجده ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر، فى البداية كان يتساءل عن السر الذى يحملة القمر، لينتقل إلى التساؤل عن العمر الذى يلزمننا لمعرفة أسرار الحياة، ليتساءل فى الأخير عن الموت والحياة، فكل هذه الأسئلة متعلقة بعدة مواضيع مختلفة، وكل سؤال يحتاج إلى وقت كبير للإجابة عليه، كونها أسئلة فلسفية ومعقدة، كما كسر الراوى قاعدة (الكيف)، إذ لم يكن واضحا فى طرحه لهذه الأسئلة ولم يرتبها ترتيبا تسلسليا، فكان هناك خلط فى طريقة طرحها، وهذا ما سيجعل المتلقى يشك فى أن الراوى يعيش حالة شعورية مضطربة ملؤها الكآبة والحزن أو محصور بين أفكاره الفلسفية وبين الدين والمجتمع والقوانين، مما يجعل المتلقى يستنتج بأن الراوى فى مائة لا يستطيع الخروج منها.

النموذج السادس:

>> فمتى تنتفض البشرية من تحت الركام ؟ من تحت أطنان من الرماد ؟ متى يتمرد سيزيف على الآلهة التى حكمت عليه بالشقاء ؟ <<¹.

كسر الراوى قاعدة (الكم) التى تستدعى منه طرح سؤال محدد دون تكرار، يتساءل فى قوله: " فمتى تنتفض البشرية من تحت الركام ؟ من تحت أطنان من الرماد ؟ " عن الموعد الذى ستحرر فيه البشرية من العبودية، ولأن الغرض من عبارة (من تحت الركام) و (من تحت أطنان من الرماد) هو نفسه، فيعتبر ذلك تكرارا غير ضروري للمقام، كما خرق أيضا قاعدة (النوع) حيث لم يكن نزيها فى قوله: " متى يتمرد سيزيف على الآلهة التى حكمت عليه بالشقاء ؟؛ إذ انتقل من وصف عالمه الحقيقى إلى وصف العالم الميتافيزيقى، واختار قصة سيزيف بالتحديد لي طرح من خلالها سؤالا جوهريا، يمكن القول أيضا أنه رغم وجود احتمال عدم معرفة المتلقى

¹ المصدر نفسه: ص 69.

بتفاصيل هذه الخرافة إلا أن الراوي لم يكن نزيها في طرحه لهذا السؤال الذي سيجعل المتلقي يتساءل عن مدى إيمانه بها.

كسر الراوي أيضا قاعدة (العلاقة) ففي قوله: " متى يتمرد سيزيف على الآلهة التي حكمت عليه بالشقاء ؟ " خروج عن الموضوع الرئيسي المتعلق بالبشرية إلى موضوع آخر متعلق بالخرافة، تفرض هذه القاعدة أن تكون جل الأسئلة في نفس الموضوع، كما خرق قاعدة (الكيف)، حيث لم يعبر بوضوح ولم يبين سبب ربطه بين البشرية وسيزيف، وهذا ما سيوقع المتلقي في اللبس والمقارنة بين البشرية التي توجد تحت الركाम وأطنان من الرماد وبين سيزيف الذي عاقبته الآلهة بحمله الصخرة، إضافة إلى كسر الراوي لقاعدة (الكيف)؛ إذ جعل المتلقي يبحث عن إجابة وتأويل وتفسير للسؤالين المتمثلين في قوله: " متى تنتفض البشرية "، وقوله: " متى يتمرد سيزيف "، وبالتالي ستكون الإجابة عنها مبنية على الاعتقاد والظن والشك، ويعود هذا إلى سبب واحد وهو عدم وضوحها.

النموذج السابع:

>> هل تخيل أنني سيزيف، أو أنني من ذريته أسعى لبعث ما آمن به ومات من أجله، ولكنه لم يحققه، وهل الحرية هي مجرد وهم وأن لا حرية إلا ما خطته الآلهة وسمحت به، هل يمكن أن يكون سدنة العبودية هم أيضا سدنة الآلهة ؟ <<¹.

ذكر الراوي سيزيف في هذا النموذج أيضا؛ لأن الضابط ثار ضد ما آمن به، وثار ضد ما يسعى إليه، حيث يقول الراوي: " هل تخيل أنني سيزيف، أو أنني من ذريته أسعى لبعث ما آمن به ومات من أجله، ولكنه لم يحققه ؟ ".

الواضح أن الراوي متعلق بالأساطير اليونانية القديمة ويريد أن يكون مثل سيزيف، فلقد ساهم في طرحه للسؤال بحد أكبر مما يتطلبه المقام، حيث أنه طرح عدة أسئلة في سؤال واحد،

¹ المصدر نفسه: ص 70.

فكان بمقدوره اختصار السؤال والقول: هل تخيل أنني سيزيف أو أنني من ذريته؟، وهذا ما يعتبر خرقاً لقاعدة (الكم)، كما كسر أيضاً قاعدة (النوع) التي تفرض نزاهة القائل، إذ لم يكن الراوي صادقاً في طرحه لهذه الأسئلة، فتوظيفه لأسماء أسطورية (سيزيف، ذرية سيزيف، الآلهة، سدنة الآلهة) كافٍ لجعل المتلقي لا يصدقها ومكذباً له.

قام الراوي أيضاً بكسر قاعدة (العلاقة)، وذلك بخروجه عن الموضوع الأول والمتمثل في تشبيه نفسه بسيزيف أو ذريته، لينتقل للحديث عن الحرية والآلهة والعبودية، وهذا ما يساهم أيضاً في كسر قاعدة (الكيف)، حيث أن الراوي لم يكن واضحاً في طرحه لهذه الأسئلة التي تجعل المتلقي يعيش بين الحقيقة والخيال، مما يؤدي إلى استحالة إجابته عليها.

النموذج الثامن:

>> وأين مصباح الآن؟

أغادر الحياة فالتحق بجدي مصباح؟

وهل سيبعث في مخلوق آخر؟ <<¹.

يطرح الراوي عدة أسئلة متعلقة بالقط الذي سماه على اسم جده مصباح، ولكن كانت هذه الأسئلة كسراً لقاعدة (الكم)؛ لأنه من المفروض أن يكتفي الراوي بالسؤال عما إذا غادر القط مصباح الحياة أم لا، كما قام بكسر قاعدة (النوع)؛ حيث لم يكن نزيهاً في طرحه لسؤاله المتعلق ببعث الجد مصباح في مخلوق آخر، وهذا ما لا يمكن حدوثه في الواقع، فهو خرق لقانون الطبيعة والحركة الكونية، ويمكن القول أيضاً بأنه خرق لقاعدة (الكيف)، فهو لم يعبر بوضوح عن كيفية بعث مصباح القط في مخلوق آخر، وهذا ما لا يمكن استيعابه من طرف المتلقي ولا يمكن فهمه.

النموذج التاسع:

¹ المصدر نفسه: ص 82 - 83.

>> أين أنا ؟ الهنا أم الهناك أم الهنالك ؟ في السجن أم خارجه، في الموت أم الحياة ؟ وأي فريق ؟ <<1.

خرق الراوي قاعدة (الكم) من خلال طرحه لهذه الأسئلة فبدل طرحه لسؤال واحد مفاده: أين أنا ؟ طرح عدة أسئلة أخرى، مما جعل مساهمته تتجاوز الحد المطلوب في المقام؛ لأنها أسئلة غير ضرورية، كما أنه غير مجبر على الخوض فيها، لقد تم أيضا كسر قاعدة (النوع)، إذ لم يكن الراوي صادقا ونزيها في طرحه لها؛ لأنه لا يمكنه إقناع المتلقي بجهله لمكان تواجده خاصة وأن هذه الأسئلة غير منطقية، إضافة إلى كسر وخرق قاعدة (العلاقة) من خلال قوله: " وأي فريق ؟"، فبهذا السؤال خرج عن الموضوع الأساس وهو السؤال عن مكان تواجده.

لقد تم أيضا في هذا النموذج كسر قاعدة (الكيف) حيث لم يكن الراوي واضحا في قوله: " الهنا أم الهناك أم الهنالك ؟ في السجن أم خارجه، في الموت أم الحياة ؟ وأي فريق ؟"، وكان غامضا جدا، ومن الصعب على متلقي الخطاب معرفة مكان تواجده الحقيقي، لكن الواضح أن الراوي يعيش صراعا داخليا وغير مقتنع بالحياة التي يعيشها، فهذه الأسئلة غير واضحة وتحتاج إلى تفسير وتأويل للوصول إلى حل.

6 - الاستلزام الحواري والاستعارة:

إن >> الاستعارة لغة مأخوذة من (العارية)، التي تعني نقل الشيء من ملكية شخص إلى شخص آخر، إلى غاية أن تصبح تلك (العارية) من خصائص (المعار إليه) والإلصاق به، وبهذا المعنى كانت لها علاقة بالمعنى الاصطلاحي في البلاغة، وهو نقل اللفظ من معنى عرف به أصل اللغة إلى معنى آخر لم يعرف به هذا اللفظ، حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه وذلك المعنى من لوازم هذا اللفظ، ظهرت الاستعارة كلون بلاغي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في ثنايا الكتب الأدبية غير مبوب ولا مفصل، ولا مقيد بقيد، وإنما يعترض

¹ المصدر نفسه: ص 112.

العلماء والأدباء فى الشعر أو النثر لفظ استعمل فى غير موضعه فسموه على هذا الاستخدام استعارة <<¹.

إن الاستعارة بالنسبة لبعض البلاغىين هى >> أن تستعار الكلمة من شىء معروف بها إلى شىء لم يعرف بها، والمغزى من ذلك هو إظهار المضمرة أو الخفى، أو حصول المبالغة أو المجموع أو إيضاح الظاهر الذى ليس بجلى <<²، كما يمكن القول بأن >> الاستعارة هى أن تذكر أحد طرفى التشبیه وترید الطرف الآخر، يقول (فخر الدين الرازى): الاستعارة هى جعلتك الشىء للشىء للمبالغة فى التشبیه، ولديها وجه أخرى <<³، وهى أيضا >> تشبیه محذوف الأداة لفظاً وتقديراً، ولهذا حددها بعض البلاغىين بأنها ادعاء معنى الحقيقة فى الشىء، مبالغة فى التشبیه، كقولهم: كشفت الحرب عن ساق <<⁴.

النموذج الأول:

>> ونشأت طفلى المدللة فى حلية القلوب، تهدهدها رقصات وخفقات، ودفء حنون، ونور شفيق، وكلما هممت أن أغامر بها على أجنحة الشوق والتوق وبوراق التمرد فى متاهات الوجود، جذبتنى حيث عش الهدوء والسكينة، وغطتني بأردية لازردية قوزحية من أحلام السكينة <<⁵.

يتحدث الراوى عن طفله المدللة فيقول بأنها نشأت فى حلية القلوب، وهذا ما يعد انتهاكاً لمبدأ من مبادئ التعاون؛ لأنه يعد خروجاً عن المألوف والوقوع فى الغموض، ويمكن القول نشأت فى بيت جميل أو بيئة مناسبة، إن جعل القلب سكناً جميلاً أو بيئة جميلة ينم على ثقة الراوى بأنه يوجه خطابه إلى متلقى واعى متمكن من التأويل، وسيتمكن من فهم قصده، وكذلك هو الأمر

¹ ينظر إلى محمود السيد شيخون: الاستعارة نشأتها وتطورها، ط2، 1994، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ص 5.
² السيد على صدر الدين بن معصوم المدني: أنوار الربيع فى أنواع البديع، تح شاكر هادى شكر، ج 01، ط1، 1968، مطبعة النعمان، بغداد، ص 243 .

³ صفى الدين الحلى: شرح الكافية البديعية فى علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح نسيب نشاوى، ط2، 1992، دار صادر، بيروت، ص 126.

⁴ الزركشى: البرهان فى علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 03، د . ط، د . ت، دار التراث، القاهرة، ص 434.

⁵ عز الدين جلاوى: هاء، وأسفار عشتار، ص 7.

في قوله: " تهدها رقصات وخفقات، ودفء حنون، ونور شفيق "، حيث استخدم هذه الاستعارات لجعل أسلوبه في الخطاب قائم على الشعرية، فأخذ فعلا لغويا (تهدها) خاصا بالإنسان وربطه بالرقصات والخفقات، إذ تقوم هذه الرقصات والخفقات على هز ودفع طفلة المدللة كالأرجوحة، وكذلك يفعل الدفء الحنون والنور الشفيق؛ لأن الدفء والشفقة هما أيضا مرتبطان بالإنسان الذي يوصف بأنه دافئ وحنون ورؤوف، كما استخدم الاستعارة في قوله: " وكلما هممت أن أغامر بها على أجنحة الشوق والتوق وبوراق التمرد في متاهات الوجود، جذبتني حيث عش الهدوء والسكينة، وغطتني بأردية لازردية قوزحية من أحلام السكينة "، فالراوي وهو يحكي لمتلقي الخطاب عن طفلة المدللة وظف الكثير من الاستعارات التي تحتاج إلى فك شفراتها، وتتطلب وجود قارئ أو متلقي حذق.

يخبر الراوي القارئ أو متلقي الخطاب أو المستمع بأنه كلما فكر في التخلي عن طفلة المدللة تجذبه إليها، ولقد وظف أجنحة الطائر لتكون قرينة لغوية ترتبط بالشوق والتوق وبوراق التمرد، فاستعار الأجنحة ليعبر عن إحساسه بالاشتياق والرغبة في وصالها، وفي نفس الوقت تمرده عليها والرغبة في الابتعاد عنها لانشغاله بأمور الدنيا إلا أن طفلة المدللة حالت دون ذلك، ليستعير العش والذي يكون مسكنا للطيور لتتخذ منه طفلة المدللة حجة لإغرائه من خلال السكينة والهدوء اللذين تمارسهما عليه.

جعل الراوي أيضا من أحلام السكينة أو ما يمكن الاصطلاح عليه بالأحلام الجميلة التي يتمنى أي إنسان العيش فيها لها أغطية وأردية لازردية قوزحية، فاستعار أداة من الأدوات التي يستخدمها الإنسان لتكون وسيلة من أحلام السكينة، ويدل هذا التعبير على أن طفلة المدللة إنسانة عاطفية وحنونة سلسة في تعاملها معه وتغمره بلطفها وحنانها، وكل هذه الاستعارات الآنف ذكرها تعد خرقا لكل قواعد مبدأ التعاون، حيث خرق قاعدة (الكم) من خلال تعدد الأوصاف، فكان بمقدوره أن يتحدث وفقا للسياق فيقول بكل بساطة بأنه يحب طفلة المدللة وهي تحبه، دون الخوض في التفاصيل الدقيقة لعلاقتها ببعضها البعض، كما أنه كسر قاعدة (النوع)، فلم يكن

نزيها في سرده للأحداث؛ لأنه جعل من العش سكنا للأحلام، وللأحلام أغطية وأردية، وجعل من القلوب سكنا لطفته المدللة، وهذا ما لا يمكن للمتلقي أو المخاطب تصديقه، إضافة إلى أنه كسر قاعدة (العلاقة) أو (المناسبة) بخروجه عن الموضوع وهو نشأة طفلة المدللة، ليدخل في الغموض والخروج عن المؤلف، الذي يجعل المخاطب يخرج عن الدلالة الحقيقية، ويعطي عدة تفسيرات تجعله يبتعد كثيرا عما يرمي إليه الراوي، وأخيرا قام بكسر قاعدة (كيف)؛ إذ أنه لم يكن واضحا وصريحا في حديثه عن طفلة المدللة، بل استخدم الاستعارات والتي تحتاج قارئاً حذقاً لفك شفراتها وتأويلها.

النموذج الثاني:

>> كانت فرحتي غامرة وأنا أتلقى كتابي الأول (الإنسان الحر)، كتاب في أكثر من مئتي صفحة، كنت سعيدا جدا بجودة طباعته، وسعيد أكثر باللوحة التشكيلية التي زينته، صورة إنسان يركب الشمس، يشرئب برأسه إلى سماوات صافية، ويدلي رجله الطويلتين أكثر من المعتاد، وفي أصابعه المعروفة الطويلة تأرجحت أسلاك شائكة توشي برموز مختلفة، بينما امتدت له أذرع في كل الاتجاهات وقد برعمت من أنامله التي رفعها إلى الأعلى براعم خضراء وأزهار مختلفة الألوان، وحول رأسه الذي لا يمكن أن تحدد ملامح جنسه، فكما تراه ذكرا يمكن أن تراه أنثى أيضا هالة من طيور صغيرة وباهتة كأنها منمنمات <<¹.

لقد وظف الراوي العديد من الاستعارات التي جعلت في الخطاب نوعا من الغموض واللبس الذي يؤدي بالمتلقي إلى البحث عن تأويل وتفسير له، حتى يسهل على نفسه فهم الرسالة التي يريد الراوي إيصالها إليه من خلال اللوحة التشكيلية التي زينت كتاب (الإنسان الحر)، وظف الراوي وهو يصف هذه الصورة التشكيلية العديد من الاستعارات؛ لأنه اعتمد على الحكى والسرد، وهذا ما يعتبر علامات لغوية، فاستعار العديد من القرائن اللغوية (تأرجحت، يركب، برعمت، ...

¹ المصدر نفسه: ص 43 - 44.

(التي ساعدته على كسر قواعد الاستلزام الحواري الأربع، فصور الإنسان على أنه يركب الشمس وهو لا يستطيع ركوبها؛ لأنه في حقيقة الأمر يركب بعض الحيوانات الأليفة مثل الأحصنة، ويركب مختلف وسائل النقل مثل السيارة، وهنا كسر لقاعدة (النوع) التي تدعو المتكلم بأن يكون صادقا ونزيها، وكذلك نفس الشيء في قوله: " وفي أصابعه المعروقة الطويلة تأرجحت أسلاك شائكة توحى برموز مختلفة " إلى غاية قوله: " فكما تراه ذكرا يمكن أن تراه أنثى أيضا هالة من طيور صغيرة وباهتة كأنها منمنمات ".

لقد صور الراوي أصابع الإنسان على أنها شجرة تثبت لها أغصان، وصور أنامله على أنها وعاء تُزرع فيه الأزهار المختلفة الألوان، وصور رأسه على أنه أعشاش طيور صغيرة، وهذا ما يعتبر أيضا كسرا لقاعدة (الكم)؛ لأنه بالغ في حديثه عن الصورة التي توجد على غلاف كتابه (الإنسان الحر)، وهذا ما يعتبر خروجا عن الحد المطلوب في المقام، كما كسر قاعدة (الكيف)، فهو لم يكن واضحا عند وصفه لهذه الصورة، وسيجد متلقي الخطاب نفسه أمام صور متعددة ومختلفة للإنسان الذي يسميه الراوي بالإنسان الحر.

النموذج الثالث:

>> لم تكن لي رغبة في الطعام، لكن عقلي كان في حاجة إلى قهوة ليستفيق أكثر <<¹.

كان الراوي حزينا نتيجة لما تعرض له في الجامعة، ونتيجة أخذه للتحقيق معه وإحالة قضيته على القضاء، مما جعله يفقد الرغبة في تناول الطعام الذي أحضرته له طفلة المدللة، لكنه كان يرغب في شرب القهوة حيث يقول: " لكن عقلي كان في حاجة إلى قهوة ليستفيق أكثر "؛ إذ جعل العقل مثل الإنسان يشرب القهوة ليستفيق وينتفش، وهذه الاستعارة هي خرق لقاعدة من قواعد مبدأ التعاون وهي قاعدة (النوع)، إن الراوي لم يكن نزيها في قوله بأن عقله بحاجة إلى شرب القهوة ومع ذلك فإنه يدرك جيدا بأنه يخاطب مخاطبا واعيا، وسيفهم مباشرة الغرض من

¹ المصدر نفسه: ص 50.

قوله، فلقد عمد إلى هذا الانزياح حتى يؤثر فى المتلقى من خلال بث حالة التعب والإرهاق النفسى الذى كان يعانى منه.

النموذج الرابع:

>> وخرجت من شرنقتى فتأملتھا، كانت فى غاية البهاء والفتنة <<¹.

قام الراوى فى هذا النموذج بخرق قاعدة (النوع) من خلال استخدام قرينة لغوية تتمثل فى (شرنقتى)، فلقد شبه نفسه بالفراشة التى تكون يرقة ثم تخرج من الشرنقة على شكل فراشة، وهذا ما يعتبر زائفاً وغير منطقى، فلا يمكن أن يكون الراوى حبيس شرنقة، ويمر بنفس المراحل التى تمر عليها الفراشة حتى تصبح على هيئتها الحالية.

يدرك المتلقى لهذا الخطاب أن الراوى يرمى إلى القول بأنه استطاع بفضل طفاته المدللة أن يخرج من حالة الاكتئاب التى كان يعانى منها، وأنه عندما تأملها وجدها فاتنة وجميلة، مما يعنى أنه يعانى من العزلة وجليس البيت لا يلتقى بأحد، ولأن هناك عدة دلالات لهذه الاستعارة، فهذا يدل على أن الراوى قد كسر قاعدة أخرى من قواعد مبدأ التعاون وهى قاعدة (الكيف)، حيث لم يكن هذا القول واضحاً، وجعل المتلقى أمام العديد من الدلالات التى يصل إليها من خلال التأويل.

النموذج الخامس:

>> حين أعيد الجميع إلى غرفهم الانفرادية، عانق كل منهم أحلامه نوماً أو يقظة <<².

يتحدث الراوى عن الحياة اليومية للمساجين الذين يشاركونه السجن، وخصص حديثه عن الفترة التى أعاد فيها السجنون المساجين إلى غرفهم الانفرادية، وفى قوله: " عانق كل منهم

¹ المصدر نفسه: ص 51.

² المصدر نفسه: ص 77.

أحلامه نوماً أو يقظة " كسر لقاعدة من قواعد مبدأ التعاون وهي: قاعدة (النوع)، لقد استعار الراوي العناق من الإنسان وربطه بالأحلام، فالإنسان يمكنه أن يعانق إنساناً مثله، كما يمكنه أيضاً أن يعانق الأشياء الملموسة وليست الأشياء المعنوية التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، ولهذا فلم يكن صادقا في قوله بأن المساجين يمكنهم معانقة أحلامهم، وهذا ما سيجعل القارئ أو المتلقي يبحث عن تأويل وتفسير، ومن بين الدلالات التي سيقبض عليها المتلقي هي: أن الراوي يريد القول بأن المساجين لم يبق لهم في هذه الحياة سوى الأحلام التي تكون في اليقظة أو أثناء النوم، والتي يرون فيها أنفسهم أحرارا خارج أسوار السجن؛ لأن أحلام المساجين محدودة أعظمها هي نيل الحرية.

النموذج السادس:

>> وجلست هذا المساء يا حبيبي إلى النهر أسأله عنك، وعن أخبارك وهو حامل الأسرار وكاتمها، ثم أصخت إليه طويلا وهو يثرثر بموسيقى الجداول وإيقاع السواقي، بما لم أفقه، لكن قطراته المتراقصة أعادت إلي ذكرياتنا معا، ونحن نمد أرجلنا حيث التيار المتدفق، نداعب بأناملنا تثنيات الموج كراقصة محترفة، نوقع على صفاء مائه البلوري المنساب همساتنا وضحكاتنا وخفق قلوبنا، وحاءات تراقص باءات، تتط في انتشاء بين الصخور والأعشاب والأمواج ثم تتحدر جذلي إلى البحر البعيد، لتسقي بعده الأرض كلها بالحب <<¹.

لقد عمدت طفلة الراوي المدللة في هذا الخطاب إلى استخدام الاستعارات، ربما يعود السبب في ذلك إلى معرفتها بسعة اطلاع المخاطب وقدرته على فهم رسالتها، فصورت النهر على أنه إنسان تسأله عن أخبار حبيبها ولا يجيبها عن سؤالها؛ لأنه يرفض البوح، حيث تقول: " وجلست هذا المساء يا حبيبي إلى النهر أسأله عنك، وعن أخبارك وهو حامل الأسرار وكاتمها ".

¹ المصدر نفسه: ص 108.

تواصل الطفلة المدللة كتابة رسالتها إلى حبيبها، فتحكي له عن استماعها الطويل للنهر وهو يثرثر بموسيقى الجداول، فلقد صورت النهر على أنه إنسان يتحدث ويثرثر، إلا أنه يتحدث بلغة غريبة لا تفهمها، مما يعني أن عملية التواصل بينها وبينه لم تكن كاملة إذ ينقصها الفهم، وهو شرط أساسي في عملية التواصل.

جعلت طفلة الراوي المدللة الاستعارة الوسيطة الأساسية لكسر قاعدة (النوع)؛ إذ أنها لم تكن نزيهة وصادقة عندما صورت النهر على أنه إنسان يستمع إلى حديثها ويثرثر معها، كما قامت بكسر قاعدة (الكيف)؛ إذ لم تكن واضحة، فباستخدامها للاستعارة خرجت عن المؤلف، ومع ذلك فلا شك بأن الراوي وقارئ الخطاب سيفهمان بأنها ذهبت إلى النهر؛ لأنه يذكرها به، وبأنها تتحدث إليه؛ لأنها تشعر بالوحدة، ولا تملك شخصا تشكو إليه آلامها.

لقد قامت طفلة الراوي المدللة أيضا بكسر قواعد الاستلزام الحواري المتمثلة في قاعدة: (الكم) و (الكيف) و (النوع) و (العلاقة) في قولها: " لكن قطراته المتراقصة أعادت إلي ذكرياتنا معا " إلى غاية قوله: " لتسقي بعده الأرض كلها بالحب ".

كسرت طفلة الراوي المدللة قاعدة (الكم)؛ لأنها بالغت في إعطاء المعلومات، فكان بمقدورها أن تقول: " لكن قطراته المتراقصة أعادت إلي ذكرياتنا معا "، دون أن تدخل في التفاصيل أكثر، وقامت بكسر قاعدة (النوع)؛ لأنها كانت كاذبة في قولها: " نوقع على صفاء مائه البلوري المناسب همساتنا وضحكاتنا وخفق قلوبنا "؛ لأنه لا يمكن توقيع الضحكات والهمسات وخفقان القلوب على الماء، حيث شبهت النهر بالورقة التي يمكن التوقيع عليها، كما يمكن القول بأنها كسرت قاعدة (العلاقة)؛ لأنها خرجت عن الموضوع، فبعدها كانت تتحدث عن ذكرياتها مع الراوي انتقلت للحديث عن الحاءات التي تراقص الباءات، وأسرفت في الحديث عنها لتكسر وفقها قاعدة (الكم) التي تتطلب مساهمة المتكلم بقدر من المعلومات التي تناسب المقام، كما

أنها كسرت قاعدة (الكيف)؛ لأنها لم تكن واضحة في خطابها، وهذا ما يجعل الراوي أو المتلقي للخطاب يحاول تفسير وتأويل ومعرفة هذه الحاءات التي تراقص الباءات.

النموذج السابع:

>> وقد تجاذبتي أمراس النوم من كل فج، أسعى أن أتحداهما بجيوش يقظتي، أفضل دوما أن أمارس هذه اللعبة، لعبة شد الحبل بين عبودية وحرية، غير أن ضوء خافتا تسلل اللحظة فجأة من ناحية الشرق، اخترق الجدار رويدا رويدا لازرديا كأنه الفجر، ثم راح يتسلق الجدران من حولي، حتى كاد يستوي، وامتدت له أجنحة تهتز قليلا كأنها تخرج للحياة من رحم بكماء، وامتد النور على الجدار فاستوى أنثى، وكتمت صرخة وأنا أستوي فأسند ظهري إلى الجدار وأجلس القرفصاء <<¹.

يتحدث الراوي عن إحساسه بالإرهاق ورغبته في النوم، ولقد استخدم الاستعارة للتعبير عن ذلك، فجعل النوم مثل الجاذبية التي تجذبه إليها، كما وظفها أيضا للتعبير عن مقاومته للنعاس باستعارة الجيوش التي تكون في الحرب، حيث وضع متلقي الخطاب أمام الجاذبية التي تشده إلى النوم والجيوش التي تمنعه من النوم، وهذا كسر لقاعدة (النوع) التي تفرض نزاهته وصدقه بعيدا عن الهروب من الواقع، إلا أن الراوي يدرك جيدا بأنه يوجه خطابه إلى قارئ أو متلقي حذق بإمكانه فهم خطابه.

يرمي الراوي إلى القول بأنه مشتت الأفكار ويشعر بالنعاس، ولكنه لا يستطيع النوم؛ لأن باله مشغول بأمر معين، كما قام بكسر قاعدة (العلاقة) وذلك بخروجه عن الموضوع في قوله: " أفضل دوما أن أمارس هذه اللعبة، لعبة شد الحبل بين عبودية وحرية، غير أن ضوء خافتا تسلل اللحظة فجأة من ناحية الشرق "، فبعد أن كان يتحدث عن النوم انتقل إلى الحديث عن أمر آخر وهو العبودية والحرية، فصورهما على أنهما مثل الإنسان بإمكانهما لعب لعبة شد الحبل التي تتطلب فوز أحدهما على الآخر.

¹ المصدر نفسه: ص 117.

قام الراوي بكسر قاعدة (الكم) في قوله: " غير أن ضوء خافتا تسلل اللحظة فجأة من ناحية الشرق " إلى غاية قوله: " وكتمت صرخة وأنا أستوي فأسند ظهري إلى الجدار وأجلس القرفصاء "؛ إذ بالغ في وصف هذا الضوء، والمقام لا يتطلب منه أن يصفه بهذه الدقة، كما استخدم الراوي العديد من الاستعارات ليكون هذا الضوء مثل الإنسان الذي بإمكانه التسلق، ومثل الطائر الذي بإمكانه التحرر وال الطيران، ومثل الأنثى التي يمكنها التمدد، وكل ما سبق هو كسر لقاعدة (كيف)؛ لأن الراوي لم يكن واضحاً في وصفه لهذا الضوء الذي يشبهه كل مرة بشيء معين.

النموذج الثامن:

>> وتمددت الإلهة عشتار فجأة من بين يدي ثم استوت على عرش كأنما سيق إليها في لمح البصر وقد طرزه الذهب والدر الملون من كل مكان، ومدت رجليها أمامي فإذا هي جذور من طيب تمتد إلى أعماق الأرض، ثم رفعت هامتها ورفعت يديها فبلغت العنان، وتطايرت من حولها زهور وأطيوار لم أر لها مثيلاً في حياتي، ثم أشرقت على ملامحها ابتسامات كشمس الصباح ترسل أريجاً ملاً الفضاء عبقاً¹.

إن ارتباط الراوي بعالم الأساطير واضح جداً من خلال حديثه عن الإلهة عشتار، حيث جعل منها وسيلة لكسر أفق التوقع لدى القارئ أو متلقي الخطاب، وبالتالي كسر لقواعد مبدأ التعاون التي جاء بها (بول غرايس)، قام الراوي باستخدامه للاستعارة - في هذا النموذج - بكسر قواعد مبدأ التعاون؛ إذ كسر قاعدة (الكم) بوصفه للإلهة عشتار التي شبهها بالملكة التي تستوي على العرش، وبالتالي استعار الراوي صفة من صفات الملوك وهي الاستواء على العرش، ثم قام بتشبيهها بالشجرة التي تمتد جذورها من أعماق الأرض.

¹ المصدر نفسه: ص 118.

لم يساهم الراوي بالقدر المطلوب في وصف الإلهة عشتار، بل تجاوز ذلك حد المقام، وهذا ما يعد خرقاً واضحاً لقاعدة (الكم)، إضافة إلى كسر قاعدة (النوع)، فهو لم يكن نزيهاً في وصفه ولم يكن صادقاً؛ لأنه تناسى أنه يخاطب متلقي واعي بإمكانه كشف زيفه بسهولة، كما قام بكسر قاعدة (العلاقة)، فبعدما كان يصف الإلهة عشتار ويشبها بالملوك، بات يصفها ويشبها بالشجرة، وهذا ما يعد خروجاً عن الموضوع، فالإنسان كائن عاقل بينما الشجرة كائن غير عاقل، ويختلفان في شكل الوجود، وهذا ما جعله أيضاً يكسر قاعدة (الكيف)؛ لأنه لم يكن يعبر بوضوح، فلقد انتقل الراوي بالمتلقي أو قارئ الخطاب من خلال وصفه للإلهة عشتار من مكان إلى مكان آخر، وهذا ما سيؤثر في القارئ أو المتلقي وسيؤدي به إلى البحث عن شكل الإلهة عشتار في مخيلته، دون أن يستقر على شكل معين نظراً لحدوث لبس في الوصف.

النموذج التاسع:

>> وفجأة بدأ النور يللم أطرافه يتجمع رويدا رويدا في الزاوية التي أقبل منها، وبدأ الظلام يقمط المكان بأرديته الحالكة، وتسمرت عيناى حيث الدهشة، وقد تسللت أصابع الإلهة عشتار حتى كادت تلامسني، ومستتني صعقة كهرباء، ثم انسحبت تلك الأصابع، ومعها ذلك النور إلى غير رجعة <<¹.

يصف الراوي شعوره للقارئ أو المتلقي وما رآه أمامه، ففي هذا النموذج تم كسر قاعدة (الكم) من خلال توظيف الراوي للاستعارة التي استطاع بواسطتها الخروج عن الحد المطلوب في المقام، فنجده ينتقل في وصفه من وصف زمن الليل المرتبط بالنوم، الذي يللم أطرافه؛ إذ شبه الليل بالإنسان الذي يستطيع أن يللم الأشياء المبعثرة إلى وصف الظلام الذي يقمط المكان بأرديته الحالكة، حيث شبه الظلام بالرضيع الذي تقوم أمه بلفه في لفافة من أجل الحصول على نوم هادئ ومريح.

¹ المصدر نفسه: ص 119.

كان بإمكان الراوي أن يتحدث بأسلوب صريح ومباشر فيقول: " وفجأة حل الليل " دون أن يدخل في كل تلك التفاصيل التي لا تكون إلا إطالة وخروجاً عن الضرورة، كما قام بكسر قاعدة (النوع) التي تفرض أن يكون الراوي صريحا وصادقا في قوله، لكن يجد المتلقي في هذا الخطاب أن الراوي قد خرج عن المؤلف بتوظيفه للاستعارة، مما يجعله في حيرة متسائلا ما إذا كان هذا الأسلوب في سرد الأحداث واقعا أم خيالا، ويرجح الكفة الثانية المتمثلة في كونه واقعا متخيلا، وبالتالي يستخلص المتلقي بأن الراوي غير صادق.

قام الراوي أيضا بكسر قاعدة (العلاقة) حيث انتقل مباشرة من الحديث عن الظلام إلى الحديث عن الإلهة عشتار، وهذا ما يعتبر كسرا لأفق توقع المتلقي، إذ يعد انتقالا من أمر إلى أمر آخر ومن موضوع إلى موضوع آخر، وفي قول الروي: " وقد تسللت أصابع الإلهة عشتار حتى كادت تلامسني، ومستتي صعقة كهرباء، ثم انسحبت تلك الأصابع " استعارة كافية ليعرف المتلقي من خلالها أن الراوي قد غير الموضوع الأول وهو حديثه عن الظلام، وأخيرا قام بكسر وخرق قاعدة (الكيف)، حيث أنه لم يعبر بوضوح عن أفكاره التي مزج فيها بين الإلهة عشتار والنور الذي انسحب، وهذا ما يجعل المتلقي بحاجة إلى تأويل وتفسير ما جاء به الراوي من استعارات مختلفة.

7 - الاستلزام الحواري والكناية:

الكناية لغة >> من كنىء الشيء أكنيه، إذا ستر بغيره، وقيل: كناية من (الكن) وهو الستر، فالكناية مشتقة من الستر وتعريفها مأخوذ من اشتقاقها، بمعنى أن الكناية هي ستر معنى وإظهار غيره، والكناية في اللغة: أن تقول بالشيء وتريد غيره، وهي مصدر كنىء بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به <<¹، والكناية بهذا المعنى هي >> لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته

¹ ينظر إلى أبي منصور عبد الملك: الكناية والتعريض، تح عائشة حسين فريد، د . ط، 1998، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص 21.

معه <<¹، وبمعنى أدق >> الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك >>².

النموذج الأول:

>> كنت طفلا على عتبات العفرتة

وكان خاتما الزواج يثيران حساسيتي وقلقي <<³.

يستلزم وجود الكناية في هذا النموذج وجود معنى مختلف عن المعنى الحرفي؛ إذ استخدم الراوي الكناية وهو يتحدث عن طفولته في قوله: " وكان خاتما الزواج يثيران حساسيتي وقلقي "، يوجد في هذا القول بعدا تداوليا للفعل الإنجازي (يثيران) الذي يتعلق بخاتمي الزواج الخاص بالديه، حيث باتا يشكلان عبئا ثقيلًا عليه كونه يعيش كل يوم مشاحنات بينهما، مما يستلزم أيضا كره الراوي لخاتمي الزواج اللذين يجعلانه دائما مشغول البال وغير متقبل لوجودهما، فالراوي هنا يحكي بحرقه عن حساسيته وقلقه من وجود هذين الخاتمين، والقارئ أو المخاطب الحذق يدرك بأن الراوي يرمي من خلال هذه الكناية إلى إلزامية انفصال أبويه عن بعضهما البعض.

يعني هذا أن الراوي ضد وجود أبويه مع بعضهما، ويرغب في فك رابط الزواج بينهما، ولكنه لا يستطيع ذلك، مما يدل على أنه يعاني من عقدة نفسية، سببها المناوشات والخصومات اليومية بينهما، فهو نشأ في بيئة غير صحية وغير ملائمة، ويستلزم ذلك وضع خطة للتخلص من الخاتمين اللذين يجمعان بينهما، وهذا ما لوحظ فيما بعد حيث نفذ خطته، مما أدى إلى وقوع صراعات بينهما بسبب اختفائهما.

¹ الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ط1، 1904، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 337 - 338.

² علي السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، 1982، دار الرسالة، بغداد، ص 637.

³ عز الدين جلاوي: هاء، وأسفار عشتار، ص 16.

يرتبط الاستلزام الحواري في هذا النموذج بالكناية التي بحث المتلقي عن تأويل لها، وبحث عن أسباب وجودها وما يستلزم عنها، وعلى الرغم من أنها أسلوب خبري ومباشر إلا أنها تحتاج إلى التأويل وفك شفرتها وتحتاج إلى قارئ حذق للخطاب.

النموذج الثاني:

>> عدت بالذاكرة إلى الخلف أتهدى الدروب التي قطعتها مذ كفرت بكل ما يؤمن به البشر، أو على الأقل بجل الزيف الذي ران على عقولهم وقلوبهم وجعلوا منه أسيجة تستعبدهم وتثير بينهم العداوة والبغضاء، وتشعل فيهم حروبا لا تنتهي، حيث تزهد الأرواح وتمتهن الكرامات، وحيث يصادر بعض حريات بعض ويوغلون في قمعهم واستعبادهم <<¹.

تتضافر العديد من الكنايات في هذا النموذج لتؤدي الدور نفسه، وتتمثل فيما يلي: (مذ كفرت بكل ما يؤمن به البشر، أو على الأقل بجل الزيف الذي ران على عقولهم وقلوبهم، حيث تزهد الأرواح وتمتهن الكرامات، ويوغلون في قمعهم واستعبادهم).

يعود الراوي بذكرياته إلى زمن قد مضى، استخدم في ذلك العديد من الكنايات التي تؤدي الوظيفة ذاتها، والتي تختلف في معناها عن المعنى الظاهري والحرفي؛ حيث يرمي إلى القول بأن ذكرياته تعود به إلى الفترة التي تمر فيها على كل شيء؛ أي تمر على كل ما تؤمن به البشرية من دين وعقيدة وعادات وتقاليد وقوانين، وهذا نظرا إلى الصورة الذهنية التي يحملها في مخيلته، فتستلزم الكناية الأولى المتمثلة في قوله: " مذ كفرت بكل ما يؤمن به البشر، أو على الأقل بجل الزيف الذي ران على عقولهم وقلوبهم " وجود معنى خفي متمثل في اعتبارها كناية عن التمرد والثورة، ونتيجة حتمية توصل إليها الراوي عن طريق عدة أسباب، وتتمثل هذه الأسباب في الكنايات التي جاءت بعدها.

¹ المصدر نفسه: ص 69.

تأتي الكناية الثانية والثالثة (حيث تزهق الأرواح وتمتهن الكرامات، ويوغلون في قمعهم واستعبادهم) كسببين للنتيجة السابقة؛ إذ تأتي الكناية الثانية بمعناها غير الظاهري بمعنى القتل والإذلال والتشريد، ويعد هذا سببا وراء تمرده، ويستلزم ذلك وجود سبب آخر يتمثل في الكناية الثالثة (ويوغلون في قمعهم واستعبادهم) التي تدل على جنبهم وخوفهم الذي يشعُرُه بالاشمئزاز منهم.

لا يفوت متلقي الخطاب ارتباط الاستلزام الحواري بما تؤديه الكناية من نتيجة وسبب، أوجدهما السياق العام للقول، والأفعال الإنجازية المتمثلة في: (يؤمن، تزهق، تمتهن، يوغلون)، التي تشترك في المحتوى القضوي.

النموذج الثالث:

>> أنا الآن في هذا السجن البائس، لكني مسجون فقط ببديني أما نفسي التواقة للحرية فهي كحمامة أسطورية لا يمكن اغتصاب كرامتها، كطائر الفينيق الذي ينتفض دوما من تحت الرماد ليبعث من جديد خلقا آخر، لا تزيده النار إلا توهجا وتألقا وقوة <<¹.

تعرض الراوي إلى مواقف كثيرة في حياته، وهذا ما انجر عنه دخوله إلى السجن ومكوته فيه لمدة طويلة، شهد في السجن العديد من المشاكل والأزمات التي كانت بسبب معتقداته وآرائه، يخاطب الراوي المتلقي في هذا النموذج ويحكي له عن حالته النفسية والجسدية، وكانت وسيلته لإخباره هي توظيف الكنايات التي تحمل معنى آخر خارج المعنى الحرفي؛ لأن الراوي يخاطب متلقي قادر على التأويل ومعرفة قصده وما يرمي إليه؛ لأنه يدرك جيدا بأن عملية التواصل بينهما قائمة على التفاهم، يرتبط الاستلزام الحواري بالمعنى الضمني لهذه الكنايات المتمثلة في: (أنا الآن في هذا السجن البائس، لكني مسجون فقط ببديني أما نفسي التواقة للحرية، كطائر الفينيق

¹ المصدر نفسه: ص 69.

الذي ينتفض دوما من تحت الرماد ليبعث من جديد خلقا آخر، لا تزيده النار إلا توهجا وتألقا وقوة .(

يتحسر الراوي في الكناية الأولى على نفسه فهو لا يطيق البقاء في السجن، ولهذا فإن وصفه للسجن بالبائس كناية عن إحساسه بالضيق والحزن والكآبة، والإحساس بالقيود التي تمنعه من أن يكون حرا، فجاءت الكنايات التي بعدها مرتبطة بها؛ لأنها تستلزم وجود رغبة أو بوح، لكن الراوي سرعان ما استدرك بأنه مسجون فقط جسديا أما نفسه فهي تواقفة للحرية، وهي كناية عن قوة الشخصية والثبات على الرأي والموقف؛ بمعنى أن السجن استطاع أن يكبت حرته، فلم يعد بمقدوره فعل أي شيء، إلا أنه لم يستطع أن يغير أفكاره ومعتقداته ومبادئه؛ لأنه سجن جسدي فقط.

يدرك متلقي الخطاب أن الراوي يكابر وأنه غير صادق في قوله؛ لأنه لن يستطيع أن يكون حرا ولو ذهنيا ونفسيا، فالسجن هو عذاب يميت في صاحبه معنى الحياة، ولهذا يرى بأن الراوي مضطرب في طرحه، حيث يصف حالته في كل مرة - وهو في السجن - بطريقة مغايرة، وهنا كسر لقاعدة من قواعد مبدأ التعاون وهي قاعدة (النوع).

يشبه الراوي نفسه التواقفة للحرية بطائر الفينيق، ويستخدم الكناية في قوله: " الذي ينتفض دوما من تحت الرماد ليبعث من جديد خلقا آخر " بغرض تحميس نفسه وتشجيعها، والمكابرة والصبر والتحمل، فهو يرغب في التحرر من إحساسه بالعجز الذي أصابه بسبب السجن، فهو يرفض البقاء فيه، ولا يملك حرية الحديث أو التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ورغبته في ذلك؛ لأن السجن تحكمه ضوابط وقوانين هو لا يؤمن بها، ولكنه مجبر على تنفيذها، وبما أن الراوي يشبه نفسه بطائر الفينيق الذي يخرج من تحت الرماد بحلة جديدة، فقد جاءت الكناية المتمثلة في: " لا تزيده النار إلا توهجا وتألقا وقوة " استلزامية؛ إذ أن الطائر الذي يحيي من جديد ويخرج من تحت الركام ما تزيده النار إلا توهجا، وهو دلالة على قدرة الراوي على التأقلم والعيش في أي بيئة وإن

كان لا يستطيع العيش فيها، فهو يشبه نفسه بالطائر الذي لا تؤثر فيه الأزمات ولا الظروف المحيطة به، وما دام الراوي قد شبه نفسه بطائر الفينيق فهذا يعني أن السجن سيزيده إصراراً على كفه بكل شيء وعلى الدفاع عن نفسه، والقارئ الحذق سيدرك بأن الراوي إنسان متمرّد ويملك عقداً، كان سببها البيئة التي كان يعيش فيها خاصة في طفولته التي عاشها مع جده مصباح المتمرّد على كل شيء وإهمال والديه له وكثرة شجارهما، فكل هذا كان سبباً وراء هذا الإحساس والشعور.

النموذج الرابع:

>> تحركت السيارة ببطء .. تعلقت بها عيناى حتى اختفت، انتبهت من غفلي فجأة، استدرت يمينا أبحث عن بيت جدي " مصباح "، كان قلبي يخفق بشدة خوفاً من الصدمة، تنفست بعمق وأنا أراه كما تركته سوى سور من حديد ضرب على جداره الخارجي وسد حتى بابه <<¹.

عندما خرج الراوي من السجن وجد طفله المدللة تنتظره بسياراتها، طلبت منه أن يصعد دون أن تتقوه بكلمة واحدة، ربما لأنها كانت تنتظر هذا اليوم بفرغ الصبر، وعندما جاء هذا اليوم لم تصدق ذلك، ومن شدة فرحها لظمت الصمت، وربما يعود السبب وراء ذلك إلى تخليها عنه وارتباطها برجل آخر، إن ما يهم متلقي الخطاب هو موقف الراوي بعد نزوله من السيارة، والبحث عن المعنى الذي تحمله الكنايات التي استخدمها الراوي في إيصال رسالته وسرده للأحداث التي جرت بالفعل.

تتمثل الكناية الأولى في قوله: " تحركت السيارة ببطء .. تعلقت بها عيناى حتى اختفت "، وهي كناية عن مدى تعلق الراوي بطفله المدللة التي لم يرها منذ زمن طويل، وعندما رآها لم تستقبله بالأحضان كما كان يتوقع، وتأتي أيضاً بمعنى الحسرة والألم؛ لأنه لا يستطيع العيش دونها، وكان يرغب في قضاء وقت أطول معها، وتستلزم هذه الكناية وجود علاقة سابقة بينهما،

¹ المصدر نفسه: ص 91.

وإلا لما ظل يراقب السيارة حتى اختفت، كما أن طفلة الراوي المدللة كانت تنظر إليه من خلال مرآة سيارتها، وإلا لما كانت تقودها ببطء شديد، وهذا يعني أنها تهتم به وتكابر فقط ولا تريد إبراز ضعفها ومدى تعلقها به.

جاءت الكناية الثانية في قوله: " انتبهت من غفلي فجأة، استدرت يمينا أبحث عن بيت جدي مصباح " للدلالة عن الحنين والشوق إلى كل ما يذكره بجده مصباح الذي وافته المنية عندما كان صغيرا وفي أوج الحاجة إليه، وهذا الاشتياق يتطلب إلزاما إحساسه بأمر معين يتمثل في قوله: " كان قلبي يخفق بشدة خوفا من الصدمة، تنفست بعمق وأنا أراه كما تركته سوى سور من حديد ضرب على جداره الخارجي وسد حتى بابه ".

يعبر الراوي عن إحساسه عندما رأى بيت جده مصباح لأول مرة بعد تلك السنوات، ووصفه لحالته، حيث أصبح قلبه يخفق بشدة من الصدمة، وهي كناية عن جهله لما سيرى، فهل سيرى نفس البيت الذي تركه آخر مرة قبل دخوله إلى السجن أم أن هذا البيت قد تم بيعه لعائلة أخرى أم أنه أصبح بيتا مهجورا يشبه كهف الأشباح؟.

سيدرك القارئ الحذق لهذا الخطاب أن الراوي قد طرح على نفسه عدة أسئلة قبل أن يرى بيت جده مصباح، وسيدرك أنه متلهف لهذه اللحظة وإن كانت صعبة جدا عليه، لكنه عندما رآه تنفس بعمق وهي كناية عن إحساسه بالراحة، ربما لأنه لم يتوقع أن يرى بيت جده مصباح كما تركه سوى سور من حديد ضرب على جداره الخارجي وسد حتى بابه، فالاستلزام الحواري في هذا النموذج مرتبط بالكناية التي تحمل في طياتها الكثير من الدلالات المتعلقة بالشوق والحنين والحسرة والشعور بالألم.

النموذج الخامس:

>> ماء القط في مسمعي فجأة، التفت إلى الجدار حيث رأيته آخر مرة منذ خمس سنوات، لا أثر له، غير أن مواءه ظل ينبعث من ذات المكان، خطوت أتفقده بدأ المواء يتشظى ويتعدد، حتى

صار ينبعث من كل مكان، عجلت ألتقت حوالى، وصرت أرى صورته أيضا، لكنها سريعا ما كانت تختفى <<1.

يتحدث الراوى عن القط الخاص به الذى سماه (مصباح)، حيث استخدم الكناية ليعبر عن مدى اشتياقه له وإن كان هذا الاشتياق غير مصرح به، لكن القارئ الحذق لهذا الخطاب سيفكك الكنايات التى وظفها الراوى فى هذا النموذج وسيستخرج ما وراء السطور، فى قوله: " ماء القط فى مسمعى فجأة " كناية عن مدى ارتباطه بالقط مصباح والتفكير فيه طيلة الوقت الذى قضاه فى السجن، فعندما رأى الراوى المكان الذى شاهده فيه آخر مرة تذكره مباشرة، مما يعنى أنه متعلق بقطه كثيرا ولهذا لم يستطع نسيانه، فالمكان جعله يعود بالزمن إلى الوراء حيث كان برفقته مستمتعا بوقته معه.

إن فى قول الراوى: " لا أثر له، غير أن مواءه ظل ينبعث من ذات المكان، خطوت ألتفقه بدأ المواء يتشظى ويتعدد " دليل على شعوره بالحزن الكبير، فهو غير مصدق بأن القط غير موجود وأنه لن يراه مجددا، تتضافر الكنايات لتبين بأن مواء القط صار يتلاشى فى مسمع الراوى ويتشظى ويتعدد فى كل الأماكن؛ لأنه أدرك فى لحظة معينة أنه كان يعيش فى وهم طيلة سنوات مكوثه فى السجن، كما أدرك أن صورة قطه التى يراها الآن ما هى إلا من نسج خياله؛ لأن هذا القط وافته المنية ولم يبق منه سوى ذكرياته والمكان الذى كان يقف فيه وهو ينظر إلى الراوى المنقاد إلى السجن.

جاءت هذه الكنايات التى تصب فى إحساس الراوى بالحزن واشتياقه الكبير لقطه مصباح ككسر لقواعد الاستلزام الحوارى التى تمثل مبادئ التعاون، حيث خرق بداية قاعدة (الكم)، فلقد تحدث الراوى عن وقع سماع صوت قطه مصباح فى نفسه أكثر مما يتطلب المقام، كما كسر قاعدة (النوع)؛ إذ أنه كان كاذبا فلا يمكن أن يشاهد الراوى القط فى كل الأماكن، وكذلك لا

¹ المصدر نفسه: ص 91.

يمكن سماع صوته في كل الأماكن، وهذا ما لا يمكن للقارئ تصديقه، كما قام بكسر قاعدة (الكيف)؛ لأنه لم يكن واضحاً في حديثه عن القط، وهذا ما يتطلب وجود قارئ حذق يمكنه تأويل ما قال به الراوي وفك شفراته.

النموذج السادس:

>> وتناهى إلى مسمعي مرة أخرى مواء، أحسست كأنه آت من الفناء، أصخت السمع لكن المكان لفه صمت رهيب، إنه قطي، قطي " مصباح " ذات المواء الذي ألفتة منه، ذات المواء الذي سمعته قبل دخولي، وهو ذاته أيضاً وقد تغاشاني اللحظة كالسحر <<¹.

لقد كرر الراوي حديثه عن قطه مصباح، لكن هذه المرة سمع صوته وكأنه آت من الفناء، فلم يكن متأكداً من أن هذا الصوت هو صوته، ففي قوله: " أصخت السمع لكن المكان لفه صمت رهيب، إنه قطي، قطي مصباح " كناية عن الوحشة وشعوره بالوحدة، إذ تمنى أن يكون مع قطه مصباح الذي آلف صوته وبات يفرق بينه وبين أصوات القطط الأخرى، مما يدل على حبه وارتباطه العميق به، وكذلك يقول بأنه نفس المواء الذي سمعه أول مرة فور خروجه من السجن، وهو أيضاً نفس الصوت الذي تغاشاه اللحظة.

يستلزم حب الراوي لقطه مصباح البحث عنه والشعور به ومعرفة صوته من بين جميع أصوات القطط الأخرى، فهذا الاستلزام مبني على الألفة والتعود، لكن لا يعني هذا أن الراوي يدرك ما يقول، فهو في لحظة من اليأس وعدم التصديق بأن قطه الذي يحبه كثيراً لم يعد موجوداً، ولهذا يجد متلقي الخطاب أن الراوي قد كسر قاعدة (الكم)، إذ لم يكتف بقوله: " وتناهى إلى مسمعي مرة أخرى مواء " بل تحدث أكثر مما يستلزم المقام، حيث بات يصفه بصفات مختلفة متمثلة في قوله أنه: " ذات المواء الذي ألفتة منه "، " ذات المواء الذي سمعته قبل دخولي "، وهو ذاته أيضاً وقد تغاشاني اللحظة كالسحر "، فالراوي ليس مطالباً بالدخول في كل هذه التفاصيل.

¹ المصدر نفسه: ص 93.

كسر الراوي أيضا قاعدة (النوع)؛ لأنه لم يكن نزيها، فهو لم يسمع مواء قطه مصباح في الواقع، بل كان من مزج خياله؛ لأن متلقي الخطاب يدرك جيدا بأن ما سمعه الراوي يمكن أن يكون حقيقة لكن لن يكون مواء قطه مصباح، بل هو مواء قط آخر بحكم أن القط مصباح قد توفي، أو هو صوت قطه الذي حضر في مسمعه فور وجوده في نفس المكان الذي كان يموء فيه، ويعتبر هذا نتيجة لاشتياقه له.

النموذج السابع:

>> قررت أن أنام

ها أنا ذا أعود منذ خمس سنوات إلى عشي الذي أنبتت فيه القوادم والخوافي

أحتاج إلى نوم طويل <<¹.

لقد عمد الراوي في هذا النموذج إلى توظيف الكناية مما يستلزم ظهور غرض تداولي من ورائها، ففي قوله: " قررت أن أنام " كناية عن شعوره بالتعب الذي كان بسبب كثرة التفكير، ولأنه غير مرتاح البال قرر أن ينام، فبعد مكوثه في السجن لمدة خمس سنوات عاد إلى بيته الذي شابهه بالعش، فقد استعار من الطائر عشه؛ أي هذا البيت الذي شهد بعد غيابه الكثير من الأمور والتغيرات، حيث أن قراره بأخذ قسط من النوم هو كناية أيضا عن اشتياقه للنوم في بيته، يحمل قوله: " قررت أن أنام " في طياته الكثير من الدلالات التي تحتاج إلى قارئ حذق لفك شفراتها.

وظف الراوي نفس الكناية المتعلقة بالنوم مرة أخرى ولكن هذه المرة بصيغة مختلفة، حيث يقول: " أحتاج إلى نوم طويل "، وهي كناية عن شعوره بالتعب والإرهاق وعدم استسلامه للنوم لمدة طويلة، وإحساسه بالإرهاق الذهني الذي يفرض عليه الدخول في نوم عميق، حتى لا يفكر مجددا في ذات المواضيع التي ترهقه كثيرا.

¹ المصدر نفسه: ص 96.

قام الراوى فى هذا النموذج بخرق قاعدة (الكم)، حيث بالغ فى توظيفه لكنايتين يتحدثان عن نفس الموضوع وهو النوم، إذ كان بمقدوره الاكتفاء بالقول الأول المتمثل فى قوله: " قررت أن أنام "؛ لأن قراره باللجوء إلى النوم كاف ليدرك المتلقى من خلاله رغبته فى أخذ قسط من الراحة؛ أى بإمكان النوم أن يشبع رغبته فى التخلص من الإرهاق والتعب، وما قوله: " أحتاج إلى نوم طويل " إلا تكرار وخروج عن القدر الذى يفرضه المقام، تستلزم الرغبة فى النوم الطويل إحساس الراوى بالإرهاق سواء أكان هذا الإرهاق جسدياً أو نفسياً أو ذهنياً، وما على الراوى إلا المثول أمام رغبته الجامحة للنوم.

النموذج الثامن:

>> ما كنت أتوقع وأنا أدخل بوابة الجامعة أن ألحظ من بعيد هذا الحشد الكبير من الشبان فى انتظارى <<¹.

كان دخول الراوى إلى السجن بسبب ما يؤمن به من أفكار، أفكار جعلته يثور على كل شيء، عن العادات والتقاليد والدين والمعتقدات والقوانين والضوابط التى يعتبرها نوعاً من العبودية، وتبعه الكثيرون وآمنوا بأفكاره من بينهم طفلة المدللة، ولكن تلاشت تلك الروابط التى جمعت بينهم فور دخوله للسجن؛ لأن السجن حال دون ذلك.

قام الراوى بتوظيف الكناية فى قوله: " ما كنت أتوقع وأنا أدخل بوابة الجامعة أن ألحظ من بعيد هذا الحشد الكبير من الشبان فى انتظارى "، والغرض منها هو تعبير الراوى عن عدم تصديقه بأن السجن لم يقض على انتشار أفكاره التحررية، وغير مصدق أيضاً بأن المؤيدين لقضيته كانوا فى انتظار خروجه من السجن، فهذه الكناية هى شعور عميق بالفرحة والسعادة التى جعلته يعبر عن مدى تفاجئه بالأمر، يدرك الدارس للخطاب فيما بعد أن الراوى يتوهم، وأنه لم ير

¹ عز الدين جلاوى: هاء، وأسفار عشتار، ص 99.

أى شخص، وأن ما رآه هو ناتج عن مدى تحسره على خسارته، وعدم قدرته على تجسید أفكاره المتمردة على كل شىء فى أرض الواقع.

يستلزم مكوث الراوى فى السجن لمدة طويلة نسیان الناس وكل من آمن بدعوته له، لكن أراد الراوى فى هذا النموذج إثبات العكس، ولهذا استخدم الكناية دلیلاً على تمنیه بأن تظل دعوته قائمة، حتى وإن انقطع سنوات طويلة عنها، فتوهمه بأن أنصاره ینتظرونه أمام الجامعة يستلزم رغبته أيضاً فى العودة لدعوته، فهذه الأوهام ما هى إلا نتیجة لتفكيره الذى لم یغیره السجن ولا العقوبة التى تعرض لها ومنعته من نشر دعوته.

النموذج التاسع:

>> حین نخوض معاركنا ضد أعدائنا نخوضها باعتزاز، لكنها تكون مريرة حین نخوضها أيضاً ضد من یفترض أننا نخوضها لأجلهم¹.

یتحدث الراوى باستخدامه للجمع عن مبدأ من مبادئه، وهو یخاطب متلقى قد یكون حاضراً معه وقد یكون غائباً عنه، فىقول: " حین نخوض معاركنا ضد أعدائنا نخوضها باعتزاز "، وهى كناية عن حسن الخلق والدمائة، فالراوى یصف نفسه ویصف ربما أتباعه بأنهم لا یغدرون ولا یخدعون؛ لأن معاركهم مع أعدائهم نزیهة لا غبار علیها، لكنه یستدرك الأمر فىقول: " لكنها تكون مريرة حین نخوضها أيضاً ضد من یفترض أننا نخوضها لأجلهم "، وهى كناية عن حزن الراوى وشعوره بالألم عندما تكون هذه الحروب بینه و بین من یحب ومن یحارب الدنيا من أجلهم وخذع فیهم وخدعوه، بمعنى أن نظرته إلیهم كانت خاطئة.

یستلزم خوض المعارك وجود العدو، ولكن لا یشعر الإنسان فى هذه الحالة بالألم؛ لأنه یخوضها ضده بكل اعتزاز وفخر، ولكن عندما یخوضها ضد من یحب فهذا یستلزم شعوره بالیأس والألم، فالکناية الأولى مناقضة للکناية الثانية، حیث أن الكناية الأولى مبنیة على الرغبة والسعی

¹ المصدر نفسه: ص 100.

إليها بكل قوة، أما الكناية الثانية فهي إجبارية؛ لأن من كنت بالأمس تحارب من أجله بت تحاربه، والوضع هنا يختلف كثيراً، سيعيش قارئ الخطاب هذه المعركة وكأنها معركته هو؛ لأنه سيعيش حالة الراوي وهو يشعر بالاعتزاز وحالته وهو يحاول أن يتغلب على أعدائه، ومعركته مع من يحب وهو يشعر بالاكنتاب والحزن، فكأنما يحارب الراوي نفسه.

النموذج العاشر:

>> أغضت عيني كنت أرغب في أن أأخذ كل ما رأيت إلى الأبد، ثم فتحتهما فجأة لأرى الفاجعة، لكن المشهد ظل كما هو دون أن يتغير <<¹.

يعبر الراوي عن شعوره عندما رأى طفلة المدللة جالسة في مكتبها تبسّم ابتسامة عريضة ولا تضع مساحيق التجميل، حيث تمنى لو كان باستطاعته تخزين كل ما رآه إلى الأبد، يقول الراوي: " أغضت عيني كنت أرغب في أن أأخذ كل ما رأيت إلى الأبد "، وهي كناية عن مدى اشتياقه لطفلة المدللة؛ لأن الإنسان لا يرغب إلا في تخزين الأشياء التي يحبها ويتمنى وصلها، تستلزم الرغبة في تخزين كل ما رآه إلى الأبد حبه للشيء أو الشخص الذي رآه ويوجد العكس، فهناك من له رغبة في تخزين الأشياء التي يكرها وتؤذيه حتى لا ينسى ما حدث معه، لكن هذا لا ينطبق على هذا النموذج؛ لأن الراوي يقصد تخزين وجه طفلة المدللة من شدة عشقه وحبه لها.

إن قول الراوي: " ثم فتحتهما فجأة لأرى الفاجعة، لكن المشهد ظل كما هو دون أن يتغير " سيجعل المتلقي متشوقاً لمعرفة هذه الفاجعة، وسيدرك متلقي الخطاب الحذق من خلال توظيف الراوي للكناية، أنه استخدمها ليعبر عن عدم قدرته على إغماض عينيه إلى الأبد؛ لأنه لا يمكنه ذلك، ومع هذا فهناك إمكانية تخزين ما رآه للأبد، وإن كان الأمر نسبياً وليس مؤكداً، لكن هذا المشهد كما يقول ظل كما هو دون أن يتغير؛ بمعنى أنه لا زال يرى طفلة المدللة التي لم تعد تبالي به وجعلته يشعر أن ذلك الحب الذي كان يجمع بينهما قد انطفأ.

¹ المصدر نفسه: ص 101.

تتضافر هذه الكنايات لتشكل الاستلزام الحواري، حيث يستلزم إغماض العينين بقاء صورة الطفلة المدللة في ذهن الراوي، ويستلزم فتح العينين حدوث المفاجأة التي تحدث عنها الراوي، ويستلزم فتح العينين في الوقت ذاته بقاء نفس المشهد الأول وهو صورة الطفلة المدللة في ذهن الراوي.

تتمثل مبادئ التعاون التي جاء بها (بول غرايس) في أربع قواعد هي: قاعدة الكم، وقاعدة النوع، وقاعدة العلاقة، وقاعدة الكيف، إذ ساهمت هذه القواعد في تشكيل النص الروائي (هاء وأسفار عشتار)، وسيكتشف المحلل للخطاب أن قواعد الاستلزام الحواري الأربع قد تم خرقها وكسرها في أغلب الأحيان، لاعتماد الروائي في كتابة نصه على الاستفهام والصور البيانية التي تعتبر خروجاً عن المألوف وكسراً لأفق توقع القارئ.

الخاتمة

الخاتمة:

- توصلت المقاربة التداولية في ختام هذا البحث الموسوم بـ: الأبعاد التداولية في الخطاب السردي رواية هاء وأسفار عشتار لعز الدين جلاوي أنموذجا إلى العديد من النتائج أهمها:
- 1- شهد مصطلح النص الوافد إلينا من الغرب إشكالية استقباله في البيئة العربية، نظرا لتشعبه وللبس الحاصل بينه وبين مصطلح الخطاب، هناك من الباحثين والنقاد والدارسين من يرجع السبب في ذلك إلى علة الجدة وحادثة الوفاة المصطلحية النصية.
 - 2- أحدث استقبال مصطلح النص في البيئة العربية إشكالية في تعريفه أيضا، فلم يقف الباحثون والنقاد واللسانيون على تعريف واحد للنص، بل تعددت التعريفات بحسب تخصص كل واحد منهم، ويعود السبب في ذلك إلى عدم استقرار المفهوم واختلاف طرقه الإجرائية.
 - 3- لم يُذكر لفظ (النص) في الكتابات العربية القديمة، وذكر لفظ الكتابة بدلا عنه، حيث ورد مرة واحدة بمعنى التدوين والتسجيل والتقييد والتخليد في كتاب الحيوان للجاحظ.
 - 4- وضعت للنص عدة تعريفات من بينها: أنه كل ما تجاوز إطار الجملة الواحدة، فهو عبارة عن مجموعة من الجمل تربط بينها علاقة اتساق وانسجام، كما يعرف النص بأنه نتاج عملية تواصلية تتطلب وجود طرفين، تتحكم فيها ظروف وملابسات وسياقات خارجية، إضافة إلى ما يعرفه المخاطب عن المتكلم، مما يحقق ذلك عدم وقوع سوء فهم بين المشاركين ونجاح العملية التواصلية، كما أن النص هو فعل لغوي يحمل قوة إنجازية في ذاته.
 - 5- لقد تعددت تعريفات الخطاب جراء الخلط الحاصل بينه وبين النص رغم أن هناك من يجعله مرادفا له ومن بينها: أن الخطاب هو تلك المعاني النصية الصريحة والضمنية التي يعبر عنها المتكلم باستخدام أساليب بلاغية، يتشكل من خلالها خطابا يحقق عملا إنجازيا يؤثر في المتلقي، فلكي يتمكن المتكلم من إنشاء خطاب يجب أن تتوفر فيه عدة شروط، كما يجب على المتلقي أن يتقن فن التأويل.

6 - إن تحليل الخطاب هو تحليل الاستعمال الفعلي للغة، يظهر من خلال أربع منظومات كبرى هي: المنظومة السردية، والمنظومة المنطوقية، والمنظومة الخطابية، والمنظومة الحجاجية، ولا يتم تحليل الخطاب إلا بوجود قواعد وأسس تنبئ عليها كل مقارنة أو منهج، وتجمع هذه القواعد بين الجانب النظري والمنهجي، فلا يتم التحليل إلا بوجود تقنيات محددة وقواعد إرشادية توضح كيفية مقارنة النص وفق المنهج المختار الذي يفرضه النص وليس العكس.

7 - تعتبر التداولية جزء من السيمياء حيث استفادت من أفكار رائدها الأول (بيرس)، المتعلقة بإقامة تمييز بين التعبير بعده نمطا وبين ما يقابله أثناء الاستعمال، كون أفكاره هي النواة الأولى التي أقامت عليها التداولية أسسها من حيث دراسة العلامة والاهتمام بالاستعمال، كما استفادت من أفكار (موريس) الذي ربط الرموز اللغوية بالسياقات الخارجية والظروف التي أوجدتها، فاهتم بها من ثلاثة جوانب ولم يفصل بينها وهي: الجانب التركيبي والجانب الدلالي والجانب التداولي.

8 - لقد ساهمت الفلسفة التحليلية في نشأة التداولية من خلال تجاوزها للنظرة القديمة للغة، التي كانت تعتبرها واضحة وشفافة وتربطها بالمنطق، في حين بات الاهتمام باللغة العادية مرتبطا بالسياقات الخارجية والاستعمال، فالمعنى لم يعد مرتبطا بالدلالة فقط بل تجاوزها إلى السياق التداولي، ومن روادها (أوستن) الذي استفاد من أفكارها وأدخل مفهوم العمل اللغوي الذي سيصبح فيما بعد محوريا أساسيا في التداولية، بحيث تتجاوز اللغة الوصف لتصبح عبارة عن أعمال إنجازية، وتبعه في ذلك تلميذه (سيرل) و(غرايس)، كما استفادت من اللسانيات والتوليدية التحويلية والنحو الوظيفي وعلم الدلالة ولسانيات النص وغيرهم.

9 - أشارت الكتب العربية القديمة إلى ما يسمى بأفعال الكلام من خلال الحديث عن نظرية الخبر والإنشاء، إلا أن البحث عنها لم يكن مقصودا دائما في ذاته.

10 - تعنى التداولية بدراسة اللغة في الاستعمال وبالأثر التفاعلي بين المتحاورين في ملابسات وظروف الخطاب، الذي ينتج عنه دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة باللفظ خاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق.

11 - حضرت الإشارات الشخصية في رواية (هاء وأسفار عشتار) مضمرة أو مستترة في أغلب الأحيان، كما كان الضمير الغالب في هذه الرواية هو ضمير الغائب والمتمثل في الضمائر: (هو) و (هي) و (هم)، ربما يعود السبب في ذلك إلى انعدام الحوار المباشر بين الشخصيات، إضافة إلى حضور ضمير المتكلم بكثرة والمتمثل في ضمير (أنا).

12 - لقد وظفت الإشارات المكانية بكثرة في هذه الرواية، وارتبطت بأماكن محددة تتمثل غالباً في: السجن، البيت، الحديقة، الطبيعة، الجامعة، المدرسة، وهذا ما جعل الخطاب هادفاً وموجهاً لمتلقي حذق، نظراً لتضافر الدلالات المضمرة بينها، والتي على متلقي الخطاب فك شفراتها، وكسر أفق التوقع فيها.

13 - تحدد الإشارات الزمانية الزمن الذي وقعت فيه الأحداث في الرواية، حيث برز نوعان منها: يتمثل النوع الأول في الإشارات المباشرة مثل ذكر الراوي للأشهر والساعات بالتفصيل، أما النوع الثاني فيتمثل في الإشارات غير المباشرة التي يكون الزمن فيها مضمراً غير محدد بالتدقيق، مما يجعل المتلقي يبحث عن تأويل وتفسير لها من خلال ربطها بزمن التكلم والسياقات المحيطة به، مثل (جنح الظلام) و (جل ذلك اليوم) اللذين لا يتضح فيهما الزمن الحقيقي للحدث.

14 - تعتبر أفعال الكلام آلية من آليات التداولية، حيث يقوم كل ملفوظ على نسق شكلي، دلالي، إنجازي، تأثيري، نحوي، باعتبار أن كل الأفعال القولية تحقق أغراضاً إنجازية، عمدنا من خلالها إلى تحليل نص (هاء وأسفار عشتار) وتم ذلك وفق تصنيف (سيرل) لأفعال الكلام، التي تتمثل في: الإخباريات والتوجيهيات والوعديات والتعبيريات والإعلانيات.

15 - ظهرت الإخباريات في هذه الرواية بين الأخبار الصادقة والأخبار الكاذبة التي كان يخبر الراوي بها المتلقي، ورغم أن النص المدروس جمع بين الإضمار والتصريح وبين الحقيقة والخيال إلا أنها تعتبر أخباراً حقيقية بالنسبة للشخصية الراوي، كونه إنساناً وكونه ذنباً متحولاً، وللمتلقي الحرية في تصديقها من عدمه.

16 - حضرت التوجيهيات في هذه الرواية مباشرة وغير مباشرة، بحسب وضعيتها في الخطاب، تمثلت في: فعل الأمر، والاستفهام، والنصح الذي جاء ضمنه التوبيخ والتوصية، وما جعل الأنواع الأخرى من التوجيهيات تكاد تنعدم هو غياب الحوار بين الشخصيات.

17 - ظهر الاستفهام في معظم الأحيان موجه من الراوي إلى نفسه، كما ظهر فعل الأمر في أغلب الأحيان غير مباشر نظرا لغياب الحوار، والشيء ذاته بالنسبة للنصح الذي جاء مضمرا وغير مصرح به يفهم من سياق الخطاب.

18 - ظهرت الوعديات غير مباشرة في أغلب الأحيان، تتمثل في الوعود التي قطعها المتكلم على نفسه وعلى المخاطب، تدل عليها أحيانا القرائن اللغوية وتُفهم أحيانا أخرى من سياق الخطاب، حضرت الوعديات بمفهوم القسم والوعد والوعيد حاملة لقوة إنجازية تتمثل في الصدق أو الكذب.

19 - تتجلى التعبيرات من خلال الوصف والسرد، إذ وُجدت أنواع وأغراض كثيرة تعبيرية من بينها: الحنين، الحرية، الأمل، التمني وغيرها.

20 - جاءت الإعلانات مباشرة في عدة مواضع، ومرتبطة بزمن الماضي نظرا لاسترجاع الراوي لذكرياته، مما يعني أنها كانت مرتبطة بزمن المضارع وتحمل قوة إنجازية، كما حضرت بطريقة غير مباشرة تفهم من خلال القرائن اللغوية التي تدل عليها أو من خلال ربطها بالسياقات الخارجية والظروف والملابسات التي أدت إلى نشأتها.

21 - عمل الرابط التساوقي (حتى) في هذه الرواية على الربط بين الحجج، حيث جاءت الحجج التي قبله غاية لما بعده، ومؤدية إلى نتيجة واحدة، كما جاء الرابط التعارضى (لكن) ليربط بين حجج متعارضة، لتكون الحجج التي بعده مناقضة للحجج التي قبله ومؤدية إلى نتيجتين متعارضتين، في حين حضر الرابط الحجاجي (بل) بمعنى الإضراب الإبطالي والإضراب الإنتقالي وعاملا عمل (لكن) التعارضية وعمل (حتى) التساوقية، أما الرابط الحجاجي (لأن) فغرضه إثبات النتيجة عن طريق تقديم الحجج والأدلة المناسبة.

22 - حضرت العوامل الحجاجية المتمثلة في أدوات النفي والاستثناء بكثرة في هذه الرواية، وكان لها أثر بارز في تشكيل البعد الحجاجي والتداولي، حيث عملت على حصر الحدث في إمكانية أو إمكانيةين، حاول الراوي من خلالها إقناع المتلقي والتأثير فيه، كما جاء الاستثناء بإلا لإثبات النفي الذي جاء قبلها والمتمثل في: (لا أو ما)، أو (ليس أو لم).

23 - يوجد في هذه الرواية معاني حرفية ومعاني استلزامية، مما يجعل الآلية الأخيرة المتمثلة في: (الاستلزام الحوارية) من أهم المظاهر اللغوية البارزة فيها، حيث تتمثل في مبادئ التعاون التي جاء بها (بول غرايس) وهي أربع قواعد: قاعدة الكم، وقاعدة النوع، وقاعدة العلاقة، وقاعدة الكيف، إذ ساهمت هذه القواعد في تشكيل الرواية، وقد تم كسر وخرق قواعد الاستلزام الحوارية في أغلب الأحيان، لاعتماد الروائي في كتابة نصه على الاستفهام والصور البيانية التي تعتبر خروجاً عن المؤلف وكسراً لأفق توقع القارئ.

الملحق



الملحق:

الترجمة العلمية للشخصية:

" عز الدين جلاوجي من مواليد 1962 بولاية سطيف، أستاذ التعليم العالي بجامعة سطيف، كاتب وأديب وروائي، له العديد من الكتابات المتنوعة، كانت بداياته سنة 1994 حينما ألف مجموعة قصصية بعنوان (لن تهتف الحناجر؟)، لتظهر له في الساحة فيما بعد أعمالا مختلفة ومتنوعة بين الرواية وأدب الطفل والقصة والمسرح والنقد، يعالج الأديب الأكاديمي عز الدين جلاوجي قضايا مختلفة سياسية، اجتماعية، ثقافية، يتحدث فيها عن الهم الجمعي للمجتمع وعن الثقافة والعلم والتعلم وعن الفساد وانحطاط القيم، وكيف يمكن مواجهتها والتصدي لها والثورة ضدها، فهو يعبر عن كل ما يتعلق بالإنسانية، حيث تعتبر أعماله دعوة للنهوض بالمجتمع والارتقاء والرفعة والتحلي بالقيم النبيلة في زمن كثرت فيه المفاتن والانحلال، ما يميز هذه الأعمال اشتغال الأديب (عز الدين جلاوجي) على التجريب، واستحضار الموروث الشعبي، واعتماد أسلوب فريد غابته التنوع في أشكال التعبير.

يريد الأديب (عز الدين جلاوجي) إيصال رسالة للمتلقي تتمثل في ثلاثية: (الحب والخير والجمال)، أنجز أعمالا وأصطلح عليها (المسردية)؛ إذ قام فيها بإعادة تحرير النص المسرحي بطريقة السرد، كما أسس لـ (مسرح اللحظة / مسرحيات قصيرة جدا)، إضافة إلى العديد من الروايات التي ظهرت على الساحة الأدبية، تحصل عز الدين جلاوجي على العديد من الجوائز من بينها جائزة (كتارا) عن رواية عناق الأفاعي، ومن مؤلفاته:

12 عملا نقديا:

- تيمة العنف بين المرجعية والحضور في المسرحية الشعرية المغاربية.
- شطحات في عرس عازف الناي.
- قبسات مسرحية (قراءة في المشهد المسرحي).
- العوالم الشعرية (قراءة في الرؤيا والتشكيل).

- قبسات شعرية (قراءة في المشهد الشعري).
- الأمثال الشعبية الجزائرية.
- النقد الموضوعاتي (في نماذج تطبيقية).
- أقانيم العنف في المسرحية الشعرية المغاربية.
- قالت دنيا زاد (قراءة في الأدب النسوي العربي).
- قبسات سردية (قراءة في المشهد السردى).
- المسرحية الشعرية المغاربية.
- النص المسرحي في الأدب الجزائري.

12 رواية:

- هاء، وأسفار عشتار.
- عناق الأفاعي.
- حائط المبكى.
- الرماد الذي غسل الماء.
- علي بابا والأربعون حبيبة.
- الفراشات والغيلان.
- حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر.
- سرادق الحلم والفجيعة.
- العشق المقدس.
- الشجرة التي هبطت من السماء.
- راس المحنه $0=1+1$.
- الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال.

16 عملا في المسردية:

- النخلة وسُلطان المدينة.
- مملكة الغراب.
- الأقمعة المتقوية.
- رحلة فداء.
- أحلام الغول الكبير.
- البحث عن الشمس.
- حب بين الصخور.
- هستيريا الدم.
- ملح و فرات.
- امرؤ القيس يبيع بيت الله.
- الفجاج الشائكة.
- أنا لست أنا.
- اتهام في قفص الاتهام.
- غنائية الحب والدم.
- مسرح اللحظة (مسرحيات قصيرة جدا).

03 مجموعات في القصة:

- رحلة البنات إلى النار.
- لمن تهتف الحناجر؟.
- سهيل الحيرة.

41 مسرحية في مسرح الأطفال:

- 10 مسرحيات للأطفال بعنوان: (الثور المغدور).
- 10 مسرحيات خاصة بالأطفال عنونها: (السيف الخشبي).

- 10 مسرحيات بعنوان: (الليث والحمار).

- 11 مسرحية للأطفال بعنوان: (الدجاجة صنيورة).

07 قصص خاصة بالأطفال:

- 3 قصص بعنوان: (السلسلة الذهبية).

- 4 قصص بعنوان: (عقد الجمال).

05 سيناريوهات:

- قطوف دانية.

- حميمين الفايق.

- بساتين السراب.

- الجثة الهاربة.

- رحلة فداء.

ومن النقاد الذين كتبوا عنه:

- الأستاذ الدكتور سامي الوافي: الشخصية الروائية، دراسة شكلانية سيميائية، في نصي رأس المحنة والرماد الذي غسل الماء.

- عبد القادر فيدوح: تسريد الذاكرة حفر تأويلي في ثلاثية (عز الدين جلاوجي).

- الدكتور إبراهيم بوخالفة: نقد العقل الكولونيالي دراسات في مسرديات عز الدين جلاوجي.

- الدكتورة دليلة زروق: تداولية الخطاب في قصص عز الدين جلاوجي دراسة سيميائية تداولية.

- الدكتورة حنيئة طبيش وآخرون: المغامرة الجمالية في روايات عز الدين جلاوجي.

- الدكتور صفاء الدين أحمد فاضل: التواتر الروائي من نقد الأنساق إلى فاعيلة الإتساق الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال اختيارا.

- الدكتور بوخالفة إبراهيم: صناعة الوعي في ثلاثية عز الدين جلاوجي.

الدكتورة جبالي مريم أنيسة: صورة الأرض في روايات عز الدين جلاوجي.
 الدكتورة مديحة سابق: شعرية التناسل التراثي في روايات عز الدين جلاوجي.
 الدكتور شرف عبيدي: المفارقة في الرواية الجزائرية.
 الدكتورة حفيظة طعام: الرؤية والبناء في روايات عز الدين جلاوجي.
 الدكتورة جويبة بن شريط: بنية السرد في قصة الطفل.
 الدكتورة أسماء حمداوي: السيميائيات النفسية، نحو مقارنة جديدة لقراءة الطاب في روايات عز الدين جلاوجي.
 بقلم ثلة من النقاد المغاربة: تجربة جزائرية بعيون مغربية.
 الدكتورة حدة العدلي: سردية العنف في روايات عز الدين جلاوجي.
 الدكتورة زبيدة بو غواص: النص المسرحي للطفل، مقارنة تطبيقية في نصوص عز الدين جلاوجي.
 شهدت أعمال عز الدين جلاوجي رواجا كبيرا في الجزائر وخارجها، كان ضيف شرف في ملتقيات دولية ووطنية، من الجامعات التي احتفت بأعماله جامعة: تيزي وزو، تلمسان، ورقلة، وهران، قسنطينة، خنشلة، سكيكدة، تيارت، برج بوعرييج، بومرداس، غليزان.
 وتم تكريمه في كثير من المناسبات ومن طرف العديد من المؤسسات الثقافية من بينها: وزارة الثقافة، البرلمان الجزائري¹.

¹ ملاحظة: كل المعلومات المذكورة استقيناها من حوار (عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك)) أجريناه مع الكاتب والأستاذ الدكتور عز الدين جلاوجي بتاريخ 10 جويلية 2024.

A decorative floral frame with a central oval containing the text. The frame is composed of intricate black line art depicting leaves and vines. Below the main frame, there is a faint, light gray reflection of the same design on a checkered background.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر:

1- عز الدين جلاوجي: هاء، وأسفار عشتار، ط1، 2022، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر.

الكتب العربية:

2- ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ط4، 2004، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

3- ابن هشام الأنصاري: مُغني اللبيب عن كُتب الأعراب، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، د . ط، 1991، المكتبة العصرية، بيروت.

4- ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ط2001، 1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت.

5- أبو بكر العزاوي: الحجاج بين النظرية والتطبيق، ط1، 2020، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن.

6- أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ط1، 2010، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

7- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط1، 2006، الدار البيضاء.

8- أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، تح لجنة إحياء التراث العربي، ط4، 1980، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

9- أبي منصور عبد الملك: الكناية والتعريض، تح عائشة حسين فريد، د . ط، 1998، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

- 10- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، 2001، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- 11- أحمد فال السباعي: أزمة الأصالة في الخطاب التداولي العربي طه عبد الرحمن أنموذجاً، د ط، 2022، أفريقيا الشرق، المغرب.
- 12- أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، 2015، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن.
- 13- الأزهر الزناد: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ط1، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 14- الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، ط1، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 15- أيمن أمين عبد الغني: النحو الكافي، ج1، د . ط، 2010، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.
- 16- بهاء الدين محمد مزيد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية، ط1، 2010، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 17- تمام حسان: اجتهادات لغوية، ط1، 2007، عالم الكتب، القاهرة.
- 18- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط5، 2016، دار الجنوب، تونس.
- 19- جميل حمداوي: لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، ط1، 2019، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظورن - تطوان.
- 20- جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- 21- جيني توماس: المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ط 1، 2010، دار الزهراء، الرياض.

- 22- حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ط2، 2014، عالم الكتب الحديث، الأردن.
- 23- حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثاني الحجاج: مدارس وأعلام، ط1، 2010، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن.
- 24- حسن المودن: بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ط1، 2014، كنوز المعرفة، الأردن - عمان.
- 25- الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، 1992، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 26- الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ط1، 2014، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.
- 27- حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، 2007، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- 28- حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط2، د . ت، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة - تيزي وزو.
- 29- الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ط1، 1904، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 30- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، 2009، بيت الحكمة، الجزائر.
- 31- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، د . ط، د . ت، دار التراث، القاهرة.
- 32- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، 2011، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن.

- 33- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، 1997، دار نوبار للطباعة، القاهرة.
- 34- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التثوير)، ط3، 1997، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 35- السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تح شاكر هادي شكر، ج1، ط1، 1968، مطبعة النعمان، بغداد.
- 36- شاهر الحسن: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ط1، 2001، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
- 37- صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، ط1، 2009، الدار المتوسطة للنشر.
- 38- صابر الحباشة: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1، 2010، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية.
- 39- صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في (شروح التلخيص) للخطيب القزويني، ط1، 2011، صفحات للدراسات والنشر، سورية - دمشق.
- 40- صابر محمود الحباشة: الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، ط1، 2011، عالم الكتب الحديث، الأردن.
- 41- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ط1، 2000، دار قباء، القاهرة.
- 42- صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح نسيب نشاوي، ط2، 1992، دار صادر، بيروت.
- 43- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، د . ت، المركز الثقافي العربي، المغرب.

- 44- عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ط1، 2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.
- 45- عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، ط3، د . ت، دار المعارف مصر.
- 46- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، ط1، 1975، دار القلم، دمشق - بيروت.
- 47- عبد الرحمن عبد السلام محمود، النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا مقارنة في فلسفة المصطلح، ط1، 2015، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 48- عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجا)، ط1، 2006، مكتبة الآداب، القاهرة.
- 49- عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، ط1، 2016، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- 50- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تع محمد محمود شاكر، د . ط، د . ت، مكتبة الخانجي.
- 51- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، 2013، منشورات ضفاف، بيروت - لبنان.
- 52- عبد الله بيرم: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، ط1، 2013 - 2014، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- 53- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، 2007، دار الفرابي، بيروت - لبنان.
- 54- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، 2004، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان.

- 55- عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلّه، ط1، 2009، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- 56- عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط1، 2011، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس.
- 57- عز الدين مجدوب: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، ج1، ط1، 2012، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس.
- 58- علي السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، 1982، دار الرسالة، بغداد.
- 59- علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ط1، 2008، مسكيلياني، تونس.
- 60- علي عبد الحسن الحمداني وعبود حسن المها: التواصلية في أداء الممثل المسرحي، ط1، 2014، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان.
- 61- عمار ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط1، 2009، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- 62- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط2، تاريخ الإيداع 2013، دار الأمل، تيزي وزو.
- 63- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، 2011، دار الأمان، الرباط.
- 64- فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إحمادي صمود، د. ط. د. ت، كلية الآداب منوبة، تونس.
- 65- ليندة قياس: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا، ط1، 2009، مكتبة الآداب، القاهرة.

- 66- مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ط1، 2015، منشورات ضفاف، بيروت.
- 67- مجيد الماشطة وأمجد الركابي: مسرد التداولية، ط1، 2018، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان.
- 68- محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د . ط، 2002، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.
- 69- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، د . ط، 2008، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، د . ب.
- 70- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، د . ط، 2014، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة.
- 71- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ط2، 2012، أفريقيا الشرق، المغرب.
- 72- محمد بازي: صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، ط1، 2015، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- 73- محمد بن سعد الدكان: الدفاع عن الأفكار تكون ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ط1، 2014، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت - لبنان.
- 74- محمد بن عبد الله المشهوري: التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ط1، 2019، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- 75- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 76- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، 2008، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.

- 77- محمد شومان: تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج تطبيقية، ط1، 2007، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- 78- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، 2005، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء.
- 79- محمد فارح: التحليل التداولي للخطاب، ط1، 2023، نوران للنشر والتوزيع، تبسة.
- 80- محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ط1، 2004، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.
- 81- محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان.
- 82- محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، د . ط، 2010، أفريقيا الشرق، المغرب.
- 83- محمود السيد شيخون: الاستعارة نشأتها وتطورها، ط2، 1994، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن.
- 84- محمود أمين العالم وآخرون: الرواية العربية بين الواقع والأيدولوجية، ط1، 1986، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية - اللاذقية.
- 85- محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د . ط، 2012، مكتبة الآداب، القاهرة.
- 86- محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، 2005، دار النشر للجامعات، مصر.
- 87- مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، ط1، 2015، دار ومكتبة عدنان، بغداد.

- 88- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، 2005، دار الطليعة، بيروت.
- 89- نبيهة قارة: مدخل إلى فلسفة اللغة، الثلاثية الثانية 2009، الوسيط للنشر، تونس - صفاقس.
- 90- نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، د . ط، 2009، مركز النشر الجامعي، منوبة - تونس.
- 91- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ط1، 2009، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- 92- نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، ط1، 2012، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 93- نعمان عبد الحميد بوقرة: الخطاب والنظرية والإجراء، د . ط، د . ت، دار جامعة الملك سعود للنشر، د . ب.
- 94- هادي السعيد: فصول في التحليل التداولي قراءات تطبيقية، ط1، 2022، دار الصادق الثقافية، العراق.
- 95- هاشم ميرغني: بنية الخطاب السردية في القصة القصيرة، ط1، 2008، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم.
- 96- هيا راشد الزهير: الحكم العطائية دراسة تداولية، ط1، 2015، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن.
- 97- هيثم شهيد: الوعي الجمالي بين فلسفتي العلم والبرجماتية، ط1، 2017، دار الرافدين، لبنان - بيروت.
- 98- وردة بويران: محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، 2018، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، عمان.

- 99- يحي بن حمزة: الطراز، تح عبد الحميد هنداوي، ج2، د . ط، د . ت، المكتبة العصرية، بيروت.
- الكتب المترجمة:**
- 100- أ . مولز وآخرون: في التداولية المعاصرة والتواصل، تر محمد نظيف، د . ط، 2014، أفريقيا الشرق، المغرب.
- 101- ابن عيسى الرماني: معاني الحروف، حق عرفان بن سليم الدمشقي، د . ط، د . ت، المكتبة العصرية، بيروت.
- 102- إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب، تر محمد تنفو وليلى أحمياني، ط1، 2018، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 103- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، 2003، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- 104- باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى)، تر أحمد الودرني، ط1، 2009، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.
- 105- باتريك شارودو، دومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، د . ط، 2008، دار سيناترا، تونس.
- 106- تزفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، ط1، 2005، منشورات الاختلاف، د . ب.
- 107- تون أ، فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر سعيد حسن بحيري، ط1، 2001، دار القاهرة للكتاب، القاهرة.
- 108- ج. يول: تحليل الخطاب، تر محمد لطفي الز ليطني، د . ط، 1997، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- 109- جاك موشر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين، د . ط، 2010، دار سيناترا، تونس.
- 110- جوتس هذه لانج: مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر سعيد حسن البحيري، ط1، 2012، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- 111- جورج بول: التداولية، تر قصي العتابي، ط1، 2010، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- 112- جون - ك آدمز، التداولية والسرد، تر خالد سهر، ط1، 2009، مجلة الأقاليم، بغداد.
- 113- جيوفري ليتش: مبادئ التداولية، تر عبد القادر قنيني، د . ط، 2013، أفريقيا الشرق، د . ب.
- 114- دراسات وبحوث مختارة تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، تر حافظ إسماعيل علوي وآخرون، ط1، 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- 115- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، ط1، 2008، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- 116- روجر ب . هينكل: قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، تر صلاح رزق، ط2، د . ت، آفاق الترحيب، القاهرة.
- 117- زتسيسلاف واورزنيك: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر سعيد حسن بحري، ط1، 2003، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 118- سراج الملة والدين أبي يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ط2، 1987، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 119- فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قنيني، د . ط، 2013، أفريقيا الشرق، المغرب.

- 120- فرانثيسكو يوس راموس: مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، تر يحيى حمداوي، ط1، 2014، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق.
- 121- فرانسوا راستيي: فنون النص وعلومه، تر إدريس الخطاب، ط1، 2010، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب.
- 122- فيليب بروتون، جيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، 2011، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
- 123- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ط1، 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية.
- 124- كريستيان بلانتان: الحجاج، تر عبد القادر المهيري، د . ط، 2010، دار سيناترا، تونس.
- 125- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ط2، 2010، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 126- ماريان يورغنسن، لويز فيليبس: تحليل الخطاب: النظرية والمنهج، تر شوقي بوعناني، ط1، 2019، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة.
- 127- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، ط1، 1987، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط.
- 128- هايدن وايت: محتوى الشكل الخطاب السردي والتمثيل التاريخي، تر نايف الياسين، مر فتحي المسكيني، ط1، 2017، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة - مملكة البحرين.

المقالات:

- 129- إفهام عبد الحافظ القباطي: الإشارات في صورة مريم دراسة تداولية، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ع 08، ديسمبر 2020، الصفحات 200 - 228.

- 130- أمنة جاهمي: الأفعال الكلامية ووظائفها عند علي كرم الله وجهه تحليل من منظور رؤية سيرل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 13، ع 01، الصفحات 640 - 659.
- 131- بوقفطان مصطفى، بوخالفة إبراهيم: المضمرة في الخطاب بين التداولية والنقد الثقافي، مجلة دراسات معاصرة، تيسيمسيلات - الجزائر، مج 05، ع 02، 2021، الصفحات 280 - 290.
- 132- بوهنوش فاطمة: الأشكال التعليلية وأثرها في دلالة الخطاب القرآني، مجلة دراسات معاصرة، تيسيمسيلات - الجزائر، مج 02، ع 02، 2018، الصفحات 26 - 30.
- 133- جلاي علي، بن يحي ناعوس: أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصل الخطاب، مج 10، ع 02، 2021، الصفحات 7 - 22.
- 134- حفناوي شيخة: دلالة انحراف بنية الاستفهام في القرآن الكريم في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة النص، أم البواقي، مج 08، ع 02، 2022، الصفحات: من 298 - 316.
- 135- حمادي خلف سعود الركابي: تداولية الإشارات في شعر ليبيد ربيعة العامري، مجلة الدراسات المستدامة .. السنة الثالثة، مج 03، ع 04، 2021، الصفحات 754 - 779.
- 136- حمادي خلف مسعود: تداولية الإشارات في شعر النابغة الذبياني، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ع 38، 2020، الصفحات 24 - 38.
- 137- حمادي مصطفى: تداولية الإشارات في الخطاب القرآني مقارنة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، ع 26، سبتمبر 2016، الصفحات 63 - 73.
- 138- حميدات الجمعي: الإشارات المقامية الشخصية وأبعادها التداولية في الخطاب النبوي، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، بريكة، مج 06، ع 01، 2023، الصفحات 1684 - 1710.
- 139- حنان بنت علي عسيري: تداولية الإشارات عند ابن زيدون قصيدة " أثرت هزير الشرى إذ ريض " أنموذجا، مجلة كلية دار العلوم، ع 141، يوليو 2022، الصفحات 227 - 258.

- 140- حنان بوكرامة، نسيمة علوي: أغراض الأفعال الكلامية في شعر عبد الحميد بن باديس - دراسة تداولية -، مجلة لغة - كلام، مج 07، ع 03، 2021، الصفحات 38 - 51.
- 141- خميس فزاع عمير: نظريات المنهج التداولي عند علماء جامعة أوكسفورد تحليل وصفي تطبيقي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، ع 05، 2016، الصفحات 1 - 16.
- 142- خيرة ولد العزاوي، نعيمة زايدي: أفعال الكلام ومتضمنات القول في سورة نوح، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 16، ع 02، 2023، الصفحات 75 - 96.
- 143- دبريس محمد أمين: جدلية النص / الخطاب من منظور علم اللغة النصي: دراسة ابيستيمية في المفهوم والنوع، مجلة لغة - كلام، جامعة غليزان - الجزائر، مج 08، ع 01، 2022، الصفحات 244 - 253.
- 144- رابح كريب، محمد مدور: توظيف الروابط والعوامل الحجاجية ودورها في كتاب: ذم الهوى لابن الجوزي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 14، ع 02، 2022، الصفحات 61 - 75.
- 145- راضية سكاوي: أفعال الوعديات (الإلتزاميات) في القرآن الكريم - مقارنة تداولية -، مجلة آفاق للعلوم، مج 07، ع 04، 2022، الصفحات 242 - 254.
- 146- رحاب فيصل عبد الوهاب المنّاع، محمد عبد كاظم الخفاجي: الإشارات في رسائل الأدباء ومرجعياتها بين قصد المرسل وتأويل المتلقي، مجلة آداب البصرة، ع 89، 2018، الصفحات 2 - 43.
- 147- ريمة يحي، جودي مرداسي: الإشارات الشخصية ومقاصدها التداولية في شعر عبد الله البردوني، إشكالات في اللغة والأدب، مج 10، ع 04، 2021، الصفحات 47 - 59.
- 148- زغدي محمد الصالح: تداولية أفعال الكلام في قصيدة لن أبكي للشاعرة فدوى طوقان، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 02، ع 02، 2020، الصفحات 30 - 41.
- 149- زقنون نصيرة: العوامل الحجاجية وروابطها في التمثلات النبوية، مجلة جسور المعرفة، مج 05، ع 04، 2019، الصفحات 693 - 706.

- 150- زكي فليح حسن، ندى محمد حسين: الإشارات الشخصية في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (280 هـ): دراسة تحليلية، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث المجلد الثاني، ع 14، 2022، الصفحات 202 - 217.
- 151- زهير بوخيار: جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، ملامح التداولية في النحو العربي عند سيبويه وابن جني، قراءة تحليلية في المفاهيم، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 12، ع 02، 2020، الصفحات 939 - 959.
- 152- سارة عبد الملك الشريف: فاعلية الإشارات المكانية في التشبيهات النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ج01، ع 05، 2022.
- 153- سامية محصول: دراسة تداولية للأفعال الكلامية في سورة مريم، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج 05، ع 01، 2022، الصفحات 465 - 477.
- 154- شمس الهدى تايب، السبتى سلطاني: مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 16، ع 01، 2024، الصفحات 316 - 333.
- 155- عالية قري: دلالاتية النفي وفاعلية السلب الزمني في ديوان " قرابين لميلاد الفجر " لعز الدين ميهوبي، مجلة النص، أم البواقي، مج 10، ع 02، 2024، الصفحات 317 - 331.
- 156- عبد الحليم بن عيسى: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مجلة دراسات أدبية، جامعة وهران، الجزائر، ع 1، 2008، الصفحات 9 إلى 21.
- 157- عبد الرحمان مرواني: أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 08، ع 03، 2019، الصفحات 559 - 575.
- 158- عبد السلام بقاق، طاطة بن قرماز: أثر الإحالة الضميرية في اتساق قصيدة رثاء فاتك للمتنبى، مجلة جسور المعرفة، مج 10، ع 01، 2024، الصفحات 271 - 285.
- 159- عرابي غالية: نظرية أفعال الكلام في ضوء الأسلوبين الخبري والإنشائي، مجلة فصل الخطاب، مج 07، ع 27، 2019.

- 160- عصام واصل: الأفعال الكلامية في ديوان " أبجدية الروح "، مجلة طلائع اللغة وبدائع الأدب، مج 01، ع 01، 2020، الصفحات 74 - 98.
- 161- العيد جلول: نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، الصفحات 51 - 59.
- 162- غلاب نوال، نسيمة نابي: أفعال الكلام في رواية " عرق على ورق " لعمر عباس: دراسة تداولية في ضوء نظرية سيرل، مجلة فصل الخطاب، مج 13، ع 01، مارس 2023، الصفحات 43 - 66.
- 163- فتيحة باخالد، محمد بن يحيى: الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في " المقامة البغدادية " لبديع الزمان الهمذاني، مجلة علوم اللغة وآدابها، مج 16، ع 01، 2024، الصفحات 475 - 497.
- 164- فريد زغلامي: الأصول والمرجعيات الفلسفية والسيمائية واللسانية للتداولية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 13، ع 01، مارس 2024، الصفحات 146 - 159.
- 165- قادري خضرة: ملامح نظرية أفعال الكلام في التقسيم الثنائي للبلاغة العربية - دراسة تطبيقية -، مجلة جسور المعرفة، مج 05، ع 02، 2019، الصفحات 418 - 431.
- 166- كنزة قدوس، علود حميودة: تداولية الفعل الإنجازي في سورة الملك - دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام -، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مج 17، ع 01، 2023، الصفحات 1119 - 1136.
- 167- لامية حمزة: وقع المنجز اللساني التداولي في الخطاب الأدبي، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 -، ع 07، 2020، الصفحات 119 - 129.

- 168- لبنى بوخناف: تداولية الإشارات في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني " رواية نزيف الحجر أنموذجا"، مجلة حوليات، جامعة قلمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية، ع 27، ديسمبر 2019، الصفحات 75 - 93.
- 169- لعبيدي فريدة، حشلافي لخضر: الإستراتيجية التوجيهية في الخطاب الإداري، مجلة إنسانيات معاصر للبحوث والدراسات، مج 02، ع 01، 2023، الصفحات 130 - 153.
- 170- محمد أمعيط: الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية - مناظرة علي للخوارج نموذجا - (دراسة حجاجية)، مجلة إحالات، كلية اللغات والآداب والفنون - جامعة ابن طفيل، القنيطرة - المغرب، ع 07، جوان 2021.
- 171- محمد مدور: الاستراتيجية التوجيهية في خطاب إبراهيمي؛ مقارنة تداولية، مجلة إبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعرييج، ع 02، 2020، الصفحات 106 - 123.
- 172- مسعودة الساكر: الروابط الحجاجية في القرآن الكريم / نماذج مختارة، مجلة الآداب، مج 21، ع 01، 2021، الصفحات 442 - 460.
- 173- مشري أمل، مزوز دليلة: البعد التداولي للإشارات الشخصية في مقامات الحريري - الضمائر أنموذجا -، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، مج 09، ع 04، 2020، الصفحات 119 - 137.
- 174- مصطفى عباس: الحجاج وآلياته في الدراسات اللغوية الحديثة، مجلة اللغة الوظيفية، مج 10، ع 01، 2023، الصفحات 2 - 20.
- 175- ميزوني قراد، زوبيدة ساسي: الروابط والعوامل الحجاجية في النصوص القانونية - مقارنة تداولية في قانون الأسرة الجزائري -، مجلة النص، أم البواقي، مج 10، ع 02، 2024، الصفحات 425 - 440.

- 176- نجاح مدلل: أصول المنهج التداولي في التراث العربي من خلال أركان العملية التواصلية
المخاطب - المخاطب - الخطاب، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر
- الوادي -، ع 9، 2016، الصفحات 59 - 68.
- 177- نسيمة شاوش: تداولية القوة الإنجازية في قصيدة التأشيرة للشاعر هشام الجخ - نماذج
مختارة -، مج 21، ع 01، ديسمبر 2021، 503 - 522.
- 178- نهلة حسين طه: تداولية الإشارات في قصة موسى (عليه السلام)، مجلة العلوم
التربوية والإنسانية، ع 01، 2020، الصفحات 45 - 56.
- 179- هانو سومية: الإحالة وأثرها في دلالة النص الروائي " غربة الياسمين " للروائية خولة
حمدي، مجلة المدونة، مج 08، ع 03، 2021، الصفحات 3193 - 3210.
- 180- هشام صويلح: استقصاء أغراض الأفعال الكلامية في الخطاب السياسي الجزائري تحليل
عينة باعتماد تصنيف جون سيرل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 13، ع 03، 2021،
الصفحات 182 - 203.
- 181- وهيبة شودار، عمار لعويجي: دور الروابط الحجاجية في فهم النمط الحجاجي لـ (
نصوص فهم المنطوق) كتاب اللغة العربية الجيل الثاني سنة رابعة متوسط " أنموذجا "، مجلة
علوم اللغة العربية وآدابها، مج 14، ع 01، 2022، الصفحات 621 - 637.

سلسلة كتب:

- 182- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، إشراف أحمد مشاري العدوانى، عالم المعرفة،
الكويت، ع 164، 1978، الصفحات 5 - 317.

المعاجم:

- 183- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ط 4، 2005، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- 184- ابن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، ج 01، ط 1،
1998، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- 185- ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخران، ط1، 1981، دار المعارف، القاهرة.
- 186- ابن منظور: لسان العرب، مج 4، 1405 مح، نشر أدب الحوزة، إيران.
- 187- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج 02، 1979، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د . ب.
- 188- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 01، ط1، 2008، عالم الكتب، القاهرة.
- 189- إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ط 1، 1983، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- 190- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح عبد الحميد هنداوي، ج01، ط1، 2003، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 191- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، د . ط، 1986، مكتبة لبنان، بيروت.

A decorative black floral frame with a central circle. The frame is composed of intricate leaf and vine patterns. The text is centered within the circle.

فهرس الأشكال

فهرس الأشكال:

211.....	شكل 1
212.....	شكل 2
213.....	شكل 3
215.....	شكل 4
215.....	شكل 5
217.....	شكل 6
218.....	شكل 7
219.....	شكل 8
220.....	شكل 9
221.....	شكل 10
222.....	شكل 11
223.....	شكل 12
226.....	شكل 13
227.....	شكل 14
228.....	شكل 15
230.....	شكل 16
231.....	شكل 17
232.....	شكل 18
233.....	شكل 19
234.....	شكل 20
236.....	شكل 21

237.....	شكل 22
238.....	شكل 23
240.....	شكل 24
241.....	شكل 25
242.....	شكل 26
243.....	شكل 27
244.....	شكل 28
245.....	شكل 29
246.....	شكل 30
247.....	شكل 31
248.....	شكل 32
249.....	شكل 33
250.....	شكل 34
254.....	شكل 35
256.....	شكل 36
257.....	شكل 37
259.....	شكل 38
260.....	شكل 39
261.....	شكل 40
262.....	شكل 41
264.....	شكل 42
265.....	شكل 43



266..... شكل 44

A decorative floral border in black ink, featuring a central circular frame with intricate leaf and vine patterns extending outwards.

فهرس الموضوعات

A faded, light gray version of the decorative floral border, mirroring the design above it.

فهرس الموضوعات:

شكر وعران:

الإهداء:

مقدمة: أ

الفصل الأول: الخطاب والتداولية النشأة والمفهوم: 4

1 - مفهوم النص والخطاب: 4

أ- لغة: 4

ب- اصطلاحا: 6

تمهيد: 6

ب- أ- النص أو الخطاب عند الغرب: 9

ب - ب النص والخطاب عند العرب: 11

1 - 1 - الفرق بين النص والخطاب: 14

1 - 2 - وضعية الخطاب: 17

1 - 3 - تحليل الخطاب: 19

1 - 4 - الخطاب السردى: 21

2- التداولية النشأة والمفهوم: 27

2 - 1 - المرجعيات الفكرية والفلسفة للتداولية: 27

أ - السيميائية: 28

ب - الفلسفة التحليلية: 30

- 1 - لودفيك فتغنشتاين: Wittgenstein L. 31.....
- 2 - جون أوستن: J.austen 32.....
- 3 - جون سيرل: J.Searle 33.....
- 4 - بول غرايس: P.Grice 34.....
- ج - اللسانيات والتوليدية التحويلية: 35.....
- د- النحو الوظيفي: 37.....
- هـ - لسانيات النص وتحليل الخطاب: 38.....
- 2 - 2 - ظهور التداولية في العالم العربي: 39.....
- 2 - 3 - مفهوم التداولية: 41.....
- أ - لغة: 41.....
- ب - اصطلاحا: 44.....
- 2 - 4 - علاقة التداولية بالعلوم الأخرى: 49.....
- أ - علاقة التداولية باللسانيات: 49.....
- ب - علاقة التداولية بالسيمياء: 51.....
- ج - علاقة التداولية بالدلالة: 52.....
- د - علاقة التداولية بعلم التركيب: 53.....
- هـ - علاقة التداولية بالبلاغة: 54.....
- و - علاقة التداولية بالأسلوبية: 55.....
- س - علاقة التداولية بالتأويل: 56.....

58.....	2 - 5 - التحليل التداولي:
63.....	الفصل الثاني: الإشارات في رواية " هاء وأسفار عشتار ":
63.....	1- الإشارات من حيث المفهوم:
63.....	تمهيد:
64.....	أ - أ - الإشارة لغة:
65.....	أ - ب - الإحالة لغة:
66.....	ب - اصطلاحا:
71.....	2- أقسام الإشارات:
72.....	3- الإشارات الشخصية:
83.....	4- الإشارات المكانية:
97.....	5- الإشارات الزمانية:
111.....	الفصل الثالث: أفعال الكلام في " رواية هاء وأسفار عشتار ":
111.....	1 - نظرية أفعال الكلام:
111.....	- الفعل الكلامي:
115.....	الأفعال الإنجازية المباشرة:
115.....	الأفعال الإنجازية غير المباشرة:
115.....	المقاصد والفروض المسبقة:
118.....	2 - تصنيف أوستن لأفعال الكلام:
119.....	3 - أفعال الكلام عند جون سيرل:

120.....	4 - تصنيف سيرل لأفعال الكلام:
121.....	أ - الإخباريات: التقريريات:
130.....	ب - التوجيهيات:
131.....	الاستفهام:
145.....	الأمر:
157.....	النصح:
166.....	ج - الوعديات أو الإلزاميات:
176.....	د- التعبيريات: أو البوحيات أو التصريحيات:
176.....	الندم:
177.....	التمني:
179.....	الحنين:
179.....	الخوف والحيرة:
180.....	الحرية:
183.....	الأمل:
184.....	هـ - الإعلانات:
195.....	الفصل الرابع: الحجاج في رواية " هاء وأسفار عشتار ":
195.....	1- مفهوم الحجاج:
195.....	أ - لغة:
196.....	ب - اصطلاحا:

- 200.....2- إرهصاصاته:
- 204.....3- مراتب الحُجَج:
- 205.....4 - التداولية المدمجة:
- 206.....5 - القسم الحجاجي والسلالم الحجاجية:
- 207.....6- الروابط الحجاجية:
- 208.....الرابط الحجاجي التساوقي (حتى):
- 224.....الرابط التعارضي (لكن):
- 241.....الرابط الحجاجي (لأن):
- 251.....الرابط الحجاجي (بل):
- 267.....7- العوامل الحجاجية:
- 268.....العامل الحجاجي (لا ... إلا):
- 276.....العاملان الحجاجيان (ليس ... إلا) و (ما ... إلا):
- 283.....العامل الحجاجي (لم ... إلا):
- 294.....الفصل الخامس: الاستلزام الحواري في رواية " هاء وأسفار عشتار ":
- 294.....1 - مفهوم الاستلزام الحواري:
- 296.....2- نشأة الاستلزام الحواري:
- 298.....3 - مبدأ التعاون:
- 299.....1- مبدأ الكيفية:
- 299.....2- مبدأ الكمية:

299.....	3- مبدأ الطريقة:
300.....	4- مبدأ العلاقة:
301.....	4 - نماذج عن قواعد غرايس الأربعة:
314.....	5 - الاستلزام الحوارى والاستفهام:
321.....	6 - الاستلزام الحوارى والاستعارة:
332.....	7 - الاستلزام الحوارى والكناية:
347.....	الخاتمة:
354.....	الملحق:
360.....	قائمة المصادر والمراجع:
380.....	فهرس الأشكال:
11.....	فهرس الموضوعات:
259.....	الملخص:

A decorative floral border in black ink, featuring symmetrical scrollwork and leaf patterns that frame a central white circle. The design is reminiscent of traditional Islamic or Arabic calligraphic art.

الملخص

المخلص:

تتبنى التداولية على مجموعة من القضايا المهمة التي أخذت حيزا كبيرا في الدراسات الحديثة والمعاصرة، لما لها من أهمية في الساحة النقدية واللسانية، تشتغل التداولية على النص من خلال آلياتها الإجرائية المختلفة، المتمثلة في الإشارات وأفعال الكلام والحجاج والاستلزام الحواري وغيرها، بما أن النص الذي بين أيدينا (هاء وأسفار عشتار) لعز الدين جلاوي يجمع بين الغموض والأسطورة، فهذا يعني أنه يمنح الدارس الرغبة في استنطاقه، وبما أن المقاربة المختارة في هذا البحث هي المقاربة التداولية، فهذا يعني أن وراءها هدف معين، حيث نسعى من خلالها إلى إبراز تجليات التداولية في نص أسطوري، ومدى قدرة الدارس على المزج بين الواقع والخيال والخرافة، مما يستدعي منا طرح عدة أسئلة أهمها:

كيف يمكن لدارس الخطاب أن يحلل نصا أسطوريا مضمرا عن طريق الآليات التداولية ؟ ما مدى توفر هذه الآليات في الرواية ؟.

الكلمات المفاتيح: التداولية؛ الإشارات، أفعال الكلام؛ الحجاج؛ الاستلزام الحواري.

Abstract :

Pragmatics is based on a group of important issues that have taken up a large part in modern and contemporary studies, because of its importance in the critical and linguistic arena, pragmatics works on the text though its various procedural mechanisms, represented in signs, speech acts, argumentation, dialogical. Implication, ect, Since the text in our hands, Ha and the Travels of Ishtar by Izz Al – Din Jalawji, combines mystery and legend, this means that it gives the student the desire to question him, Since the chosen approach in this research in this research is the deliberative approach, this means that there is a specific goal behind it, through it, we seek to highlight the manifestations of pragmatics in a legendary text, the extent to which the student is able to mix reality, imagination, and myth, this requires us to ask several questions, the most: important of which is

How can a student of discourse analyze an implicit legendary text through pragmatic mechanisms ? to what extent are these mechanisms available in the novel ?.

Keywords : Pragmatics ; The signals ; Pilgrims; Speech acts; Dialogical imperative.